PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 012793368

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

H. Hāshimī al-Khū'ī

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

عني بتصحيحه وتهذيبه العالم الفاضل: السيد ابراهيم الميانجي

الجزء الثاني

الطبعة الرابعه

الناشر:

مركز فروش

منشورات دار الهجرة

ايران - قم

نمایشگاه و فروشگاه امام المهدی (ع)

قرآن عترت

مؤسسه وحیدی حائری تهرانی - ۱۳۶۰

تهران، کتابخانه مسجد ارک ۵۳۲۵۹۹

طبع في المطبعة الاسلامية بطهران

2264
.1067
.754
1985
juz' 2

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« الفصل التاسع »

« ثُمَّ فَتَقَ سُبْحَانَهُ مَا بَيْنَ السَّمٰوَاتِ الْعُلَىٰ ، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، فَمِنْهُمْ سُجُودٌ لا يَرْكَعُونَ ، وَرُكُوعٌ لا يَنْتَصِبُونَ ، وَصَافُّونَ لا يَتَزَايَلُونَ ، وَمُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ ، لا يَغْشِيهِمْ نَوْمُ الْعُيُونِ ، وَلا سَهْوُ الْعُقُولِ ، وَلا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ ، وَلا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ ، وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَىٰ وَحْيِهِ ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَىٰ رُسُلِهِ ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ ، وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ ، وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَىٰ أَقْدَامُهُمْ ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ

وَأَستارِ القُدرَةِ، لا يَتوَهَّمونَ رَبَّهُم بِالتَّصويرِ، وَلا يُجرُونَ عَلَيهِ صِفاتِ المَصنُوعِينَ، وَلا يَحُدُّونَهُ بِالأَماكِنِ، وَلا يُشيرُونَ إِلَيهِ بِالنَّظائِرِ.»

اللغة

(أطوار) جمع طور كثوب وأثواب، وهو في الأصل التّارة يقال: أتيته طوراً بعد طور، أي تارة بعد تارة، و يجيء بمعنى الحالة، والمراد به هنا الأصناف المختلفة كما فسّر به قوله تعالى:

«وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً».

أي مختلفين في الصّفات، أغنياء و فقراء، و زمناء و أصحاء، (والملائكة) مأخوذة من الالوك و هو الرّسالة، يقال: ألك بين القوم ألكا من باب ضرب، والألوك الرّسول، و واحدها ملك، و أصله على ما قاله الفيومي ملأك، و وزنه معفل، فنقلت حركة الهمزة إلى اللاّم و سقطت لكثرة الاستعمال فوزنه معفل فانّ الفاء هي الهمزة وقد سقطت، و قيل: مأخوذ من لاك إذا ارسل، فملاك مفعل فنقل الحركة و سقطت الهمزة و هي عين، فوزنه مفل و على كل تقدير فملك إمّا اسم مكان بمعنى محلّ الرّسالة، أو مصدر ميمي بمعنى المفعول (والسّجود) و (الرّكوع) هنا جمع ساجد و راكع، و فاعل الصّفة يجمع على فعول إذا جاء مصدره عليه أيضاً (والانتصاب) القيام (والصّف) من صففت الشيء من باب نصر إذا نظمته طولا مستوياً و منه صفّ الجماعة (والتزايل) التّفارق (والسّامة) الملالة و الضجر (ويغشيهم) مضارع غشيته أى أتيته (والفترة) الانكسار والضّعف (والسّدنة) جمع سادن كخدمة و خادم لفظاً و معنى (والمارقة) أى الخارجة يقال: مرق السّهم من الرّمية إذا خرج من الجانب الآخر (والاقطار) الأطراف (والأركان) جمع الرّكن كأقفال و قفل و هو جانب الشّيء والمراد هنا الأجزاء والجوارح (والنّاكس) المتاطيء رأسه (و تلفّع) بالثّوب تلحفو اشتمل به (والنظاير) جمع نظيرة وهي

المثل و الشبه في الأشكال والأفعال والأخلاق ، و النظير المثل في كل شيء
قيل : (١) و في بعض النسخ بالنواظر ، أى بالابصار ، و في بعضها بالمواطن أى بالأمكنة .

الاعراب

كلمة ثم هنا للترتيب الحقيقي فيكون فتق السماوات بعد خلق الشمس والقمر بل بعد جعلها سبعاً و خلق الكواكب فيها ، و يحتمل أن يكون للترتيب الذكري ، و ناكسة و تالياها مرفوعات على أنها أوصاف للمناسبة المرفوعة بالابتداء أو معطوفات عليها أو على الثابتة بحذف العاطف ، و مسوغ الابتداء في المعطوفات مع نكارتها إما عطفها على ما يصح الابتداء ، أو كون الخبر مجروراً ، مثل ولكل أجل كتاب ، أو كون الصفة عاملة عمل الرفع ، وهذه قواعد ثلاث من القواعد المصححة للابتداء بالنكرات ، صرح به ابن هشام في المغني ، أو لقيام الصفة مقام الموصوف و هو رابع القواعد المسوغة للابتداء بالنكرة كما قرر في الأدبية ، مثل مؤمن خير من مشرك ، أى رجل مؤمن خير ، و يحتمل أن يكون ناكسة والمرفوعان بعدها خبراً لمبتداء محذوف ، والجملة استينافا بيانيا كأنه سئل عن حال الملائكة المتصفة بالأوصاف السالفة و عن شأنهم ، فقال عليه السلام : هم ناكسة الأبصار دون العرش هذا و عن بعض النسخ ناكسة و متلفعين و مضروبة بالنصب على الحالية ، ومثلها محل الجملات بعدها ، أعني قولة لايتوهمون اه.

المعنى

لما ذكر عليه السلام كيفية خلق السماوات السبع وتزيينها بزينة الشمس والقمر والكواكب ، أشار بعد ذلك إلى سكانها و حالات الساكنين فيها وصفاتهم وأصنافهم المختلفة باختلاف الصفات ، وأقسامهم الكثيرة بكثرة الشئون والحالات فقال عليه السلام : (ثم فتق ما بين السماوات العلى) المستفاد من كلام الشارح البحراني أن كلمة ثم هنا للترتيب الذكري حيث قال : فان قلت : لم أخر ذكر فتق السماوات وإسكان

١ــ المجلسي ره منه

الملائكة لها عن ذكر إجراء الشّمس والقمر و تزيينها بالكواكب ومعلوم أنّ فتقها متقدّم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب؟ قلت: إنّ إشارته إلى تسوية السماوات إشارة جمليّة . فكأنّه قدّر أوّلا أن خلق السّماوات كرة واحدة كما عليه بعض المفسرين، ثم ذكر علياهنّ وسفلاهن لجريانهما مجرى السّطحين الدّاخل والخارج لتلك الكرة ، ثم أشار إلى بعض كمالاتها و هي الكواكب والشّمس والقمر جملة، ثم بعد ذلك أراد التّفصيل فأشار إلى تفصيلها و تمييز بعضها عن بعض بالفتق وإسكان كلّ واحدة منهنّ ملاء معيّنا من الملائكة ، ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكة، ولاشك أن تقديم الاجمال وتعقيبه بالتفصيل أولى في الفصاحة انتهى ،

أقول : ظاهر كلمة ثمّ و ظاهر سياق كلامه عليه السلام أنّها هنا للتّرتيب الحقيقي فيستفاد منهما أن خلق السّماوات بعد خلق الشّمس والقمر والكواكب ، و بعد جعلها سبباً ، و دعوى معلوميّة تقدّم الفتق على اختصاص بعضها ببعض الكواكب ممنوعة إذ لم يقم دليل على التقدّم ، بل يمكن أن يكون السّماوات السّبع مرتتقة مطبقة مخلوقة فيها الكواكب ، ثم فصّل بينها بالهواء ونحوه ، كما روي نظيره في مجمع البيان عن ابن عبّاس في تفسير الآية الشّريفة:

«أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما» .

حيث قال : المعنى كما كانتا ملتزقتين منسدّتين ففصّلنا بينهما بالهوآء، عن ابن عبّاس و غيره انتهى.

فان قيل : قدمضى في ثالث تنبيهات الفصل السّابق في حديث أبي جعفر عليه السلام ما يدل على بطلان هذا التّفسير ، حيث أمر الشامي بالاستغفار عن زعم كون المراد بالرّتق والفتق الالتصاق والانفصال إلى آخر مامضى .

قلت : ما ذكرناه هنا من مجمع البيان إنّما هو على سبيل التّنظير ، ضرورة أنّ كلامنا في فتق السّماوات ، و تفسير ابن عبّاس كالحديث السّابق ناظران إلى

فتق السّمآء والأرض، و أحدهما غير الآخر ، و بطلان احتمال الالتصاق بين السّمآء والأرض بدليل خاص لايوجب بطلان احتمال الالتصاق في السّماوات السّبع.

والحاصل أنّه لا دليل على كون ثمّ في كلامه ﷺ للترتيب الذكري بخصوصه بل يحتمل ذلك و كونها للترتيب المعنوي ، و على أي تقدير ففي كلامه عليه السلام دلالة على بطلان مذهب الفلاسفة من تماس الأفلاك و عدم الفصل بينهما بهوآء و نحوه.

و كيف كان فلما خلق الله سبحانه السّماوات و فصّل بعضها عن بعض (ملأهنّ أطواراً من ملائكته) وأسكنهم فيها على وفق ما يقتضيه تدبيره وحكمته ، وللنّاس في ماهية الملائكة آراء متشتّة وأهواء مختلفة.

فمنهم من قال: إنّها أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكلات بأشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشّاقة ، مسكنها السّماوات ، رسل الله إلى أنبيائه و امناءه على وحيه يسبّحون اللّيل و النّهار لايفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون ، نسبه في شرح المقاصد إلى أكثر الامة والفخر الرّازي إلى أكثر المسلمين.

و منهم من قال : إنّها هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس ، المسعدات ملائكة الرّحمة ، و المنحسات ملائكة العذاب ، و هو مذهب عبدة الأوثان.

ومنهم من قال : إنّهم متولّدون من جوهر النّور لاعلى سبيل التناكح ، بل على سبيل تولد الضوء من المضيء ، والحكمة من الحكيم ، كما أنّ الشّياطين متولدون من جوهر الظلمة حسب تولد السّفه من السّفيه، وهو رأى معظم المجوس والثّنويّة المثبتين للأصلين حسب مامر تفصيله في شرح الفصل السّابع من فصول الخطبة ، و هذه الأقوال متّفقة في كون الملائكة أشيآء متحيزة جسمانية.

و منهم من قال : إنّهم في الحقيقة هي الأنفس النّاطقة بذاتها المفارقة للأبدان

على نعت الصفا والخيرية ، كما أن الشياطين هي الأنفس الناطقة على وصف الخباثة والكدرة ، و هو قول طائفة من النصارى.

و منهم من ذهب إلى أنها جواهر قائمة بأنفسها و مخالفة بنوع النفوس الناطقة البشرية من حيث الماهية و أكمل منها قوة ، و أكثر علما ، وإنما النفوس البشرية جارية منها مجرى الأضواء بالنسبة إلى الشمس ، ثم إن هذه الجواهر على قسمين منها ما هي بالنسبة إلى أجرام الأفلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة إلى أبداننا ومنها ما هي أعلى شأنا من تدبير أجرام الأفلاك ، بل هي مستغرقة في معرفة الله ومحبته ، ومشتغلة بطاعته ، وهذا القسم هم الملائكة المقربون، ونسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السماوات كنسبة أولئك المدبرين إلى نفوسنا الناطقة، وهذان القسمان اتفقت الفلاسفة على إثباتهما.

و منهم من أثبت نوعاً آخر وهي الملائكة المدبرة لأحوال هذا العالم السفلي ثم قالوا : إن المدبرات إن كانت خيرات فهم الملائكة ، و إن كانت شريرة فهم الشياطين ، و هذه الأقوال الأخيرة متفقة في نفي التحيز والجسمية عنها هذا .

و قال المحدث المجلسي طاب ثراه في البحار : اعلم أنه اجتمعت الامامية بل جميع المسلمين إلا من شذ منهم من المتفلسفين الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب اصولهم و تضييع عقايدهم : على وجود الملائكة ، و أنهم أجسام لطيفة نورانية اولي أجنحة مثنى و ثلاث و رباع و أكثر قادرون على التشكل بالأشكال المختلفة ، و أنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ماشاء من الأشكال والصور على حسب الحكم والمصالح ، ولهم حركات صعوداً و هبوطاً ، وكانوا يراهم الأنبياء والاوصياء عليهم السلام ، و القول بتجردهم و تأويلهم بالعقول و النفوس الفلكية و القوى والطبايع و تأويل الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة تعويلا على شبهات واهية و استبعادات و همية ، زيغ عن سبيل الهدى ، و اتباع لأهل الهوى والعمى انتهى.

ثم إن للملائكة أقساماً لاتحصى حاصلة من اختلافهم في النعوت والصفات، و تفاوتهم في المراتب والدرجات ، فمنهم الكروبيون و منهم الروحانيون و منهم

المدبّرون و منهم الحافظون و منهم المسبحون و منهم الصّافون و منهم اُمناء الوحي و سفراء الرسل و منهم الخزنة للجنان و منهم الزّبانية للنيران إلى غير ذلك، وقد أشار إلى جملة منها الامام سيّد السّاجدين و زين العابدين عليه السلام في دعاء الصّحيفة في الصلاة على حملة العرش و كل ملك مقرّب، و أمّا الامام عليه السلام فقد قسمهم هنا إلى أقسام أربعة و فصّلهم بكلمة من، والظاهر أنّ القسمة ليست حقيقية، بأن يكون بين الأقسام تبايناً وانفصالاً حقيقياً، ضرورة جواز اتّصاف بعض هذا الأقسام بالأوصاف الثّابتة لغيره، وجواز اجتماع اثنين منها، أو ثلاثة أو جميع الأربعة في نوع و احد أو فرد واحد كما قال عليه السلام في الصّحيفة السّجادية:

«أللّهمّ وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الّذينَ لا يَفْتُرُونَ مِنْ تَسْبيحِكَ، وَلا يَسأَمُونَ مِن تَقْديسِكَ».

حيث أثبت لحملة العرش كونهم مسبحين وقد فصل(١) هنا حيث قال عليه السلام: ومسبّحون لايسأمون، و منهم الثّابتة اه وقد علم ممّا ذكرنا أنّ هذه القسمة ليست أيضاً بعنوان منع الجمع، فبقي كونها بعنوان منع الخلوّ، أو جميع أصناف الملائكة من المذكورين هنا و غيرهم يمكن دخوله في قوله عليه السلام: و مسبّحون لايسأمون، إذ ما من ملك إلاّ و هو مسبّح له سبحانه كما قال سبحانه حكاية عنهم: و نحن نسبح بحمدك، غاية الأمر أنّ بعضاً منهم متّصف مع ذلك بصفة اخرى أو جبت جعله قسماً برأسه فافهم.

و ممّا ذكرنا يظهر ما في كلام القطب الرّاوندي على ماحكى عنه الشّارح المعتزلي من جعله حفظة العباد والسّدنة لأبواب الجنان مع امناء الوحي قسماً و احداً و ارجاعه الأقسام الأربعة إلى الثلاثة، كما يظهر منه أيضاً ما في كلام الشّارح البحراني من جعله امناء الوحي وألسنة الرّسل والمختلفين بالقضاء والأمر، داخلين في الأقسام السّابقة على هذا القسم في كلامه عليه السلام، لما عرفت من أنّ

١ – اى بين المسبحين و بين حملة العرش منه

تفصيله في الأقسام باعتبار اختلاف الصفات، لا باعتبار القسمة الحقيقية، و معه لاداعى إلى تقليل الأقسام و إرجاع بعضها إلى بعض و إدخالها فيه، و إن كان المقصود بيان أن حفظة العباد والسدنة للأبواب كما أنّ فيهم وصف الحافظة والسدانة كذلك فيهم وصف الامانة،

فنقول: إنّ فيهم وصف المسبحية أيضاً فما الداعى إلى جعلهم مع الأُمناء بخصوصهم قسماً و احداً، و كذلك نقول: إنّ اتصاف امناء الوحى وألسنة الرّسل والمختلفين بالقضاء والأمر، بكونهم مع ذلك أيضاً سجوداً لايركعون مثلا لايوجب إدخالهم في هذا القسم، لانّا نقول: إنهم متّصفون مع ذلك بكونهم حفظة العباد أيضاً فانّ جبرئيل مثلا مع كونه أمين الوحى كان حافظا لابراهيم عليه السلام مثلا عند إلقاء النّار، وليوسف عليه السلام في غيابة الجبّ و نحو ذلك.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح الكلام و توضيح الأقسام التي أشار إليها بقوله: (فمنهم) أى القسم الأوّل منهم (سجود لايركعون، و ركوع لاينتصبون، و صافّون لايتزايلون، و مسبحون لايسأمون) يعني أنّ بعضاً منهم ساجد لا يرفع رأسه من السجود ليركع، و منهم من هو راكع لايقوم من ركوعه، و منهم صافّون للعبادة لايتفارقون من مكانهم، و منهم مسبحون لايملّون من تسبيحهم، كما قال سبحانه حكاية عنهم:

«وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ».

إشارة إلى تفاوت مراتبهم و درجاتهم في العبادة، أى مامنّا أحد الاّ له مقام معلوم في العبادة والمعرفة والانتهاء إلى أمر الله في تدبير العالم، و إنّا لنحن الصافّون في اداء الطاعة و منازل الخدمة، و إنّا لنحن المسبحون المنزّهون الله عمّا لايليق به.

و قيل: إنّ المراد بالصّافين القائمون صفوفا في الصلاة، و عن الكلبي صفوف

الملائكة في السماء كصفوف أهل الدّنيا في الأرض، و عن الجبائي المعنى صافون بأجنحتنا في الهوآء للعبادة والتّسبيح، والمراد بالمسبحين القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله هذا.

و ينبغي أن يعلم أنّ المراد بالسجود والرّكوع والصّف والتسبيح في كلامه ﷺ ما هو المتبادر منها، أعني وضع الجبهة على ما يصحّ السجود عليه في الأوّل، والانحناء في الثّاني، و القيام في خط مستطيل في الثّالث، و قول سبحان الله و نحوه في الرابع، و أنكر الشّارح البحراني ذلك ولا بأس بنقل عبارته لتوضيح ما رامه.

قال: ثمّ إنّ السّجود والرّكوع والصّف والتسبيح عبادات متعارفة من الحقّ و متفاوتة في استلزام كمال الخشوع والخضوع، ولا يمكن حملها على ظواهرها المفهومة منها، لأنّ وضع الجبهة على الأرض و انحناء الظهر والوقوف في خط واحد و حركة اللّسان بالتسبيح امور مبنيّة على وجود هذه الآلات التي هي خاصة بعض الحيوانات، و بالحري أن يحمل تفاوت المراتب المذكورة لهم على تفاوت كمالاتهم في الخضوع والخشوع لكبرياء الله و عظمته، إطلاقا للفظ الملزوم على لازمه على أنّ السجود في اللّغة هو الانقياد والخضوع كما مر.

إذا عرفت ذلك فنقول: يحتمل أن يكون قوله منهم سجود إشارة إلى مرتبة الملائكة المقربين، لأن درجتهم أكمل درجات الملائكة، فكانت نسبة عبادتهم و خضوعهم إلى خضوع من دونهم كنسبة خضوع السجود إلى خضوع الرّكوع.

فان قلت: إنّه قد تقدّم أنّ الملائكة المقرّبين مبرؤون عن تدبير الأجسام والتعلّق بها، فكيف يستقيم أن يكونوا من سكّان السّماوات ومن الأطوار الذين ملئت بهم.

قلت: إنّ علاقة الشّيء بالشّيء وإضافته إليه يكفي فيها أدنى مناسبة بينهما، والمناسبة هنا حاصلة بين الأجرام السّماويّة و بين هذا الطور من الملائكة، و هي مناسبة العلّة للمعلول، والشّرط للمشروط انتهى، وأشار بقوله: فان قلت: إنه قد تقدّم

اه ، إلى ماذكره سابقا من أن المقرّبين هم الذّوات المقدّسة عن الجسمية والجهة ، و عن حاجتها إلى القيام بها وعن تدبيرها اه .

أقول : و أنت خبير بما فيه.

أما اولا فلأنّ صرف الألفاظ المذكورة عن معانيها الظاهرة فيها حسب مااعترف به(١) لاوجه له ، بل قد قام الأخبار المتواترة على المعنى الظاهر ، مثل ما رواه في البحار عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّي أرى مالا ترون ، و أسمع ما لا تسمعون إنّ السّماء أطت (٢) و حقّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ و ملك واضع جبهته ساجدالله .

وعن ابن جبير أنّ عمر سأل النبي صلى الله عليه وآله عن صلاة الملائكة فلم يرد عليه شيء فأتاه جبرئيل فقال إنّ أهل سماء الدّنيا سجود إلى يوم القيامة يقولون : سبحان ذي الملك والملكوت ، و أهل السّماء الثّانية ركوع إلى يوم القيامة يقولون : سبحان ذي العزة والجبروت ، و أهل السّماء الثّالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون : سبحان الحيّ الذى لايموت .

و في الأنوار عن الصّادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله مررنا ليلة المعراج بملائكة من ملائكة الله عزّ وجل، خلقهم الله كيف شاء ، ووضع وجوههم كيف شاء ليس شيء من أطباق وجوههم إلاّ وهو يسبح الله ويحمده من كلّ ناحية بأصوات مختلفة أصواتهم مرتفعة بالتّسبيح والبكاء من خشية الله ، فسألت جبرئيل عنهم ، فقال : كماترى خلقوا إنّ الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلّمه قط ، ولا رفعوا رؤوسهم إلى مافوقهم ، ولا خفضوا رؤوسهم إلى ما تحتهم ، خوفاً من الله و خشوعاً ، فسلّمت عليهم فردّوا عليّ ايماء برؤوسهم ، ولا ينظرون إليّ من الخشوع ، فقال لهم جبرئيل : هذا محمد نبي الرحمة أرسله الله إلى العباد رسولا و نبيّا ، و هو خاتم الأنبياء و سيّدهم ، قال:

١ـ اى بالظهور منه ٢ ـ ناله كرد منه

فلمّا سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا عليّ بالسّلام . ، و بشّروني و أكرموني بالخيرلي ولامّتي.

قال الشّارح : إنّه جآء في الخبر أنّ حول العرش سبعين ألف صفّ قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتّهليل والتّكبير ، و من ورائهم مأة ألف صفّ قد وضعوا الايمان على الشّمآئل ما منهم أحد إلاّ و هو يسبّح إلى غير ذلك ، ممّا يقف عليه المتتبّع ، فانّ نصّ الرّواية الأولى أنّ سجود الملائكة إنّما هو بوضع الجبهة ، و المستفاد من تخصيص السّاجدين بالسّمآء الدّنيا والرّاكعين بالثّانية ، والقائمين بالثّالثة ، في الرّواية الثّانية أنّ المراد من كلّ من الألفاظ المذكورة معانيها المتعارفة ، إذ لواُريد المعنى الذي ذكره الشّارح ازم أن يكون السّاجدون الذين هم أكمل خشوعاً، أدنى درجة وأسفل مكاناً من الرّاكعين الذين هم أدنى خشوعاً منهم ، و هكذا و هو كما ترى.

و منه يظهر أيضاًفساد ما ذكره الشّارح في شرحه من جعل السّاجدينعبارة عن المقرّبين ، والراكعين عبارة عن حملة العرش ، والصّافين عبارة عن الحافّين حول العرش ، بملاحظة أنّ زيادة الخشوع يوجب ارتفاع الدّرجة ، و السّاجد أعلى خشية من الرّاكعفيكون أعلى درجة منه، والرّاكع أكمل خشوعاًمن الصّافين فيكون أعلى مقاماً منهم.

وجه ظهور الفساد أنّ ما ذكره من قبيل الاستدلال بالعقل ، ولا عبرة به في مقابل النصّ الدّال على الخلاف، و أمّا الرّواية الثّالثة فقد استفيد منهاً أنّ تسبيح الملائكة إنّما هو برفع الأصوات و تكلّمهم بحركة اللّسان ، حيث إنّهم ردّوا السّلام أوّلا على النّبي بالايمآء ، ثم تعرض علىهم جبرئيل بالتكلّم فسلّموا عليه بالفظ وبشروه ، وأمّا الرّواية الرّابعة فقد دلت على أنّ صفّ الملائكة إنّما هو بالقيام، كما دلّت على تسبيحهم برفع الأصوات هذا .

و ممّا ذكرناه عرفت أيضاً ما في تخصيص الجوارح والآلات ببعض الحيوات ،

وإنكار ثبوتها في حقّ الملائكة على ما هو المستفاد من ظاهر كلامه ، فانّ هذا عجب غاية العجب ، ضرورة أنّ الملائكة لهم أيدو أرجل و عواتق و أبصار ووجوه و أجنحة إلى غير ذلك من الجوارح المثبتة لهم في الآيات والأخبار والآثار ، بل كان أن يكون ضروريا ، غاية الأمر أنّ جوارحهم ليس من قبيل جوارحنا كثيفة ، بل نورانية لطيفة ، والظاهر أنّ ما ذكره من فروعات مذهب الفلاسفة المستندة إلى الأوهام السخيفة والعقول النّاقصة والاستبعادات الوهميّة حسبما عرفت سابقا ، ولايعبأ بها قبال الأدلّة القاطعة والبراهين السّاطعة.

وأما ثانياً فلأنّه لقائل أن يقول: إنّه إذا لم يكن خضوع الملائكة وخشوعهم بعنوان السّجدة والرّكوع والقيام والتّسبيح و نحو ذلك من العناوين المتصوّرة في عبادات البشر ففي ضمن أىّ عنوان يخضعون و يخشعون ؟

و إن كان المراد بالخضوع التكويني ، ففيه أنّ الخضوع التكويني عامٌّ لجميع الموجودات ، ولا اختصاص له بالملائكة ، إذ كلّ شيء خاضع له و مقهور تحت قدرته ، قال :

« وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ »

و إن اريد الخضوع التكليفي كما هو الظاهر فلابدّ و أن يكون التكليف في ضمن عنوان من العناوين ، والثّابت في الأخبار أنّ عبادتهم إنّما هو في ضمن واحد من العناوين المذكورة ، ولم يثبت عنوان آخر وراء تلك العناوين من الأدلّة النّقلية والعقل لامسرح له فيها.

هذا كلّه مضافا إلى قوله سبحانه :

« فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ » .

فانّ ذلك مقيد للعموم من جهات عديدة ، فيدلّ على سجود جميع أصناف الملائكة

و آحادهم و حينئذ نقول : إنّ سجدتهم لآدم إمّا أن يكون بالعنوان المتعارف الذي هو وضع الجبهة كما هو الظاهر ، ففيه دلالة على هدم جميع ما قاله الشّارح ، وإمّا أن يكون عبارة عن مجرّد إظهار التّواضع فهو خلاف الظاهر **أولا** من حيث إنّهم أظهروا التّواضع لآدم ، و اعترفوا بفضيلته حين أنبأهم بالأسماء، **وثانياً** من حيث إن حكاية حال قوم لقوم بألفاظ مخصوصة يوجب إرادة المعاني المتعارفة عند المحكيّ لهم من هذه الألفاظ ، ولاريب أنّ المتبادر من السّجدة هو المعنى الشرعي ، هذا كلّه مضافا إلى إفادة بعض الأخبار (١) كون سجودهم بالعنوان المتعارف ، و بعد التّنزل نقول : إنّ أكثر المفسرين احتملوا إرادة كلّ من المعنيين ، فلولم يتصوّر في حقهم وضع الجبهة لما احتملوا ذلك بل جعلوا الآية نصّا في المعنى الآخر.

وأما ثالثا فانّ احتماله كون المراد بالسّجود الملائكة المقرّبون نظراً إلى كون درجتهم أكمل الدّرجات كما أنّ خضوع السّجودي أفضل الخضوعات ممنوع ، لما قدمرّ في الرّواية السّابقة من أنّ أهل السّماء الدّنيا هم السّاجدون ، و أنّه ليس في السّماء موضع أربع أصابع إلاّ وفيها ملك ساجد ، مع أنّ المقرّبين عنده أرفع درجة من حملة العرش الذين هم أعلى درجة من أهل السّماء الدّنيا بمراتب، ومن أهل ساير السّماوات أيضاً.

وأما رابعاً فانّ المستفاد من الايراد الذي أورده على نفسه من كون المقرّبين منزّهين عن تدبير الأجسام اه ، وتقريره في الجواب ذلك حيث لم يتعرّض لردّه مضافاً إلى تصريحه سابقا بما ذكره في الايراد حسب ما حكيناه عنه : انّ المقربين عنده منزّهون عن الجهة و الجسميّة و تدبير الأجسام و التعلّق بها كما هو رأى الفلاسفة الذي بيّناه سابقا ، و على ذلك فنقول إنّ جبرئيل هل هو ملك مقرّب أم لا ؟

فان قال : لا ، ولا أظنّه قائلا به ، فقد ردّ قوله سبحانه في وصفه :

١ـ هو رواية الصادق عليه السلام منه

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ».

فانّ المكانة هو القرب كما صرّح به المفسّرون، وقوله عليه السلام في الصحيفة السجادية:

وَجِبْرَئِيلَ الْأَمِينِ عَلَى وَحْيِكَ، الْمُطَاعِ فِي أَهْلِ سَمَاوَاتِكَ، الْمَكِينِ لَدَيْكَ الْمُقَرَّبِ عِنْدَكَ».

والأخبار الكثيرة الدالة على ذلك، مثل ما رواه عليّ بن ابراهيم في حديث المعراج قال جبرئيل: أقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل إلى غير ذلك ممّا لاحاجة إلى ذكره.

و إن قال نعم و هو الظاهر من كلامه بل صريحه في ذيل قوله: و منهم امناء على وحيه، فنقول: إنّه كيف لايكون في جهة و مكان ولقد قال سبحانه:

«وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى».

و قال: «وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ».

و كيف يمكن انكارجسميّته وقد ملاء مابين الخافقين بأجنحته، و كيف ينكر تدبيره الأجسام مع أنّه كان ناصراً للنبي صلى الله عليه وآله في غزواته، و مصاحباً معه في خلواته، وقالعاً لبلاد قوم لوط، و مهلكا بصيحته لثمود، و قد وصفه الله بكونه مطاعاً في السّماوات و معناه أن يطاع له في الأمر والنّهى، و معلوم أن الأمر والنّهى إنّما يكونان لتدبير الامور.

و أماخامساً فانّ ما ذكره من كفاية أدنى الملابسة في صحّة الاضافة مسلّم، إلا أنّ هذا الجواب يدفعه ما مرّ في الرّواية، من أنّه ليس في السّماء موضع أربع أصابع إلاّ وفيها ملك ساجد، و مثله، الرّواية الأُخرى، فانّهما صريحتان في سكون الملائكة السّاجدين في السّماء بعنوان الحقيقة لابعنوان المجاز.

وأماسادساً فانّ قوله: والمناسبة حاصلة بين الأجرام السّماوية وبين هذا

الطور من الملائكة، وهي مناسبة العلّة للمعلول، والشرط للمشروط، ممّا لايفهم معناه. إذ العلّة الفاعلي للسّماوات هو الله سبحانه، والعلة المادّي هو الماء أو الدّخان أو الزّبد أو نور محمد صلّى الله عليه وآله على ما مرّ، ولا عليّة للملائكة في شيء منها، والقول بأنّه سبحانه علّة العلل و إنّ العلّة للسّماوات العقول المجرّدة، هو مذهب الفلاسفة الباطل عند الامامية.

و كيف كان فقد وضح و ظهر أنّ الملائكة المشغولين بطاعة الله على أصناف أربعة: منهم سجود، و منهم ركوع، ومنهم صفوف لايتفارقون عن صفّهم، و منهم مسبحون لايملّون من تسبيحهم بل يتقوّون به، كما قال سبحانه:

«فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ».

(لايغشيهم نوم العيون) الظاهر رجوع الضمير إلى الصّنف السّابق، والظاهر اطراد الأوصاف في الجميع.

ثمّ مفاد كلامه عليه السلام عدم غشيان النّوم للملائكة و علّله الشّارح البحراني (ره) بأنّ غشيان النّوم لهم مستلزم لصحة النّوم عليهم، واللازم باطل في حقهم، فالملزوم مثله، أمّا الملازمة فظاهرة، و أمّا بطلان اللازم فلأنّ النّوم عبارة عن تعطيل الحواسّ الظاهرة عن أفعالها، لعدم انصباب الرّوح النّفساني اليها، أو رجوعها بعد الكلال والضعف، والملائكة السّماويّة منزّهون عن هذه الأسباب والآلات، فوجب أن يكون النّوم غير صحيح في حقهم فوجب أن لايغشيهم.

و عن القطب الرّاوندي أنّ معنى قولهم لايغشيهم نوم العيون يقتضي أنّ لهم نوماً قليلا لايغفلهم عن ذكر الله، فأمّا الباري سبحانه فانّه لاتأخذه سنة ولانوم أصلا مع أنّه حيّ، وهذه هي المدحة العظمى،

و أورد عليه الشّارح المعتزلي بقوله: و لقائل أن يقول: لوناموا قليلا لكانوا زمان النّوم و إن قلّ غافلين عن ذكر الله، لأنّ الجمع بين النّوم و بين الذّكر

يستحيل ، ثمّ قال ، والصّحيح أنّ الملك لايجوز عليه النّوم كما لايجوز عليه الأكل والشّرب ، لأنّ النّوم من توابع المزاج والملك لامزاج له ، و أمّا مدح الباري بأنه لاتأخذه سنة ولانوم فخارج عن هذاالباب ، لأنّه يستحيل عليه النّوم استحالة ذاتية لايجوز تبدّلها ، والملك يجوز أن يخرج عن كونه ملكاً بأن يخلق في أجزاءجسميّة رطوبة و يبوسة و حرارة و برودة يحصل من اجتماعها مزاج و يتبع ذلك المزاج النّوم ، فاستحالة النّوم عليه إنّماهي مادام ملكا ، فهو كقولك: الماء بارد ، أي مادام ماء لأنّه يمكن أن يستحيل هواء ثم ناراً فلايكون بارداً لأنّه ليس حينئذ ماء ، والباري جلّت عظمته يستحيل على ذاته أن يتغير ، فاستحال عليه النّوم استحالة مطلقة مع أنّه حيّ ، و من هذا نشأ التمدّح انتهى.

و ظاهره كما ترى إنكار صحة النّوم عليه مطلقا و استحالته في حقّه ، لأنّ تجويزه له مع الخروج عن حقيقته الملكية ممّا لايقابل بالانكار و خارج عن محلّ الكلام ، و أمّا المستفاد من الكلام المحكي عن الرّاوندي فهو أنّه يعرضهم حالة السنة وهو أوّل النّعاس ولايعرضهم النوم الموجب للغفلة.

و يمكن الاستشهاد عليه بما رواه الصدوق باسناده عن داود العطار ، قال : قال لي بعض أصحابي: أخبرني عن الملائكة أينامون ؟ فقلت : لا أدري ، فقال : يقول الله عزّ وجلّ :

« يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ ».

ثم قال : ألا اطرقك عن أبي عبدالله عليه‌السلام فيه بشيء ؟ قلت : بلى ، فقال : سئل عن ذلك فقال : ما من حيّ إلاّ و هو ينام ماخلا الله وحده عزّ وجلّ : فقلت : يقول الله عزّ وجل يسبّحون اللّيل والنّهار لايفترون ، فقال: أنفاسهم تسبيح هذا .

و به ظهر الجواب عمّا أورده الشّارح المعتزلي بأنّهم لوناموا قليلا لكانوا زمان النّوم غافلين ، كما ظهر به وجه الجمع بين قوله عليه‌السلام : لايغشيهم نوم العيون ، و بين الرّواية المرويّة في العلل لمحمدبن عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، قال : سئل

أبوعبدالله عليه السلام عن الملائكة يأكلون ويشربون و ينكحون، فقال: لا ، إنهم يعيشون بنسيم العرش ، فقيل له : ما العلّة في نومهم ؟ فقال : فرقاً بينهم و بين الله عز وجلّ ، لأنّ الذي لاتأخذه سنة ولانوم هوالله.

و حاصل الجمع أن يحمل النوم في هذه الرّواية و ما شابهها من الأخبار المثبتة له ، على النوم القليل المعبر عنه بالسنة الغير المانعة عن الذكر والتسبيح . و في قوله لايغشيهم نوم العيون على النوم الغالب الموجب للغفلة، ولايبعد استفادة هذا المعنى من قوله : لايغشيهم ، كما ذكره الرّاوندي بأخذه من الغشي الموجب لتعطيل القوى المحركة ، إلاّ أنه خلاف الظاهر ، والظاهر أنه مأخوذ من غشيته إذا أتيته، فلا دلالة فيه من حيث الوضع ، وإنما الدّلالة باقتضاء الجمع الذي ذكرناه، وعليه فالمعنى أنه لايأتيهم نوم العيون الموجب للغفلة، كما يأتي غيرهم.

و هذا نظير ما روي في خواص النبي صلّى الله عليه وآله ، من أنه كان ينام عينه ولاينام قلبه انتظار اللوحي الالهي ، فالنوم و إن اعتراه ، لكنه لايعطله عن مراقبة ربه سبحانه كما يعطل غيره والله العالم (ولا سهو العقول ، ولافترة الأبدان ، ولاغفلة النسيان) الفرق بين السهو والنسيان والغفلة : أن السهو هو عزوب الشيء و انمحاؤه عن القوّة الذاكرة مع ثبوته في الحافظة بحيث يلحظ الذّهن عندالالتفات إليه ، والنسيان هو ذهابه عنهما معاً بحيث يحتاج في تحصيله إلى كسب جديد، والغفلة أعمّ منهما،ولما كان هذه الامور الثلاثة من عوارض القوى الانسانية صحّ سلبها عن الملائكة ، لعدم وجود تلك المعروضات فيهم كما في الانسان ، وسلب الأعمّ وإن كان مستلزماً لسلب الأخص إلاّ أنّه عليه السلام جمع فيهما لزيادة التّوكيد .

و أمّا سلب فتور الأبدان فلأنّ الفتور هو وقوف الأعضاء البدنية عن العمل بسبب تحلّل الأرواح البدنية و ضعفها و رجوعها للاستراحة ، و كلّ ذلك من توابع المزاج الحيواني ، فلاجرم صحّ سلبه عنهم ، وفاقا لقوله سبحانه : يسبّحون الليل والنّهار لايفترون .

(و)القسم الثّاني (منهم اُمناء على وحيه) الحافظون له مؤدّين إيّاه إلى رسله

جمع الأمين و هو الحافظ لما كلّف بحفظه على ما هو عليه ليؤدّيه إلى مستحقّه، قال سبحانه:

«ذي قُوَّةٍ عِندَ ذي الْعَرْشِ مَكِينٍ، مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ»

روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل: ما أحسن ماأثنى عليك ربّك: ذي قوّة عند ذي العرش اه فما كانت قوّتك؟ وما كانت أمانتك؟ فقال: وأمّا قوّتي فانّي بعثت إلى مداين لوط وهي أربع مداين في كلّ مدينة أربعمأة ألف مقاتل سوى الذّراري، فحملتهم من الأرض السّفلى حتّى سمع أهل السّماوات أصوات الدّجاج و نباح الكلاب، ثمّ هويت بهنّ. و أمّا أمانتي فانّي لم اُومر بشيء فعدلت إلى غيره، و في رواية اُخرى فعدوته إلى غيره.

و امّا اُمنآء الوحي فقد اُشير إليهم في جملة من الأخبار

مثل ما رواه في الاختصاص باسناده عن ابن عبّاس، قال عبدالله بن سلام للنّبيّ صلى الله عليه وآله فيما سأله: من أخبرك؟ قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: جبرئيل، قال: عمّن؟ قال: عن ميكائيل، قال: عمّن؟ قال عن إسرافيل، قال: عمّن؟ قال: عن اللّوح المحفوظ، قال: عمّن؟ قال: عن القلم، قال: عمّن؟ قال: عن ربّ العالمين، قال: صدقت.

و نظيره ما رواه الصّدوق في العيون باسناده عن علي بن هلال، عن عليّ بن موسى الرّضا، عن موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمّد، عن محمّد بن علي، عن عليّ بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن عليّ بن أبي طالب، عن النّبي عليهم السّلام، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللّوح، عن القلم، قال الله عزّ وجلّ: ولاية عليّ بن أبي طالب حصني، و من دخل حصني أمن من عذابي.

و في بعض الأخبار أنّ جبرئيل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله في وصف إسرافيل: هذا حاجب الرّبّ، و أقرب خلق الله منه، واللّوح بين عينيه من ياقوتة حمرآء، فاذا تكلّم الرّبّ بالوحي ضرب اللّوح جبينه، فنظر فيه ثمّ ألقى إلينا نسعى به في السّماوات والأرض.

و لعلّ الاختلاف فيها محمول على اختلاف الكيفيات ، أو بحسب اختلاف المقامات ، والمستفاد من الرّواية الأخيرة كظاهر الاولى كون اللوح ورقا ، كما أنّ مفاد الثّانية كونه ملكا ، و كلاهما ممّا ورد في الأخبار كالقلم ، وقدظهر من هذه الأخبار كيفيّة تلقّي الوحي.

و في رواية اُخرى بنحو آخر ، و هو ماروي أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال لجبرئيل: من أين تأخذالوحى ؟ قال : آخذه من اسرافيل ، قال : من أين يأخذه إسرافيل ؟ قال : يأخذه من ملك فوقه من الرّوحانيّين ، قال : ممّن يأخذه ذلك الملك؟ قال: يقذف في قلبه قذفاً هذا.

و قال الشّارح البحراني : يشبه أن يكون هذا القسم(١) داخلافي الأقسام السّابقة من الملائكة ، و إنّما ذكره ثانياً باعتباروصف الامانة على الوحى والرسالة ثم أورد على نفسه بقوله فان قلت : كيف يصحّ أن يكون هذا القسم داخلا في السّجود ، لأنّ من كان أبداً ساجداً كيف يتصوّر أن يكون مع ذلك متردّداً في الرّسالة والنّزول والصّعود ، مختلفاً بالأوامر و النّواهي إلى الرّسل ، و أجاب بقوله قلت : انّا بيّنا أنّه ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة على الأرض بالكيفيّة التي نحن عليها ، و إنّما هو عبارة عن كمال عبوديتهم لله وخضوعهم تحت قدر قدرته ، والامكان والحاجة تحت ملك وجوب وجوده ، و معلوم أنّه ليس بين السّجود بهذا المعنى و بين تردّدهم بأوامرالله و اختلافهم بقضائه على وفق مشيّته و أمره منافاة ، بل كلّ ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزّته و اعترافهم بكمال عظمته انتهى .

أقول : و فيه بعد الغضّ عمّا أوردنا عليه سابقا في إدخال هذا القسم في القسم السّابق ، مضافا إلى ما ذكرناه أيضاً من منع كون السّجود بمعنى الخضوع المطلق حسبمامرّ تفصيلا بمالامزيد عليه ، أنّه جعل السّاجدين عبارة عن المقرّبين الذين

١ــ اي امناء الوحي منه

حكم فيهم بكونهم منزّهين عن الجسميّة والجهة وسكون السّماوات وتدبير الأجسام و على ذلك فنقول له : هب أنّ السّجود بالمعنى الذي ذكرت لاينافي الرّسالة والتردّد صعوداً و هبوطاً ، و الوساطة بين الحقّ و الرّسل و الاختلاف بالقضآء والأمور ، إلاّ أنّ تنزّههم عن الأوصاف المذكورة ينا في هذه الأمور قطعاً كما هو ظاهر لايخفى .

(و)لماكان الملائكةوسايط بين الحقّ سبحانه و بين رسله في تأدية خطاباته اليهم مفصحين لهم عن مكنون علمه حسن التّعبير عنهم بأنّهم (ألسنة إلى رسله) تشبيهاً لهم باللّسان المفصح عمّا في الضّمير و إنّما احتيج الى الواسطة في تبليغ الخطابات وتأديتها، لأنّ التّخاطب يقتضي التّناسب بين المتخاطبين ، فاقتضت الحكمة توسط الملك ليتلقّف الوحى بوجهه الذي في عالم الملكوت تلقّفا روحانيّا ، و يبلغه بوجهه الذي في عالم الملك والحكمة إلى النبي ، لأن من خواص الملك أن يتمثل للبشر فيراه جسماً ، فربّما ينزل الملك إلى الصورة البشرية ، و ربّما يترقى النّبيّ إلى رتبة الملكيّة و يتعرّى عن كثرة البشريّة فيأخذ عنه الوحى (و مختلفون لقضائه و أمره) من الاختلاف بمعنى التردّد ، و في وصف الأئمة في بعض الخطب الآتية و في الزّيارة الجامعة : و مختلف الملائكة ، اى محل تردّدهم و يأتي توضيح ذلك في الفصل الآخر من فصول الخطبة المأة والثامنة إن شاءالله .

والمراد بالقضاء إمّا الحكم و هو أحد معانيه العشرة ، فيكون عطف الأمر عليه من قبيل عطف الخاصّ على العامّ

و إمّا بمعنى الأمر كما فسّر به قوله :

« وَقَضىٰ رَبُّكَ ألاّ تَعبُدُوا إلاّ إيّاهُ وَ بِالوالِدَيْنِ إحساناً »

و على ذلك فالعطف للتّفسير والتّبيين ، و على التّقديرين فالمراد بالأمر الأمر التكليفي هذا .

ولكن الأظهر أنّ المراد بالقضآء هو ما يساوق القدر ، و بالأمر الأمورات

المقدّرة الحادثة في العالم السّفلي، فيكون المعنى و مختلفون بمقتضياته ومقدراته، و إنّما جعلنا المصدر بمعنى المفعول، لأنّ القضاء بمعنى المصدري عبارة عن إبداع الحقّ سبحانه صور الموجودات وجميع الأشياء معقولة مفصّلة محفوظة عن التّغير في اللّوح المحفوظ ، و هو أمّ الكتاب و يسمّى بالعلم الملزم ، و معلوم أنّ هذا المعنى ممّا قد فرغ عنه ، ولا يتصوّر تردّد الملائكة وتدبيرهم فيه، و إنّما تدبيرهم في المقتضيات الموجودة على طبق ما في اللّوح المحفوظ .

توضيحه أنّ القضاء كما عرفت عبارة عن إبداعه سبحانه لصور الموجودات الكلّية والجزئية التي لانهاية لها من حيث هي معقولة في العالم العقلي و هو أمّ الكتاب ثمّ لمّا كان ايجاد ما يتعلّق منها بموادّ الأجسام في موادها و إخراج المادّة من القوة إلى الفعل غير ممكن إلاّ على سبيل التّعاقب والتدرّج ، لامتناع قبولها لتلك الكثرة دفعة ، و كان الجود الالهي مقتضياً لايجادها ولتكميل المادّة بابداعها فيها و إخراج ما فيها من قبول تلك الصّور من القوّة إلى الفعل ، قدّر بلطيف حكمته وجوده زمانا لاينقطع ليخرج فيه تلك الأمور من القوّة إلى الفعل واحداً بعد واحد، فيصير في جميع ذلك موجودة في موادّها و المادّة كاملة بها ، فالمقتضيات عبارة عن وجود هذه الأشياء مفصلة واحداً بعد واحد في موادها السّفلية الخارجية بعد أن كانت ثابتة في صحايفها العلوية بأيدي(١) المدبّرات، و إلى هذا أشار سبحانه في قوله :

« وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ »

و إلى هذا القسم من الملائكة أشار في قوله سبحانه :

« فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً »

روى في مجمع البيان عن عبدالرحمان بن سابط أنّ المراد بالمدبّرات جبرئيل و ميكائيل و ملك الموت و إسرافيل يدبرون أمور الدّنيا فأمّا جبرئيل فموكل

١ــ متعلق بالوجود، منه .

بالرّياح والجنود و **أما** ميكائيل فموكل بالقطر والنّبات **وأما** ملك الموت بقبض الأنفس و**أما** اسرافيل فهو يتنزّل بالأمر عليهم ، والتدبير ليس منحصر في الأربعة حسبماتعرفه في الأخبار الآتية ، و إنّما ذكرناه لتوضيح معنى الآية ، كما أنّ الامور الواقعة فيها التّدبير لاتنحصر فيما ذكر و ستعرفه أيضاً و قد ظهر بما ذكرنا معنى القضآء والمقتضيات والملائكة المختلفون بالقضاء.

و أما القدر فهو دون مرتبة القضآء ، إذ هو عبارة عن صور جميع الموجودات في لوح المحو و الاثبات على الوجه القابل للتّغيير، و إلى ذلك الاشارة في قوله سبحانه :

« يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ »

قال الصّادق عليه السلام بعد ما سئل عنه عن هذه الآية : إن ذلك الكتاب كتاب يمحوالله فيه ما يشآء ويثبت فمن ذلك(۱) الذي يردّ الدّعاء القضآء، وذلك الدّعاء مكتوب عليه الذي يردّ به القضآء حتّى إذا صار إلى أمّ الكتاب لم يغن الدّعآء فيه شيئاً .

و حاصل ما ذكرنا كله يرجع إلى جعل المراد بالقضآء في كلامه عليه السلام الامور المحتومة ، و بالأمر الأمور الموقوفة و نظيره ما روى عن الصادق عليه السلام ، قال:هما أمر ان موقوف و محتوم ، فما كان من محتوم أمضاه ، و ما كان من موقوف فله فيه المشيّة يقضي فيه مايشآء هذا .

و يحتمل أن يكون المقصود من قوله عليه السلام : بقضائه و أمره ، أنّهم مختلفون باظهار قضائه و أمره إلى النّبي والائمة عليهم السّلام ، و إلى ذلك وقع الاشارة في وصف الأئمة عليهم السلام بأنّهم مختلف الملائكة ، أى محلّ اختلافهم كما في الأخبار المتظافرة ، وقد عقدفي الكافي باباً في ذلك ، وهو باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النّبوة و مختلف الملائكة ، وإليه الاشارة في قوله سبحانه:

« تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ »

---

(۱) يعنى من قبيل المحو والاثبات الحديث الذى ورد يرد الدعاء القضاء، فيض .

قال الصّادق عليه السلام : إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والرّوح والكتبة إلى السّماء الدّنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله في تلك السّنة فإذا أراد الله أن يقدّم شيئاً أو يؤخّره أمر الملك أن يمحو مايشاء، ثمّ أثبت الذي أراد.

قال القمي تنزّل الملائكة و روح القدس على إمام الزّمان و يدفعون اليه ما قد كتبوه.

و يشهد به ما رواه في الكافي عن الباقر عليه السلام قال : قال الله عزّ وجلّ في ليلة القدر :

« فيها يُفرَق كُلُّ أمرٍ حَكيمٍ »

يقول: ينزل فيها كلّ أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين إنّما هو شيء واحد ، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ وجلّ ، و من حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت إنّه لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الامور سنة سنة يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا و كذا، و في أمر النّاس بكذا و كذا ، و أنّه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كلّ يوم علم الله عز ذكره الخاصّ و المكنون والعجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك اللّيلة من الأمر ثم قرء.

« وَ لَوْ أنّما في الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ إنّ اللهَ عَزيزٌ حَكيمٌ »

و فيه أيضاً عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : يقدّر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في تلك السّنة إلى مثلها من قابل من خير و شرّ و طاعة و معصية و مولود و أجل و رزق ، فما قدر في تلك السّنة و قضي فهو المحتوم ، و لله عزّ وجلّ فيه المشيّة.

والمراد حسبما ذكرنا إظهار تلك المقادير للملائكة، و إظهارهم لها إلى

النبي والأئمة عليهم السلام في تلك الليلة ، وإلاّ فالمقادير كما عرفت من الأزل إلى الأبد ثابتة في أم الكتاب هذا

و بقي الكلام في أنّ المختلفين بالقضاء والأمر هم بعض الملائكة أو جميعهم، قال النيسابوري : قوله تعالى : تنزّل الملائكة ، يقتضي نزول كلّ الملائكة إمّا إلى السّماء الدّنيا و إمّا إلى الأرض ، و هو قول الأكثرين ، و على التّقديرين فانّ المكان لا يسعهم إلاّ على سبيل التّفاوت والنّزول فوجاً فوجاً كأهل الحجّ ، فانّهم على كثرتهم يدخلون الكعبة أفواجاً انتهى كلامه على ما حكي عنه.

ولكن الظاهر من كلمة منهم في كلام الامام عليه السلام هو أنّ المتّصفين بهذا الوصف بعض الملائكة ، و هو الظاهر ممّا روي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال: إذا أتت ليلة القدر فيهبط من الملائكة إلى ولي الأمر اه ، والمستفاد من الأخبار الكثيرة أنّ جبرئيل من هذه الجملة ، و نصّ الآية الشريفة كون روح القدس منها أيضاً ، وقد يفسّر بالرّوح الأمين و هو جبرئيل ؛ ولكن الظاهر أنّه غيره كما يدلّ عليه ماروي عن الصّادق عليه السلام ، قال : إنّ الرّوح أعظم من جبرئيل إنّ جبرئيل من الملائكة والرّوح هو خلق أعظم من الملائكة ، أليس يقول الله تبارك وتعالى: تنزّل الملائكة و الروح.

و في شرح الصّحيفة قال : أتى رجل عليّ بن أبي طالب عليه السلام يسأله عن الرّوح أليس هو جبرئيل؟ فقال له: جبرئيل من الملائكة والرّوح غير جبرئيل ، فقال له : لقد قلت عظيماً من القول ، ما أحد يزعم أن الرّوح غير جبرئيل ، فقال له علي عليه السلام : إنك ضال تروي عن أهل الضّلال ، يقول الله تبارك و تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله:

« أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ » والرّوح غير جبرئيل.

و عنه عليه السلام أيضاً انّ له سبعين ألف وجه ، و لكلّ وجه سبعون ألف لسان ، لكلّ لسان سبعون لغة يسبّح الله تعالى بتلك اللغات كلّها ، و يخلق الله تعالى من

تسبيحه ملكاً يطير مع الملائكة ، ولم يخلق الله أعظم من الرّوح غير العرش ، ولوشاء أن يبلع السّماوات السّبع والأرضين السّبع بلقمة واحدة لفعل، فسبحان من هو على كلّ شيء قدير ، و مثلهمافي البحار.

(و)القسم الثّالث(منهم الحفظة لعباده) ظاهر العبارة أنّ المراد بهم حفظة العباد من المعاطب والمهالك لا الحفظة عليهم يحفظون على العبد عمله ، فهم من اُشير اليهم في قوله :

« لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ »

روى في المجمع عن علي عليه السلام أنّهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتّى ينتهوا به إلى المقادير .

و في الصّافي عن عليّ بن إبراهيم ، عن الصّادق عليه السلام إنّ هذه الآية قرئت عنده ، فقال لقاريها: ألستم عرباً ؟ فكيف يكون المعقّبات من بين يديه و إنّما المعقّب من خلفه ، فقال الرّجل جعلت فداك : كيف هذا ؟ فقال : إنّما نزلت له : معقّبات من خلفه ، و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله ، و من ذاالذي يقدر أن يحفظ لشيء من أمرالله وهم الملائكة الموكلون بالنّاس ، و مثله عن العيّاشي .

و عنه أيضاً عن الباقر عليه السلام من أمرالله يقول بأمرالله من أن يقع في ركي (١)، أو يقع عليه حايط،أويصيبه شيء حتّى إذانزل القدرخلوا بينه وبينه يدفعونه إلى المقادير و هما ملكان يحفظانه بالليل ، و ملكان يحفظانه بالنّهار يتعاقبانه (والسّدنة لأبواب جنانه) أى المتولون لأبواب الجنان بفتحها و إغلاقها و إدخال من اذن لهم بالدّخول .

أقول: أمّاالجنان فعلى ما اشير إليه في القرآن ثمان : جنة النّعيم و جنة الفردوس و جنة الخلد وجنة الماوى وجنة عدن ودار السّلام ودار القرارو جنة عرضها السّماوات والارض ، و في بعض كتب الأخبار تسمية الأخيرة بالوسيلة.

١ــ الركي هو البئر منه

و أمّا أبوابها فثمانية أيضاً على ما في بعض كتب الأخبار : **الباب الاول** اسمه التّوبة **والثانى** الزّكاة **والثالث** الصّلاة **والرابع** الأمر والنهى **والخامس** الحجّ **والسادس** الورع **والسابع** الجهاد **والثامن** الصّبر.

و في الصّافي عن الخصال، عن الصّادق عن أبيه ، عن جدّه، عن عليّ عليهم السّلام قال : إنّ للجنّة ثمانية أبواب : باب يدخل منه النّبيون والصّديقون، و باب يدخل منه الشّهداء والصّالحون، و خمسة أبواب يدخل منها شيعتنا و محبّونا ، فلا أزال واقفاً على الصّراط أدعو و أقول ربّ سلّم شيعتي ومحبّي و أنصاري و أوليائي و من تولاّني في دار الدّنيا ، فاذاً النداء من بطنان (۱) العرش قد أجيبت دعوتك ، و شفعت في شيعتك و يشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولاني و نصرني و حارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفا من جيرانه و أقربائه ، و باب يدخل منه سایر المسلمين ممّن يشهد أن لاإله إلاّ الله ولم يكن في قلبه مثقال ذرة من بغضنا أهل البيت.

و عن الباقر عليه السلام أحسنوا الظنّ بالله و اعلموا أنّ للجنّة ثمانية أبواب عرض كلّ باب منها مسيرة أربعمأة سنة.

و أمّا سدنتها و خزّانها فقد اشير إليه في سورة الزّمر ، قال سبحانه :

« وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَآؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ »

وفي الأنوار في حديث المحشر فاذا أتوا إلى رضوان الله وهو جالس على باب الجنّة ومعه سبعون ألف ملك مع كلّ ملك سبعون ألف ملك فينظر إليهم وهم في أقبح صورة من سواد البدن وطول الشّعر و كونهم عزلا (۲) بلا اختتان، فقال لهم: كيف تدخلون الجنّة وتعانقون

۱ــ اى وسطه منه

۲ــ وعزل عزلا من باب تعب اذا لم يختن، مجمع البحرين

الحور العين على هذه الهيئة ؟ فيأمر جماعة من الملائكة الواقفين أمامه فيذهبون بالمؤمنين إلى عين ماء عند جدار الجنّة ، و هي عين الحياة فاذا اغتسلوا فيها صار وجه كلّ واحد منهم كالبدر في تمامه و تسقط شعورهم وغلفهم(١) و تبيضّ قلوبهم من النّفاق والحسد والكذب والرّذائل والأوصاف الذّميمة حتّى لايتحاسدوا في الجنّة بعلوّ الدّرجات والتّفاوت في المراتب ، فيصير كلّ واحد منهم بصورة ابن أربعة عشر سنة ، ويعطى حسن يوسف ، و صوت داود ، و صبر أيوب ، فاذا أتوا إلى باب الجنّة وجدوا على بابها حلقة تطنّ (٢) عند كلّ من يدخلها و يقول في طنينها : يا علي، لكنها تطنّ عند كلّ داخل بطنين خاصّ ليس كالطنين الآخر ، فيعرف بذلك الطنين أهل المؤمن في منازله و خدمه و حورالعين إن هذا فلان فيأتون لاستقباله هذا.

و قد أشير إلى طائفة من السّدنة والأبواب في حديث الجنان والنوق من روضة الكافي ، و هو مارواه الكليني عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب عن محمّد بن اسحاق المدني عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله سئل عن قول الله :

« يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً »

فقال : يا عليّ إنّ الوفد لايكونون إلاّ ركبانا ، أولئك رجال اتّقوا الله فأحبّهم الله عزّ ذكره و اختصهم ورضي أعمالهم فسمّاهم المتّقين.

ثم قال له : يا علي أما والذي فلق الحبّة و برىء النّسمة إنّهم ليخرجون من قبورهم ، وإنّ الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق العزّ عليها رحائل الذّهب مكلّلة بالدّر

١ـ وغلف غلفا من باب تعب اذا لم يختن فهو اغلف والانثى غلفاء والجمع غلف من باب احمر، مصباح اللغة

٢ـ طنّ الذباب وغيره يطن من باب ضرب طنينا صوت ، مصباح .

والياقوت و جلالها (١) الاستبرق والسندس و خطمها (٢) جندل الأرجوان ، تطير بهم إلى المحشر مع كلّ رجل منهم ألف ملك من قدامه وعن يمينه وعن شماله يزفونهم (٣) زفّاً حتّى ينتهوا بهم الى باب الجنّة الأعظم و على باب الجنّة شجرة إنّ الورقة منها ليستظلّ تحتها ألف رجل من النّاس ، و عن يمين الشّجرة عين مطهرة مزكية ، قال: فيسقون منها فيطهر الله بها قلوبهم من الحسد ، و يسقط عن أبشارهم الشّعر و ذلك قول الله عزّ وجلّ :

« وَسَقَيٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً »

من تلك العين المطهرة .

قال : ثم يصرفون إلى عين اُخرى عن يسار الشّجرة فيغتسلون فيها وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً .

قال : ثمّ يوقف بهم قدام العرش و قد سلموا من الآفات و الأسقام و الحرّ و البرد أبداً،

قال : فيقول الجبار جلّ ذكره للملائكة الذين معهم : احشروا أوليائي إلى الجنّة ولا توقفوهم مع الخلايق ، فقد سبق رضائي عنهم ووجبت رحمتي لهم وكيف اريد أن اُوقفهم مع أصحاب الحسنات و السيئات.

قال ، فتسوقهم الملائكة إلى الجنّة ، فاذا انتهوا إلى باب الجنّة الأعظم ضرب الملائكة ضربة تصرّ صريراً يبلغ صوت صريرها كلّ حوراء أعدّها الله عزّ وجلّ لأوليائه في الجنان ، فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير الحلقة ، فيقول بعضهم لبعض : قد جائنا أوليآء الله ، فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنّة ، و تشرف عليهم أزواجهم من

١ـ جمع جلال بكسر الجيم وهو جمع جل بالضم منه

٢ـ جمع خطام چو بهائی که دربینی شتران میگذارند بجهت فرمانبرداری ملاخلیل.

٣ ـ الزف بردن جمعی کسی را بسوی کسی از روی مثل بردن عروس سوی داماد ملا خلیل.

الحور العين والآدميين ، فيقلن : مرحباً بكم ، فما كان أشدّ شوقنا إليكم و يقول لهنّ أولياء الله : مثل ذلك.

فقال علي عليه السلام : يا رسول الله أخبرنا عن قول الله عزّ وجل :

(غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ)

بماذا بنيت يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله : يا علي تلك غرف بناها الله عزّ وجلّ لأوليائه بالدّر والياقوت والزّبرجد ، سقوفها الذّهب، محبوكة بالفضة ، لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب ، على كلّ باب منها ملك موكل به ، فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والدّيباج بألوان مختلفة ، و حشوها المسك والكافور و العنبر ، و ذلك قول الله عزّ وجلّ.

(وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ)

إذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنّة ووضع على رأسه تاج الملك والكرامة البس حلل الذّهب والفضة والياقوت والدّر المنظومة في الاكليل(۱) تحت التاج .

قال : والبس سبعين حلّة حريراً بألوان مختلفة و ضرب مختلفة منسوجة بالذّهب والفضّة واللؤلؤ والياقوت الأحمر ، فذلك قول الله عزّ وجلّ:

(يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فيها حَرِيرٌ)

فاذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحا ، فاذا استقر لولي الله عزّ وجلّ منازل له في الجنان استأذن عليه الملك الموكل بجناته ليهنّيه بكرامة الله عزّ وجلّ اياه ، فيقول له خدّام المؤمن من الوصفاء والوصايف : مكانك (۲) ، فانّ وليّ الله قد اتّكأ على أريكته (۳) و زوجته الحوراء تهيّأ له فاصبر لولي الله.

قال : فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمة لها تمشى مقبلة و حولها وصايفها و عليها سبعون حلة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزّبرجد هي من مسك و عنبر

۱– هو العصابة منه ۲– اى الزم مكانك ۳– هو المتكأ منه

و على رأسها تاج الكرامة ، و عليها نعلان من ذهب مكللتان بالياقوت واللؤلؤ ، شراكهما ياقوت أحمر ، فاذادنت من وليّ الله فهمّ أن يقوم إليها شوقا ، فتقول له: يا وليّ الله ليس هذا يوم تعب ولانصب و أنت لي.

قال : فيعتنقان مقدار خمسمأة عام من أعوام الدّنيا لايملّها ولاتملّه .

قال : فاذا فتر بعض الفتور من غير ملالة نظر إلى عنقها ، فاذاً عليهاقلائد من قصب من ياقوت أحمر ، وسطها لوح صفحته درّة مكتوب بها : أنت يا وليّ الله حبيبي و أناالحوراء حبيبتك إليك تناهت نفسي والىّ تناهت نفسك ، ثمّ يبعث الله إليه الف ملك يهنّونه بالجنّة ويزوّجونه بالحوراء .

قال : فينتهون إلى أوّل باب من جنانه جناته فيقولون للملك الموكل بأبواب جنانه:استاذن لنا على وليّ الله فان الله بعثنا إليه تهنية ، فيقول لهم الملك : حتّى أقول للحاجب فيعلمه مكانكم .

قال : فيدخل الملك إلى الحاجب و بينه و بين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهي إلى أوّل باب ، فيقول للحاجب : إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين ليهنّئوا وليّ الله، وقد سألوني أن آذن لهم ، فيقول الحاجب : إنّه ليعظم على أن أستأذن لأحد على وليّ الله و هو مع زوجته الحوراء .

قال: وبين الحاجب وبين وليّ الله جنّتان.

قال: فيدخل الحاجب إلى القيم ، فيقول : له إنّ على باب العرصة ألف ملك ، أرسلهم ربّ العزّة يهنّون ولي الله فاستأذن لهم فيقدم القيم إلى الخدّام ، فيقول لهم : إنّ رسل الجبار على باب العرصة ، وهم ألف ملك ، أرسلهم يهنّون وليّ الله فأعلموه بمكانهم ، فيعلمونه فيؤذن للملائكة فيدخلون على وليّ الله ، وهو في الغرفة ولها ألف باب ، وعلى كلّ باب من أبوابها ملك موكل به ، فاذا أذن للملائكة بالدخول على وليّ الله فتح كلّ ملك بابه الموكل به.

قال :فيدخل القيم كلّ ملك من باب من أبواب الغرفة ، فيبلّغون رسالة الجبار

جلّ وعزّ ، و ذلك قول الله عز وجل :

(وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) من أبواب الغرفة ،

(سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)

قال : و ذلك قول الله عزّ وجلّ :

(وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً)

يعني بذلك ولي الله و ما هو فيه من الكرامة والنّعيم والملك العظيم الكبير، إنّ الملائكة من رسل الله عزّ ذكره يستأذنون عليه فلا يدخلون إلاّ باذنه فذلك الملك العظيم الكبير الحديث.

(و) القسم الرّابع (منهم الثابتة في الأرضين السّفلى أقدامهم) و عن بعض النّسخ في الارض السّفلى اقدامهم قال في البحار : و هو أظهر ، والجمع على الأوّل إمّا باعتبار القطعات والبقاع ، أو لأنّ كلاّ من الأرضين السّبع موضع قدم بعضهم والوصف على الأوّل بالقياس إلى ساير الطبقات ، و على الثّاني بالقياس إلى السّماء (والمارقة) أي الخارجة (من السّماء العليا) و هي السّابعة (أعناقهم والخارجة من الأقطار) اى من جوانب الأرض أو جوانب السّماء (أركانهم) و هذا إشارة إلى ضخامتهم و عرضهم (والمناسبة لقوايم العرش أكتافهم) والمراد بالتّناسب إمّا القرب أو الشّباهة في العظم ، فان العرش على عظمه حسبما تعرفه في الأخبار الآتية وكفى بذلك كونه محيطا بجميع المخلوقات و كون الأرضين والسّماوات جميعاً ومافيها عنده كحلقة في فلاة، له أربع قوائم.

كما رواه في البحار ، عن الدرّ المنثور ، عن حماد قال : خلق الله العرش من زمرّدة خضراء ، و له أربع قوائم من ياقوتة حمراء ، و خلق له ألف لسان، و خلق في الأرض ألف أمة يسبح الله بلسان العرش .

و فيه أيضاً من روضة الواعظين ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده عليهم السلام أنه قال : في العرش تمثال ما خلق الله من البر و البحر ، و هذا تأويل قوله:
(وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ)

و إن بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسير ألف عام ، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لايستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله ، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة ، و إن لله تعالى ملكا يقال له: خرقائيل له ثمانية عشر ألف جناح ، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام، فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء ، فزاده الله تعالى مثلها أجنحة أخرى ، فكان له ست و ثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام ، ثم أوحى الله اليه أيها الملك طر ، فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش ، ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة و أمره أن يطير ، فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضاً فاوحى الله إليه أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ إلى ساق عرشي فقال الملك :
سُبْحانَ رَبِّيَ الْأَعْلىٰ وَ بِحَمْدِهِ ، فأنزل الله عز وجل : (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلىٰ)

فقال النبي صلى الله عليه وآله : اجعلوها في سجودكم .

و من إكمال الدين باسناده عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد، قال : قال ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إن لله تبارك وتعالى ملكا يقال له : دردائيل، كان له ستة عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح هوآء ، والهوآء كما بين السماء والأرض ، فجعل يوماً يقول في نفسه :(١) أفوق ربنا جل جلاله شيء ؟ فعلم الله تبارك وتعالى ما قال، فزاده أجنحة مثلها ، فصار له اثنان و ثلاثون ألف جناح ، ثم أوحى الله عز وجل

---

١ ـ لعله كان ذلك محض خطور البال بغير شك لئلاينافي العصمة ، مجلسي طاب ثراه

إليه، فطار مقدار خمسمأة عام فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش، فلما علم الله عز وجلّ اتعابه أوحى إليه أيّها الملك عد إلى مكانك، فأنا عظيم فوق كل عظيم، وليس فوقي شيء ولا أُوصف بمكان، فسلبه الله عزّ وجلّ أجنحته و مقامه من صفوف الملائكة، فلمّا ولد الحسين عليه السلام هبط جبرئيل في ألف قبيل من الملائكة لتهنية النبي صلى الله عليه وآله فمرّ بدردائيل، فقال له: سل النبي بحق مولوده أن يشفع لي عند ربّي، فدعا له النّبي صلى الله عليه وآله بحق الحسين عليه السلام فاستجاب الله دعائه وردّ عليه أجنحته ورده إلى مكانه هذا.

و يحتمل أن يكون المراد بالمناسبة في كلامه عليه السلام التّماس، فالمراد بهم حملة العرش، بل هذا هو الظاهر بملاحظة أنّ الأوصاف المذكورة في كلامه عليه السلام قد اثبتت في الأخبار الكثيرة على هؤلاء الطائفة.

مثل ما روي عن ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى:

(وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)

قال: يقال: ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدّتهم إلاّ الله، و يقال ثمانية أملاك رؤسهم تحت العرش في السّمآء السّابعة، و أقدامهم في الأرض السّفلى، و لهم قرون كقرون الوعلة، ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمأة عام.

و عن الخصال باسناده عن حفص بن غياث، قال سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ حملة العرش ثمانية، لكل واحد منهم ثمانية أعين، كلّ عين طباق الدّنيا.

و عن تفسير الامام عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ الله لمّا خلق العرش خلق له ثلاثمأة وستين ألف ركن، و خلق عند كلّ ركن ثلاثمأة الف وستين الف ملك لو أذن الله لأصغرهم فالتقم السّماوات السبع والأرضين السّبع ما كان بين لهواته إلاّ كالرملة في المفازة الفصفاصة،(١) فقال لهم الله: يا عبادي احملوا عرشي هذا فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه، فخلق الله عزّ وجلّ مع كلّ واحد منهم واحداً فلم يقدروا أن يزعزعوه، فخلق الله مع كلّ واحد منهم عشرة فلم يقدروا أن يحرّكوه، فخلق الله بعدد كلّ واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحرّكوه، فقال الله عزّ وجل

---

١ ـ الواسعة جوهري.

لجميعهم : خلوه عليّ امسكه بقدرتي ، فخلوه فأمسكه الله عزّ وجلّ بقدرته ، ثم قال لثمانية منهم احملوه أنتم ، فقالوا : يا ربّنا لم نطقه نحن و هذا الخلق الكثير والجمّ الغفير فكيف نطيقه الآن دونهم ؟ فقال عز وجل : لانّي أنا الله المقرب للبعيد والمذلل للعبيد والمخفف للشّديد والمسهّل للعسير أفعل ما أشآء و أحكم ما أُريد أُعلمكم كلمات تقولونها يخف بها عليكم ، قالوا و ماهي؟ قال : تقولون:
بسم الله الرّحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد و آله الطيبين فقالوها ، فحملوه ، فخفّ على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قوي فقال الله عزّ وجلّ لساير تلك الأملاك : خلوا على هؤلاء الثمانية و طوفوا أنتم حوله وسبّحوني ومجدوني و قدسوني ، فأنا الله القادر على ما رأيتم و على كلّ شيء قدير

و عن وهب قال حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أُيدوا بأربعة آخرين ملك منهم في صورة إنسان يشفع لبني آدم في ارزاقهم وملك في صورة نسر يشفع للطير في أرزاقهم وملك في صورة ثور يشفع للبهايم في أرزاقها(١) وملك في صورة الأسد يشفع للسّباع في أرزاقها ، فلمّا حملوا العرش وقعوا على رُكبهم(٢) من عظمة الله ، فلقّنوا لا حول ولاقوة إلاّ بالله ،فاستووا قياماً على أرجلهم.

و عن ابن زيد قال لم يسمّ من حملة العرش إلاّ إسرافيل.

وعن هارون بن رئاب ، قال. حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت ضخيم ، يقول أربعة منهم :

سُبْحانَكَ وَ بِحَمْدِكَ على حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ ، وَأربعة منهم يقولون:

سُبْحانَكَ وَ بِحَمْدِكَ على عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ . هذا

ولا ينافي هذه الأخبار ما وردت في الأخبار الأخر من أنّ حملة العرش ثمانية أربعة من الأولين ، وهم نوح و إبراهيم و موسى و عيسى عليهم السّلام ، و أربعة

١ـ و في الخصال عن الصادق عليه السلام ونكس الثور راسه منذ عبد بنو اسرائيل العجل: منه
٢ ـ جمع ركبة كغرف وغرفة،منه

من الآخرين ، وهم محمد و عليّ والحسن والحسين صلوات الله عليهم . لأنّ العرش في الأخبار الأولة الجسم المحيط بالمخلوقات ، وفي هذه الأخبار هو العلم لانّه أحد معانيه كما عرفته في شرح الفصل الخامس من فصول هذه الخطبة و صرّح بماذكرناه الصّدوق في اعتقاداته حيث قال: و إنّما صارت هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم ، لأنّ الانبياء الذين كانوا قبل نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله على شرايع الاربعة من الاولين : نوح و إبراهيم و موسى و عيسى، و من قبل هؤلاء الأربعة صارت العلوم إليهم، وكذلك صار العلم بعد محمد و عليّ و الحسن و الحسين إلى من بعد الحسين من الأئمة عليهم السّلام .

(ناكسة دونه) أى دون العرش (أبصارهم) إما لكثرة نور العرش كما يدلّ عيله ما روي عن ميسرة ، قال : ثمانية أرجلهم في التخوم (١) و رؤوسهم عند العرش لايستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النّور ، و إما لزيادة الخوف كما روي عنه أيضاً قال : حملة العرش أرجلهم في الأرض السّفلى ورؤوسهم قدخرقت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم وهم أشدّ خوفا من أهل السّمآء السّابعة وأهل السّمآء السّابعة أشدّ خوفا من السّمآء التي تليها والسّمآء التي تليها أشدّ خوفا من التي تليها ، وفي دعآء الصحيفة السّجادية على داعيه أفضل السّلام والتحيّة في وصف الملائكة: «الْخُشَّعِ الْأَبْصارِ فَلا يَرُومُونَ النَّظَرَ إِلَيْكَ ، النَّواكِسِ الْأَذْقانِ الَّذينَ قَدْ طالَتْ رَغْبَتُهُمْ فيما لَدَيْكَ» .

و في التّوحيد باسناده عن وهب عن ابن عباس عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال : إنّ لله تبارك و تعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلاّ وهو يسبّح الله عزّ وجلّ و يحمده بأصوات مختلفة لايرفعون رؤوسهم إلى السّمآء ولا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية (متلفعون تحته) أى تحت العرش (بأجنحتهم)

روى الشّارح البحراني عن وهب قال : إنّ لكلّ ملك من حملة العرش ومن

١- تخوم الارض حدودها، منه

حوله أربعة أجنحة امّا جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وامّا جناحان فيلفون (فيهفون خل)(١) بهما ليس لهم كلام إلاّ التسبيح و التحميد.

وفي الأنوار روى أنّ صنفا من الملائكة لهم ستّة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم و جناحان يطيرون بهما في أمر من أمورالله و جناحان مرخيان على وجوههم حياءً من الله وحينئذ فكلّ جناحين لغرض مخصوص ، و به يظهر فائدة الجناح الثّالث المشار اليه في قوله سبحانه :

« أولي أجْنِحَةٍ مَثْنىٰ وَ ثُلاثَ وَرُباعَ » .

ثمّ إن هذا في جانب القلّة ، و أمّا في جانب الكثرة فيزيدالله سبحانه فيهم مايشاء و هو على كلّ شيء قدير (مضروبة بينهم و بين من دونهم) من الملائكة أو البشر أو الجنّ أو الأعمّ (حجب العزّة و أستار القدرة) المانعة عن إدراك ذواتهم والاطلاع على شئوناتهم .

و توضيحه بالتّمثيل انّ ملوك الدّنيا إذا بلغوا في العزّ والعظمة مرتبة الغاية القصوى لايصل إلى حضور خواصّه فضلا عن ذاته إلاّ الأوحدي من النّاس، ولايراهم إلاّ من كان له معهم علقة شديدة و وسيلة قوية ، والحاجب عن ذلك ليس الاهيبة السّلطنة و قدرة الملك وعظمته وإذا كان هذا حال خواص السّلطنة العارية والملوك الذين هم في الحقيقة مملوك ، فشأن خواص الحضرة الرّبوبيّة وملك الملوك أعلى و استناد الحايل عن إدراك مقاماتهم ودرجاتهم إلى حجب العزّة وأستار القدرة أحرى (ولايتوهمون ربّهم بالتّصوير) لكونهم منزّهين عن الادراكات الوهميّة والخيالية فى حق مبدئهم و خالقهم جلّت عظمته، لأنّ عقولهم صافية غير مشوبة بالتّوهمات والتخيّلات (ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ، ولايحدّونه بالاماكن، ولايشيرون اليه بالنظاير) لأنّ إجراء الصّفات والتّحديد بالأماكن والاشارة بالنّظاير إنماهو من مخترعات الواهمة و المتخيّلة المختصّتين بذوات الأمزجة العنصرية الغير

١ـ هف الطاير اذا اخفق، منه

الجائزتين في حقّ الملائكة السّماوية ومقرّبي الحضرة الرّبوبيّة، هذا تمام الكلام في شرح حال الملائكة حسبما اقتضاه المقام و يأتي شطر منه عند شرح بعض الخطب الآتية المقتضية لذلك كخطبة الأشباح و غيرها، والله الموفّق والمعين.

الترجمة

بس منشق کرد و گشود خداوند سبحانه و تعالی میان آسمانهائی که بلند هستند،بس بر کرد آن طبقات را با أصناف مختلفة از ملائکه و فرشتگان خود ، پس بعضی از ایشان ساجدانند که رکوع نمی کنند ، و بعضی راکعانند که راست نمی‌ایستند ، و بعضی دیگر صف زدگانند که از صفوف و مکانهای خود زایل نمی شوند ، و طائفهٔ تسبیح کنندگانند که ملال و پریشانی‌نمی آورند، عارض نمیشود بایشان خواب چشمها و نه سهو عقلها و نه سستی‌بدنها و نه غفلت فراموشی،وبعضی دیگر أمینانند بروحی او و زبان های صدقند در رسانیدن‌فرمایشات اوبه‌پیغمبران و تردّد کنندگانند بقضاء و امر او ، و بعضی‌دیگر از ایشان‌حافظانند بندگان‌خدارا ازمکاره ومهالك ، و طایفه دیگر دربانان و خازنانند از برای درهای بهشت‌های او ، و بعضی دیگر أز ایشان آنانند که ثابت است در زمین های زیرین قدم های ایشان و بیرون رفته از آسمان بلند گردنهای ایشان و خارج است أز أطراف زمین و آسمان أعضا وجوارح ایشان،ومناسبست با قائمه های عرش دوشهای‌ایشان و پائین افتاده درزیر عرش چشمان ایشان ، پیچیده شده‌اند درزیرعرش ببالهای خودشان ،زده شده میان‌آنها و میان‌فروتراز آنهـاپرده های‌عزت وسترهای قدرت وعظمت در حالتی که توهم نمی کنندپروردگارخودشان‌را بصورت درآوردن، واجراء نمی کنند بر او صفات‌مخلوقات‌را و تحدید نمی‌کنند او را بمکان ها واشاره نمی‌کنند بسوی او بنظایر و أمثال‌ونعم ما قیل :

برتر است از مدرکات عقل ووهم — لاجرم گم گشت دروی فکر وفهم

چون بکلی‌روی گفت‌وگوی‌نیست — هیچکس راجز خموشی‌روی‌نیست

الفصل العاشر منها فى صفة آدم عليه السلام

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وَسَهْلِها وَعَذْبِها وَسَبْخِها، تُرْبَةً سَنَّها بِالْماءِ حَتّى خَلَصَتْ، وَلاطَها بِالْبِلَّةِ حَتّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ (فَجَعَلَ خ) مِنْها صُورَةً ذاتَ أَحْناءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضاءٍ وَفُصُولٍ، أَجْمَدَها حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَها حَتّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ، وَنَفَخَ فيها مِنْ رُوحِهِ فَتَمَثَّلَتْ إِنْساناً ذا أَذْهانٍ يُجيلُها، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِها، وَجَوارِحَ يَخْتَدِمُها، وَأَدَواتٍ يُقَلِّبُها، وَمَعْرِفَةٍ يُفَرِّقُ بِها بَيْنَ الْحَقِّ وَالْباطِلِ، وَالأَذْواقِ وَالْمَشامِّ، وَالأَلْوانِ وَالأَجْناسِ، مَعْجُوناً بِطينَةِ الأَلْوانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالأَشْباهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالأَضْدادِ الْمُتَعادِيَةِ، وَالأَخْلاطِ الْمُتَبايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبِلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمَسائَةِ وَالسُّرُورِ.

اللغة

(الحزن) من الأرض ما غلظ منها و هوعلى وزن فلس (والسّهل) خلافه (والعذب) من الأرض ما طاب منها و استعد للنّبات (والسّبخ) كفلس أيضاً المالحة منها يعلوها الملوحة الغير الصّالحة للنّبات ولاتكاد تنبت إلاّ بعض الأشجار ومثله السّبخة بفتح الموحدة و سكونها أيضاً تخفيفا واحدة السّباخ مثل كلبة و كلاب بالكسر أيضاً يجمع على سبخات مثل كلمة و كلمات (والتّربة) التّراب و الجمع ترب كغرفة و غرف (سنها بالماء) من سننت الماء على الأرض صببتها (ولاطها) أى مزجها من لاط الشّيء بالشيء لوطاً لصق (والبلة) بالكسر الرّطوبة من البلل

(واللّزوب) الاشتداد يقال لزب الشّيء لزوباً من باب قعد اشتدّ، وطين لازب يلزق باليد لاشتداده (فجبل) و في بعض النسّخ (فجعل)و كلاهما بمعنى خلق (واحناء) جمع حنو وهو الجانب و (وصول) جمع الوصل كما أنّ (فصول) جمع الفصل وهما كلّ ملتقى عظمين في الجسد يطلق عليه بـاعتبار اتّصال أحد العظمين بالآخر وصولا وأوصالا، و باعتبار انفصال أحدهما عن الآخر فصولا ومفاصل.

و تفسير الشّارح البحراني الوصول بالمفاصل غير مناسب لما عرفت من ترادف المفاصل للفصول و إن كان محل الوصل عين محلّ الفصل إلاّ أنّ التّغاير بحسب الاعتبار موجود و ملحوظ نعم مصداقهما متّحد (و أصلدها) من الصّلد وهو الصلب المتين و (صلصل) الشيء صلصلة إذا صوّت يقال صلصل الحديد و صلصل الرّعد والصّلصال الطين اليابس الغير المطبوخ الذي يسمع له عند النّقر صوت كما يصوت الفخار و هو المطبوخ من الطين، و قيل : إنّ الصّلصال هو الطين المنتن مأخوذ من صلّ اللحم وأصلّ إذا صار منتنا ، و هو ضعيف لما سنذكره (فتمثّلت) أى تصورت وفي بعض النّسخ فمثلت من مثل بين يديه مثولا من باب قعد انتصب قائماً (والأذهان) جمع الذّهن و هو الفطنة وفي الاصطلاح القوى الباطنة المدركة (والاختدام) الاستخدام (والأدوات) الآلات (والمشام) جمع المشموم لما يشم كالمأكول لما يؤكل (معجونا) من عجنه عجنا أى خمره والعجين الخمير (والطينة) الخلقة والجبلة (والاشباه) جمع الشبـه المثل والنظير.

الاعراب

كلمة حتّى في قوله حتّى خلصت وحتّى لزبت حرف ابتداء يبتدء بها الجمل المستأنفة مثل قوله :

« ثُمّ بَدّلْنا مَكانَ السّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتّىٰ عَفَوْا » .

و ذهب ابن مالك إلى أنّها جارة و أنّ بعدها ان مضمرة قال ابن هشام : ولا أعرف له في ذلك سلفاً و فيه تكلّف اضماران من غير ضرورة ، و لفظة ذات منصوبة على

الوصفية مؤنثة ذو ، و جملة أجمدها لامحلّ لها من الاعراب لأنّها مستأنفة بيانيّة فكأنّه قيل: ثم فعل بها ماذا ؟ فقال : أجمدها وتحتمل الانتصاب على الحالية، والضمير فيه و في أصلدها راجع إلى الصّورة ، واللاّم في قوله عليه السلام لوقت معدود للتّعليل أو بمعنى إلى ، والضمير في قوله عليه السلام : نفخ فيها راجع إلى الصّورة أيضاً، و كلمة من في قوله من روحه زائدة أو تبعّضية أو نشوية بنآء على الاختلاف في معنى الرّوح حسبما تعرفه ، ومعجونا منتصب على الحاليّة من إنسانا و يحتمل الوصفية له،وكلمة من في قوله :من الحرّ والبرد بيانية.

المعنى

(منها في صفة آدم عليه السلام) يعني بعض هذه الخطبة في صفته عليه السلام فانّه عليه السلام لمّا فرغ من اظهار قدرة الله سبحانه في عجائب خلقة الملكوت والسّماوات وبدايع صنعته في ايجاد الفضآء والهوآء والمجرّدات أشار إلى لطائف صنعه في العنصريات من ايجاد الانسان و اختياره على الأشباه والأقران لكونه نسخة جامعة لما في عالم الملك والملكوت ، و نخبة مصطفاة من رشحات القدرة والجبروت ،

أتزعم أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الاكبر

فقال عليه السلام : (ثمّ جمع سبحانه) اسناد الجمع إليه تعالى من التّوسع في الاسناد من باب بنى الأمير المدينة إذ الجمع حقيقة فعل ملك الموت بأمر الله سبحانه بعد أن اقتضت الحكمة خلقة آدم و جعله خليفة في الأرض.

قال سيد بن طاووس في كتاب سعد السّعود على ما حكى عنه في البحار : وجدت في صحف إدريس من نسخة عتيقة أنّ الأرض عرّفها الله جلّ جلاله أنّه يخلق منها خلقا فمنهم من يطيعه و منهم من يعصيه، فاقشعرت الأرض واستعفت إليه وسألته أن لا يأخذ منها من يعصيه و يدخله النّار و أنّ جبرئيل أتاها ليأخذ عنها طينة آدم عليه السلام فسألته بعزّة الله أن لا يأخذ منها شيئاً حتّى يتضرّع إلى الله و تضرّعت فأمره الله بالانصراف عنها ، فأمر الله ميكائيل فاقشعرّت و تضرّعت و سألت فأمره الله بالانصراف عنها ، فأمر الله تعالى اسرافيل بذلك فاقشعرّت و سألت و تضرّعت فأمره

الله بالانصراف عنها ، فأمر عزرائيل فاقشعرّت و تضرّعت فقال: قد أمرني ربّي بأمر أنا ماض سرّك ذاك أم سائك فقبض منها كما أمره الله ثمّ صعد بها إلى موقفه فقال الله له : كما وليت قبضها من الأرض و هو كاره كذلك تلي قبض أرواح كلّ من عليها و كلّما قضيت عليه الموت من اليوم إلى يوم القيامة.

و مضمون هذه الرّواية مطابق لأخبار أهل البيت عليهم السّلام ، فانّ الموجود فيها أيضاً أنّ القابض هو عزرائيل و أنّه قبض (من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها) أى من غليظها و ليّنها و طيبها و ما لحها ، و هذه إشارة إلى أنّ القبضة المأخوذة من غير محلّ واحد من وجه الأرض و يوافقه ساير الأخبار ، و لعلّ ذلك هو السّر في تفاوت أنواع الخلق لاستناده إلى اختلاف المواد و في بعض الأخبار أنّها اخذت من أديم الأرض أى من وجهها و منه سمّي آدم والمراد أنّه جمع سبحانه من أجزاء الأرض المختلفة (تربة سنّها بالماء) أى مزجها به (حتى خلصت) أى صارت خالصة (ولاطها) أى ألصقها (بالبلة) أى بالرّطوبة (حتى لزبت) و اشتدت .

قيل: هاتان الفقرتان إشارتان إلى أصل امتزاج العناصر و إنما خصّ الأرض والمآء لأنهما الأصل في تكون الأعضآء المشاهدة التي تدور عليها صورة الانسان المحسوسة (فجبل)(فجعل خ) منها (صورة ذات أحناء و وصول) أى صاحبة جوانب وأوصال(واعضاء و فصول) أى جوارح ومفاصل .

و هاتان إشارتان إلى خلق الصورة الانسانية و إفاضتها بكمال أعضائها و جوارحها و مفاصلها و ما يقوم به صورتها (أجمدها حتى استمسكت ،و أصلدها حتى صلصلت) أى جعلها جامدة بعد ما كانت رطبة ليّنة حتي صارلها استمساك و قوام ، و جعلها صلبة متينة حتى صارت صلصالا يابساً يسمع له عند النّقر صوت كصلصلة الحديد .

و قال بعضهم : إنّ الصّلصال هو المنتن و كلام الامام عليه السلام شاهد على فساده

حيث إنّه عليه السلام نبّه بحصول الاستمساك بعد الجمود و حصول الصّلصالية بعد الصلود و من الواضح أنّ النّتن يرتفع مع حصول الجمود واليبوسة فهو على تقدير وجوده انّما كان قبل تلك الحالة وهي حالة المسنونية المشار اليها في قوله تعالى:

« وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ ».

قال الفخر الرّازي كونه حماء مسنوناً يدلّ على النّتن والتغير و ظاهر الآية يدلّ على أنّ هذا الصّلصال إنّما تولد من الحما المسنون فوجب أن يكون كونه صلصالا مغاير الكونه حمأ مسنوناً، ولو كان كونه صلصالا عبارة عن النّتن والتغير لم يبق بين كونه صلصالا و بين كونه حمأ مسنوناً تفاوت، انتهى هذا.

و يحتمل أن تكون هاتان الفقرتان إشارة إلى قوام مادّة الانسان، فالاجماد لغاية الاستمساك راجع إلى بعض أجزاء الصّورة المجعولة كاللّحم والعروق والأعصاب و نحوها، و الاصلاد راجع إلى البعض الاخر كالأسنان والعظام و بعد أن أكمل الله سبحانه للصّورة أعضائها و جوارحها و هيّئها لقبول الرّوح أبقاها (لوقت معدود و أجل معلوم) أى لأجل وقت أوالى وقت معيّن اقتضت الحكمة و المصلحة نفخ الرّوح فيها، وإلى هذا الوقت اشير في قوله تعالى:

« هَلْ أَتى عَلَى الإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذكوراً ».

قال في مجمع البيان: وقد كان شيئاً إلا انه لم يكن شيئاً مذكوراً، لأنّه كان تراباً وطيناً إلى أن نفخ فيه الرّوح، وقيل إنّه أتى على آدم أربعون سنة لم يكن شيئاً مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض، لأنّه كان جسداً ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الرّوح.

و روى عطا عن ابن عبّاس أنّه تمّ خلقه بعد عشرين و مأة سنة انتهى.

و عن بعض الصّحف السّماويّة أنّ طينة آدم عليه السلام عجنت أربعين سنة ثم جعلت لازبا، ثم جعلت حمأ مسنونا أربعين سنة ثمّ جعلت صلصالا كالفخار أربعين

سنة، ثمّ جعلت جسداً ملقى على طريق الملائكة أربعين سنة و نفخ فيها من روحه بعد تلك المدّة.

و في العلل باسناده عن عبدالعظيم الحسني قال: كتبت إلى أبيجعفر عليه السلام أسأله عن علّة الغائط و نتنه، قال: إنّ الله خلق آدم و كان جسده طيّباً فبقى أربعين سنة ملقى تمرّ به الملائكة فتقول لأمر ما خلقت، و كان ابليس يدخل في فيه و يخرج من دبره فلذلك صار ما في جوف آدم منتناً خبيثاً غير طيّب

وفي البحار عن الخصال و تفسير الفرات باسناده عن الحسن عليه السلام فيما سأله كعب الأحبار أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما أراد الله خلق آدم بعث جبرئيل فأخذ من أديم الأرض قبضة فعجنه بالمآء العذب والمالح و ركب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الرّوح فخلقه من أديم الأرض فطرحه كالجبل العظيم، و كان إبليس يومئذ خازناً على السّمآء الخامسة يدخل في منخر آدم ثم يخرج من دبره ثم يضرب بيده على بطنه فيقول لأيّ امر خلقت؟ لئن جعلت فوقي لا اطعتك، و لئن جعلت أسفل منّي لأعينك فمكث في الجنّة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الرّوح الحديث.

و وجه الجمع بين هذه الرّواية و ماسبق من حيث اختلافهما في مقدار مدّة تأخير النّفخ غير خفي على العارف الفطن.

فان قيل: لماذا أخّر نفخ الرّوح في تلك المدّة الطويلة.

قلنا: لعلّه من باب اللّطف في حقّ الملائكة لتذهب ظنونهم في ذلك كلّ مذهب فصار كانزال المتشابهات الذي تحصل به رياضة الأذهان في تخريجها و في ضمن ذلك يكون اللّطف، و يجوز أن يكون في اخبار ذرّيّة آدم بذلك لطف لهم ولايجوز اخبارهم بذلك إلاّ إذا كان المخبر عنه حقّاً.

أقول: هكذا أجاب الشّارح المعتزلي، و يشير إلى جوابه الأوّل الرّواية السّابقة فيما حكاه عليه السلام من قول ابليس لأيّ أمر خلقت اه.

والأولى أن يقال: إنّ السّر فيه لعلّة اعتبار الملائكة إذ الاعتبار في التدريج

أكثر أو ليعلم النّاس التّأني في الأمور و عدم الاستعجال ، و مثله خلق السّماوات والارض في ستّة أيام على ما نطق به القرآن الحكيم مع أنّه سبحانه كان قادراً على خلقها في طرفة عين ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : ولو شاء أن يخلقها في أقلّ من لمح البصر لخلق ، و لكنّه جعل الاناة والمداراة مثالاً لأمنائه و ايجاباً للحجة على خلقه .

(و) كيف كان فلما حلّ الأجل الذي اقتضت الحكمة فيه النّفخ (نفخ فيها) أى في الصّورة المستعدة لقبول النّفخ (من روحه)الذي اصطفاه على ساير الأرواح والمراد بنفخ الرّوح فيها إفاضته عليها ، استعير به عنها لأنّ نفخ الرّيح في الوعاء لما كان عبارة عن إدخال الرّيح في جوفه و كان الاحياء عبارة عن إفاضة النّفس على الجسد و يستلزم ذلك حلول القوى و الأرواح في الجثّة باطناً و ظاهراً حسن الاستعارة .

قال بعض المتألهين : إنّ النّفخ لمّا كان عبارة عن تحريك هواء يشتعل به الحطب و نحوه كالفحم فالبدن كالفحم و هذا الرّوح كالهواء الذي في منافذ الفحم و أجوافه ، والنّفخ سبب لاشتعال الرّوح البخاري بنار النّفس و تنورها بنور الروح الامري فللنّفخ صورة و حقيقة ونتيجة، فصورته إخراج الهواء من آلة النّفخ إلى جوف المنفوخ فيه حتّى تشتعل ناراً و هذه الصّورة في حق الله محال ، ولكن النتيجة والمسبب غير محال ، وقد يكنّى بالسّبب عن النتيجة والأثر المترتب عليه كقوله تعالى :

« غَضِبَ اللهُ عَلَيهِمْ » « وَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ » .

و صورة الغضب عبارة عن نوع تغير في نفس الغضبان يتأذى به و نتيجته إهلاك المغضوب عليه أو جرحه وايلامه فعبر في حقّ الله عن نتيجة الغضب بالغضب وعن نتيجة الانتقام بالانتقام، فكذلك يمكن أن يقال هيهنا: إنه عبّر عمّا ينتج نتيجة النّفخ بالنفخ و إن لم يكن على صورة النّفخ ولكن نحن لانكتفي في الأسماء التي هي مبادي

أفعال الله بهذا القدر، و هو مجرّد ترتّب الأثر من غير حقيقه تكون بازاء الصورة، بل نقول: حقيقة النّفخ الذي في عالم الصّورة عبارة عن إخراج شيء من جوف النافخ إلى جوف المنفوخ فيه كالزّقّ ونحوه هي إفاضة نور سر الرّوح العلوي الالهي على القالب اللّطيف المعتدل المستوي أعني به الرّوح الحيواني القابل لفيضان النّور العقلي والروح الالهي كقبول البلور لفيضان النّور الحسي من الشّمس النافذ في أجزائه وأقطاره وهكذا يكون أنوار الحسّ والحياة نافذة في كل جزء من أجزاء القالب والبدن، فعبر عن إضافة الروح على البدن بالنّفخ فيه انتهى.

بقى الكلام في إضافة الروح إليه سبحانه، فنقول: إنّ الافاضة من باب التشريف والاكرام، روى في الكافي باسناده عن محمّد بن مسلم، قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ و نفخت فيه من روحي كيف هذا النفخ؟ فقال: إنّ الرّوح متحرّك كالرّيح و إنّما سمّي روحاً لأنّه اشتق اسمه من الرّيح، و إنّما إخراجه على لفظة الرّيح لأنّ الأرواح مجانسة (١) للرّيح، و إنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصطفاه على ساير الأرواح كما قال لبيت من البيوت، بيتي، و لرسول من الرّسل خليلي و أشباه ذلك و كلّ ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبّر.

و مثل إضافة الروح إليه تعالى إضافة الصّورة إليه سبحانه في بعض الأخبار كما رواه في الكافي عن محمّد بن مسلم أيضاً قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عمّا يروون أنّ الله تعالى خلق آدم على صورته فقال: هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاها الله تعالى و اختارها على ساير الصّور المختلفة فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه والرّوح إلى نفسه فقال: بيتي و نفخت فيه من روحي هذا.

ولكن الصّدوق روى في العيون باسناده عن الحسين بن خالد قال: قلت للرّضا عليه السلام: يابن رسول الله إنّ النّاس يروون أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلق آدم على صورته فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابّان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح الله وجهك و وجه من يشبهك، فقال رسول الله:

١ـ بحسب المعنى والتحرك والتصرف واصلاح مايرد عليه، ملا صالح.

ياعبدالله لاتقل هذا لأخيك فان الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته.

فانّ المستفاد من هذه الرّواية رجوع الضّمير في صورته إلى الرّجل المسبوب، و إنّما لم يتعرّض الباقر عليه السلام في الرّواية الأولى لردّه و لم يشر إلى تحريف الرّواية إمّا للتّقية أو إشارة إلى أنّ الرّواية على تقدير صحّتها أيضاً لادلالة فيها على ماهومطلوب العامة من اعتقاد التّجسيم وإثبات الصّورة له، سبحانه عمّا يقول الظالمون و تعالى علوّاً كبيراً.

و ربّما يجاب بأنّ المراد أنّه على صورته لأنّه مظهر الصّفات الكماليّة الالهيّة، أو يقال: إنّ الضّمير راجع إلى آدم أى صورته اللاّيقة به المناسبة له هذا.

وقد تحقّق بما ذكرناه كلّه معنى نفخ الرّوح ووجه المناسبة في إضافته إلى الضّمير الرّاجع إليه تعالى.

وأمّا نفس الرّوح فاعلم أنّه قد يطلق على النّفس النّاطقة التي تزعم الحكماء أنّها مجردة، وهي محلّ للعلوم والكمالات و مدبّرة للبدن، و قد يطلق على الروح الحيواني وهو البخار اللّطيف المنبعث من القلب السّاري في جميع أجزاء البدن، و يمكن إرادة المعنيين كليهما من الرّوح المنفوخ في آدم، وقد استفيد من قول الباقر عليه السلام في الرّواية السّابقة: إنّ الرّوح متحرّك كالرّيح كون الرّوح متحرّكا سريعاً في جميع أجزاء البدن و أنّه يجري آثاره في تجاويف أعضائه فيصلح البدن و يحيى مادام فيه، كما أنّ الرّيح متحرّك سريعاً في أقطار العالم ويجري آثاره فيها فيصلح العالم بجريانه ويفسد بفقدانه.

و في الاحتجاج في جملة مسائل الزّنديق عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: فهل يوصف الرّوح بخفّة و ثقل و وزن؟ قال عليه السلام: الرّوح بمنزلة الرّيح في الزّقّ إذا نفخت فيه امتلاء الزّقّ منها فلا يزيد في وزن الزّقّ و لوجها فيه ولاينقصها خروجها منه كذلك الرّوح ليس لها ثقل ولا وزن، قال: أخبرني ما جوهر الرّيح قال عليه السلام:

الرّيح هوآء إذا تحرك سمّي ريحاً وإذا سكن سمّي هوآء وبه قوام الدنيا ولو كفت الرّيح ثلاثة أيام لفسد كلّ شيء على وجه الأرض ونتن. وذلك إنّ الرّيح بمنزلة مروحة تذبّ و تدفع الفساد عن كلّ شيء و تطيّبه فهي بمنزلة الرّوح إذا خرج عن البدن نتن البدن و تغيّر تبارك الله أحسن الخالقين (فتمثلت) الصّورة المجبولة بعد نفخ الرّوح (إنسانا).

روى في العلل مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: سمّي الانسان إنساناً لأنّه ينسي وقال الله عزّ وجلّ: ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي.

وعن الدّر المنثور عن ابن عبّاس قال: خلق الله آدم من أديم الأرض يوم الجمعة بعد العصر فسمّاه آدم ثمّ عهد الله فنسي فسمّاه الانسان، قال ابن عبّاس: فبالله ما غابت الشّمس من ذلك اليوم حتّى اهبط من الجنّة.

و قال الرّاغب الانسان قيل سمّي بذلك لأنّه خلق خلقة لاقوام له إلا بأُنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل الانسان مدنيّ بالطبع من حيث إنّه لاقوام لبعضهم إلّا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه و محاوجه.

و قيل سمّي بذلك لأنّه يأنس بكلّ ما يألفه، و قيل هو افعلان وأصله انسيان سمّي بذلك لأنّه عهد إليه فنسي.

أقول: الانسان لو كان من الانس فوزنه فعلان و هو مذهب البصريّين، ولو كان من النّسي فوزنه إفعان أصله إنسيان على وزن إفعلان فحذفت الياء استخفافا لكثرة ما يجري على ألسنتهم و عند التّصغير يردّ إلى الأصل يقال انيسيان، و هو مذهب الكوفيّين والرّواية السّابقة مؤيّدة لمذهبهم، وقوله عليه السلام (ذا أذهان يجيلها) قال الشّارح البحراني: إشارة إلى ما للانسان من القوى الباطنة المدركة والمتصرّفة(١)

١ـ قال المحدث البحراني و اما الباطنة من القوى فهى أيضاً خمس وهى اما مدركة فقط اما للصور الجزئية وهو القوة المسماة حسا مشتركا المرتبة فى التجويف الاول من الدماغ عندها تجتمع صور المحسوسات ثم القوة المرسومة خيالا وهي خزانة الحس المشترك موودعة فى آخر

و معنى اجالتها تحريكها و بعثها في انتزاع الصّور الجزئية كما للحسّ المشترك ، والمعاني الجزئية كما للوهم (وفكر يتصرف بها) أى صاحب حركات فكرية يتصرّف بها في امور معاشه و معاده ، و إلاّ فالقوّة المتفكّرة في الانسان واحدة وهي القوّة المودعة في مقدم البطن الأوسط من الدّماغ من شأنها تركيب الصّور بالصّور والمعاني بالمعاني والمعاني بالصّور والصّور بالمعاني (وجوارح يختدمها ، وأدوات يقلبها) .

المراد بالجوارح والادوات إمّا معنى واحد وهي الأعضاء والآلات البدنيّة جميعاً فانها خادمة للنّفس النّاطقة وواسطة التقليب ، وإمّا أن المراد بالاولى الأعمّ وبالثّانية خصوص بعض الأعضاء ممّا يصحّ نسبة التّقليب والتّقلب اليه كاليد والرّجل والبصر والقلب (و معرفة يفرق بها بين الحقّ والباطل) والمراد بالمعرفة هي القوّة العاقلة إذ الحقّ والباطل من الأمور الكليّة والتميّز بينها حظّ العقل (و) هي المفرّقة أيضاً بين (الأذواق والمشام والألوان والأجناس).

والمراد بالأذواق المذوقات المدركة بالذّوق وهي قوّة منبثّة في العصب المفروش على سطح اللّسان التي يدرك بها الطعوم من الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة وغيرها .

و بالمشام المشمومات المدركة بالشمّ و هي قوّة مودعة في زايدتي مقدّم الدّماغ الشّبيهتين بحلمتي الثدى بها تدرك الروايح من الطيبة والمنتنة وغير هما.

و بالألوان المبصرات المدركة بحس البصر وهي قوّة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللّتين تتلاقيان فتفترقان إلى العينين التي بها يدرك الألوان من السّواد والبياض و الحمرة والصّفرة والأشكال (١) والمقادير والحركات و نحوها.

التجويف المقدم من الدماغ يجتمع فيها مثل المحسوسات وتبقى فيها بعد الغيبة عن الحواس واما مدركة للمعاني الجزئية و هى اما الوهم وهى قوة مرتبة فى التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعاني الجزئية الغير الموجودة فى المحسوسات كادراك الشاة معنى فى الذئب يوجب لها الهرب و اما الحافظة وهى قوة مرتبة فى التجويف الاخير من الدماغ تحفظ الاحكام الجزئية المدركة للوهم وهى خزانة له واما مدركة ومتصرفة وهى القوة المساة متخيلة باعتبار استعمال الوهم فيها ومفكرة باستعمال العقل لها و محلها مقدم البطن الاوسط من الدماغ من شانها التركيب والتفصيل لبعض الصور ببعض وعن بعض وكذا المعاني والمعاني بالصورة وهى الحاكيه للمدركات انتهى كلامه رفع مقامه ، منه .

١ــ عطف على الالوان ، منه

و بالأجناس الأمور الكلّية المنتزعة من تصفّح الجزئيّات و إدراكها و لذلك أخرّ عليه السلام ذكر الأجناس عنها إشارة إلى ما ذكر ، و ذلك لأنّ النّفس بعد ما أدرك الجزئيّات بالمدركات والمشاعر السّالفة تتنبّه لمشاركات بينها و مباينات فاصلة بينها مميّزة لكلٍّ واحد منها عن الآخر ، فتنتزع منها تصوّرات كليّة بعضها ما به الاشتراك بينها ، و بعضها ما به امتياز إحديها عن الأخرى ، و لعلّه اريد بالأجناس مطلق الأمور الكليّة لا الجنس المصطلح في علم المنطق والكلام.

فان قلت : التفرقة بين الأذواق والمشام والألوان إنّما هو من فعل الحواسّ الظاهرة ، إذ هي المدركة لها والمميزة بينها حسبما ذكرت فما معنى نسبته إلى العقل؟

قلت: إدراك هذه و إن كان بالحواس المذكورة إلاّ أنّها قد يقع فيها الشّك والمرجع فيها حينئذ إلى العقل لأنّه الرّافع للشّك عنها.

توضيح ذلك ما ورد في رواية الكافي باسناده عن يونس بن يعقوب ، قال: كان عند أبي عبدالله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين و محمد بن النّعمان و هشام ابن سالم والطيار و جماعة فيهم هشام بن الحكم و هو شاب ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : يا هشام الا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد و كيف سألته ! فقال هشام : يا ابن رسول الله إني اجلّك و استحييك ولا يعمل لساني بين يديك ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : إذا أمرتكم بشيء فافعلوا ، قال هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد و جلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فاذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة(١) سوداء متزر (٢) بها من صوف وشملة مرتد (٣) بها والنّاس يسألونه فاستفرجت النّاس فافرجوا لي ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ، ثم قلت :

أيّها العالم إنّي رجل غريب تأذن لي في مسألة ؟ فقال لي : نعم ، فقلت له : ألك عين ؟ فقال لي يا بنيّ أيّ شيء تريد من هذا السؤال و شيء تراه كيف

١- كساء يشتمل به منه ٢- من الازار منه ٣- من الرداء منه

تسأل عنه ؟ فقلت : هكذا مسألتي فقال : يا بنيّ سل و إن كانت مسألتك حمقاء ، قلت : أجبني فيها ، قال لي : سل ، قلت : ألك عين ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع بها؟ قال : أرى بها الألوان والأشخاص ، قلت : فلك أنف ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أشم به الرائحة ، قلت : ألك فم ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أذوق به الطعم ، قلت : فلك اذن ؟ قال : نعم، قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس ، قلت : أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟ فقال: لا ، قلت : و كيف ذلك وهي صحيحة سليمة ؟ قال : يا بنيّ إنّ الجوارح إذا شكت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردته إلى القلب فيستبين اليقين فيستيقن و يبطل الشّك ، قال هشام : فقلت له : فانما أقام الله القلب لشكّ الجوارح ؟ قال: نعم قلت : لابدّ من القلب و إلاّ لم يستيقن الجوارح ؟ قال : نعم ، فقلت له : يا أبامروان فانّ الله تبارك و تعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّ لها الصحيح و يتيقن به ما شككت فيه و يترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم و شكّهم واختلافهم لايقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم و حيرتهم و يقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟ قال : فسكت ولم يقل لي شيئاً ، ثمّ التفت إليّ فقال لي : أنت هشام بن الحكم ؟ فقلت : لا ، فقال: أمن جلسائه ؟ قلت : لا ، قال : فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة ؛ قال : فأنت إذا هو ، ثمّ ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه و ما نطق حتى قمت ، قال : فضحك أبوعبدالله عليه السلام فقال : يا هشام من علّمك هذا؟ قلت : شيء أخذته منك والفته ، فقال هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم و موسى.

قال بعض المحققين (١) من شراح الحديث : و معنى شكّ الحواس و غلطها أنّ الحسّ أو الوهم المشوب بالحسّ يشك أو يغلط بسبب من الأسباب ، ثمّ يعلم النّفس بقوّة العقل ما هو الحقّ المتيقّن كما يرى البصر العظيم صغيراً لبعده والصغير كبيراً لقربه والواحد اثنين لحول في العين والشّجرة التي في طرف الحوض منكوسة

١ــ الصدر الشيرازي منه

لانعكاس شعاع البصر من المآة اليها ، والسّمع بسمع الصّوت الواحد عند الجبل ونحوه ممّا فيه صلابة أو صقالة صوتين لمثل العلّة المذكورة من انعكاس الهوآء المتموّج بكيفيّة المسموع إلى الصّماخ تارة اخرى و يقال للصوت الثّاني : الصّداء ، و كما تجد الذّائقة الحلو مرّاً لغلبة المرة الصّفراء على جرم اللّسان ، و كذا تشمئزّ الشّامة من الرّوائح الطيبة بالزّكام فهذه و أمثالها أغلاط حسيّة يعرف القلب حقيقة الأمر فيها انتهى ما أهمّنا نقله .

و اتّضح به كلّ الوضوح أنّ التّفرقة بين الحقّ والباطل و بين المحسوسات عند الشّكّ والارتياب إنّما هي وظيفة العقل والقلب و هو اللّطيفة النّورانية المتعلّقة أوّل تعلّقها بهذا القلب الصّنوبري ونسبته إلى أعضآء الحسّ والحركة كنسبة النّفس إلى قوى الحسّ والحركة في أنّه ينبعث منه الدّم والرّوح البخاري إلى ساير الأعضآء فالنّفس رئيس القوى و إمامها والقلب وهو مستقرّها وعرش استوائها باذن الله رئيس ساير الأعضآء و إمامها .

(معجونا) أى مخمراً ذلك الانسان (بطينة الألوان المختلفة) وأصلها وهذه إشارة إلى اختلاف أجزاء الانسان فان بعض أعضائه أبيض كالعظام والشّحم ، وبعضها أحمر كالدّم واللّحم ، و بعضها أسود كالشّعر و حدقة العين و هكذا ، و مثل اختلاف أجزائه اختلاف أفراد نوع الانسان ، فمنهم السّعيد والشقيّ والطيب والخبيث ، و كل ذلك مستند إلى اختلاف المواد .

كما يدلّ عليه ما رواه القميّ في تفسيره باسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم في حديث طويل ، و فيه قال : فاغترف ربّنا تبارك و تعالى غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات و كلتا يديه يمين فصلصلها في كفه فجمدت ، فقال لها : منك أخلق النّبيين والمرسلين وعبادي الصّالحين والأئمة المهتدين والدّعاة إلى الجنّة وأتباعهم إلى يوم القيامة ولا أبالي ولا اُسأل عمّا أفعل وهم يسألون ، ثمّ اغترف غرفة من الماء المالح الأجاج

فصلصلها في كفّه فجمدت ، ثم قال : منك أخلق الجبّارين والفراعنة والعتاة وإخوان الشّياطين والدّعاة إلى النّار و أشياعهم إلى يوم القيامة ، ولا اسأل عمّا أفعل وهم يسألون ، قال : و شرط في ذلك البداء فيهم ولم يشترط في أصحاب اليمين ، ثم خلط المائين جميعاً في كفه فصلصلهما ثم كفاهما (١) قدام عرشه وهما سلالة من طين الحديث ، و سيأتي تمامه بعيد ذلك .

(والأشباه المؤتلفة) كالايتلاف بين العظام والأسنان و نحوها فانّها أجسام متشابهة ايتلف بعضها مع بعض و بها قامت الصّورة الانسانية (والأضداد المتعادية ، والأخلاط المتباينة ، من الحرّ والبرد والبلّة والجمود والمسائة والسّرور).

والمراد بالبلّة والجمود الرّطوبة واليبوسة ، و كلمة من تبيين للأضداد والأخلاط جميعاً وليست بيانا للأخلاط فقط بقرينة ذكر المسائة والسّرور.

قيل : و المراد بالحرّ الصّفراء و بالبرد البلغم و بالبلّة الدّم و بالجمود السّوداء فكلامه عليه السلام إشارة إلى الطبايع الأربع التي بها تحصل المزاج و بها قوام البدن الانساني .

و في حديث القمّي السّابق بعد قوله ﷺ : ثم كفاهما قدام عرشه وهماسلالة من طين ، قال : ثمّ أمر الله الملائكة الأربعة الشّمال والجنوب والصّبا والدّبور أن يجولوا على هذه السّلالة من طين فأبروها وأنشأوها ثم جزوها و فصلوها وأجروا فيها الطبايع الأربعة .

قال : الرّيح في الطبايع الأربعة من البدن من ناحية الشّمال ، والبلغم في الطبايع الأربعة من ناحية الصّبا ، والمرة في الطبايع الأربعة من ناحية الدّبور ، والدّم في الطبايع الأربعة من ناحية الجنوب.

قال : فاستقلّت النّسمة و كمل البدن ، فلزمه من ناحية الرّيح حبّ النّساء وطول الأمل والحرص ، ولزمه من ناحية البلغم حبّ الطعام والشّراب والبرّ والحلم

١ـ هكذا في رواية علل الشرايع : ثم القاها قدام عرشه وهيا ثلة من طين ، منه

والرّفق ، و لزمه من ناحية المرّة الغضب والسّفه والشّيطنة و التّجبر والتمرّد والعجلة ، و لزمه من ناحية الدّم حب الفساد و اللّذات و ركوب المحارم والشهوات قال أبوجعفر : و جدنا هذا في كتاب أميرالمؤمنين صلوات‌الله عليه هذا.

و أمّا المسائة والسّرور فهما من الكيفيات النّفسانية ، و سبب السرور إدراك الكمال والاحساس بالمحسوسات الملائمة و التمكّن من تحصيل المرادات و القهر والاستيلاء على الغير و الخروج عن الآلام و تذكر الملذّات، وسبب المسائة مقابلات هذه .

قال البحراني : و مقصوده ﷺ التّنبيه على أنّ طبيعة الانسان فيها قوّة قبول و استعداد لتلك الكيفيات و أمثالها، و تلك القوّة هي المراد بطينة المسائة والسرور والله العالم .

الترجمة

پس جمع فرمود حق سبحانه وتعالى اززمين درشت وزمين نرم وزمين شيرين وزمين شور پاره خاك را ، آميخت و ممزوج نمود آن خاكرا به آب تا اينكه خالص وپاكيزه شد ، ومخلوط و ملصق نمود آن را برطوبت تا اينكه چسبان گشت پس ايجاد كرد از آن صورت و شكلى كه صاحب طرفها بود وبندها و صاحب‌جوارح بود و فصلها ، خشك ساخت آن صورت را تااينكه قوام حاصل شد آنرا ، وسخت گردانيد آن را تا اينكه كل خشك آواز كننده گرديد پس باقى گذاشت آن را بجهت وقت شمرده شده و اجل دانسته گرديده ، پس از آن دميد در آن صورت روح خود را يا از روحى كه اختيار كرده بود آن را بساير ارواح ، پس متمثّل شد ومتصور گرديد انسانى كه صاحب ذهنهائيست كه متحرك ميسازد آن را ، وصاحب فكرهائيست كه تصرف و تفتيش مى كند با آن ، و صاحب‌جوارحى كه‌طلب‌خدمت مى‌كند از آنها ، و صاحب آلاتى كه بر ميگرداند آن‌ها را در امورات خود ، و صاحب معرفت و عقلى كه فرق ميگذارد با آن ميان حق و باطل و ميان ذوقها ومشامها و ميان رنگها وجنسها در حالتى كه آميخته و خمير شده بود آن‌انسان

به اصل رنگهای گوناگون و شبه هائی که باهمدیگر الفت دارند، چون استخوان و دندان و ضدهائی که تعاند دارند با همدیگر و خلطهائی که تباين دارند با یکدیگر از حرارت وبرودت و رطوبت و یبوست و پریشانی و خوشحالی.

الفصل الحاد يعشر

وَاسْتَأْدَى اللهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ فَقَالَ : اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ وَقَبِيلَهُ (وَجُنُودَهُ خ)، اعْتَرَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ ، تَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ ، فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ ، وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ.

اللغة

(استأدى الله الملائكة) أى طلب منهم الأداء (والخنوع) كالخضوع لفظا و معنى (والتكرمة) إمّا بمعنى التكريم و هو التعظيم و الاحترام مصدران من التفعيل كما في الاوقيانوس ، أو اسم من التكريم على ما قاله الفيومى (و ابليس) افعيل من ابلس قال سبحانه :

« فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ »

أى آيسون من رحمة الله ، و اسمه بالعبرانية عزازيل بزائين معجمتين وبالعربيّة الحارث و كنيته أبو مرة (والقبيل) في الأصل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى فان كانوا من أب واحد فقبيلة، وقد تسمى قبيلا وجمعه قبل وجمع القبيلة القبائل (والشّقوة) بكسر الشّين الشّقاوة (والتّعزز) التكبر (واستوهنوا) عدّوه واهناً

ضعيفاً (والنظرة) بكسر الظاء مثل كلمة اسم من انظرت الدين أخّرته قال سبحانه :

« فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ » .

أى تأخير (والسّخطة) بالضمّ كالسّخط الغضب و عدم الرّضا (والبليّة) اسم من الابتلاء و هو الامتحان (وأنجز) وعده وعدته إذا وفى به.

الاعراب

الملائكة منصوب بنزع الخافض أى من الملائكة، و اضافة العهد إلى الوصية قبل من قبيل إضافة الصّفة إلى الموصوف أى وصيّته المعهودة ، واستثناء ابليس امّا منقطع على ماهو الأظهر الأشهر بين أصحابنا و كثير من المعتزلة ، أو متّصل على ما ذهب إليه طائفة من متكلّمي العامة و اختاره منا الشيخ (ره) في التّبيان، و منشأ الخلاف أنّ إبليس هل هو من الجنّ أم من الملائكة، ويأتي تحقيق الكلام فيه، وانتصاب الاستحقاق والاستتمام والانجاز على المفعول له.

المعنى

(واستادى الله الملائكة) أى طلب منهم أداء (وديعته) المودعة (لديهم و) طلب أداء (عهد وصيّته إليهم) والمراد بتلك الوديعة و الوصيّة ما أشار اليه سبحانه في سورتي الحجر وص .

قال في الأولى : « وإذْ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإذا سَوَّيْتُهُ و نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام على مارواه القمّي عنه و كان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه و احتجاجاً منه عليهم.

وفي الثّانية : « وإذْ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإذا سَوَّيْتُهُ و نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ »

فلقد كان عزّ وجلّ أوصاهم و عهد إليهم أنّه خالق بشراً لابدلهم من السّجود له بعد استوائه و نفخ الرّوح فيه ، و إلى ذلك أشار ﷺ بقوله (في الاذعان بالسّجود له و) الانقياد (الخنوع) والخضوع (لتكرمته) وتعظيمه (فقال) سبحانه للملائكة بعد الاستوآء ونفخ الرّوح (اسجدوا لآدم) قال الصّادق ﷺ : وكان ذلك الخطاب بعد ظهر الجمعة (فسجدوا) و بقوا على السّجدة إلى العصر (إلا إبليس) قال الرضا ﷺ كان اسمه الحارث سمّي إبليس لأنّه ابلس من رحمة الله (و قبيله)

قال المحدّث المجلسي قده : و ضمّ القبيل هنا إلى ابليس غريب ، فانّه لم يكن له في هذا الوقت ذريّة و لم يكن أشباهه في السّمآء ، فيمكن أن يكون المراد به أشباهه من الجنّ في الأرض بأن يكونوا مأمورين بالسّجود أيضاً ، وعدم ذكرهم في الآيات و ساير الأخبار لعدم الاعتناء بشأنهم ، أو المراد به طائفة خلقها الله تعالى في السّمآء غير الملائكة ، و يمكن أن يكون المراد بالقبيل ذريته و يكون اسناد عدم السّجود إليهم لرضاهم بفعله كما قال ﷺ في موضع آخر: إنّما يجمع النّاس الرّضا والسّخط ، و إنّما عقر ناقة ثمود رجل و احد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرّضا ، فقال سبحانه :

« فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ . انتهى »

أقول : و الأوجه ما أجاب به أخيراً و يشهد به مضافا إلى ما ذكره ما رواه السّيد (ره) في آخر الكتاب عنه ﷺ من أنّ الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم و قال سبحانه :

« قُلْ قَدْ جآئَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّناتِ و بِالّذي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ » .

فانّه روى في الكافي عن الصّادق عليه السلام قال : كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام ، فألزمهم الله القتل لرضاهم بما فعلوا ، و مثله عن العياشي في عدّة روايات

(اعترتهم) وغشيتهم (الحميّة) والعصبيّة (و غلبت عليهم الشقوة) و الضّلالة (تعزّزوا) و تكبروا (بخلقة النار واستوهنوا) واستضعفوا (خلق الصلصال) وقالوا: إنّ مادتنا و جوهرنا خير من جوهر آدم الطيني فلا نسجد له ، لأنّ السّجود إنّما هو لمكان شرف الجوهر و جوهر النّار أشرف من جوهر التراب ، و هذامعنى قوله سبحانه في سورة الأعراف :

« قَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ »

و في الكافي والاحتجاج عن الصّادق عليه السلام أنّه دخل عليه أبوحنيفة فقال له: ياباحنيفة بلغني أنك تقيس ، قال : نعم ، أقيس قال: لاتقس فانّ أوّل من قاس ابليس حين قال : «خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» فقاس مابين النّار والطين ولوقاس نوريّة آدم بنورية النّار عرف فضل ما بين النّورين وصفاء أحدهما على الآخر.

قال بعض الأفاضل : إنّ إبليس قد غلط حيث لاحظ الفضل باعتبار الجوهر والعنصر فلولا حظه باعتبار الفاعل لعلم فضل آدم عليه نظراً إلى ما أكرمه الله به من إضافة روحه إلى نفسه ونسبة خلقته إلى يديه حيث قال :

« فَإِذَا نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي » و قال : « لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ »

مضافا إلى ما في قياسه في نفسه أيضاً من الفساد من حيث إنّ الطين أمين يحفظ كلّ ما اودع عنده والنّار خائن يفني كلّما يلقى فيه . والنّار متكبّر طالب للعلوّ ، والتّراب متواضع طالب السّفل ، والتّواضع أفضل من التكبر هذا (١)

١ـ وقال الصدر الشيرازى فى مفاتيح الغيب اما خطاؤه يعنى ابليس فى الاستدلال فلوجوه احدها انا سلمنا ان النار افضل واشرف من الطين من حيث ظاهر الوجود لكن لافضيلة لها عليه من حيث الحقيقة والغاية بل الطين افضل و اشرف منها لان من خواص الطين الانبات والنشو والنمو و لهذا السركان تعلق به الروح ليصير قابلا للترقى والنار من خاصيتها الاحراق والاهلاك

وقد ظهر ممّا ذكرناه فساد العمل بالقياس أيضاً وقد عنونه أصحابنا في علم الأُصول و حكموا بعدم جواز العمل في الأحكام الشرعية بالأقيسة و الاستحسانات العقليّة ، نظراً إلى ما نشاهده من حكم الشّارع في الموارد الكثيرة بخلاف مايقتضيه عقولنا النّاقصة .

كجمعه بين المتشاكلات و تفريقه بين المختلفات في منزوحات البئر .
و كجمعه بين النّوم والبول والغائط في الأحداث .
و حكمه بوجوب الاحرام في الحلّ مع أنّ الحرم أفضل.
و حكمه بوجوب مسح ظاهر القدم مع أنّ الباطن أولى.
و حكمه بحرمة صوم يوم العيد و وجوب سابقه و ندبيّة لاحقه.

وثانيها ان في الطين لزوجة وامساكا فاذا استفاد الروح منه بالتربية هذه الخاصية يصير ممسكا للفيض الالهى اذا لم يكن ممسكا في عالم الارواح و لهذا السر كان آدم مسجوداً للملائكة و في النار خاصية الاتلاف والاسراف و هو ضدا لامساك ، وثالثها ان الطين مركب من الماء والتراب والماء معطية الحياة لقوله و من الماء كل شيء حي والتراب معطية النفس النباتية و اذ امتزجا يتولد منهما النفس الحيوانية لان مركبها الروح الحيوانى وهى معطية الروح الانسانى والجوهر النطقى للمناسبة الروحية بينهما و في النار ضد ذلك من الاهلاك والافساد هذا مع ان شرف مسجودية آدم للملائكة وفضيلته على ساجديه لم يكن بمجرد خواص الطينة التى هى جهة الصلاحية و القبول وان تشرفت الطينة بشرف التخمير من غير واسطة كما دل عليه قوله مامنعك ان لاتسجد لما خلقت بيدى وقوله صلى الله عليه وآله خمر طينة آدم بيديه اربعين صباحا وانما كانت فضيلته الاصلية على غيره بنفخ الروح المشرف بالاضافة الى الحضرة الالهية من غير واسطة كما قال ونفخت فيه من روحى ولاختصاصه بالتجلى فيه عند نفخ الروح كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق آدم فتجلى فيه وقد مر انه غلط الملعون بين جهة المادة العنصرية وبين جهة الصورة الروحية الاضافية و عمى قلبه عن درك صفة الانسانية والصورة الذاتية ولهذا السر لم يكن امر الله الملائكة بسجود آدم بعد تسويته قالب آدم من الطين بل امرهم بعد نفخ صورة الروح فيه كما قال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وذلك لان آدم بعد ان نفخ فيه الروح الاضافى صار مستعدا للتجلى الالهى لما حصل فيه من صفات الروح و نورانيته التى تستحق بها للتجلى وامساك الطين الذى يقبل الفيض الالهى مسكة عند التجلى فاستحق سجود الملائكة لانه صار قلبه ككعبة حقيقية تفهم انشاء الله و تغتنمه وتنتفع به انتهى كلامه ره .

وحكمه بوجوب خمسمأة دينار و هو نصف الدّية الكاملة في قطع إحدى اليدين و قطع اليد لربع دينار.

و حكمه لقطع اليد لسرقة ربع دينار و عدم جواز قطعه للغصب و لو كان ألفاً إلى غير ذلك من الموارد التي يقف عليها المتتبع و مع ذلك كيف يمكن الاستبداد بالعقول النّاقصة والآراء الفاسدة في استخراج مناطات الأحكام الشّرعيّة، وقد قام الأخبار المتواترة عن أئمّتنا عليهم السّلام على النهي عن العمل بالقياس والاستحسانات العقليّة، مثل قولهم: إنّ دين الله لايصاب بالعقول، و إنّ السّنة إذا قيست محق الدين، و إنّه لاشيء أبعد عن عقول الرّجال من دين الله.

روى الصّدوق والكليني باسنادهما عن أبان بن تغلب، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام ما تقول في رجل قطع أصبعا من أصابع المرأة كم فيها؟ قال: عشرة من الابل، قال: قلت: قطع اثنين؟ فقال: عشرون، قلت: قطع ثلاثا؟ قال: ثلاثون، قلت: قطع أربعاً؟ قال: عشرون، قلت: سبحان الله يقطع ثلاثا فيكون عليه ثلاثون فيقطع أربعاً فيكون عليه عشرون، إن هذا كان يبلغنا ونحن بالعراق فنبرء ممّن قاله، و نقول: إنّ الذي جاء به قاله شيطان، فقال: مهلا يا أبان هذا حكم رسول الله إنّ المرأة تعاقل الرّجل إلى ثلث الدّية فاذا بلغت الثلث رجعت المرأة إلى النّصف، يا أبان إنك أخذتني بالقياس، والسّنة إذا قيست محق الدين.

و في الاحتجاج أن الصّادق عليه السلام قال لأبي حنيفة لما دخل عليه: من أنت؟ قال: أبو حنيفة، قال: مفتي أهل العراق، قال: نعم، قال: بم تفتيهم؟ قال: كتاب الله، قال: فأنت العالم بكتاب الله؟ ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه، قال: نعم، قال: فأخبرني عن قول الله عزّ وجل.

«و قدّرنا فيها السّير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين»

أي موضع هو؟ قال أبو حنيفة: هو ما بين مكّة والمدينة، فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إلى جلسائه و قال: نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكّة والمدينة ولاتؤمنون على دمائكم

من القتل و على أموالكم من السّرق ؟ فقالوا اللهمّ نعم ، قال : و يحك يا أباحنيفة إن الله لايقول إلاحقّا ، أخبرني عن قول الله:

«و مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً»

أيّ موضع هو ؟ قال : ذاك بيت الله الحرام ، فالتفت أبوعبدالله عليه السلام إلى جلسآئه وقال لهم : نشدتكم بالله هل تعلمون أنّ عبدالله بن زبير و سعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل ؟ قالوا اللهمّ نعم ، فقال : أبوعبدالله عليه السلام : و يحك يا أبا حنيفة إنّ الله لايقول إلاّ حقّا .

فقال أبوحنيفة : ليس لي علم بكتاب الله عزّوجلّ إنّما أنا صاحب قياس ، قال أبوعبدالله عليه السلام : فانظر في قياسك إن كنت مقيساً أيّما أعظم عندالله القتل أوالزنا ؟ قال : بل القتل ، قال : فكيف رضي الله في القتل بشاهدين ولم يرض في الزّنا إلاّ بأربعة ؟ ثمّ قال له : الصّلاة أفضل أم الصّيام ؟ قال: بل الصّلاة أفضل، قال : فيجب على قياس قولك على الحائض قضآء مافاتها من الصّلاة في حال حيضها دون الصّيام، وقد أوجب الله عليها قضآء الصّوم دون الصّلاة ، ثم قال : البول أقذرأم المني ؟ قال : البول أقذر، قال : يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني ،وقد أوجب الله الغسل على المني دون البول.

قال : إنّما أنا صاحبُ رأى ، قال عليه السلام : فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة فدخلا بامرأتيهما في ليلة واحدة ثمّ سافرا وجعلا امرأتيهما في بيت واحد فولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين و بقي الغلامان أيهما في رأيك المالك و أيهما المملوك و أيهما الوارث و أيهما الموروث ؟

قال : إنّما أنا صاحب حدود ، فقال عليه السلام : فما ترى في رجل أعمى فقاء عين صحيح، و أقطع قطع يد رجل كيف يقام عليهما الحدّ ؟

قال : إنّما أنا رجل عالم بمباعث الأنبيآء ، قال : فأخبرني عن قول الله تعالى لموسى

وهارون حين بعثهما إلى دعوة فرعون:

« لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ »

لعل منك شك؟ قال: نعم، قال: ذلك من الله شك إذ قال لعلّه؟ قال أبوحنيفة: لا أعلم.

قال عليه السلام: إنك تفتي بكتاب الله و لست ممّن ورثه، و تزعم أنك صاحب قياس و أوّل من قاس إبليس ولم يبن دين الاسلام على القياس، و تزعم أنك صاحب رأى و كان الرّأى من رسول الله صلى الله عليه وآله صواباً و من دونه خطاء، لأنّ الله قال:

« أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَرَاكَ اللهُ »

ولم يقل ذلك لغيره، و تزعم أنك صاحب حدود و من انزلت عليه أولى بعلمها منك، و تزعم أنّك عالم بمباعث الأنبياء، وخاتم الأنبياء أعلم بمباعثهم منك، لولا أن يقال: دخل على ابن رسول الله فلم يسأله من شيء ماسألتك عن شيء، فقس إن كنت مقيساً، قال: لا تكلّمت بالرّأى والقياس في دين الله بعد هذا المجلس، قال عليه السلام: كلاّ إنّ حبّ الرّياسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك الخبر.

ثمّ إنّ إبليس اللّعين بعد ماتمرّد عن السّجود وتكبّر عن طاعة المعبود سأل الله النّظرة والمهلة والابقاء إلى يوم البعث وقال:

« رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ».

(فأعطاه الله النّظرة استحقاقا للسخطة) أى لأجل استحقاقه سخط الله سبحانه و غضبه، فانّ في الامهال، و إطالة العمر ازدياد الاثم الموجب لاستحقاق زيادة العقوبة، قال سبحانه:

« ولاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ »

(و استتماماً للبليّة) أى لابتلاء بني آدم و تعريضهم للثواب بمخالفته (وانجازاً للعدة)

قيل : المراد به وعد الامهال ، و ليس بشيء ، لأنّه لم يسبق منه سبحانه وعد في إمهاله حتّى ينجزه ، بل الظاهر أن المراد به أنّه تعالى لمّا كان لايضيع عمل عامل بمقتضى عدله و قد عبده إبليس في الأرض و في السّماء و كان مستحقّا للجزاء الذي وعده سبحانه لكل عامل مكافاة لعمله ، فأنجزله الجزاء الموعود في الدّنيا مكافاة لعبادته حيث لم يكن له في الآخرة من خلاق .

روى في البحار عن العيّاشي عن الحسن بن عطيّة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ إبليس عبدالله في السّماء في ركعتين ستّة ألف سنة و كان إنظاره الله ، ايّاه إلى يوم الوقت المعلوم بماسبق من تلك العبادة.

و في رواية علي بن ابراهيم الآتية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال إبليس: يا ربّ و كيف و أنت العدل الذي لاتجور ولاتظلم فثواب عملي بطل ، قال : لا، ولكن سلني «اسأل خ» من أمر الدّنيا ماشئت ثوابا لعملك فاعطيك، فاوّل ما سأل البقاء إلى يوم الدين فقال الله: قد أعطيتك الخبر.

و في روايته الآتية أيضاً عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت : جعلت فداك بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه ؟ قال : بشيء كان منه شكره الله عليه ، قلت وما كان منه جعلت فداك ؟ قال : ركعتين ركعهما في السّماء في أربعة آلاف (١) سنة (فقال : إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم).

قال الرّازي في تفسيره: اعلم أنّ إبليس استنظر إلى يوم البعث والقيامة وغرضه منه أن لايموت ، لأنّه إذا كان لايموت قبل يوم القيامة و ظاهر أن بعد قيام القيامة لايموت فحينئذ يلزم منه أن لايموت البتّة ، ثم إنّه تعالى منعه عن هذا المطلوب و قال :

« إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ »

١ـ قوله في اربعة آلاف سنة وقدمضى فيالرواية السالفة انه فيستة الفسنة وفيرواية اخرى في الفي سنة قال المجلسي و يمكن دفع التنافي بين ازمنة الصلاة والسجود بوقوع الجميع او لصدور البعض موافقا لاقوال العامة تقية انتهى منه .

و اختلفوا في المراد منه على وجوه:

أحدها أن المراد من يوم الوقت وقت النّفخة الأولى حين يموت كلّ الخلايق و إنّما سمّي هذا الوقت بالوقت المعلوم ، لأنّ من المعلوم أنّه يموت كلّ الخلايق فيه ، و قيل إنّما سمّاه الله تعالى بهذا الاسم ، لأنّ العالم بذلك هوالله تعالى لاغير كما قال تعالى :

« إنّما عِلمُها عِندَ رَبّي لا يُجَلّيها لِوَقتِها إلّا هُوَ » و قال : « إنّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعَةِ »

و ثانيها أنّ المراد من يوم الوقت المعلوم هوالذي ذكره وهوقوله :

(إلىٰ يَومِ يُبعَثُونَ)

وانما سمّاه الله تعالى بيوم الوقت المعلوم لان إبليس لماعيّنه وأشارإليه بعينه صار ذلك كالمعلوم ، فان قيل: لما أجابه الله تعالى إلى مطلوبه لزم ان لايموت إلى وقت قيام السّاعة و بعد قيام القيامة لايموت أيضاً فيلزم أن يندفع عنه الموت بالكليّة ، قلنا يحمل قوله : إلى يوم يبعثون

الى مايكون قريباً منه ، والوقت الذي يموت فيهاكلّ المكلفين قريب من يوم البعث على هذاالوجه،فيرجع حاصل هذاالكلام الى الوجه الأول.

و ثالثها أنّ المراد بيوم الوقت المعلوم يوم لايعلمه إلّا الله تعالى وليس المراد منه يوم القيامة انتهى.

أقول: والمستفادمن بعض أخبارنا الوجه الأوّل ، و هو ما روى في العلل عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عنه فقال: يوم الوقت يوم ينفخ في الصّور نفخة واحدة فيموت إبليس مابين النفخة الأولى والثّانية .

و من البعض الآخر أنّه عند الرّجعة ، و هو ما رواه القمّي باسناده عن أبي

عبدالله عليه السلام في قوله ، قال : يوم الوقت المعلوم يوم يذبحه رسول الله صلى الله عليه وآله على الصخرة في بيت المقدس ،

و في رواية اخرى رواها العياشي عنه عليه السلام أيضاً انه سئل عنه فقال : أتحسب أنه يوم يبعث فيه النَّاس إنّ الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا ، فاذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة و جاء إبليس حتّى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول : ياويله من هذا اليوم فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه فذلك يوم الوقت المعلوم، و يحتمل الجمع بينها بأن يقتله القائم ثم يحيى و يقتله رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يحيى ويموت عند النفخة، والله العالم بحقايق الامور.

و ينبغي التنبيه على امور مهمة مفيدة لزيادة البصيرة في المقام

الاول أنّه سبحانه ذكر قصّة آدم و كيفيّة خلقته و معاملة إبليس معه في مواقع كثيرة من القرآن الكريم و في ذلك أسرار كثيرة :

منها الاشارة إلى كمال قدرته و عظمته حيث إنّه خلق إنسانا كاملا ذا عقل و حسّ و حياة و صاحب مشاعر ظاهرة و باطنة من تراب جامد ، ثمّ جعله طيناً لازبا فجعله حمأ مسنوناً فجعل الحمأ صلصالاً يابساً، ثمّ نفخ فيه من روحه فاستوى انساناً كاملا فتبارك الله أحسن الخالقين.

و منها تذكير الخلق بما أنعم به على أبيهم آدم حيث فضّله على ملائكة السّماء بما علّمه من الاسماء و جعله مسجوداً لهم و ذا مزيّة عليهم.

و منها تحذير الخلق عن مكائد الشّيطان ليجتنبوا عن مصائده و فخوخه فان عداوته أصلية و منافرته ذاتية لايمكن توقع الوصل والعلقة معه ألبتّة.

و منها تنبيه الخلق على أنّ آدم مع فعله زلّة واحدة كيف أُخرج من جوار رحمة الله و اهبط الى دار البليّة ، فما حال من تورّط في الذّنوب و اقتحم في المهالك والعيوب مدى عمره و طول زمانه و هو مع ذلك يطمع في دخول دار الخلد و نعم ما قيل :

يا ناظراً أنوراً بعيني راقد — و مشاهداً للأمر غير مشاهد
تصل الذّنوب الى الذنوب و ترتجي — درك الجنان و نيل فوز العابد
أنسيت أنّ الله أخرج آدماً — منها الى الدّنيا بذنب واحد(١)

الثاني

لقائل أن يقول : أمر الملائكة بالسّجود لآدم لماذا وما السّرُّ في ذلك ؟ قلنا : فيه أسرار كثيرة .

منها إظهار فضيلته على الملائكة .

و منها الابتلاء و الامتحان ليظهر حال ابليس على الملائكة حيث علموا بعد إبائه وامتناعه عن السّجدة أنه لم يكن منهم و قد زعموا قبل ذلك انه منهم كما يدلّ عليه ما رواه علي بن ابراهيم القمي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام (٢) قال سئل عمّا ندب (٣) الله الخلق إليه أدخل فيه الضّلال ؟« الضلالة خ» قال: نعم والكافرون دخلوا فيه، لأنّ الله تبارك و تعالى أمر الملائكة بالسّجود لآدم فدخل في امره الملائكة و إبليس ، فانّ إبليس كان مع الملائكة في السّمآء يعبدالله وكانت الملائكة يظن أنّه منهم فلمّا أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد ، فعلمت الملائكة أنّ إبليس لم يكن منهم ، فقيل له عليه السلام : فكيف وقع الأمر على إبليس و إنّما أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم ؟ فقال : كان إبليس منهم بالولاء ولم يكن من جنس الملائكة ، و ذلك انّ الله خلق خلقا قبل آدم ، و كان إبليس فيهم حاكما في الأرض فعتوا وأفسدوا و سفكوا الدّمآء.فبعث

١- للشيخ البهائي ره:

جد تو آدم بهشتش جاى بود — قدسيان كردند بهر او سجود
يك كنه چون كرد كفتندش تمام — مذنبى مذنب برو بيرون خرام
تو طمع دارى كه باچندين كناه — داخل جنت شوى اى روسياه - منه

٢- فى رواية اخرى للقمى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ان الله تبارك وتعالى اراد ان يخلق خلقا بيده وذلك بعد مامضى من الجن والنسناس فى الارض سبعة الف سنة و كان من شانه خلق آدم الحديث

٣- اى دعاه اليه. منه

الله الملائكة فقتلوهم و أسروا إبليس ورفعوه إلى السماء فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خاق الله تبارك وتعالى آدم.

و منها أنّ سجودهم له لما كان في صلبه من أنوار نبيّنـا وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم يدلّ عليه ما رواه في الصّافي والبحار عن تفسير الامام عن علي بن الحسين عن أبيه عن رسول الله سلام الله عليهم ، قال : يا عباد الله إن آدم لما رأى النّور ساطعا من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النّور ولم يتبين الأشباح ، فقال : يارب ّ ما هذه الأنوار؟ فقال عزّ وجلّ : أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك و لذلك أمرت الملائكة بالسّجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح ، فقال آدم : يا ربّ لو بينتها لي ، فقال الله عزّ وجلّ : انظر يا آدم الى ذروة العرش ، فنظر آدم ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الانسان في المرآة الصّافية فرأى أشباحنا ، فقال : ما هذه الأشباح يا ربّ ؟ قال الله يا آدم هذه أشباح أفضل خلايقي و برياتي هذا محمد و أنا الحميد المحمود في فعالي شققت له اسماً من اسمي و هذا عليّ و أنا العليّ العظيم شققت له اسماً من اسمي ، و هذه فاطمة و أنا فاطر السّماوات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي و فاطم أوليائي عما يعرهم «يعتريهم خ» و يشينهم فشققت لها اسماً من اسمي ، وهذا الحسن، وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل فشققت اسميهما من اسمي هؤلاء خيار خليقتي و كرام بريّتي بهم آخذ وبهم اعطي و بهم أعاقب وبهم أثيب فتوسّل بهم إليّ يا آدم إذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعائك فانّي آليت على نفسي قسماً حقّاً أن لا اخيب بهم آملا ولا أردّ بهم سائلا فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عزّ وجلّ بهم فتيب عليه و غفرت له .

الثالث

لقائل أن يقول : ماذا كان المانع لابليس عن السّجود ؟ قلت : المستفاد من رواية القمي السّالفة أنّه الحسد، والمستفاد من الآيات القرآنية أنّه الاستكبار ، و هو

المستفاد أيضاً ممّا رواه في البحار عن قصص الرّاوندي بالاسناد إلى الصدوق باسناده إلى ابن عبّاس قال: قال إبليس لنوح عليه السلام: لك عندي يد سأعلّمك خصالاً، قال نوح: وما يدي عندك؟ قال: دعوتك على قومك حتّى أهلكهم الله جميعاً، فايّاك والكبر وإيّاك والحرص وإيّاك والحسد، فانّ الكبر هو الذي حملني على أن تركت السّجود لآدم فأكفرني وجعلني شيطاناً رجيماً، وإيّاك والحرص فانّ آدم أبيح له الجنّة ونهي عن شجرة واحدة فحمله الحرص على أن أكل منها، وإيّاك والحسد فانّ ابن آدم حسد أخاه فقتله، فقال نوح: متى تكون أقدر على ابن آدم؟ فقال: عند الغضب هذا.

ولا منافاة بينها لأنّه يجوز أن يكون المانع الحسد والكبر النّاشي من قياسه الفاسد جميعاً.

و يدلّ عليه(١) ما رواه عليّ بن إبراهيم باسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم في حديث طويل و ساق الحديث إلى قوله: فخلق الله آدم فبقي أربعين سنة مصوّراً و كان يمرّ به إبليس اللعين فيقول: لأمر ما خلقت، فقال العالم عليه السلام: فقال ابليس: لأن أمرني الله بالسّجود لهذا لعصيته، قال: ثمّ نفخ فيه، فلما بلغت فيه الرّوح إلى دماغه عطس عطسة فقال: الحمد لله، فقال الله له: يرحمك الله(٢)، ثمّ قال الله تبارك و تعالى للملائكة: اسجدوا لآدم فسجدوا له، فاخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد فأبى أن يسجد فقال الله عزّ وجلّ.

(ما مَنَعَكَ ألاّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ؟ قالَ أنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَني مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ).

قال الصّادق عليه السلام فأوّل من قاس إبليس و استكبر، والاستكبار هو أوّل معصية عصي الله بها، قال: فقال ابليس: يا ربّ اعفني من السّجود لآدم و أنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، قال الله تعالى: لا حاجة لي إلى عبادتك إنّما اُريد

١ ــ اى على وجه الجمع بما ذكر، منه

٢ ــ قال الصادق فسبقت له من الله الرحمة، تفسير القمى (ره)

أن اعبد من حيث اُريد لامن حيث تريد ، فأبى أن يسجد فقال الله تبارك وتعالى:

أَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

فقال ابليس : يا رب كيف و أنت العدل الذي لاتجور فثواب عملي بطل ، قال: لا ، ولكن اسأل من أمر الدّنيا ما شئت ثواباً اعملك فاعطيك فأوّل ما سأل البقاء إلى يوم الدّين ، فقال الله قد أعطيتك .

قال : سلّطني على ولد آدم، قال : سلّطتك قال: أجرني فيهم مجرى الدّم في العروق قال : أجريتك ، قال : لا يولد لهم ولد إلاّ ولد لي اثنان و أراهم ولايروني وأتصوّر لهم في كلّ صورة شئت ، فقال : قد أعطيتك ، قال : يارب زدني ، قال : قدجعلت لك و لذرّيتك صدورهم أوطانا ، قال : ربّ حسبي فقال ابليس عند ذلك :

فَوَعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ . هذا

و روى أيضاً باسناده عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا اعطى الله تبارك و تعالى لابليس ما أعطاه من القوّة قال آدم : يا ربّ سلّطت إبليس على ولدي و أجريته فيهم مجرى الدّم في العروق و أعطيته ما أعطيته فما لي ولولدي ! فقال: لك ولولدك السيّئة بواحدة والحسنة بعشر أمثالها ، قال :يارب زدني، قال:التّوبة مبسوطة إلى حين يبلغ النّفس الحلقوم ، فقال : يارب زدني قال : أغفرولا ابالي قال: حسبي.

الرابع

اختلفوا في أنّ ابليس اللّعين هل هو من الجنّ أم من الملائكة ، المعزى إلى أكثر المتكلمين من أصحابنا والمعتزلة هو الأوّل، و ذهب كثير من فقهاء العامّة على ما حكى عنهم الفخر الرّازي و جمهور المفسّرين و منهم ابن عبّاس على ماحكاه عنهم الشّارح البحراني إلى الثّاني.

والمختار عندنا هو الأوّل وفاقاًللاكثر و منهم المفيد وقد نسبه إلى الامامية كلّها ، حيث قال في المحكي عنه في كتاب المقالات: إنّ ابليس من الجنّ خاصّة

و إنّه ليس من الملائكة ولا كان منها، قال الله تعالى:

(إلاّ إبليس كان من الجنّ).

و جاءت الأخبار المتواترة عن أئمة الهدى من آل محمّد عليهم السّلام بذلك ، و هو مذهب الامامية كلّها وكثير من المعتزلة و أصحاب الحديث انتهى.

و احتجّ للمختار بوجوه .

الأوّل : انّ إبليس من الجنّ فوجب أن لايكون من الملائكة ، أمّا أنّه من الجنّ فلقوله تعالى في سورة الكهف:

(إلاّ إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه).

و أمّا أنّه إذا كان من الجنّ فوجب أن لايكون من الملائكة ، فلقوله تعالى :

(و يوم نحشرهم جميعاً ثمّ نقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ)

فانّ الآية صريحة في الفرق بين الجنّ والملائكة.

و ما ربّما يتوهّم من أنّ معنى قوله سبحانه : كان من الجنّ ، أنّه كان خازن الجنّة على ماروى عن ابن مسعود، أو أنّ كان بمعنى صار ، أى صار من الجنّ كما أنّ قوله : و كان من الكافرين ، بمعنى صار من الكافرين ، فظاهر الفساد.

أمّا أولاً فلأنّه خلاف الظاهر المتبادر من الآية الشّريفة، كما أنّ حمل كان بمعنى صار كذلك.

و أمّا ثانيا فلأنّه سبحانه علّل ترك السّجود بأنّه كان من الجنّ ولايمكن تعليل ترك السّجود بكونه خازناً للجنّة كما لايخفي.

والعجب من بعضهم حيث قال : إن كونه من الجنّ لاينا في كونه من الملائكة لأنّ الجنّ من الاجتنان وهو الاستتار ، والملائكة مستترون عن العيون فصحّ جواز إطلاق اللّفظ عليهم.

و فيه أنّ الجن و إن كان يجوز إطلاقه بحسب اللغة على الملك إلاّ أنّه صار في الاصطلاح مختصّاً بالجنس المقابل للملك والانس ، فلايجوز الاطلاق.

الثّاني أنّ إبليس له ذرّية و نسل ، قال الله تعالى :

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي).

والملائكة لاذرّية لهم إذ ليس فيهم انثى كما يدل عليه قوله سبحانه :

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا).

و اورد عليه بمنع دلالة الاية على انتفآء الانثى أولا ، و منع ملازمة انتفآء الانثى على تقديره ثانيا ، ألا ترى أنّ الشّياطين ليس فيهم انثى و مع ذلك لهم ذرّية ، و لذلك قال شيخنا الطوسي (ره) في محكي كلامه عن التّبيان : من قال إنّ إبليس له ذرّية و الملائكة لاذرّية لهم ولا يتناكحون ولا يتناسلون فقد عوّل على خبر غير معلوم .

الثّالث أنّ الملائكة معصومون لأدلّة العصمة و إبليس ليس بمعصوم فلايكون منهم و ربّما يستدلّ بوجوه أُخر لاحاجة إلى ذكرها .

واحتجّ للقول الثّاني بوجهين .

الاول انّه سبحانه استثناه في غير موضع من القرآن من الملائكة، والاستثنآء إخراج مالولاه لدخل، وهو يفيد كونه من الملائكة.

و ما أورد عليه أولاً من أنّ الاستثنآء المنقطع شايع في كلام العرب و كثير في كلام الله سبحانه قال :

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) .

وقال :(لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا) و قال : وَلَا

تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلّا أن تكون تجارة عن تراض).

إلى غير ذلك .

و ثانياً من أنّ الاستثناء على تسليم اتصاله أيضاً لايفيد الدّخول كما قال الزّمخشري بعد قوله سبحانه إلّا إبليس استثناء متّصل ، لأنّه كان جنّيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم فغلبوا عليه في قوله فاسجدوا ثمّ استثنى منهم استثناء واحد منهم .

فقد ردّ الأوّل بأنّه خلاف الأصل ولا يصار إليه إلّا بدليل والأدلّة السّالفة(١) لاتصلح للدّلالة لأنّها من قبيل العمومات ، والأمر في المقام دائر بين تخصيصها على جعل ابليس من الملائكة و بين حمل الاستثناء على المنقطع على جعله من الجنّ و كلاهما خلاف الأصل إلّا أنّ الأوّل أولى لأن تخصيص العام أغلب من انقطاع الاستثناء فلابدّ من المصير اليه.

والثّاني بأنّ تغليب الكثير على القليل إذا كان ذلك القليل ساقط العبرة غير ملتفت إليه في جنب الكثير أمّا إذا كان معظم الحديث لايكون إلا عن ذلك الواحد لم يجز اجراء حكم غيره عليه وتغليبه عليه وفيه نظر ووجهه سيظهر.

الثاني أنّه لولم يكن إبليس من الملائكة لما كان الأمر بالسجدة بقوله اسجدوا شاملا له، فلايكون تركه للسّجود إباء و استكباراً و معصية ، ولما استحق الذّم والعقاب ، و حيث حصلت هذه الامور كلّها فعلمنا بتناول الخطاب له، ولايتناوله الاّ مع كونه من الملائكة.

وردّ أولا بمنع كونه مخاطباً بذلك الخطاب العام المستلزم للتّناول، لم لايجوز أن يخاطب بأمر آخر مختص به،

و ثانياً بمنع استلزام تناول ذلك الخطاب له على تقدير تسليمه كونه من الملائكة لجواز أن يكون طول مخالطته بهم و نشوه معهم مصحّحا لتعلق الخطاب و تناوله فلا يثبت به الملازمة .

١- على كونه من الجن ، منه

و يضعّف الأول بأن ظاهر قوله : و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ، أن الاباء والعصيان إنّما حصل بمخالفة هذا الأمر لا بمخالفة أمر آخر.

و الثّاني بأنّ طول المخالطة لا يوجب تناول الحكم و إلاّ لتناول خطاب المذكور في الأدلّة الشّرعيّة للأُناث وبالعكس و هو خلاف ما صرّح به علماء الأصول.

أقول: هذا جملة ما استدلّ به على الطرفين في المقام و التّعويل عندنا على الأخبار الصّحيحة عن العترة الطاهرة:

منها رواية عليّ بن ابراهيم القمّي السّالفة في الأمر الثّاني.

و منها ما عن تفسير الامام عن يوسف بن محمد بن زياد وعليّ بن محمد بن سيار عن أبويهما عن العسكرى عليه السلام في ذيل قصّة هاروت و ماروت بعد إثباته عليه السلام عصمة الملائكة ، قالا : قلنا له : فعلى هذا لم يكن إبليس أيضاً ملكاً ، فقال : لا بل كان من الجنّ ، أما تسمعان الله عزّ وجلّ يقول:

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ).

فأخبر عزّ وجلّ أنّه كان من الجنّ ، و هو الذي قال الله عزّ وجلّ:

(وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ).

و منها ما رواه العيّاشي عن جميل بن درّاج عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن إبليس أكان من الملائكة اوهل كان يلي شيئاً من أمر السمآء ؟ قال عليه السلام : لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئاً من أمر السّمآء ، و كان من الجنّ ، و كان مع الملائكة ، و كانت الملائكة ترى أنّه منها ، و كان الله يعلم أنّه ليس منها، فلما أُمر بالسّجود كان منه الذي كان.

و منها ما رواه عليّ بن ابراهيم باسناده عن جميل قال : كان الطيار يقول لي ابليس ليس من الملائكة و إنّما امرت الملائكة بالسّجود لآدم، فقال إبليس لا أسجد

فما لابليس يعصى حين لم يسجدو ليس هو من الملائكة، قال فدخلت أنا و هو على أبي عبدالله عليه السلام ، قال فأحسن والله في المسألة فقال جعلت فداك: أرأيت ماندب الله إليه المؤمنين من قوله :

(يا أيّها الّذين آمنوا) .

دخل في ذلك المنافقون معهم ؟ قال : نعم ، والضلال وكلّ من أقرّ بالدّعوة الظاهرة، و كان إبليس ممّن أقرّ بالدّعوة الظاهرة معهم.

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي قد سمعت في صدر المسألة عن المفيد «قده» ادعاءه تواترها ونسبة المذهب المختار إلى الاماميّة رضوان الله عليهم الظاهر في كونه مجمعاً عليه بينهم ، ولايعبأ بخلاف شيخنا الطوسي قدّس الله روحه في المسألة ولا يقدح ذلك في الاجماع مع كونه معلوم النّسب و ادّعاؤه الرّواية عن أبي عبدالله عليه السلام بكونه من الملائكة ضعيف، بما قاله العلامة المجلسي من أنّا لم نظفر بها و إن ورد في بعض الأخبار فهو نادر مأوّل.

فان قلت: سلّمنا ذلك كلّه ولكن كيف يتصوّر في حقّ الملائكة عدم علمهم بأنّ إبليس منهم بعد أن أسروه من الجنّ ورفعوه إلى السّمآء ، وما المراد بقولهم عليهم السّلام في الأخبار السّابقة:وكانت الملائكة ترى أنّه منها؟

قلنا: يحتمل أن يكون المراد أنّ الملائكة ترى أنّه منهم في طاعة الله و عدم العصيان لمواظبته على عبادته سبحانه أزمنة متطاولة ، فيكون من قبيل قولهم عليهم السّلام: سلمان منا ،أو أنّهم لمّا رأوا تباين أخلاقه ظاهراً للجنّ و تكريم الله تعالى إياه و جعله من بينهم مرفوعاً إلى السّمآء ، و جعله رئيساً على بعضهم كما قيل ، ظنّوا أنّه كان منهم وقع بين الجنّ .

الخامس

لقائل أن يقول : كيف كان سجود الملائكة لآدم أهو بنحو السّجود المتعارف من وضع الجبهة على المسجد أو بنحو آخر؟قلت: الموجود في كلمات الأعلام أنّه

كان بنحو السّجود المتعارف ،وهو المروي عن الصّادق عليه السلام أيضاً ، ولا إشكال فيه وإنّما الاشكال في أنّ السّجدة عبادة ، و كيف جاز في حقّ آدم.

قلت : قد اتّفق المسلمون على أنّ ذلك السّجود ليس سجود عبادة ، لأن سجود العبادة لغير الله كفر ولا يمكن أن يكون مأموراً به .

ثمّ اختلفوا بعد ذلك على أقوال:

أحدها أنّه على وجه التكرمة لآدم والتّعظيم لشأنه و تقديمه عليهم و هو قول قتادة و جماعة من أهل العلم ، و هو المرويّ عن أئمّتنا ولهذا جعل أصحابنا ذلك دليلا على أفضلية الأنبيآء من الملائكة من حيث انّه امرهم بالسّجود لآدم و ذلك يقتضي تعظيمه و تفضيله عليهم و إذا كان المفضول لايجوز تقديمه على الفاضل علمنا أنّه أفضل من الملائكة ، وقد نسب الصدوق ذلك في العقايد إلى اعتقاد الاماميّة ، وهو ظاهر في قيام اجماعهم على هذا القول .

لايقال : سجود التعظيم والتكرمة هو عبارة اخرى لسجود العبادة فيعود الاشكال

لانّا نقول : لانسلّم كونه عبادة ، و ذلك لأنّ الفعل قد يصير بالمواضعة مفيداً كالقول يبين ذلك أن قيام أحدنا للغير يفيد من الاعظام ما يفيده القول و ماذاك إلاّ للعادة فلايمتنع أن يكون في بعض الأوقات سقوط الانسان على الأرض وإلصاقه الجبين بها مفيداً ضرباً من التّعظيم و إن لم يكن ذلك عبادة ، و إذا كان كذلك لم يمتنع أن يتعبّد الله الملائكة بذلك إظهاراً لرفعته و كرامته .

الثّاني أنّ السّجود كان لله و آدم كالقبلة حكاه الطبري عن الجبائي و أبي القاسم البلخي .

و اُورد عليه أوّلا بأنّه لايقال صلّيت للقبلة بل يقال صلّيت إلى القبلة فلو كان آدم قبلة يقول اسجدوا إلى آدم مع أنّه قال اسجدوا لآدم ، ويظهر منه عدم كونه قبلة .

و ثانياً بأنّ إباء إبليس عن السّجود إنّما هو لاعتقاده تفضيله به وتكرمته

و حسبانه أنّ كونه مسجوداً له يدلّ على أنّه أعظم شأناً من السّاجد كما يشعر به قوله :

(أَرَأَيْتَكَ هٰذا الّذي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) و قوله : (أَنا خَيْرٌ مِنْهُ).

ومن المعلوم أنّ السّجدة للقبلة لايوجب تفضيل القبلة على السّاجد ألاترى أن النبي صلى الله عليه وآله كان يصلّي إلى الكعبة ولايلزم أن يكون الكعبة أفضل منه.

وأُجيب عن الأوّل بأنّه كما يجوزان يقال : صلّيت إلى القبلة كذلك يصحّ أن يقال : صلّيت للقبلة ، و كلاهما بمعنى واحد ، و يشهد بصحته قول حسان في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام :

ماكنت أعرف أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم وأعرف النّاس بالآيات القرآن والسنن

وعن الثّاني بأنّ إبليس شكى تكريمه وذلك التكريم لانسلّم أنّه حصل بمجرّد تلك المسجودية ، بل لعلّه حصل بذلك مع أُمور أُخر ، هذا ، وأنت خبير بما فيه.

الثّالث أنَّ السّجود في أصل اللغة هو الانقياد والخضوع و هو المراد هنا.

و ردّه الفخر الرّازي بأنّ السّجود لاشكّ أنّه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الأرض ، فوجب أن يكون في أصل اللغة كذلك ، لأصالة عدم النّقل انتهى.

و فيه ما لا يخفى و أنت بعد الخبرة بما ذكرناه تعرف أنّ الأقوى هو القول الأوّل .

السادس

إن قيل: أيّ حكمة في خلقة الشّيطان وتسليطه على ابن آدم وإمها له إلى يوم الدين؟

قلت : هذه شبهة وقعت في البرية و أصلهانشأت من إبليس من استبداده بالرّأى في مقابلة النصّ و اختياره الهوى في معارضة الأمر واستكباره بالنّارالتي

خلق منها على الطين والصّلصال ، و تفصيل هذه الشّبهة ماحكاه الفخر الرّازي عن محمد بن عبدالكريم الشّهرستاني في أوّل كتابه المسمّى بالملل والنّحل حكاية عن ماري شارح الأناجيل الأربعة ، قال : وهي مذكورة في التوراة متفرّقة على شكل مناظرة بينه و بين الملائكة بعد الأمر بالسّجود ، قال إبليس للملائكة : إنّي أسلم أن لي إلهاً هو خالقي و موجدي و هو خالق الخلق لكن لي على حكمة الله أسألة سبعة .

الاول ما الحكمة في الخلق لا سيّما كان عالماً بأنّ الكافر لايستوجب عند خلقه إلاّ الآلام ؟

الثاني ثمّ ما الفائدة في التّكليف مع أنّه لايعود منه ضرّ ولا نفع، وكلّ مايعود إلى المكلّفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التّكليف؟

الثالث هب أنّه كلفني بمعرفته و طاعته فلماذا كلّفني بالسّجود لآدم ؟

الرابع ثمّ لمّا عصيته في ترك السّجود لآدم فلم لعنني وأوجب عقابي مع أنّه لافائدة له ولا لغيره فيه ولي فيه أعظم الضّرر؟

الخامس ثمّ لمّا فعل ذلك فلم مكّنني من الدّخول إلى الجنّة ووسوست لآدم عليه السلام؟

السادس ثمّ لمّا فعلت ذلك فلم سلّطني على أولاده و مكّنني من إغوائهم و إضلالهم؟

السابع ثمّ لمّا استمهلته المدّة الطويلة في ذلك فلم أمهلني؟ ومعلوم أنّ العالم لو كان خالياً عن الشّر لكان ذلك خيراً.

قال شارح الأناجيل : فأوحى الله تعالى إليه (١) من سرادقات الجلال والكبرياء يا إبليس انّك ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت أنّه لا اعتراض عليّ في شيء من أفعالي،

١- وفي بعض العبارات فاوحى الله الى الملائكة قولوا له انك في تسليمك الاول الى الهك وآله الخلق غير صادق ولامخلص اذلو صدقت اني اله العالمين ما حكمت علي بلم فانا الله لا اله الا انا لااسأل عما افعل والخلق مسئولون (منه)

فانّي انا الله لا إله إلاّ أنا لا أُسأل عمّا أفعل .

قال الفخر الرّازي بعد حكاية ذلك : و اعلم أنّه لو اجتمع الأوّلون والآخرون من الخلايق و حكموا بتحسين العقل و تقبيحه لم يجدوا عن هذه الشّبهات مخلصاً و كان الكلّ لازماً، أمّا اذا أجبنا بذلك الجواب الذي ذكره الله تعالى زالت الشّبهات واندفعت الاعتراضات ، و كيف لا ، و كما أنّه سبحانه واجب الوجود في ذاته واجب الوجود في صفاته فهو مستغن في فاعليّته عن المؤثّرات المرجحات إذ لو افتقر لكان فقيراً لا غنيّا فهو سبحانه مقطع الحاجات ومنتهى الرّغبات و من عنده نيل الطلبات ، و إذا كان كذلك لم تتطرق اللميّة إلى أفعاله ولم يتوجه الاعتراض على خالقيّته انتهى.

قال الصّدر الشّيرازي في كتابه المسمّى بمفاتيح الغيب بعد ذكره شبهات إبليس و جوابه سبحانه و ذكره ما حكيناه عن الرّازي : أقول : إنّ لكلّ من هذه الشبهات جواباً برهانيّا صحيحاً واضحاً عند أصحاب القلوب المستقيمة ، لابتنائه على الأُصول الحقة العرفانيـة في المقدمات الاضطرارية اليقينية لكن الجاحد المعوج لاينفعه كثرة البراهين النّيرة ، و إنّما يسكته الجواب الجدلي المشهور المبني على المقدمات المقبولة التي يذعن بها الجمهور، وليس معنى قوله تعالى لا اسأل عمّا افعل أنّه ليس لما فعله مبدء ذاتي وغاية عقليّة ومصلحة حكميّة ، كما هو مذهبهم من إبطال العلّية والمعلوليّة و إنكار العلاقة الذّاتية بين الأسباب و مسبّباتها وتجويز ترجيح أحد المتساويين في النّسبة على الاخر و تمكين المجازات الاختيارية والارادات التّخييليّة بل المراد أحد معنيين.

الأوّل أنّه لالميّة للفعل الصّادر عن ذاته من غير واسطة سوى ذاته و إنّما ذاته هو منشأ الفعل المطلق و غايته و كما لاسبب لذاته في وجوده لاسبب لذاته في ايجاده وإلاّ لكان ناقصاً في ذاته مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .

الثّاني أنّ من ليس له درجة الارتقاء إلى عالم الملكوت والوصول إلى شهود المعارف الالهيّة و إدراك الحضرة الرّبوبيّة فلا يمكنه العلم بكيفيّة الصّنع والايجاد

على ما هو عليه، ولا سبيل له إلاّ التسليم والاعتراف بالقصور و من له مرتبة إدراك الأشياء كما هي بالعلم اللّدنّي فلاحاجة له إلى السّؤال، لأنّه يلاحظ الامور على ما هي عليه بنورالله و بعين قلبه المنوّر بنور الايمان و العرفان، لابأنوار المشاعر كالشّيطان، ولهذا منع رسول الله صلى الله عليه وآله النّاس عن التّكلم و البحث في الأشياء الغامضة كسرّ القدر و مسألة الرّوح، لأنّ البحث عنها لا يزيد إلاّ حيرة و دهشة.

و قال في شرح اُصول الكافي ما محصّله: إنّ غرض الفخر الرّازي إثبات مذهب أصحابه من القول بالفاعل المختار و نفي التخصيص في الأفعال، و ذلك ممّا ينسد به باب إثبات المطالب بالبراهين كاثبات الصّانع و صفاته و أفعاله و اثبات البعث والرّسالة، إذ مع تمكين هذه الارادة الجزافيّة لم يبق اعتماد على شيء من اليقينيات، فيجوز أن يخلق الفاعل المختار بالارادة التي يعتقدها هؤلاء الجدليون فينا أمراً يرينا الاشياء لا على ما هي عليه.

فاقول: إنّ لكلّ شبهة من هذه الشّبهات التي أوردها اللّعين جوابا برهانيّا حقّاً من قبل الله تعالى بما يسكته، و هو بيان حاله و ما هو عليه من كفره و ظلمة جوهره عن إدراك الحقّ كما هو، و ان ليس غرضه في ابداء هذه الشبهات إلاّ الاعتراض و إغواء من يتبعه من الجهال النّاقصين أو الغاوين الذين هم جنود إبليس أجمعون، فقيل له: إنّك لست بصادق في دعواك معرفة الله و ربوبيّته ولو صدقت فيها لم تكن معترضاً على فعله.

و أمّا الأجوبة الحكميّة عن تلك الشبهات على التّفصيل لمن هو أهلها و مستحقّها فهي هذه.

اما الشبهة الاولى

و هي السّؤال عن الحكمة والغاية في خلق إبليس، فالجواب عنها أنّه من حيث إنّه من جملة الموجودات على الاطلاق فمصدره وغايته ليس إلاّ ذاته تعالى التي تقتضي وجود كلّ ما يمكن وجوده و يفيض عنها الوجود على كلّ قابل و منفعل، و أمّا حيثيّة كونه موجوداً ظلمانيا و ذاتا شريرة و جوهراً خبيثا فليس ذلك بجعل

جاعل، بل هو من لوازم هويته النّازلة في آخرمراتب النّفوس و هي المتعلّقة بمادون الأجرام السّماوية و.هو الجسم النّاري الشديدة القوّة فلا جرم غلبت عليه الانانيّة والاستكبار والافتخار والاباء عن الخضوع و الانكسار.

و اما الشبهة الثانية

وهي السؤال عن حكمة التّكليف بالمعرفة والطاعة، فالجواب عنها أنّ الغاية في ذلك تخليص النّفوس من اسر الشّهوات و سجن الظلمات و نقلها من حدود البهيميّة والسبعيّة إلى حدود الانسانية والملكيّة و تطهيرها و تهذيبها بنور العلم و قوّة العمل من درن الكفر والمعصية و رجس الجهل و الظلمة، ولاينافي عموم التكليف عدم تأثيره في النّفوس الجاشية والقلوب القاسية، كما أنّ الغايةفي إنزال الغيث إخراج الحبوب و إنبات الثّمار والأقوات منها(١) و عدم تأثيره في الصّخور القاسية والأراضي الخبيثة لاينافي عموم النّزول، والله أجل من أن تعود إليه فائدة في هداية الخلق كما في إعطائه أصل خلقه بل هوالذي

«أعطى كلّ شيءٍ خلقهُ ثمّ هدى».

من غير غرض أو عوض في فضله وجوده.

و اما الشبهة الثالثة

و هي السؤال عن فايدة تكليفه بالسّجود لآدم و الحكمة فيه، فالجواب عنها أولا أنّه ينبغي أن يعلم أن لله سبحانه في كلّ ما يفعله أو يأمر به حكمة بل حكماً كثيرة لأنّه تعالى منزّه عن فعل العبث والاتفاق والجزاف و إن خفى علينا وجه الحكمة في كثير من الامور على التّفصيل بعد أن علمنا القانون الكلي فيذلك على الاجمال، و خفاء الشيء علينا لايوجب انتفائه، و هذا يصلح للجواب عن هذه الشبهة و نظايرها.

و ثانياً أنّ التكليف بالسّجود كان عامّاً للملائكة و كان هو معهم في ذلك

---

١ ــ كقطر الماء في الاصداف درّ وفي بطن الافاعي صار سماً .

الوقت فعمه الأمر بها تبعاً وبالقصد الثاني، لكنه لما تمرّد وعصى واستكبر وأبى بعدما اعتقد بنفسه أنّه من المأمورين صار مطروداً ملعونا.

وثالثاً أنّ الأوامر الالهيّة والتكاليف الشرعيّة مايمتحن به جواهر النّفوس ويعلن ما في بواطنهم ويبرز ما في مكان صدورهم من الخير والشرّ والشقاوة فتمّ به الحجّة وتظهر المحجة

(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ).

و اما الشبهة الرابعة

وهي السؤال عن لمّة تعذيب الكفار والمنافقين وايلامهم بالعقوبة وإبعادهم عن دار الرّحمة و الكرامة، فالجواب عنها أنّ العقوبات الاخرويّة من الله تعالى ليس باعثها الغضب والانتقام و إز الة الغيظ ونحوها تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، و إنّما هي لوازم و تبعات ساق إليها أسباب داخليّة نفسانيّة وأحوال باطنيّة انتهت إلى التعذيب بنتائجها من الهوى إلى الهاوية والسقوط في أسفل درك الجحيم ومصاحبة الموذيات من العقارب والحيّات وغيرها

ومثالها في هذا العالم الأمراض الواردة على البدن الموجبة للأوجاع والأسقام بواسطة نهمة سابقة، فكما أنّ وجع البدن لازم من لوازم ما ساق إليه الأحوال الماضية و الأفعال السّابقة من كثرة الأكل أو إفراط الشّهوة ونحوهما من غير أن يكون هيهنا معذّب خارجيّ، فكذلك حال العواقب الاخرويّة وما يوجب العذاب الأليم الدّائم لبعض النفوس الجاحدة للحقّ المعرضة عن الآيات وهي

« نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ »

وأما الّتي دلّت عليه الأخبار والآيات الواردة في الكتب الالهيّة والشّرايع الحقّة من العقوبات الجسمانية الواردة على بدن المسيء من خارج على مايوصف في التّفاسير فهي أيضاً منشأها أمور باطنية و هيئات نفسانية برزت من

الباطن إلى الظاهر وتصورت بصور النيران و العقارب والحيّات والمقامع من حديد وغيرها ، و هكذا حصول الأجسام و الأشكال والأشخاص في الآخرة كما حقّق في مباحث المعاد الجسماني وكيفيّة تجسّم الأعمال ، ودلّ عليه كثيرمن الآيات مثل قوله تعالى :

« وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ » وقوله : « وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ » وقوله : « كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » وقوله : « وَ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ »

ثمّ إذا سلّم معاقب من خارج فان في ذلك أيضاً مصلحة عظيمة ، لأنّ التّخويف والانذار بالعقوبة نافع في أكثر الأشخاص والانقياد بذلك التخويف بتعذيب المجرم المسيء تأكيد للتّخويف و مقتض لازديادالنفع ، ثم هذا التّعذيب ، و ان كان شرّاً بالقياس الى الشّخص المعذّب لكنّه خير بالقياس الى أكثر أفراد النّوع فيكون من جملة الخير الكثير الذي يلزمه الشرّ القليل كما في قطع العضو لا صلاح البدن و ساير الأعضاء .

وأما الشبهة الخامسة

وهي السؤال عن فائدة تمكين الشيطان من الدّخول إلى آدم في الجنّة حتى غرّه بوسوسته فأكل ما نهي عنه فاخرج به من الجنّة ، فالجواب عنها أنّ الحكمة في ذلك والمنفعة عظيمة ، فانّه لوبقي في الجنة أبداً لكان بقي هو وحده في منزلته التي كان عليها في أوّل الفطرة من غير استكمال واكتساب فطرة اخرى فوق الاولى و إذا هبط إلى الأرض خرج من صلبه أولاد لاتحصى يعبدون الله و يطيعونه إلى يوم القيامة و يرتقى منهم عدد كثير في كلّ زمان إلى درجات الجنان بقوّتي العلم والعبادة ، وأيّ حكمة وفائدة أعظم وأجلّ وأرفع وأعلى من وجود الأنبياء والأولياء ؟ ومن جملتهم سيد المرسلين و أولاده المعصومون صلوات الله عليهم و على ساير الأنبياء

والمرسلين ، ولو لم يكن في هبوطه إلى الأرض مع إبليس إلا ابتدائه مدة الدنيا واكتسابه درجة الاصطفاء لكانت الحكمة عظيمة والخير جليلا.

و أما الشبهة السادسة

وهي السؤال عن وجه الحكمة في تسليطه على ذرية آدم بالاغواء و الوسوسة بحيث يراهم من حيث لايرونه ، فالجواب عنها أن نفوس أفراد البشر في أول الفطرة ناقصة بالقوة، ومع ذلك بعضها خيرة نورانية شريفة بالقوة مايلة إلى الامور القدسية عظيمة الرغبة إلى الاخرة ، و بعضها خسيسة الجوهر ظلمانية شريرة مائلة إلى الجسمانيات عظيمة في ايثار الشهوة والغضب ، فلولم يكن الاغواء ولا طاعة النفس والهوى لكان ذلك منافياً للحكمة لبقائهم على طبقة واحدة من نفوس سليمة ساذجة فلا تتمشي عمارة الدنيا بعدم النفوس الجاسية الغلاظ العمالة في الأرض لأغراض دنية عاجلة ، ألا ترى إلى ما روي من قوله تعالى في الحديث القدسي : اني جعلت معصية آدم سبباً لعمارة العالم، وما روي أيضاً في الخبر : لولا أنكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون .

وأما الشبهة السابعة

وهي السؤال عن فائدة إمهاله إلى يوم الوقت المعلوم ، فالجواب عنها بمثل ماذكرناه ، فان بقائه تابع لبقاء النوع البشري بتعاقب الأفراد وهي مستمرة إلى يوم القيامة ، فكذلك وجب استمراره لأجل ايرائه الفائدة التي ذكرناها في وجوده ووجود وسوسته إلى يوم الدين، انتهى ما أهمنا نقله وبعض أجوبته غير خال عن التأمل فتأمل

الترجمة

وطلب أدا نمود حق سبحانه وتعالى از فرشتگان أمانت خودراكه نزد ايشان داشت ووصيت معهودئ كه بايشان نموده بود درا ذعان وانقياد نمودن ايشان بسجده كردن مراورا وخضوع وفروتني ايشان ازبراى تعظيم وتكريم آن ، پس فرمود خداوند رب العزة ايشانرا كه سجده كنيد آدم را پس همه سجده كردند و هيچيك تمرد نكرد مگر شيطان ملعون وقبيله وتابعان او ، عارض شد ايشانرا عصبيت وغالب شد

برايشان شقاوت و بدبختي ، تكبّر نمودند و عزيز شمردند خودشانرا بجهة مخلوق شدن ايشان از آتش ، وضعيف وخوار شمردند مخلوق ازصلصال و گل خشك را ، پس عطا فرمود خداونداورا مهلتى ازبراىاستحقاق اومرسخط وغضب خداوندىرا ، و از براى تمام ساختن امتحان بني نوع انسان ، وازجهت راست نمودن وعده خود پس فرمود كه بدرستى تو از مهلت داده شدگان هستى تا روزيكه وقت دانسته شده است

الفصل الثاني عشر

ثُمَّ أَسْكَنَ آدَمَ داراً أَرْغَدَ فِيها عِيشَتَهُ ، وَآمَنَ فِيها مَحَلَّتَهُ ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَداوَتَهُ ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفاسَةً عَلَيْـهِ بِدارِ الْمَقامِ وَمُرافَقَةِ الْأَبْرارِ ، فَباعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَالْعَزِيمَـةَ بِوَهْنِهِ ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً ، وَبِالْاِغْتِزازِ نَدَماً .

اللغة

(السّكون) هو الاطمينان و المسكن المنزل و (الرغد) النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء ، قال ابن دريد : الرّغد السعة في العيش و (العيشة) بكسر العين كالعيش بالفتح مصدر عاش يعيش و هوالحياة و مايعاش بـه من الرزق و الطعام و الخبز و (محلّة) القوم منزلهم(فاغترّه)من الغرّة بالكسر و هوالغفلة و(نفس) الشيء بالضم نفاسة كرم و نفست به مثل ضننت به لنفاسته لفظا و معنى و (المقام) بالفتح اسم مكان من قام بمعنى انتصب و بالضمّ اسم مكان من أقام وكلاهماصحيحان وعزم (عزيمة) وعزمة اجتهد وجد في أمره و (الجذل) بفتحتين مصدر جذل إذا فرح و (اعتزّ) بفلان عدّ نفسه عزيزة به

الاعراب

كلمة ثمّ في قوله عليه السلام ثمّ أسكن حرف عطف مفيدة للتّعقيب فتفيد أنّ الاسكان

في الجنّة بعد أمر الملائكة بالسجود وسجودهم وهوالظاهر من الترتيب الذكري في الآيةالشريفة فيسورةالبقرة حيث قال سبحانه :

« وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ » ثم قال: « وَقُلْنا يـا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ» .الآية

إلاّ أنّ المستفاد من الأخبار وظاهر بعض (١) الآيات و التفاسير كون السجود حين السّكون في الجنّة ويمكن الجواب بانّ المراد بالسّكنى في الاية الشريفة و في قول الامام عليه السلام هو المقـام مع اللّبث و الاستقرار و هو لا ينافي كون آدم عليه السلام في الجنّة قبل ذلك أيضاً وكون سجود الملائكة له حين ماكان هوفيه كما هوظاهر لايخفى ، ونصب إبليس في قوله وحذّره إبليس على نزع الخافض ، و نفاسة منصوب على المفعول له ، والباء في قوله : بدار المقام للسّببية ، و في قوله بشكّه باء الأثمان و هي الدّاخلة على الأعواض مثل بعت الكتاب بدرهم ، و قد يطلق عليها باء المقابلة ، وفي قوله عليه السلام : بالجذل و بالاعتزاز كذلك (٢) ، ويحتمل كونها هنا بمعنى من بناء على كون الاستبدال بمعنى التبدل يقال تبدّله و تبدّل منه إذا اتخذه منه بدلا.

المعنى

(ثمّ) إنّه سبحانه بعد ما أمر الملائكة بالسّجودلآدم فسجدواإلاّ إبليس فجعله رجيما وأخرجه من جواره و(أسكن آدم) وأقرّه (دارا) أى في دار (أرغد فيها عيشته) أى جعله فيها في عيشة واسعة كما قال سبحانه فى سورة البقرة:

« وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّـةَ وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما» .

(و آمن فيها محلّته) نسبة الأمن إلى المحلّ من قبيل المجاز العقلي أى جعله

---

(١) وهو قوله .فاخرج منها فانك رجيم و قوله : قال فاهبط منها فمايكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انكمن الصا غرين فافهم،منه (٢) اى للمقابلة

فيها في أمن من الآفات و سلامة من المكاره و الصدمات ، و هذه من صفات الجنّة لأنّ من دخلها كان آمناً كما قال سبحانه :

« أدْخُلوها بِسَلامٍ آمِنِينَ » . (١)

و هذا لا غبار عليه و إنّما الكلام في أنّ الجنة التي أسكنه الله فيها هل هي جنّة الدنيا

و تفصيل ذلك ما ذكره الفخر الرازي،قال: اختلفوا في أنّ الجنّة المذكورة في الآية هل كانت في الأرض أو في السّمآء، و بتقدير أنّها كانت في السّمآء فهل هي الجنّة التي هي دارالثّواب أو جنّه الخلد أوجنّة أُخرى.

فقال أبوالقاسم البلخي و أبومسلم الاصفهاني : هذه الجنّة كانت في الأرض و حملا الاهباط (٢)على الانتقال من بقعة إلى بقعة ، كما في قوله تعالى :

« إهْبِطُوا مِصْراً »

و احتجا عليه بوجوه.

أحدها أنّ هذه الجنّة لو كانت هي دارالثواب لكانت جنّة الخلد ، ولو كان آدم في جنّة الخلد لما لحقه الغرور من إبليس بقوله :

« هَلْ أدُلُّكَ عَلىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلىٰ » و لماصحّ قوله:

«ما نَهٰيكُما رَبُّكُما عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إلاّ أنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ ».

و ثانيها أنّ من دخل هذه الجنّة لايخرج منها ، لقوله تعالى:

« وَماهُمْ مِنها بِخارِجِينَ » .

و ثالثها أنّ إبليس لما امتنع من السّجود لعن ، فما كان يقدر مع غضب الله

(١) و هذه الاية و ان كان نزولها فى صفة جنة الاخرة الا ان جنة الدنيا طبقها فى هذه وغالب الصفات فلا ضرر فى الاستشهاد بها مع اختيارنا فيما بعد كون آدم فى جنة الدنيا كما هو ظاهر، منه

٢- اى فى قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عد و الاية، منه

على أن يصل إلى جنّة الخلد.

و رابعها أنّ الجنّة التي هى دار الثواب لايفنى نعيمها، لقوله تعالى: «أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا» ولقوله تعالى: (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) الى أن قال: (عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ).

أى غير مقطوع، فهذه الجنّة لو كانت هي التي دخلها آدم لما فنيت، لكنها تفنى لقوله تعالى:

(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ).

ولما خرج منها آدم و انقطعت تلك الراحات

و خامسها أنّه لايجوز في حكمته تعالى أن يبتدء الخلق في جنّة يخلدهم فيها ولا تكليف لأنّه لايعطى جزاء العاملين من ليس بعامل، ولأنّه تعالى لايهمل عباده بل لابدّ من ترغيب و ترهيب ووعد ووعيد.

و سادسها لانزاع في أنّ الله تعالى خلق آدم في الأرض ولم يذكر في هذه القصّة أنّه نقله إلى السّمآء. ولو كان تعالى قد نقله إلى السّمآء كان ذلك أولى بالذّكر، لأنّ نقله من الأرض إلى السّمآء من أعظم النّعم، فدلّ ذلك على أنّه لم يحصل، و ذلك يوجب أنّ المراد من الجنّة التي قال الله له

(اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ).

جنّة اخرى غير جنّة الخلد.

القول الثّاني و هو قول الجبائي أنّ تلك الجنّة كانت في السّمآء السّابعة، والدليل عليه قوله تعالى: اهبطوا منها، ثم ان الاهباط الأوّل كان من السّمآء السّابعة إلى السّمآء الاولى، والاهباط الثّاني كان من السّمآء إلى الأرض.

القول الثالث و هو قول جمهور أصحابنا إن هذه الجنّة هي دار الثواب والدّليل عليه أنّ الألف واللاّم في لفظ الجنّة لايفيد العموم، لأنّ سكون جميع الجنان

محال ، فلابدّ من صرفها إلى المعهود السّابق ، والجنّة التي هي المعهودة المعلومة بين المسلمين هي دار الثواب فوجب صرف اللّفظ إليها .

القول الرّابع إن الكلّ ممكن والأدلة النّقلية ضعيفة و متعارضة ، فوجب التوقّف و ترك القطع والله أعلم انتهى.

أقول : والأظهر من هذه الأقوال هو القول الأوّل ، لقوّة أدلّته و إن كان يمكن تطرّق النّظر إليها .

أمّا الأوّل والثّاني فلا مكان أن يقال: إنّ الخلود فيها و عدم الخروج إنّما يكون بعد استقرار أهل الجنّة فيها للثّواب ، وهو المستفاد من أدلّة الخلود، وأمّا قبل ذلك فلا دليل عليه.

و أمّا الثّالث فلما قيل : من أنّ إبليس لم يدخل في الجنّة بل وسوس لهما من ورآء جدار الجنّة أو من الأرض

و فيه نظر لأنّ المستفاد من ظاهر الآيات كون مخاطبته معهما مشافهة ، كما أنّ الموجود في أخبارنا دخوله إليها بوسيلة الحيّة حسبما يأتي الاشارة إليها.

والأولى أن يقال : هذا الدّليل على تقدير تسليمه جار على غير هذا القول أيضاً و ذلك ، لأنّ غضب الله سبحانه كما هو مانع من دخول جنّة الخلد فكذلك مانع من دخول مطلق الجنّة وإن لم تكن دار خلد ، لأنّ الجنّتين كلتيهما مشتركتان في كونهما دار رحمة و قرب ، فلا يستحقّهما من غضب الله عليه و لعنه وطرده بقوله: (فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) .

فان قيل: فكيف التّوجيه بين ذلك وبين ما استظهرت من الآيات ودلت عليه الأخبار من دخوله في الجنّة بتوسط الحيّة.

قلت : يمكن التّوجيه بأن يقال : إنّه كان ممنوعاً من دخولها بارزاً بحيث يعرف ، وقد دخلها مخفيّاً ليدليهما بغرور ، وقد ورد ذلك في بعض الأخبار ، أو يقال: إن دخوله فيه على وجه التّقرب والتّنعم مناف لكونه مغضوباً عليه، وأمّا الدّخول

للتدليس والازلال بعد اقتضاء الحكمة له فلا منافاة له معه كما لايخفى.

و أمّا الرّابع فلما مر في الأولين.

و أمّا الخامس فلجواز أن يكون ذلك تفضّلا منه سبحانه ، وليست في ذلك منافاة للحكمة كما توهّم.

و أمّا السّادس فظاهر لأنّه استبعاد محض ، هذا كلّه ما يقتضيه التصرّفات الفكرية و دقّة النّظر في الأدلة و القاطع للكلام إنّما هوالأخبار المأثورة عن العترة الطاهرة .

فقد روى في الكافي والعلل عن الصّادق عليه السلام أنّها كانت من جنان الدّنيا يطلع فيها الشّمس والقمر ولو كان من جنان الخلد ماخرج منها أبداً .

و مثلهما (١) عليّ بن ابراهيم القمي في تفسيره عن أبيه رفعه إليه عليه السلام و قوله: (وحذّره ابليس و عداوته) إشارة إلى ماحكاه سبحانه في سورة طه بقوله:

(وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى)

فوسوس اليه الشّيطان و قال :

(يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى) .

و (اغترّه عدوه نفاسة) و بخلا (عليه بدار المقام و مرافقة الأبرار) من الروحانيين والملائكة المقرّبين.

فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى) .

١- لكن قول امير المؤمنين عليه السلام فى الفصل الاتى ووعده المرد الى جنته ينافي هاتين الروايتين و مثله ما روى فى حديث الشامى انه سأل امير المؤمنين «ع» عن اكرم واد على وجه الارض فقال واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السمآء. فالجزم باحد المذاهب لايخلو من اشكال منه .

و أمّا كيفية الاغترار فقد يأتي تفصيلا (فباع اليقين بشكه) قيل : إنّ بيع اليقين بالشك مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لايفيده و ترك ما ينبغي له أن يفعله ، تمثل به أمير المؤمنين عليه السلام هيهنا ولم يرد أنّ آدم شكّ في أمر الله .

أقول: ويمكن اجراء الكلام على ظاهره بأن يراد باليقين اليقين بعداوة إبليس و بالشك الشكّ فيها، والمراد ببيعه به تبديله به وذلك لأنّ إبليس لمّا أبى واستكبر عن السجود و أظهر الفضيلة والانيّة و جعل مطروداً تيقّن آدم بعداوته له ، و قد أعلمه الله سبحانه به حينئذ أيضا كما قال:

(فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هٰذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى) .

ولمّا وسوس اليهما الشيطان :

(وَ قاسَمَهُما إِنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ) .

ولم يكن آدم و حوّا شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا ، وثقا بقوله وشكّا في عداوته لمكان ذلك ، و يمكن استنباط ذلك من رواية العيون والاحتجاج الانية (١) للرّضا عليه السلام مع المأمون ، وليس في ذلك منافاة لمرتبة الرّسالة كما توهّم ، لأنّ ذلك ليس بأعظم من أكل الشجرة و ستعرف تحقيقه في مقامه إنشاء الله وقوله : (والعزيمة بوهنه) أى العزيمة التي كانت له في عدم القرب من الشّجرة والأكل منها بالوهن الذي حصل له من النّسيان ، قال سبحانه:

(وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)

قال في الكشّاف : والعزم التّصميم والمضيّ على ترك الأكل و أن يتصلّب في ذلك تصلّباً يؤيس الشّيطان من التّسويل له ، و قال : فان قلت : ما المراد بالنّسيان ؟ قلت : لايجوز أن يراد النّسيان الذي هو نقيض الذكر و أنّه لم يعن(٢)

١ – في التذييل الثالث، منه

٢ – اى لم يهتم ، منه

بالوصيّة العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها و ضبط النّفس حتّى تولد من ذلك النّسيان ، و أن يراد التّرك و انه ترك ما وصّي به من الاحتراس عن الشجرة و أكل ثمرتها انتهى .

و قال الطبرسي (ره) معناه أمرناه و أوصينا إليه أن لايقرب الشّجرة ولا يأكل منها ، فترك الأمر عن ابن عبّاس ولم نجد له عقداً ثابتاً ، و قيل معناه : فنسي من النّسيان هو السّهو ولم نجد له عزماً على الذّنب ، لأنّه أخطأ ولم يتعمد عن ابن زيد و جماعة ، و قيل : ولم نجد له حفظاً لما امر به عن عطيّة ، و قيل : صبراً عن قتادة.

قال الشّارح البحراني : وحاصل هذه الأقوال يعود إلى أنّه لم يكن له قوّة على حفظه ما أمر الله سبحانه انتهى .

و في الكافي عن عليّ بن إبراهيم باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله تبارك و تعالى عهد إلى آدم أن لايقرب هذه الشّجرة ، فلمّا بلغ الوقت الذي كان في علم الله أن يأكل منها نسي فأكل منها ، و هو قول الله تبارك و تعالى:

(وَ لَقَدْ عَهِدْنا) الآية

و فيه أيضاً عن الصّادق عليه السلام ، قال في قوله تعالى :

(وَ لَقَدْ عَهِدْ نا إلي آدَمَ مِنْ قَبْلُ).

كلمات في محمد و عليّ و فاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرّيتهم عليهم السّلام فنسي هكذا والله انزلت على محمد صلى الله عليه وآله.

أقول: والظاهر أنّ المراد بتلك الكلمات حسبما يستفاد من الأخبار التي يأتي بعضها(١) هو إقرار آدم بفضيلة محمد و آله المعصومين عليهم السّلام و اعتقاده لشرافتهم و عدم تمنّيه منزلتهم ، فنسي تلك الكلمات وتمنى منزلتهم فأخرجه الله سبحانه من الجنّة (و استبدل بالجذل) والسّرور خوفا و (وجلا وبالاعتزاز) أى العزّة التي طلبها من أكل الشّجرة بتدليس ابليس و قوله لهما :

---

١ ـ و هو رواية العيون الاتية ، منه

(ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين).

(ندماً) و خيبة، و لذلك:

(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين).

تذنيبات الاول

لقائل أن يقول: كيف تمكّن ابليس من وسوسة آدم مع كونه خارج الجنّة و كون آدم في الجنّة؟ فنقول: قد اختلفوا فيه على أقوال.

أحدها ما حكي عن القصاص و هو الذي روي عن ابن عبّاس انه لما اراد إبليس أن يدخل الجنّة منعته الخزنة فأتى الحية و هي دابة لها أربع قوائم كأنّها البختيّة وهي كأحسن الدّواب بعد ما عرض نفسه على ساير الحيوانات، فما قبله واحد منها فابتلعته الحيّة و أدخلته الجنّة خفيّة من الخزنة، فلمّا دخلت الحيّة الجنّة خرج إبليس من فمها و اشتغل بالوسوسة فلاجرم لعنت الحيّة و سقطت قوائمها وصارت تمشى على بطنها و جعل رزقها في التّراب و عدواً لبني آدم.

و ثانيها أنّه دخل الجنّة في صورة دابة.

و ثالثها ما قاله بعض الأصوليّين: إنّ آدم و حوّاء لعلّهما كانا يخرجان إلى باب الجنّة و إبليس كان يقرب و يوسوس إليهما.

و رابعها أنّ إبليس كان في الأرض و أوصل الوسوسة إليهما في الجنّة.

أقول: والأظهر هو القول الأوّل، لبعد الرّابع من حيث إنّ الوسوسة عبارة عن الكلام الخفي والكلام الخفي لايمكنه ايصاله من بعد، والثّالث والثّاني لم يرد بهما خبر، والموجود في أخبارنا أنّ ايقاع الشّيطان لهما فيما نهيا عنه قد كان بسبب الحيّة، و ذلك على ماحكاه المفسر الفيض في الصّافي و المحدّث الجزائري في الأنوار

هو أنّ الشيطان لمّا اخرج من الجنّة لم يقدر على الدّخول إليها بنفسه فأتى إلى جدار الجنّة ورأى الحيّة على أعلى الجدار ، فقال لها ادخليني الجنّة وأُعلّمك الاسم الأعظم ، فقالت له : الملائكة تحرس الجنّة فيرونك ، فقال لها : ادخل في فمك واطبقي عليّ حتّى أدخل ، ففعلت ، و من ثم صار السّم في أنيابها و في فمها لمكان جلوس ابليس فيه ، فلمّا أدخلته قالت له : أين الاسم الأعظم ؟ فقال لها : لوكنت أعلمه لما احتجت إليك في الدّخول ، فأتى إلى آدم و بدء به فقال :

(ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ).

ان تناولتما منها تعلما ن الغيب و تقدران على ما يقدر عليه من خصّه الله بالقدرة.

(أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ) لا تموتان أبداً (وَقاسَمَهُما) حلف لها (إِنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ).

وكان إبليس بين لحيي الحيّة و كان آدم يظنّ أنّ الحية هي التي تخاطبه و لم يعلم أنّ ابليس قد اختبي بين لحيي الحيّة فردّ آدم على الحيّة أنّ هذا من غرور إبليس كيف يخوننا ربّنا أم كيف تعظمين الله بالقسم به و أنت تنسبينه إلى الخيانة و سوء الظنّ وهوأكرم الأكرمين أم كيف أروم التّوصل إلى مامنعني منه ربي وأتعاطاه بغير حكمه ، فلمّا آيس إبليس من قبول آدم فأتى إلى حوّاء وخاطبها من حيث يوهمها هي التي تخاطبها (١) ، وقال : ياحوّاء أرأيت هذه الشّجرة التي كان الله عزّ وجلّ حرّمها عليكما فقد أحلّها لكما بعد تحريمها ، لما عرف من حسن طاعتكما له وتوقير كما إيّاه وذلك أنّ الملائكة الموكلين بالشّجرة الذين معهم الحراب يدفعون عنها ساير حيوانات الجنّة لا يدفعك عنها إذ رمتها فاعلمي بذلك أنّه قد أحلّ لك و ابشري بأنك إن تناولتها قبل آدم كنت أنت المسلطة عليه الآمرة النّاهية فوقها ، فقالت حوّاء سوف اجرّب هذا فرامت فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها ، فأوحى الله

---

(١) يعنى ان المخاطبة لها هي الحية منه .

إليهم إنّما تدفعون بحرابكم من لا عقل له بزجره ، فأمّا من جعلته ممكنا مميّزاً فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجّة عليه فان أطاع استحقّ ثوابي و جزائي ، فتركوها و لم يتعرضوا لها بعد ماهمّوا بمنعها بحرابهم ، فظنت أنّ الله مانهيهم ، لأنّه قد أحلّها بعد ماحرمها ، فقالت صدقت الحيّة وظنّت أنّ المخاطب بها الحيّة ، فتناولت منها و لم تنكر من نفسها شيئاً ، فاتت حواء إلى آدم فصارت عونا للشيطان عليه ، و قالت ألم تعلم أنّ الشّجرة المحرّمة علينا قد ابيحت لنا تناولتها و لم يمنعني منه أملاكها و لم انكر شيئاً من حالي ، و لذلك اغترّ آدم فقام آدم معها إلى الأكل من الشجرة فكانت أوّل قدم مشت إلى الخطيئة ، فلما مدّ أيديهما إليهاتطاير ماعليهما من الحليّ و الحلل و بقيا عريانين فأخذا من ورق التين فوضعاه على عورتيهما، فتطاير الورق فوضع آدم يده على عورته والأخرى على رأسه كما هوشأن العراة

ويستفاد من بعض الاخبار أنّ هذا هوالعلّة في وجوب الوضوء ، وهوما رواه الصّدوق طاب ثراه في الفقيه قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل و كان فيما سألوه أخبرنا يا محمّد لأيّ علّة توضأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد ؟ قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : لمّا أن وسوس الشّيطان إلى آدم عليه السلام دنا من الشّجرة فنظر إليهافذهب ماء وجهه ، ثمّ قام ومشى اليها وهي أوّل قدم مشت إلى الخطيئة ، ثمّ تناول بيده منهاماعليها فأكل فطار الحليّ والحلل عن جسده ، فوضع آدم يده على اُمّ رأسه وبكى فلمّا تاب الله عزّ وجلّ عليه فرض عليه وعلى ذريّته تطهير هذه الجوارح الأربع ، فأمر الله بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة ، و أمره بغسل اليدين إلى المرفقين لماتناول بهما ، وأمره بمسح الرّأس لما وضع يده على اُمّ رأسه وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة

وقد ذكرفيه علّة اُخرى له رواها عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام ولا ربط لها بالمقام ، و لا يذهب عليك أنّ توارد العلل المتعددة على معلول واحد في العناوين الشّرعيّة لا ضير فيه ، لأنّها من قبيل المعرفات و ليست عللا حقيقية كما هو ظاهر

الثاني

قد اختلف الأخبار كالأقوال في الشجرة المنهية ، ففي رواية أنها شجرة الحسد ، وفي اخرى أنها شجرة الكافور ، وفي ثالثة أنها شجرة الحنطة

و عن تفسير الامام أنها شجرة علم محمد و آل محمد عليهم السلام آثرهم الله بها دون ساير خلقه لا يتناول منها بأمر الله إلا هم ، و منها ماكان يتناوله النبي و علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بعد إطعامهم المسكين واليتيم والأسير حتى لم يحسوا بجوع ولاعطش ولاتعب ولانصب، وهي شجرة تميزت من بين ساير الأشجار بأن كلا منها إنما يحمل نوعاً من الثمار ، و كانت هذه الشجرة و جنسها تحمل البر والعنب والتين والعناب وساير أنواع الثمار والفواكه والأطعمة فلذلك اختلف الحاكون بذكرها ، فقال بعضهم: برة ، وقال آخرون: هي عنبة، وقال آخرون : هي عنابة و هي الشجرة التى من تناول منها باذن الله أُلهم علم الأولين والآخرين من غير تعلم ، ومن تناول بغير اذن الله خاب مراده وعصى ربه

و عن العيون باسناده إلى عبدالسلام بن صالح الهروى قال: قلت للرضا عليه السلام يابن رسول الله أخبرنى عن الشجرة التى أكل منها آدم و حواء ماكانت ؟ فقداختلف الناس فيها ، فمنهم من يروي أنها الحنطة ، ومنهم من يروي أنها العنب ، ومنهم من يروى أنها شجرة الحسد ، فقال عليه السلام : كلُّ ذلك حق ؟ قلت : فما معنى الوجوه على اختلافها ؟ فقال : يا أبا الصلت إن شجرة الجنة تحمل أنواعاً ، و كانت شجرة الحنطة و فيها عنب ليست كشجرة الدنيا ، و إن آدم لما أكرمه الله تعالى ذكره باسجاده ملائكته و بادخاله الجنة قال في نفسه : هل خلق الله بشراً أفضل مني ؟ فعلم الله عز وجل ما وقع في نفسه فناداه ارفع رأسك يا آدم و انظر إلى ساق عرشي ، فرفع رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً : لا إله الاالله محمد رسول الله علي بن أبى طالب أمير المؤمنين و زوجته فاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيد اشباب أهل الجنة ، فقال آدم : يا رب، من هؤلاء؟ فقال عز وجل : هؤلاء من ذريتك ، وهم خير منك و من جميع خلقي و لولاهم ما

خلقتك ولاخلقت الجنّة والنّار ولا السّمآء ولا الأرض فايّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد فاخرجك عن جواري فنظر إليهم بعين الحسد و تمنى منزلتهم فتسلط عليه الشّيطان حتى أكل من الشّجرة التى نهى عنها و تسلط على حوآء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتّى أكلت من الشّجرة كما أكل آدم ، فأخرجهماالله عن جنّته و أهبطهما عن جواره إلى الارض .هذا

و قال بعض العارفين : (١) كما أنّ لبدن الانسان غذاءمن الحبوب و الفواكه ، كذلك لروحه غذاء من العلوم والمعارف ، و كما أنّ لغذاء بدنه أشجاراً تثمرها ، فكذلك لروحه أشجار تثمرها و لكلّ صنف منه ما يليق به من الغذاء ، فانّ من الانسان من يغلب فيه حكم البدن على الرّوح ، ومنهم من هو بالعكس ، ولهم في ذلك درجات يتفاضل بها بعضهم على بعض ، و لأهل الدّرجة العليا كل ما لأهل الدرجة السّفلى و زيادة ، و لكلّ فاكهة في العالم الجسماني مثال في العالم الرّوحاني مناسب لها ، و لهذا فسّرت الشّجرة تارة بشجرة الفواكه ، و اخرى بشجرة العلوم، و كان شجرة علم محمد إشارة إلى المحبوبيّة الكاملة المثمرة لجميع الكمالات الانسانية المقتضية للتوحيد المحمدي الذي هو الفنآء في الله والبقآء بالله المشار إليه بقوله ﷺ : لي مع الله وقت لايسعني فيه ملك مقرّب ولانبيّ مرسل ، فان فيها من ثمار المعارف كلّها، و شجرة الكافور إشارة إلى برد اليقين الموجب للطمأنينة الكاملة المستلزمة للخلق العظيم الذي كان لنبيّنا ﷺ و دونه لأهل بيته ، فلا منافاة بين الرّوايات ولابينها و بين ما قالها أهل التأويل إنّها شجرة الهوى والطبيعة لأنّ قربها إنّما يكون بالهوى والشهوة الطبيعية ، و هذا معنى ما ورد أنّها شجرة الحسد: فانّ الحسد إنّما ينشأ منها، انتهى

وقد تلخّص منه ومن الرّوايات السّالفة أنّ آدم كما أكل من الشّجرة المنهية التى هي شجرة الفاكهة في عالم الظاهر ، فكذلك أكل في عالم الباطن والحقيقة من الشجرة

---

١ ــ هو الفيض ، م ،

المختصة بآل محمد عليهم السّلام التي غرسها الله لهم بيد قدرته، فطابق ظاهره وباطنه في ارتكاب الخطيئة و كان ذلك سبباً لاهباطه إلى دار البليّة.

و في بعض الأخبار أنّ ذلك أيضاً سبب لوجوب غسل الجنابة و لزيادة حظّ الذكر من الانثى في الميراث.

و هو مارواه الصّدوق في الفقيه قال: جآء نفر من اليهود إلى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما سأله أن قال: لأيّ شيء أمر الله تعالى بالاغتسال من الجنابة ولم يأمر بالغسل من الغائط والبول؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ آدم لمّا أكل من الشّجرة دبّ(١) ذلك في عروقه و شعره وبشره، فاذا جامع الرّجل أهله خرج المآء من كلّ عرق وشعرة في جسده، فأوجب الله تعالى على ذرّيته الاغتسال من الجنابة إلى يوم القيامة، والبول يخرج من فضلة الشّراب الذي يشربه الانسان، والغايط يخرج من فضلة الطعام الذي يأكله الانسان، فعليه في ذلك الوضوء، قال اليهودي: صدقت يا محمد.

و في العيون باسناده عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام في حديث الشّامي مع أمير المؤمنين عليه السلام و سأله لم صارت الميراث للذّكر مثل حظّ الانثيين؟ فقال عليه السلام: من قبل السّنبلة كانت عليها ثلاث حبّات، فبادرت إليها حوّاء فأكلت منها حبّة وأطعمت آدم حبّتين، فلذلك ورث الذّكر مثل حظّ الانثيين.

الثالث

اعلم أنّ النّاس اختلفوا في عصمة الأنبيآء عليهم السّلام على أقوال شتّى، و ينبغي أن نشير أوّلا إلى معنى العصمة.

فنقول: العصمة في اللّغة اسم من عصمه الله من المكروه يعصمه من باب ضرب أى حفظه ووقاه ومنعه عنه، وفي الاصطلاح هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها.

و قيل هي ملكة تمنع الفجور و يحصل بها العلم بمعايب المعاصي و مناقب الطاعات.

١- دب يدب دبا و دبيبا الماشي على الارض، ق.

و قال الراغب : هي فيض إلهيّ يقوي بها الانسان على تحرّي الخير و تجنّب الشرّ حتّى تصير كمانع له وان لم يكن منعاً محسوسا.

و قال العلاّمة في الباب الحادي عشر : العصمة لطف خفي يفعل الله تعالى بالمكلف بحيث لايكون لـه داع إلى ترك الطاعة و ارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك .

و قال المرتضى في كتاب الدّرر والغرر : العصمة هي اللّطف يفعله الله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح ، فيقال على هذا : إنّ الله عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح ، و يقال : إنّ العبد معصوم ، لأنّه اختار عند هذا الدّاعي الذي فعل له الامتناع من القبيح ، و أصل العصمة في موضوع اللّغة المنع ، يقال : عصمت فلانا من السّوء إذا منعت من حلوله به ، غير أنّ المتكلمين أجروا هذه اللّفظة على من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به ، لأنّه إذا فعل ما يعلم أنّه يمتنع عنده من فعل القبيح فقد منعه من القبيح فأجروا عليه لفظة المانع قهراً و قسراً و أهل اللغة يتعارفون ذلك أيضاً و يستعملونه ، لأنّهم يقولون فيمن أشار على غيره برأى فقبله منه مختاراً ، واحتمى بذلك من ضرر يلحقه وسوء يناله أنّه حماه (١) من ذلك الضّرر ومنعه وعصمه منه ، و ان كان على سبيل الاختيار انتهى.

وقد ظهر ممّا ذكرنا كلّه أنّ العصمة ملكة مانعة عن ارتكاب المعاصي وموجبة لاتيان الطاعات على وجه الاختيار ، فما ذهب إليه بعضهم من أنّ المعصوم مجبول عليهما و أنّه لايمكنه الاتيان بالمعاصي باطل جدّاً و إلا لما استحقّ مدحاً كما هو ظاهر .

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ النّاس اختلفوا في عصمة الأنبياء على أقوال كثيرة قال الفخر الرّازي و ضبط القول فيه أن يقال : الاختلاف في هذا الباب يرجع إلى أقسام أربعة :

١ـ أى حفظه .

أحدها ما يقع فى باب الاعتقاد.

و ثانيها ما يقع في باب التّبليغ.

و ثالثها في باب الأحكام والفتيا.

و رابعها ما يقع على أفعالهم و سيرتهم.

أمّا اعتقادهم الكفر والضّلال فان ذلك غير جايز عند أكثر الأمّة، و قالت الفضلية من الخوارج: إنّهم قد وقعت منهم الذنوب والذنب عندهم كفر و شرك فلا جرم قالوا: بوقوع الكفر منهم، و أجازت الاماميّة عليهم إظهار الكفر على سبيل التقيّة.

أمّا النّوع الثّاني وهومايقع بالتّبليغ فقد أجمعت الأُمّة على كونهم معصومين عن الكذب والتّحريف فيما يتعلّق بالتبليغ، و إلاّ لارتفع الوثوق بالأداء، و اتفقوا على أن ذلك كمالايجوز وقوعه منهم عمداًلايجوز أيضاً سهواً، و من النّاس من جوّز ذلك سهواًقالوا: لأنّ الاحتراز عنه غير ممكن.

و أمّا النّوع الثّالث و هو ما يتعلّق بالفتيا فأجمعوا على أنّه لايجوز خطاؤهم فيه على سبيل التّعمد، و أمّا على سبيل السّهو فجوّزه بعضهم، وأباه آخرون.

و أمّا النّوع الرّابع و هو الذي يقع في أفعالهم فقد اختلفت الامة فيه على أقوال خمسة:

أحدها قول من جوّز عليهم الكبائر على جهة العمد وهو قول الحشويّة.

والثّاني قول من لايجوّز عليهم الكبائر لكنّه يجوّز عليهم الصّغائر على جهة العمد إلاّ ماينفر كالكذب والتّطفيف، و هذا قول أكثر المعتزلة.

القول الثّالث أنّه لايجوز أن يأتوا بصغيرة ولا بكبيرة على جهة العمد ألبتّة، بل على جهة التّأويل وهو قول الجبائي.

القول الرّابع أنّه لايقع منهم الذنب إلاّ على جهة السّهو والخطاء، ولكنّهم مأخوذون بما يقع منهم على هذه الجهة و ان كان ذلك موضوعاً عن امتّهم، و ذلك

لأنّ معرفتهم أقوى و دلائلهم أكثر ، و أنّهم يقدرون من التحفّظ على مالا يقدر عليه غيرهم.

القول الخامس أنّه لايقع منهم الذّنب لاالكبيرة ولا الصغيرة لا على سبيل القصد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التّأويل والخطاء وهو مذهب الرّافضة.

و اختلف النّاس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال :

أحدها قول من ذهب أنّهم معصومون من وقت مولدهم ، وهو قول الرّافضة.

و ثانيها قول من ذهب إلى أنّ وقت عصمتهم وقت بلوغهم ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفروا لكبيرة قبل النّبوة ، وهو قول كثير من المعتزلة.

و ثالثها قول من ذهب إلى أنّ ذلك وقت النّبوة ، أمّا قبل النّبوة فجائز و هو قول أكثر اصحابنا و قول أبي الهذيل و أبي علي من المعتزلة ، انتهى ما اهمنا نقله من كلامه.

وقد ظهر منه أنّ الشيعة لايجوّزون عليهم المعاصي مطلقا.

و أمّا ما ذكره من أنّ الاماميّة أجازت عليهم إظهار الكفر على سبيل التقية فهو افتراء عليهم ، و إنّما هو شيء ذكره صاحب المواقف ، و كيف يجوّزون إظهار الكفر للأنبياء والأئمة مع تأيدهم بالنّفوس القدسيّة والقوى الرّبانية ، و ما هذه النّسبة إلاّ فرية بيّنة و بهتان عظيم.

و أمّا ما ذكره من أنّ الشّيعة لايجوّزون عليهم المعاصي مطلقا فهوحق ولهم على ذلك أدلة عقليّة و نقليّة ذكروها في كتبهم الكلاميّة والتفاسير القرآنية .

منها أنّ متابعة النّبي واجب لقوله : فاتبعونى ، فلو كان عاصياً وجب الاقتداء عليه في معصيته فيفضي إلى الجمع بين الحرمة والوجوب وهومحال و إذا ثبت ذلك في حقّ النّبيّ ثبت في حقّ ساير الأنبياء لعدم القول بالفصل .

و منها أنّه لو أقدم على المعصية لوجب زجره عنها من باب النّهي عن المنكر مع أنّ زجرهم و ايذائهم محرّم لقوله :

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ).

و منها أنّه لاشيء أقبح عند العقل من نبي رفع الله درجته و ائتمنه على وحيه وجعله خليفة في بلاده وعباده يسمع نداء ربه أن لاتفعل كذا فيقدم عليه ترجيحاً للذته و غير ملتفت إلى نهي ربّه ولا منزجر بوعيده هذا معلوم القبح بالضرورة.

و منها أنّه لولم يكونوا معصومين لانتفت فايدة البعثة واللاّزم باطل فالملزوم مثله ، بيان الملازمة أنّه إذا جازت المعصية عليهم لم يحصل الوثوق بصحة قولهم لجواز الكذب حينئذ عليهم ، وإذا لم يحصل الوثوق لم يحصل الانقياد لأمرهم ونهيهم فينتفي فائدة بعثتهم وهومحال هذا.

وقد ذكروا أدلة كثيرة وراء ما ذكرنا عليك بمطالبتها من مواقعها.

فان قلت : غايةما يستفاد من تلك الأدلة هو كونهم معصومين بعد البعثة على ما ذهب إليه الأشاعرة وطائفة من المعتزلة . ولا دلالةفيها على وجوب العصمةقبلها أيضاً كماهو مذهب الشّيعة.

قلنا : إذا تمّت دلالتها على ما بعد البعثة فنقول فيما قبل البعثة : إنّ من الواضح أنّ القلوب تشمئز ولا ينقاد إلى طاعة من عهد منه في سالف عمره أنواع المعاصي والكبائر و ما تنفر النّفس عنه ، ألا ترى أن عالما لم يكن له مبالاة في أفعاله و أقواله قبل تحصيله و في أيّام صغره، لايكون له وقع في القلوب بعدما كمل و بلغ من العلم والكمال غايته.

إذا مهدت هذا فنقول : ما ورد في الكتاب العزيز والأخبار مما يوهم صدور الذّنب عنهم الذي جعله الخصم دليلا على مذهبه لابدّ من حمله على ترك الأولى جمعاً بينها و بين أدلة العصمة العقليّة والنّقليّةمع أنّ جميع الأدلة الموهمةلخلاف العصمة قد ذكر له وجوه و محامل في مواضعه و عليك في ذلك بمطالعة كتاب تنزيه الأنبياء الذي رتّبه علم الهدى المرتضى رضي الله عنه و غيره من الكتب المعدة لذلك، ولولاخوف الاطالة لذكرنا نبذة منه إلاّ أنّه لابأس بذكر مايوهم ذلك في قصة

آدم عليه السلام الذي تمسّك به الخصم وهو سبعة أوجه.

الأوّل أنّه كان عاصياً لقوله :وعصى آدم ربّه ، والعاصي صاحب الكبيرة لأنه فد توعد عليه بالعقاب،قال سبحانه :

(وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ).

الثّاني أنّه كان غاويا لقوله: فغوى ، والغيُّ ضدّ الرّشد يدلّ عليه المقابلة في قوله:

(قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ).

الثّالث أنّه تائب لقوله:

(ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ).

و التّوبة إنّما هو عن الذنب.

الرّابع ارتكابه المنهي عنه كما يشهد به توبيخه بقوله:

(أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ). و يدلّ عليه قوله :

(وَلا تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ).

و مرتكب المنهي عنه مذنب.

الخامس أنّه ظالم لقوله :

(فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ) وقوله حكاية عنهما (رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا).

والظلم ذنب بالضرورة .

السّادس اعترافه بأنّه لولا مغفرة الله إيّاه لكان خاسراً في قوله :

(وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ).

والخسران إنّما يكون عن الذّنب .

السّابع أنّه أخرج من الجنّة بسبب إطاعته للشّيطان وقبوله لوسوسته وازلاله و ذلك يقتضي كونه مذنبا هذا .

والجواب عن الأوّل أنّ كون آدم عاصياً مسلّم ، و أمّا أنّ كلّ عاص صاحب كبيرة فممنوع ، لأنّ المعصية عبارة عن مخالفة الأمر واجباً كان أومندوباً ، فانّهم يقولون أشرت عليه في أمر ولده في كذا فعصاني ، بل يطلق على مخالفة الاوامر الارشاديّة أيضاً كما يقولون : أمرته بشرب الدواء فعصاني ، وقال عمرو بن العاص لمعاوية :

أمرتك أمراً جـازماً فعصيتني   و كان من التّوفيق قتل ابن هاشم

و قال ابن المنذر ليزيد بن المهلب أمير خراسان :

أمرتك أمراً جازماً فعصيتني   فأصبحت مسلوب الامارة نادماً

إذا عرفت ذلك فنقول : لايمتنع اطلاق اسم العصيان على فعل آدم عليه السلام ، لالكونه تاركا للواجب ، بل لكونه تاركا للأولى من باب حسنات الأبرار سيئات المقرّبين وأمّا ما قيل في الاستدلال من أنّ العاصي قد توعد عليه بالعقاب في قوله : و من يعص الله الاية ، فنقول : إنّ الآية و إن كانت مفيدة للعموم بدلالة لفظة من إلاّ أنّها مخصوصة بالعاصي بترك الأوامر الواجبة، لامطلق الأوامر ضرورة أنّ المندوب لاعقاب على تركه.

و يشهد بما ذكرنا من عدم كون الأمر في المقام إلزاميّا أنّه على تقدير كونه للالزام لزم استحقاق آدم للعقاب بنصّ الآية الشريفة أعني قوله : و من يعص الله الاية و كيف لأحد أن يجترى و يجسر على هذه الدّعوى و يجيز العقـاب على الأنبياء الذين هم أعلام الهدى و العروة الوثقى إن هذا إلاّ بهتان عظيم و افتراء.

و عن الثّاني سلّمنا أنّ الغيّ عبارة عن ضدّ الرّشد إلاّ أنّ الرّشد هو أن يتوصل بشيء إلى شيء يوصل إلى المقصود، فمن توصّل بشيء إلى شيء فحصل له ضدّ مقصوده كان ذلك غيّا كما قال الشّاعر :

فمن يلق خيراً يحمد النّاس أمره   و من يغو لم يعدم على الغيّ لائماً

و على ذلك فمعنى قوله سبحانه : فغوى ، فخاب ممّا كان يطمع فيه بأكل الشّجرة من الخلود في الجنّة والملك الدّائم .

و عن الثّالث أنّا نمنع من أنّ التّوبة لايكون إلاّ عن ذنب لأنّه عبارة عن

الندم على ما مضى فيجوز على ترك المندوب و سيأتي تحقيق له في الفصل الآتي.

و عن الرابع المنع من كون مرتكب المنهي عنه مذنبا مطلقا و إنما هوفي ارتكاب المناهي التحريمية، و أما مخالفة النهي التنزيهي فلايكون ذنباً، و ذلك لأن آدم كان مند إلى ترك التناول من الشجرة و كان بالتناول منها تاركا نفلا و فضلا ولم يكن فاعلا للقبيح، لأن القبيح ما يستحق فاعله للعقاب و قد علمت أن العقاب منفي عن الأنبياء، و من أجاز العقاب عليهم فقد أساء عليهم الثناء و أعظم الفرية على الله تعالى.

فان قيل: ألم يكن إخراج آدم و إهباطه إلى الأرض عقوبة له؟

قلت: إن آدم لم يكن مخلوقا للجنة و إنما خلقه الله سبحانه ليكون خليفة في الأرض كما يشهد به إخباره سبحانه للملائكة قبل خلق آدم بقوله:

(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً).

و إنما كان إسكانه في الجنة من باب التفضل والاكرام.

و عن الخامس بأن الظالم ربما يقال على من بخس نفسه الثواب، فنقول: لاشك انه كان تاركاً للأفضل مع القدرة على تحصيل الأفضل فكان ذلك ظلماً على نفسه فالظلم هوالنقص و بخس الثواب بترك المندوب،

و عن السادس بأن الخسران عبارة عن عدم الربح، و من الواضح أنه لولم يقدم على أكل الشجرة حصل له الثواب الموعود من الله سبحانه من الأكل الرغيد والعيش السعيد، وبالاقدام عليه حصل له الخسران و فوت المنفعة على نفسه وحاصله منع أن الخسران لايكون إلا عن ذنب.

و عن السابع بما ذكرناه سابقا من أن آدم خلق لأن يكون خليفة في الأرض و ليس في إهباطه إلى الأرض دلالة على كونه مذنبا، نعم يمكن أن يقال: إن تركه للأولى كان سبباً لتعجيل الهبوط ، لاحتمال تغير المصلحة في البقاء بحصول الأكل هذا.

و بقي الكلام في أن أكل آدم من الشجرة هل كان على سبيل السهو والنسيان أو على سبيل العمد والقصد.

المستفاد من بعض الأخبار هو الأول، و هو رواية علي بن ابراهيم عن أبي جعفر عليه السلام التي سبقت عند شرح قوله عليه السلام و العزيمة بوهنه.

وربما اورد عليه بأنه لو كان ناسياً لما عوتب على ذلك الفعل، لعدم القدرة على الترك مع النسيان و تكليف الغافل قبيح عقلا.

و فيه أن العتاب يحتمل أن يكون على ترك التحفظ لأن استقلال العقل بقبح المؤاخذة على النسيان مطلقا ممنوع لأن النسيان الصادر عن ترك التحفظ لايقبح المؤاخذة عليه، و لذلك صح دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم و استيهابه لها من ربه ليلة المعراج بقوله:

(رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا) الآية.

وهذه المؤاخذة هي التي من برفعها على أمة النبي صلى الله عليه وآله و خصت به من بين الأمم كما يدل عليه حديث رفع التسعة الذي رواه الصدوق في الخصال والتوحيد عن النبي صلى الله عليه وآله.

وهو أنه صلى الله عليه وآله قال: رفع عن أمتي تسعة أشياء: الخطاء، والنسيان، وما استكرهوا عليه، ومالايعلمون، وما لايطيقون، وما اضطروا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق الانسان بشفة، وبالجملة المؤاخذة على النيسان مع التحفظ قبيحة عقلا واجماعاً، وأما مع عدمه فليس فيها قبح، ولذلك استوهبها النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج ومن الله على امته برفعها منها من باب التفضل والانعام

و أما الثاني أعني إقدامه على الأكل مع العمد فقد ذهب إليه جمع من المفسرين من العامة والخاصة، ثم اختلفوا فيه على أقوال

أحدها أن ذلك النهى كان نهى تنزيه لانهى تحريم، و قد علمت أنه مذهب الامامية.

الثاني أنّه كان عمداً من آدم وكان ذلك كبيرة وكان آدم نبيّاً في ذلك الوقت وهومذهب الفضلية من الخوارج خذلهم الله

الثالث ما عزاه الفخر الرازي إلى أكثر المعتزلة ، وهو أنّه أقدم على الأكل بسبب اجتهاد أخطأ فيه ، وذلك لا يقتضي كون الذّنب كبيرة ، بيان الاجتهاد والخطاء أنّه لمّا قيل له ولا تقربا هذه الشّجرة فلفظة هذه قد يراد بها الشّخص ، وقد يشار بها إلى النّوع ، فلمّا سمع آدم قوله : ولاتقربا هذه الشّجرة ، ظنّ آدم أنّ المراد بها الشّجرة المشخّصة المعينة . فترك الأكل منها وتناول من شجرة اخرى من نوعها إلاّ انّه كان مخطئاً في ذلك الاجتهاد ، لأنّ مراده سبحانه من كلمة هذه كان النّوع لا الشّخص ، والخطاء في الفروع إذا كان خطاء لايوجب استحقاق العقاب ، لاحتمال كونه صغيرة مغفورة كما في شرعنا

أقول: ومثل هذه المقالة قد ورد في بعض أخبارنا ، وهو مارواه الصّدوق في العيون كالطبرسي في الاحتجاج عن عليّ بن محمّد بن الجهم ، قال حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام ، فقال له المأمون : يابن رسول الله أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون ؟ قال : بلى ، فقال : مامعنى قول الله عزّ وجل :

(وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ).

فقال عليه السلام : إنّ الله تبارك وتعالى قال لآدم

(أَسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ).

وأشار لهما إلى شجرة الحنطة

(فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ).

ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشّجرة ولا ممّا كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة وإنّما أكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشّيطان إليهما وقال : إنّما نهيكما

ربكما عن هذه الشجرة وما نهيكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها :

(إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ).

ولم يكن آدم وحوّاء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً

(فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَأَكَلَا مِنْهَا).

ثقة بيمينه بالله و كان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق دخول النار به و إنّما كان من الصغاير الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي إليهم فلمّا اجتبيه الله وجعله نبيّاً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله :

(وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ) وقال: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) الحديث

أقول : و هذا الحديث كما ترى مطابق لمذهب المعتزلة كما حكيناه عنهم ، ومخالف لاصول الامامية لتصريح ذيله بجواز صدور الصغيرة على الأنبياء قبل نزول الوحي فلابد

إمّا من طرحه لضعف سنده من حيث الارسال كما في الاحتجاج ، أو انتهاء سلسلة السند إلى تميم بن عبدالله بن تميم القرشي كما في العيون ، فانّ السّند فيه حدثنا تميم بن عبدالله بن تميم القرشي ، قال حدثني أبي عن حمدان بن سليمان النيسابوري عن عليّ بن محمد بن الجهم ، وقد ضعّفه العلامة في الخلاصة حيث قال :

تميم بن عبدالله بن تميم القرشي الذي روى عنه أبوجعفر محمد بن بابويه ضعيف

أو حمله على التقيّة وإن بعدت ، أو تأويله بما يطابق اصول المذهب ، و قد أوّله الطبرسي على ما رأيته في حاشية بعض نسخ الاحتجاج بقوله : ولعلّ الرضا عليه السلام أراد بالصّغاير الموهوبة ترك المندوبة وارتكاب المكروه من الفعل دون الفعل القبيح

وفيه أنّ ما ذكره وإن كان مقتضى أصول المذهب إلاّ أنّ تأويل الرّواية به غير ممكن ، لأنّ الصغاير بالمعنى الذي ذكره لا اختصاص لها بما قبل نزول الوحى حسبما ورد في الرّواية ، ولايجب العصمة عنها بعد النبوة أيضاً كما يفهمه قوله ﷺ : فلمّا اجتبيه الله وجعله نبيّاً كان معصوماً لا يذنب صغيرة

و مثل هذا الاشكال يلوح على رواية اخرى نظير تلك الرّواية ، وهي ما رواه في العيون أيضاً باسناده عن أبي الصّلت الهروى قال لمّا جمع المأمون لعليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام أهل المقالات من أهل الاسلام والدّيانات من اليهود والنّصارى والمجوس والصابئين وساير أهل المقالات ، فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجّته كأنّه ألقمه حجراً ، قام إليه عليّ بن محمّد بن الجهم ، فقال له يابن رسول الله : أتقول : بعصمة الأنبياء عليهم السلام ؟ قال ﷺ : نعم ، قال : فما تقول بقول الله :

(وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ).

إلى أن قال : فقال الرّضا ﷺ : ويحك ياعليّ اتّق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأوّل كتاب الله برأيك فانّ الله عزّ وجل قد قال :

(وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) .

و أمّا قوله عزّ وجلّ في آدم : و عصى آدم ربه فغوى فانّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفة في بلاده ، لم يخلقه للجنّة و كانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض وعصمته يجب أن يكون في الأرض ليتمّ مقادير أمر الله ، فلمّا اهبط إلى الأرض و جعل حجّة وخليفة عصم بقوله عزّ وجل :

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)

الحديث ، وعسى أن يكون للرّوايتين تأويل عند غيرى وفوق كلّ ذى علم عليم هذا

و يلوح على الرّواية الاولى إشكال آخر وهو أنّه ﷺ قد ذكر أنّ المشار إليها بقوله ولا تقربا هذه الشّجرة شجرة الحنطة ، ولم يقل لهما : لا تأكلا من هذه

الشّجرة ، ولا ممّا كان من جنسها فلم يقربا هذه و إنّما أكلا من غيرها بتدليس ابلَيس .

و حاصل الاشكال أن يقال : المشار إليها بهذه إمّا أن تكون شخص الشجرة ، و إمّا أن تكون نوعها ، فعلى الأوّل لايكون أكله من غيرها ممّا هي من نوعها تركاً للأولى على مذهبنا و ذنبا على مذهب غيرنا ، فأيّ توبيخ كان من الله سبحانه عليه في فعله ذلك ، و على الثّاني كيف يمكن تدليس الشّيطان لهما بقوله : انّما نهيكما ربّكما عن هذه الشّجرة و ما نهيكما أن تقربا غيرها حسبما ورد في الرّواية مضافا إلى أنّ اللاّزم على الله سبحانه نصب القرينة على إرادة النّوع ، بأن يقول : ولا تقربا هذه الشّجرة ولا غيرها ممّا كان من نوعها ، لقبح الاغرآء بالجهل وتأخير البيان عن وقت الحاجة.

و يمكن رفع الاشكال بأن يقال : إنّ المنهيّ عنه إنّما كان نوع الشّجرة ، و كلمة هذه قد يشار بها إلى الشخص، وقد يشار بها إلى النّوع ، فقوله : ولاتقربا هذه الشّجرة، مع عدم نصب القرينة من قبيل الخطاب بالمجمل لا أنّ الخطاب مجمل بل متعلّق الخطاب أعني المكلّف به مردّد بين الكلّي والفرد ، و نفس الخطاب أعني التّكليف بالاجتناب معلوم ، فاللاّزم على آدم عليه السلام حينئذ هو الاحتياط بالاجتناب عن جميع الأفراد ، و قد دلسه الشّيطان و أوقعه في خلاف الاحتياط المقتضي للاجتناب ، و قال له إنّ الله حيث لم ينصب قرينة على ارادة النّوع فقد أباح النّوع إلاّ الفرد الخاصّ فأكل من غير ذلك الفرد و استحقّ التّوبيخ ، وهذا ليس من قبيل الاغرآء بالجهل ، ولامن قبيل تاخير البيان عن وقت الحاجة ، إذ نفس التكليف قد كان معلوماً بالعلم التّفصيلي لاجهالة فيه أصلا ، ولاحاجة له إلى البيان غاية الأمر كون المكلف به مجملا مردّداً بين أمرين والعقل حاكم فيه بوجوب الاحتياط بترك المحتملات ، هذا ما تقدم الخاطر القاصر في المقام ، والعلم بحقايق الأمور والأحكام لله ولاوليائه الكرام عليهم السّلام.

الترجمة

پس از آن ساکن گردانید حق سبحانه و تعالی جناب آدم علی نبینا وآله وعلیه‌السلام را در سرائیکه وسیع نمود در آن عیش اورا ، و ایمن ساخت در آن محل او را از مکاره و آفات ، و بترسانید او را از ابلیس لعین و دشمنی او ، پس فریفته ساخت او را دشمن اوبجهت بخل وحسد او بسکون او در سرای اقامت که بهشتست و به رفیق شدن او با نیکوکاران که ملائکهٔ مقربین اند ، پس بفروخت یقین بعداوت ابلیس را بشک در عداوت بجهت قسم خوردن او بخداوند که من از ناصحین هستم ، و بفروخت عزیمت و اهتمامیکه داشت در نخوردن ازشجره بوهن و سستی خود که عارض شد اورا بجهة تدلیس ابلیس ، و استبدال کرد وبدل نمود فرح وسرور را بخشیت و ترس ، وعزت و بزرگی را بندامت و پریشانی .

الفصل الثالث عشر

ثُمَّ بَسَطَ اللهُ لَهُ في تَوْبَتِهِ، وَلَقّٰيهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ ، وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ إلىٰ جَنَّتِهِ.

اللغة

(التّوبة) الانابة و أصلها الرّجوع عمّا سلف والنّدم على ما فرط و (لقيه) ألقاه من باب تعب لقيا استقبله وكلّ شيء استقبل شيئاً أوصادفه فقد لقيه قال الطبرسي(ره) في تفسير: فتلقى آدم من ربه كلمات : التّلقي نظير التلقن يقال: تلقيت منه أى أخذت و قبلت ، و أصله من لقيت خيراً فيعدى إلى مفعول واحد ثم يعدي إلى مفعولين بتضعيف العين ، نحو لقّيت زيداً خيراً كقوله تعالى :

« وَ لَقّٰيهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً »

أقول : و مثله قول الامام عليه السلام : ولقّيه كلمة رحمته ، و حكى الفخر الرازى عن القفال قال : أصل التّلقي التعرض للقادم (١) يوضع في موضع الاستقبال للشيء

١ــ اقول : ومنه تلقى الركبان الوارد في الاخبار وفي الكتب الفقهية ، منه .

الجائي ، ثم يوضع موضع القبول والأخذ قال الله:

(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) .

أى تلقنه ، و يقال : تلقينا الحاج أى استقبلناه ، ويقال : تلقيت هذه الكلمة من فلان أى أخذتها منه ، و إذا كان هذا أصل الكلمة و كان من تلقى رجلا فتلاقيا لقى كلّ واحد صاحبه فاضيف الاجتماع إليهما معاً ، صلح أن يشتركا في الوصف بذلك ، فيقال : كلّ ما تلقيته فقد تلقاك ، فجاز أن يقال : تلقى آدم كلمات أى أخذها ووعاها و استقبلها بالقبول ، و جاز أن يقال تلقى كلمات بالرّفع على معنى جائته عن الله كلمات و (المردّ) كالردّ مصدر من ردّه إذا صرفه .

الاعراب

مفعول بسط محذوف ، والتّقدير بسط الله له بساط رحمته و كرامته في توبته ، بأن جعلها مقترنة بالقبول ، و على ما في بعض النّسخ من انتفاء كلمة له يجوز جعل بسط بمعنى سرّ يقال : بسط فلانا ، أى سره فالمفعول حينئذ الضّمير المحذوف الرّاجع إلى آدم عليه السلام.

المعنى

(ثم) إنّ آدم ﷺ لمّا اغترّه عدوّه و أكل من الشّجرة و ارتكب خلاف الأولى و استبدل الاعتزاز بالندم (بسط الله له) بساط رحمته و كرامته (في توبته) بأن ألهمها إليه و تقبلها بقبول حسن (و لقّيه) أى لقنه (كلمة رحمته) التي اشير إليها في قوله سبحانه:

(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

(و وعده المردّ) و الرّجوع (الى جنته) كما قال سبحانه في سورة البقرة :

(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وفي سورة طه (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) .

تنبيهات الاول

أنّ ظاهر كلام الامام ﷺ كون توبة آدم قبل الاهباط من الجنّة حيث عطف الاهباط على بسط التّوبة ، و هو مقتضى التّرتيب الذكري في الآية من سورة طه ، قال سبحانه :

(وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً). حيث جعل الأمر بالهبوط بعد التوبة

قال الشّارح المعتزلي و ذلك أحد قولي المفسرين اه ، ولكن الأشهر أنّ التّوبة كانت بعد الهبوط كما ورد في سورة البقرة قال سبحانه:

(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

والأقوى عندي كون التّوبة بعد الاهباط على ما ورد في سورة البقرة، فيكون كلام الامام ﷺ من قبيل التقديم والتأخير، والتقدير فاستبدل بالجذل و جلا وبالاعتزاز ندماً فأهبطه الله إلى دار البليّة و تناسل الذرّيّة ، ثمّ بسط في توبته و لقّيه كلمة رحمته،

فان قلت : مقتضى النّظم حسبما ذكرت في إحدى الآيتين مخالف للأخرى ظاهراً فما الدّليل على ترجيح ما يستفاد من آية البقرة ؟ ثم على تقدير وجود الدّليل ما السّر في تقديم التّوبة على الاهباط في آية طه ؟

قلت : أمّا السّر فيما ذكر فلعلّه هو أنّه سبحانه لما نسب إلى آدم العصيان والغيّ الظاهرين في صدور الذّنب الموهمين للافتضاح و سقوطه عن رتبة النّبوة والاصطفاء، كما سبق إلى ذوي الافهام القاصرة والعقول النّاقصة من العامة العمياء،

فانّهم و إن لم يقرّوا بذلك إلاّ أنّه لازم كلامهم نظراً إلى أنّ المذنب لا يكون نبيّاً كما عرفت في الفصل السّابق ، اقتضى (۱) الحال والمقام أن يعقّبه بما يوجب دفع ذلك التّوهم وينبه على أنّ صدور ذلك لم يوجب انحطاط رتبته بحيث يسلبه التّوفيق والألطاف الخفيّة بالكلّية ، و يكون موجباً للخذلان والحرمان فعقّبه من دون فصل بما أفاد كونه مجتبى و مرتضى ، و أن صدور ذلك الفعل لم يسقطه عن الاستعداد والقابليّة للعناية الرّبانية ، كما قدم الاجتباء على التّوبة لذلك السر أيضاً وهو زيادة إشعاره بدفع ذلك التّوهم فاقتضى الحال تقديمه

و أمّا سورة البقرة فقد جرت الحكاية فيها على ما هو الأصل فيها من المطابقة للمحكي، وهذا السّر ممّا لم يسبق إليه أحد غيرى من العلماء والمفسرين والله العالم.

و أمّا الدّليل على تقدّم الاهباط على التوبة فهو الأخبار الكثيرة

منها مارواه عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره عن الصّادق عليه السلام قال : فاهبط آدم على الصفا، و إنّما سميت الصفا لأنّ صفوة الله نزل عليها ونزلت الحوّاء على المروة، وانما سميت المروة لأنّ المرأة نزلت عليها، فبقي آدم أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة فنزل عليه جبرئيل فقال يا آدم : ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته ؟ قال : بلى ، قال : وأمرك أن لا تأكل من الشّجرة فلم عصيته ؟ قال : ياجبرئيل إنّ إبليس حلف لي بالله انه لي ناصح وماظننت أن أحداً من خلقه يحلف بالله عزّ وجل كاذبا ، فقال له جبرئيل : يا آدم تب إلى الله .

ومنها مارواه أيضاً باسناده عنه عليه السلام ، قال : إنّ آدم بقي على الصّفا أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة ، وعلى خروجه من جوار الله عزّ وجلّ ، فنزل جبرئيل فقال : يا آدم مـا لك تبكي ؟ فقال : يا جبرئيل ما لي لا أبكي وقد أخرجني الله من جواره وأهبطني إلى الدّنيا ، فقال : يا آدم تب إليه الحديث ويأتي بتمامه إنشاءالله في أواخر الخطبة (۲) عند شرح اعلام الحج

ومنهاما رواه في البحار عن معاني الأخبار عن العجلي عن ابن زكريّا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن محمد بن سنان عن المفضّل قال : قال أبوعبدالله عليه السلام

۱ـ جواب لما، منه ۲ـ في الفصل الثاني عشر عند شرح قوله: ووقفوا مواقف انبيائه، منه

إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين والأئمة من بعدهم صلوات الله عليهم فعرضها على السّماوات و الأرض والجبال، فغشيها نورهم فقال الله تبارك و تعالى للسماوات و الأرض والجبال: هؤلاء أحبّائي وأوليائي و حججي على خلقي و أئمة بريّتي، ما خلقت خلقاً هوأحبّ إليّ منهم ولهم ولمن تولاّهم خلقت جنّتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، فمن ادّعى منزلتهم منّي ومحلّهم من عظمتي عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري ومن أقرّ بولايتهم ولم يدّع منزلتهم منّي ومكانهم من عظمتي جعلته معهم (معي خ ل) في روضات جناني و كان لهم فيها ما يشاؤون عندي، وأبحتهم كرامتي وأحللتهم جواري و شفعتهم في المذنبين من عبادي و إمائي، فولايتهم أمانة عند خلقي فأيّكم يحملها بأثقالها و يدّعيها لنفسه دون خيرتي فأبت السّماوات و الأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من ادّعاء منزلتها وتمنّي محلّها من عظمة ربّها، فلمّا أسكن الله آدم وزوجته الجنّة قال لهما:

(كُلاَ مِنها رَغداً حَيثُ شِئتُما وَ لا تَقرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ).

يعني شجرة الحنطة

(فَتَكُونا مِنَ الظّالِمينَ).

فنظرا إلى منزلة محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم عليهم السلام فوجداها أشرف منازل أهل الجنّة فقالا: يا ربّنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله جلّ جلاله: ارفعا رؤوسكما إلى ساق عرشي فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمد وعليّ و فاطمة والحسن و الحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم مكتوباً على ساق العرش بنور من نور الجبّار جل جلاله، فقالا: يا ربّنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك، و ما أحبّهم إليك و ما أشرفهم لديك؟ فقال الله جلّ جلاله: لولاهم ما خلقتكما فهؤلاء خزنة علمي وامنائي على سرّي إيّاكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد و تتمنيا منزلتهم

عندي و محلهم من كرامتي فتدخلا بذلك في نهيي و عصياني فتكونا من الظالمين، قالا ربّنا ومن الظالمون ؟ قال : المدّعون لمنزلتهم بغيرحقّ ، قالا ربّنا فأرنامنازل ظالميهم حتّى نراها كما رأينا منزلتهم فى جنّتك ، فأمرالله تبارك و تعالى النّار فأبرزت جميع مافيها من ألوان النّكال و العذاب ، وقال الله عز وجلّ مكان الظالمين لهم المدّعين لمنزلتهم فى أسفل درك منها :

(كُلّمَا أرادُوا أنْ يَخرُجوا مِنها مِنْ غَمٍّ أعيدُوا فيها)

و كلمانضجت جلودهم بدلوا سواها ليذوقوا العذاب

يا آدم ويا حوّاءلاتنظرا إلىأنواري (ابراري خ ل) وحججي بعين الحسد فاهبطكما عن جواري واحل بكما هواني

(فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَقالَ ما نَهيكُما رَبُّكُما عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إلاّ أنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ وَقاسَمَهُما إنِّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ فَدَلّيهُما بِغُرُورٍ).

وحملهما على تمنّيمنزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسدفخذلا حتّى أكلا من شجرة الحنطة فعاد مكان ما اكلا شعيراً فاحمل الحنطة ممّا لم ياكلاه وأصل الشعير كلّه ممّا عاد مكان ما أكلاه فلمّا أكلا من الشّجرة طار الحليّ والحلل عن اجسادهما و بقيا عريانين

(وَ طَفِقا يَخصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَناديهُما رَبُّهُما ألَمْ أنْهكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأقلْ لَكُما إنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ فَقالا رَبَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا وَإنْ لَمْ تَغفِرْ لَنا وَ تَرْحَمنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ).

قال اهبطا منجواري فلا يجاورني في جنتي من يعصيني فهبطا موكولين إلىأنفسهما في طلب المعاش ، فلمّا أرادالله عز وجلّ أن يتوب عليهما جائهما جبرئيل فقال لهما :

إنكما ظلمتما أنفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما ، فجزاؤكما ماقد عوقبتمابه من الهبوط من جوارالله عز وجل إلى أرضه فاسألا ربكما بحق الاسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما ، فقالا : اللهم إنا نسألك بحق الاكرمين عليك : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة إلاتبت علينا ورحمتنا ، فتاب الله عليهما إنه هوالتواب الرحيم ، فلم تزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الامانة ويخبرون بها أوصيائهم والمخلصين من اممهم ، فيأبون حملها ويشفقون من ادعائها وحملها الانسان الذي قد عرف فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة وذلك قول الله عز وجل :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا).

قال المجلسي (ره) الانسان الذي عرف هوأبوبكر هذا

و الأخبارفي هذا الباب كثيرة ، و الاستقصاء فيهاموجب للاطالةوفيما ذكرناه كفاية إنشاءالله

وبقي الكلام في مدة بكاء آدم على الجنة والمستفاد من روايتي علي بن إبراهيم السالفتين أنه بكى أربعين صباحاً

و في رواية الصدوق في العيون عن الرضا عن آبائه عليهم السلام في أسألة الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة ، قال : و سأله (١) عن بكاء آدم على الجنة وكم كانت دموعه التي خرجت من عينيه ؟ فقال عليه السلام : بكى مأة سنة وخرج من عينه اليمنى مثل الدجلة والعين الاخرى مثل الفرات

و في الانوار للمحدث الجزائري أخذاً عن الاخبار ، ثم إن آدم و حواء انزلا من السماوات على جبل في شرقي الهند ، يقال له : باسم و في روايه اخري يقال له : سرانديب ، و هوفي الاقليم الاول مما يلي معدل النهار ، و قد كانت حواء ضفرت رأسها في الجنة ، فقالت : ما أصنع بهذه الضفيرة وأنا مغضوب علي ، ثم إنها حلت ضفرتها و في خبر آخر أنها حلت عقيصة واحدة فأطارت الريح

(١) اى الشامي عن علي (ع) منه

ذلك الطيب في بلاد الهند، فمن ثمّ كان أكثر الطيب منه.

ثمّ أتى جبرئيل فأخذ آدم إلى مكّة ليعلمه المناسك، فطوى له الأرض فصار موضع قدميه عمران، ومابينهما خراب فأهبط آدم على الصّفا وبه سمي لهبوط صفي الله عليه وحوّاء على المروة وبه سمّيت لنزول المرأة وهي حوّاء عليها، فبكى آدم على ماوقع منه وعلى فراق الجنّة ثلاثمأة سنة من أيّام الدّنيا وفي (١) أيّام الآخرة يوم كألف سنة مابين العصر إلى العشاء، وبكى حتّى صار على خدّيه كالنّهرين، فخرج من عينه اليمنى دموع مثل دجلة، ومن عينه اليسرى مثل الفرات، ثم إن آدم رأى حوّاء يوم الثّامن من شهر ذي الحجّة فلم يعرفها ذلك اليوم لشعث أحوالهما وطول أحزانهما، فتروّى وتفكّر ذلك، ثمّ إنّه عرفها يوم التّاسع، فمن ثمّ سمّي يوم الثّامن يوم التّروية والتّاسع يوم عرفة، ولمّا لم تقبل توبته في تلك السّنين والأعوام أتى إليه جبرائيل، فقال: يا آدم ادع الله بالأسماء التي رأيتها مكتوبة على ساق العرش بسطور النّور وقل: اللّهم بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة الطاهرين أن تقبل توبتي.

ولعلّ المحدّث المذكور قد أخذ تقدير مدّة البكاء بما ذكره ممّا رواه الصّدوق في الفقيه في باب علّة وجوب الصّلاة الخمس عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: وأمّا صلاة العصر فهي السّاعة التى أكل آدم فيها من الشّجرة فأخرجه الله من الجنّة فأمر الله ذريته بهذه الصّلاة إلى يوم القيامة واختارها لامتي فهي من أحب الصّلاة الى الله عزّ وجلّ، وأوصاني أن أحفظها من بين الصّلوات، وأمّا صلاة المغرب فهي السّاعة التي تاب الله فيها على آدم، وكان ما بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمأة سنة من أيام الدّنيا، وفي أيام الآخرة يوم كألف سنة مابين العصر إلى العشاء، فصلّى آدم ثلاث ركعات ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حواء وركعة لتوبته الحديث، ويأتي بتمامه انشاء الله في شرح الخطبة المأة والتاسعة هذا.

ولا بأس باختلاف هذه الأخبار في مدّة أيام البكاء زيادة (الزايدخ) ونقصانا،

---

(١) اى يوم واحد من أيام الاخرة كألف سنة من أيام الدنيا وقوله مابين العصر الى العشاء يعني كان ثلاثمأة سنة من أيام الدنيا مابين العصر الى العشاء من أيام الاخرة، من حواشي الفقيه.

(الناقص خ) لامكان حمل الأقلّ على الشّديد والأكثر على الخفيف والمراد بالشديد هو ما يشتمل على النوح، و يقال له : البكآء بالمدّ والثّاني بالقصر،

الثانى

اختلف الأقوال كالأخبار في الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه التي أشار إليها الامام عليه السلام بقوله : و لقاه كلمة رحمته.

فقيل إنّ المراد بها هي قوله : ربّنا ظلمنا أنفسنا الاية.

و قيل هي سبحان الله والحمدلله ولا إله إلاالله والله أكبر.

و عن ابن عبّاس إنّ الله علّم آدم و حواء أمر الحج والكلمات التي يقال فيه، فحجا ، فلما فرغا أوحى الله تعالى إليهما أنّي قد قبلت توبتكما.

و في الكافي عن أحدهما عليه السلام أنّ الكلمات :

لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ اَللّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءً وَ ظَلَمْتُ نَفْسي فَاغْفِرْ لي وَ أَنْتَ خَيرُ الْغافِرِينَ ، لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ اَللّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءً وَظَلَمْتُ نَفْسي فَاغْفِرْ لي وَارْحَمْني إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ ،لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ اَللّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءً وَظَلَمْتُ نَفْسي فَاغْفِرْ لي وَ تُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ الرَّحِيمُ .

و في أكثر أخبارنا أنّ المراد بها الأسمآء المباركة لمحمد و آل محمد سلام الله عليهم التي توسّل آدم بها إلى الله سبحانه في قبول توبته ، ولا منافاة بينها لامكان تلقى الجميع وان كان الأقوى الأخير لقوّة أدلّته عدداً و سنداً.

فمن تلك الأدلة رواية معاني الأخبار السّالفة في التذييل الأوّل.

و منها ما عن تفسير الامام عليه السلام لما زلت من آدم الخطيئة و اعتذر إلى ربّه عزّوجلّ قال يا ربّ: تب عليّ واقبل معذرتي فلقدتبين نقص الخطيئة

و ذلّها بأعضائي وساير بدني ، قال الله تعالى يا آدم: أما تذكر أمري إياك بأن تدعوني بمحمد و آله الطيبين عليهم السلام عند شدائدك و دواهيك وفي النوازل تبهظك(۱)، قال آدم يا رب بلى ، قال الله عز وجل : فهم محمد و علي و فاطمة والحسن و الحسين عليهم السلام خصوصاً فادعني أجبك إلى ملتمسك وازدك فوق مرادك، قال آدم : يارب الهي و قد بلغ عندك من محلّهم أنك بالتوسل بهم تقبل توبتي و تغفر خطيئتي وأنا الذي أسجدت له ملائكتك وأبحته جنتك وزوجته حواء أمتك وأخدمته كرام ملائكتك ، قال الله تعالى : يا آدم إنما امرت الملائكة بتعظيمك بالسجود لك إذ كنت وعاء لهذه الأنوار ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك وأن افطنك لدواعي عدوك إبليس حتى تحترز منها لكنت قد جعلت ذلك ، ولكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقا لعلمي فالان فبهم فادعني لاجيبك، فعند ذلك قال آدم: اللّهم بجاه محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم لمّا تفضلت بقبول توبتي وغفران زلتي و إعادتي من كراماتك إلى مرتبتي ، قال الله عز وجل : قد قبلت توبتك و أقبلت برضواني عليك وصرفت آلائي ونعمائي إليك وأعدتك إلى مرتبتك من كراماتي ووفرت نصيبك من رحماتي ، فذلك قوله عز وجل

«فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»

و منها ما في البحار عن معاني الأخبار باسناده عن المفضل عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ، قال : سألته عن قول الله عز وجل :

«وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ».

ما هذه الكلمات ؟ قال عليه السلام : هي الكلمات التي تلقيها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال : يارب أسألك بحق محمد و علي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي ، فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم ، فقلت : يابن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله أتمهن ، قال : يعني أتمهن إلى القائم إثناعشر إماماً ، تسعة من ولد الحسين عليه السلام قال المفضل : فقلت له : يابن رسول الله ، فأخبرني عن قول الله عز وجل :

---

۱ بهظه الحمل أثقله ، ص.

(وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ).

قال: يعني بذلك الامامة جعلهاالله في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة قال: فقلت له: يابن رسول الله فكيف صارت الامامة في ولد الحسين دون الحسن وهماجميعاً ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطاه وسيّدا شباب أهل الجنّة؟ فقال: إنّ موسى وهارون كانا نبيّين و مرسلين أخوين، فجعل الله النّبوة في صلب هارون دون صلب موسى ولم يكن لأحد أن يقول: لم فعل الله ذلك، فانّ الامامة خلافة الله عزّ وجلّ ليس لأحد أن يقول: لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن عليهما السّلام، لأنّ الله هوالحكيم في أفعاله لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون

و منها ما فيه أيضاً عن جامع الأخبار وأمالي الصّدوق بالاسناد عن معمر بن راشد، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: أتى يهودي النبيّ صلى الله عليه وآله، فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال صلى الله عليه وآله: يا يهودي حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبيّ كلّمه الله وأنزل عليه التّوراة والعصا وفلق له البحر وأظلّه بالغمام؟ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه ولكنّي أقول: إنّ آدم لمّا أصاب الخطيئة كان توبته أن قال: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمد و آل محمد لمّا (١) غفرت لي فغفرها الله له، و إنّ نوحاً لمّا ركب في السّفينة و خاف الغرق، قال: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمد و آل محمد لمّا أنجيتني من الغرق فنجاه الله، و إنّ إبراهيم لمّا القي في النّار قال: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمد وآل محمد لمّا أنجيتني منها فجعلها الله عليه برداً و سلاماً، و إنّ موسى لمّا ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللهمّ إنّى أسألك بحقّ محمدوآل محمد لمّا أمنتنى، فقال الله جلّ جلاله: لا تخف إنّك أنت الأعلى يايهودي إنّ موسى لوأدركنى ثمّ لم يؤمن بى وبنبوّتى مانفعه ايمانه شيئاً ولا نفعته النّبوة، يا يهودي و من ذريّتى المهدي عليه السلام إذا خرج نزل عيسى بن مريم

(١) كلمه لما ايجابية بمعنى الا اى أسألك فى كل حال الا حصول المطلوب و هو الحاح و مبالغة فىالسؤال ،بحار.

لنصرته فقدّمه و صلّى خلفه إلى غيرذلك من الأخبار الكثيرة ، تركناها مخافة الاطناب ، و قد عقد المحدث العلامة المجلسى طاب ثراه فى البحار باباً فى أنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتّوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين

الثالث

فى تحقيق توبة الأنبياء على وجه لاينافى العصمة

فنقول: قد عرفت فى الفصل السّابق أنّ الأنبياء عليهم السّلام معصومون من أوّل عمرهم إلى آخره ، وأنّه لم يصدرمنهم ذنب قطّ لا صغيرة ولا كبيرة لافى الصغر ولا فى الكبر ولا قبل البعثة و لا بعدالبعثة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السّهو والخطاء ، على ما ذهبت اليه أصحابنا رضى الله عنهم ، وعند ذلك احتاجوا إلى تأويل ماورد فى الكتاب العزيز من الآيات الدّالة على توبتهم ، و كذلك ما ورد فى الأخبار

فمن توبة النبى صلى الله عليه وآله مثل ما رواه فى الكافى باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله عزّ وجلّ كلّ يوم سبعين مرّة

وما رواه الطبرسى فى مجمع البيان عن أمّ سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله باخره لا يقوم و لايقعد و لا يجىء ولايذهب إلا قال سبحان الله و بحمده أستغفر الله وأتوب إليه فسألناه عن ذلك ، فقال إنّى اُمرت بها ثمّ قرء

(إِذا جآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) .

إلى آخر السّورة

وكذلك ماورد من توبة الأئمة عليهم السلام كمافى الأخبار الكثيرة والأدعيّة المأثورة ، وكفاك شاهداً أدعيّة الصّحيفة السّجادية ولا سيّما دعاء التّوبة و دعاء الاستقالة المتضمنة للاعتراف بالذنوب والمعاصى

إذا عرفت ذلك فأقول : قد أجاب عنه أكثر الأصحاب بأنّ ترك المندوب وفعل المكروه ربّما يسمّى ذنباً فيجوز التوبة حينئذ

قال الطبرسى (ره) : و عندنا يصحّ التوبة إذا كانت من ترك المندوب و يكون

ذلك علي وجه الرّجوع إلى فعله ، وعلى هذا يحمل توبة الأنبياء في جميع مانطق بـه القرآن

وقد أُجيب عن استغفار النبيّ والأئمة عليهم السّلام وتوبتهم مضافاً إلى ما مرّ بوجوه خاصّة

أحدها أنّه لتعليم الأُمة و تأديبهم و تنبيههم على كيفيّة الاقرار و الاعتراف بالتقصير والذنوب والاستغفار والتّوبة

الثاني أنّه من قبيل التّواضع والاعتراف بالعبودية وأنّ البشرمظنّة التقصير

الثّالث أنّ الاعتراف بالذّنوب والاستغفار منها إنّما هو على تقدير وقوعها ، والمعنى إن صدر منّي شيء من هذه الأمور فاغفره لي ، و قد تقرّر أنّه لا يلزم من صدق الشّرطيّة صدق كلّ واحد من جزئيها

الرّابع أنّهم يتكلمون على لسان أُمّتهم و رعيّتهم ، فاعترافهم بالذّنوب اعتراف بذنوب امّتهم ، لأنّ كلّ راع مسئول عن رعيّته وإنّما أضافوا الذّنوب إلى أنفسهم المقدسة للاتّصال والسّبب ، ولا سبب أوكد ممّا بين الرّسول أوالامام عليه السلام وبين امّته و رعيّته ، ألا ترى أنّ رئيس القوم إذا وقع من قومه هفوة أو تقصير قام هوفي الاعتذار منهم ونسب ذلك إلى نفسه و إذا اريد عتابهم وتوبيخهم وجّه الكلام إليه دون غيره منهم ، وإن لم يفعل هوذلك بل ولاشهده وهذا في الاستعمال معروف

أقول : و يؤيّد هذا الوجه ما رواه القمّي عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى :

« لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ »

قال عليه السلام : والله ما كان له ذنب ولاهمّ بذنب، ولكنّ الله حمله ذنوب شيعته ثمّ غفرها وفي المجمع عنه أنّه سئل عنها ، فقال عليه السلام : والله ماكان له ذنب ، ولكنّ الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة علي ماتقدّم من ذنبهم وما تأخّر ، قال بعض أهل المعرفة : قد ثبت عصمته فلم يبق لاضافة الذّنب إليه إلاّ أن يكون هوالمخاطب والمراد امّته كماقيل : إيّاك أدعو واسمعي ياجاره

الخامس ماذكره الشيخ علي بن عيسى الاربلي (ره) في كشف الغمّة واستحسنه أكثر من تأخر عنه كالمحدّث المجلسي (ره) والشيخ البهائي في شرح الأربعين والطريحي وشارح الصحيفة السيد صدر الدين عليّ الحسيني وغيرهم من متصدّي الأخبار

قال (ره) فائدة سنية كنت أرى الدعاء الذي كان يقوله أبوالحسن عليه السلام في سجدة الشكر وهو

«(١) رَبِّ عَصَيْتُكَ بِلِسانِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَأَخْرَسْتَنِي وَعَصَيْتُكَ بِبَصَرِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَأَكْمَهْتَنِي وَعَصَيْتُكَ بِسَمْعِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَأَصْمَمْتَنِي وَعَصَيْتُكَ بِيَدِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَكَنَعْتَنِي وَعَصَيْتُكَ بِفَرْجِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَعَقَمْتَنِي وَعَصَيْتُكَ بِرِجْلِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَجَذَمْتَنِي وَعَصَيْتُكَ بِجَمِيعِ جَوارِحِي الَّتِي أَنْعَمْتَ بِها عَلَيَّ وَلَمْ يَكُنْ هٰذا جَزاكَ مِنِّي».

بخط عميد الرؤساء لعقمتني والمعروف عقمت (٢) المرأة وعقمت وعقمت وأعقمها الله. فكنت أفكر في معناه و أقول: كيف يتنزّل على مايعقده الشيعة من القول بالعصمة، وما اتّضح لي مايدفع التردّد الذي يوجبه، فاجتمعت بالسيّد السعيد النّقيب رضي الدين ابي الحسن عليّ بن موسى الطاوس الحسني رحمه الله وألحقه بسلفه الطاهر،

---

(١) يعنى بارخدايا عصيان تو كردم بزبان واكر ميخواستى بعزت و بزركى تو قسم كه هراينه مرا كنك ميكردى وعصيان تو نمودم بچشم خود واكر مشيت تو بآن تعلق ميكرفت بعزت وبزركى توقسم كه هرآينه كور ميكردى مرا وعصيان تو كردم بكوش خوديعنى اموريكه نبايست شنيد شنيدم واكر ميخواستى بعزت وبزركى توقسم كه هراينه مرا كر ميكردى كه هيچ چيز نميتوانستم شنيد، شرح اربعين بهائى ره

٢- عقم فى بعض ما عندنا من كتب اللغة جاء لازما و متعديا قال فى القاموس عقم كفرح ونصرو كرم و عنى و عقمهاالله يعقمها و اعقمها، انتهى اختصاص

فذكرت له ذلك فقال : إنّ الوزير السّعيد مؤيد الدين القمي رحمه الله سألني عنه، فقلت : كان يقول هذا ليعلم النّاس ، ثم إني ذكرت بعد ذلك فقلت: هذا كان يقوله في سجدته في اللّيل وليس عنده من يعلّمه ، ثم سألني الوزير مؤيد الدّين محمد بن العلقمی ره فاخبرته بالسؤال والجواب الأوّل الذي قلت والذي أوردته عليه و قلت : ما بقي إلاّ أن يكون يقوله على سبيل التّواضع، و ما هذا معناه ، فلم يقع منّى هذه الأقوال بموقع ولا حلّت من قلبي في موضع ، و مات السّيد رضي الدّين رحمه الله ، فهداني الله إلى معناه ووقفني على فحواه ، فكان الوقوف عليه والعلم به وكشف حجابه بعد السنين المتطاولة والأحوال المجرية والادوار المكرّرة من كرامات الامام موسى عليه السلام و معجزاته ولتصحّ نسبة العصمة إليه عليه السلام و تصدق على آبائه و ابنائه البررة الكرام و تزول الشّبهة التي عرضت من ظاهر هذا الكلام.

و تقريره(١) أنّ الأنبياء والأئمة عليهم السّلام تكون أوقاتهم مشغولة بالله تعالى و قلوبهم مملوّة و خواطرهم متعلّقة بالملأ الأعلى، وهم عليهم السلام أبداً في المراقبة كما قال عليه السلام : اعبدالله كأنّك تراه فان لم تكن تراه فانّه يراك ، فهم أبداً متوجّهون إليه و مقبلون بكلهم عليه، فمتى انحطوا عن تلك الرّتبة العالية والمنزلة الرّفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتّفرغ إلى النّكاح و غيره من المباحات ، عدّوه ذنباً و اعتقدوه خطيئة واستغفروا منه.

ألا ترى أنّ بعض عبيد أبناء الدّنيا لوقعد و أكل و شرب و نكح و هو يعلم أنّه بمرأى من سيّده و مسمع ، لكان ملوماً عند النّاس و مقصراً فيما يجب عليه من خدمة سيّده و مالكه ، فما ظنك بسيّد السادات و ملك الاملاك.

و إلى هذا أشار صلى الله عليه وآله : أنّه ليغان (٢) على قلبي و إني لأستغفر بالنّهار سبعين مرّة ، و لفظة السّبعين إنّما هي لعد الاستغفار لا إلى الرّين(٣)، وقوله حسنات

---

١ ـ ماذكره ره وجه حسن فی تأویل مانسبوا الی انفسهم المقدسة من الذنب والخطاء والعصیان، بحارالانوار

٢ ـ بدرستی که پر پوشید دل من چیزی را که میپوشیداورا،شرح اربعین

٣ـ الرین الحجاب الكثيف قال تعالي: بلران على قلوبهم، منه،

الأبرار سيئات المقربين .

و يزيده أيضاحاً من لفظه ليكون أبلغ من التأويل و يظهر من قوله عقمنى والعقيم الذي لايولد له والذي يولد من السفاح لايكون ولدا ، فقد بان بهذه أنه كان يعد اشتغاله في وقت ما بما هو ضرورة للأبدان معصية و يستغفرالله منها.

و على هذا فقس البواقي و كلّما يرد عليك من أمثالها ، و هذا معنى شريف يكشف بمدلوله حجاب الشبه و يهدي به الله من حسر عن بصره و بصيرته رين العمى والعمه ، وليت السيد (ره) كان حيّاً لأهدي هذه العقيلة إليه وأجلو عرايسها عليه، فما أظن أن هذا المعنى اتضح من لفظ الدعاء لغيري ، ولاأن أحداً سار في ايضاح مشكله و فتح مقفله مثل سيري . وقد ينتج الخاطر العقيم فيأتي بالعجائب ، وقديماًما قيل : مع الخواطي سهم صائب انتهى كلامه رفع مقامه.

وقد اقتفى أثره القاضى ناصرالدين البيضاوى في شرح المصابيح عند شرح قوله ﷺ: إنه ليغان على قلبي و إني لأستغفرالله في اليوم مأة مرة ، قال:الغين لغة في الغيم و غان على كذا اى غطى ، قال أبوعبيدة في معنى الحديث أى يتغشى قلبي ما يلبسه ، وقد بلغنا عن الاصمعى أنه سئل عن هذا ، فقال للسائل : عن قلب من تروى هذا ؟ فقال : عن قلب النبي ﷺ ، فقال : لو كان غير قلب النبي ﷺ ، لكنت افسره لك ، قال القاضي ولله در الاصمعى في انتهاجه منهج الأدب و إجلاله القلب الذي جعله الله موقع وحيه و منزل تنزيله.

ثم قال : لما كان قلب النبي ﷺ أتم القلوب صفاء و أكثرها ضياء وأعرفها عرفاناً و كان ﷺ معنياً (١) مع ذلك بتأسيس الملة و تشريع السنة ميسراً غير معسر ، لم يكن له بد من النزول إلى الرخص والالتفات إلى حظوظ النفس مع ما كان ممتحناً به من أحكام البشرية ، فكان إذا تعاطى شيئاً من ذلك أسرعت كدورة إلى القلب لكمال رقته و فرط نورانيته ، فان الشيء كلما كان أرق وأصفى كان ورود

١- من عنى بالامر اهتم به ، منه

المكدرات عليه أبين و أهدى ، فكان إذا أحس بشيء من ذلك عده على النفس ذنباً فاستغفر منه انتهى ماحكى عنه ملخصا.

وقال المحدث العلامة المجلسي طاب ثراه في المجلد السابع من البحار: اعلم أن الامامية رضي الله عنهم اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها و كبيرها فلايقع منهم ذنب أصلا لاعمداً ولا نسياناً ولالخطاء في التأويل ولاللاسهاء من الله سبحانه ، ولم يخالف فيه الا الصدوق محمد بن بابويه و شيخه ابن الوليد رحمة الله عليهما فانهما جوزا الاسهاء من الله تعالى لمصلحة في غير ما يتعلق بالتبليغ وبيان الأحكام ، لا السهو الذي يكون من الشيطان ، وقد مرت الأخبار والأدلة الدالة عليها في المجلد السادس والخامس وأكثر أبواب هذا المجلد مشحونة بمايدل عليها، فاما ما يوهم خلاف ذلك من الأخبار والأدعية فمأولة بوجوه.

الأول أن ترك المستحب و فعل المكروه قد يسمي ذنبا و عصيانا ،بل ارتكاب بعض المباحات أيضا بالنسبة إلى رفعة شأنهم و جلالتهم ربما عبروا عنه بالذنب ، لانحطاط ذلك عن ساير أحوالهم كمامرت الاشارة إليه فى كلام الاربلى(ره)

الثاني أنهم بعدانصرافهم عن بعض الطاعات التى أمروابها من معاشرة الخلق وتكميلهم و هدايتهم و رجوعهم عنها إلى مقام القرب والوصال ومناجاة ذي الجلال ، ربماوجدوا أنفسهم لانحطاط تلك الأحوال عن هذه المرتبة العظمى مقصرين ، فيتضرعون لذلك و إن كان بأمره تعالى ، كما أن أحداً من ملوك الدنيا إذا بعث واحداً من مقربى حضرته إلى خدمة من خدماته التى يحرم بها من مجلس الحضور والوصال ، فهو بعد رجوعه يبكي و يتضرع و ينسب نفسه إلى الجرم و التقصير ، لحرمانه عن هذا المقام الخطير .

الثالث أن كمالاتهم و فضائلهم و علومهم لما كانت من فضله تعالى ، و لولا ذلك لأمكن أن يصدر منهم أنواع المعاصى، فاذ انظروا إلى تلك الحال أقروا بفضل ربهم و عجز نفسهم بهذه العبارات الموهمة لصدور السيئآت ، فمفادها إنى أذنبت لولا توفيقك ، و أخطأت لولا هدايتك.

الرّابع أنّهم لما كانوا فى مقام التّرقى فى الكمالات والصّعود على مدارج الترقيات فى كلّ آن من الآنات فى معرفة الرّب تعالى و ما يتبعها من السعادات فاذا نظروا إلى معرفتهم السّابقة و عملهم معها ، اعترفوا بالتّقصير و تابوا منه ، و يمكن أن ينزل عليه قول النبى ﷺ: و إنى لأستغفرالله فى كلّ يوم سبعين مرّة.

الخامس أنّهم عليهم السلام لما كانوا فى غاية المعرفة لمعبودهم فكلما أتوابه من الأعمال بغاية جهدهم ثم نظروا إلى قصورها عن أن يليق بجناب ربهم ، عدواطاعاتهم من المعاصى ، واستغفروا منها كما يستغفر المذنب العاصى.

و من ذاق من كأس المحبّة جرعة شائقة لايأبى عن قبول تلك الوجوه الرائقة والعارف المحب الكامل إذا نظر إلى غير محبوبه أو توجه إلى غير مطلوبه ، يرى نفسه من أعظم الخاطئين ، رزقناالله الوصول إلى درجات المحبين.

أقول : هذا ما ذكره علماؤنا البارعون في التفصّي عن الاشكال المذكور ، شكرالله سعيهم وأجزل مساعيهم رضوان الله عليهم ، إلاّ أنّ لي فى المقام وجهاً آخر وهو بحسب الظاهر قريب من بعض الوجوه السّابقة إلا أنّ نسبته إليها كنسبة الثّريا الى الثّرى كما هي غير خفيّة على صاحب الذوق السّليم والطبع المستقيم

وهو أنّك قد عرفت في التذييل الأوّل من تذييلات الفصل الثّامن من فصول هذه الخطبة ، أنّ أوّل ماخلق الله سبحانه أنوارالنبيّ وآله عليهم السّلام ، كماعرفت أنّه سبحانه خلق تلك الأنوار من قبل أن يخلق العالم بالوف من السّنين ، و مر هناك فى حديث أبى الحسن البكري أنّه سبحانه خلقها قبل إيجاد العالم بأربعة وعشرين وأربعماة ألف عام

إذا تذكرت ذلك فنقول : إنّهم قدكانوا حينئذ أنواراً بسيطة وجواهرمجردة عن التّعلق بالأجسام والجسمانيّات ، خالصة عن الكدورات ، فارغة عن القيودات والعلاقات ، مستغرقة في تلك المدّة المتطاولة فى شهود جمال الحقّ سبحانه وتعالى مشتغلة فى جميع هذه المدّة بالتّسبيح والتّقديس والتنزيه ، تارة فى حجاب القدرة

واخرى فيحجاب العظمة ، وثالثة في حجاب العزّة ، و رابعة في حجاب الهيبة إلى غير هذه من حجب النّور المذكورة في الحديث المذكور ، ثمّ اقتضت الحكمة الرّبانيّة إهباطهم من عالم التجرّد إلى عالم التقيّد والتعلّق ، فتصوّروا بالصّور الانسانيّة هداية للخلق و إرشاداً للامّة ، و حصلت لهم في هذا العالم من القيودات و العلاقات ما هو مقتضى البشريّة و الجسمانيّة ، و لمّا لم يتمكّنوا في هذا العالم من الاستغراق التام و الفراغ الكامل ، مثل تمكنهم في ذلك العالم ، لوجود التّعلّقات المانعة هنا و عدمها هناك ، استغفروا الله سبحانه لذلك ، و اعترفوا بالتقصير اعتراف المذنب المقصر ، هذا ما خطر بالخاطر القاصر ، والله الهادي إلى المنهج القويم ، والصّراط المستقيم

الترجمة

پس بعداز اينكه جناب آدم از شجرۀ منهيه اكل نمود ، و بعمل خود نادم وپشيمان گشت وچهل شبانه روز و بروايتى يكصد سال وبروايت ديگر سيصد سال گريه و زاري كرد ، بسط فرمود خداوند سبحانه و تعالى بجهت او بساط كرامت ورحمت خودش‌را درتوبۀ او ، باين نحو كه الهام توبه فرمود براووقبول كرد آنرا از او ، وتلقين نمود براو كلمۀ رحمت خودرا كه بنابراشهر توسّل باسماء مباركۀ محمد وآل محمد سلام الله عليهم‌است كه درساق عرش ديده بود ووعده فرمود براورجوع دادنش را ببهشت عنبرسرشت خود

الفصل الرابع عشر

فَأَهْبَطَهُ إِلىٰ دارِ الْبَلِيَّةِ وَ تَناسُلِ الذُّرِّيَّةِ ، وَاصْطَفىٰ مِنْ وُلْدِهِ أَنْبِياءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثاقَهُمْ ، وَ عَلىٰ تَبْلِيغِ الرِّسالَةِ أَمانَتَهُمْ ، لَمّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَاللهِ إِلَيْهِمْ ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدادَ مَعَهُ ، وَاجْتالَتْهُمُ

الشَّياطينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبادَتِهِ، فَبَعَثَ فيهِمْ رُسُلَهُ، وواتَرَ إِلَيْهِمْ أَنبِياءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ ميثاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْليغِ، وَيُثيرُوا لَهُمْ دَفائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آياتِ الْمَقْدُرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجالٍ تُفْنيهِمْ؛ وَأَوْصابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْداثٍ تَتابَعُ عَلَيْهِمْ.

اللغة

(هبط) الماء و غيره هبطاً من باب ضرب نزل وفي لغة قليلة يهبط هبوطاً من باب قعد وهبطته أنزلته يتعدي ولا يتعدي و (البليّة) كالبلاء والبلوى اسم من الابتلاء بمعنى الامتحان و (التّناسل) التّوالد و (الذّريّة) والنّسل والولد نظائر وتكون الذّرية واحداً وجمعاً وفيها ثلاث لغات أفصحها ضمّ الذّال وبها قرء السّبعة في الآيات القرآنية ، والثّانية كسرها ، ويروى عن زيد بن ثابت ، والثّالثة فتح الذّال مع تخفيف الرّاء وزان كريمة وبها قرء أبان بن عثمان وتجمع على ذرّيات والذّراري

وفي أصلها أربعة مذاهب : من الذّرء بالهمز من ذرء الله الخلق ، و من الذّر والذّرو والذّري، فعلى الأوّل وزنها فعيلة ابدلت الهمزة ياء كبريّة، وعلى الثّاني وزنها فعلية كقمريّة أو فعّيلة نحو ذرّيرة ، فلمّا كثرت الرّاآت ابدلت الأخيرة ياء وادغم الياء الاولى فيها ، نحو سريّة فيمن أخذها من السرّ ، وهو النكاح ، أو فعّولة نحو ذرّورة فابدلوا الرّاء الأخيرة لما ذكرناه فصار ذرّوية ثمّ ادغمت الواو في الياء فصار ذرّية ، وعلى الثالث فوزنها فعولة ، وعلى الرّابع فعيلة و (الأنداد) جمع النّد وهو المثل و (اجتالتهم) من الجولان أى ادارتهم و (الشّياطين) جمع الشّيطان من الشّطن و هو البعد ، قال الزمخشري في محكى كلامه : قد جعل سيبويه نون الشّيطان في موضع من كتابه أصليّة وفي آخر زائدة ، والدّليل على أصالتها قولهم: تشيطن ، واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده عن الصّلاح والخير ، ومن شاط إذا بطل

إذا جعلت نونه زائدة و (واتر) من المواترة وهي المتابعة، قيل: ولايكون المواترة بين الأشياء إلاّ إذا وقعت بينها فترة ، وإلاّ فهي مداركة ومواصلة و (أثار) الغبار يثيره هيجه وأثار والأرض في الاية الشريفة أى قلّبوها للزّراعة و (المقدرة) بفتح الميم و حركات الدّال كالقدرة مصدر من قدر عليه إذا قوى و (المهاد) الفراش والبساط و (الأوساب) جمع الوصب وهوالمرض والوجع و (أهرمه) إذا أضعفه من هرم هرماً من باب تعب كبر وضعف ورجل هرم ككتف وامراة هرمة و (الاحداث) جمع الحدث بفتحتين و هوالامور الحادثة ، وخصّت في العرف بالنّوايب المتجددة والمصايب الحادثة

الاعراب

وتناسل الذّريّة بالجرّ عطف على البليّة ، وجملة أخذ على الوحي اه في محلّ النّصب على الحاليّة من فاعل أخذ أو مفعوله ، ولما في قوله عليه السلام: لمّابدّل، ظرفيّة بمعنى حين أو بمعنى إذ و تختصّ بالماضي و بالاضافة إلى الجملة فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود اوليهما وتقدير الكلام: لمّا بدل أكثر خلقه عهدالله اصطفى من ولده أنبياء، والعامل فيها الجواب المقدّم ، وآيات المقدرة بالاضافة وفي بعض النّسخ الايات المقدرة بالتّوصيف ، ومن سقف بيان للايات

المعنى

ثمّ انّ آدم لمّا أكل من الشّجرة أخرجه الله سبحانه من الجنّة (فاهبطه) أى أنزله (إلى دار البليّة) والمراد بالاهباط على تقدير كون آدم عليه السلام في جنّة السّماء واضح ، وأمّا على تقدير كونه في جنّة الدّنيا كما هوالأظهر لما قد مرّ ، فالمراد بالاهباط هوالانتقال من بقعة إلى بقعة كما في قوله تعالى : إهبطوا مصراً ، و المراد بدار البليّة هودارالدّنيا ، لأنّ الله سبحانه قد جعل فيه البلاء أدباً للظالم وامتحاناً للمؤمن ودرجة للأنبياء وكرامة للأولياء على ما ورد في الخبر

ثمّ إنّ أوّل بقعة هبط إليها آدم هي الصّفا على مامرّ فى الأخبار ، و في بعض الأخبار هي جبل سرانديب كما مرّ أيضاً و هو جبل بأعلى الصّين في أرض الهند

يراه البحريّون من مسافة أيّام، و فيه على ما نقل أثر قدم آدم مغموسة، ونقل أنّ الياقوت الأحمر موجود في هذا الجبل تحدرها السيول والأمطار من ذروته الى الحضيض و به يوجد الماس أيضاً ويوجد العود.

وقد كان هبوط آدم بعد غروب الشّمس على مارواه عليّ بن ابراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان عمر آدم عليه السلام من يوم خلقه الله إلى يوم قبضه تسعمأة و ثلاثين سنة، و دفن بمكة و نفخ فيه يوم الجمعة بعد الزّوال، ثم برء زوجه من أسفل أضلاعه(١) وأسكنه جنّته من يومه ذلك، فما استقرّ فيها إلاّ ست ساعات من يومه ذلك حتى عصى الله و أخرجهما من الجنّة بعد غروب الشّمس و مابات فيها.

و في الفقيه عن الحسين بن العلاء عن ابي عبدالله عليه السلام قال: إنّه لمّا اهبط آدم من الجنّة ظهرت به شامة سوداء(٢) من قرنه إلى قدمه فطال حزنه و بكائه لما ظهر به فأتاه جبرئيل فقال: له مايبكيك يا آدم؟ فقال: لهذه الشّامة التي ظهرت بي قال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصّلاة الاولى، فقام فصلّى فانحطت الشّامة إلى عنقه، فجائه في الصّلاة الثّانية فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاة الثّانية، فقام فصلّى فانحطت الشّامة إلى سرّته، فجائه في الصّلاة الثّالثة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاة الثّالثة، فقام فصلّى فانحطت الشّامة إلى ركبتيه، فجائه في الصّلاة الرّابعة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاة الرّابعة، فقام فصلّى فانحطت الشّامة إلى قدميه، فجائه في الصّلاة الخامسة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاة الخامسة، فقام فصلّى فخرج منها، فحمد الله و أثنى عليه فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك في هذه الصّلاة كمثلك في هذه الشّامة، من صلّى من ولدك في كلّ يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشّامة.

و في الوسائل في باب تحريم العصير العنبي باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

---

١ ـ قال في الفقيه والخبر الذي روى ان حواء خلقت من ضلع آدم الايسر صحيح ومعناه من الطينة التي فضلت من ضلعه الايسر ولذلك صارت اضلاع الرجل انقص من اضلاع النسآء بضلع انتهى كلامه رحمه الله.

٢ ـ خال سياه

إنّ الله لما أهبط آدم أمره بالحرث والزّرع و طرح غرساً عليه من غرس الجنّة فأعطاه النّخل والعنب والزّيتون والرّمان فغرسها لعقبه وذرّيته، فأكل هو من ثمارها فقال إبليس: ائذن لي ان آكل منه شيئاً فأبى أن يطعمه فجاء عند آخر عمر آدم، فقال لحوّاء: قد أجهدني الجوع والعطش اريدان تذيقني من هذه الثّمار، فقالت له: إنّ آدم عهد إليّ أن لااطعمك شيئاً من هذا الغرس و أنّه من الجنّة ولاينبغي لك أن تأكل منه، فقال لها: فاعصري منه في كفي شيئاً، فأبت عليه، فقال: ذريني أمصّه ولاآكله، فأخذت عنقوداً من عنب فأعطته فمصّه ولم يأكل منه لما كانت حوّاء قد اكدت عليه، فلمّا ذهب يعض عليه اجتذبته حوّاء من فيه، فأوحى الله إلى آدم إنّ العنب قد مصّه عدوّي و عدوّك إبليس وقدحرّمت عليك من عصيره الخمر ماخالطه نفس ابليس فحرمت الخمر، لأنّ عدوّالله إبليس مكر بحواء حتّى أمصّته العنبة، ولو أكلها لحرّمت الكرمة من أوّلها إلى آخرها وجميع ثمارها و ما يخرج منه، ثم إنّه قال لحوّاء: لو أمصصتني شيئاً من التمر كما أمصصتني من العنب، فأعطته تمرة فمصّها إلى أن قال (١) ثم إن ابليس ذهب بعد وفاة آدم فبال في أصل الكرمة والنّخلة، فجرى المآء في عودهما ببول عدوّالله، فمن ثم يختمر العنب و الكرم، فحرّم الله على ذرّيّة آدم كل مسكر، لأنّ المآء جرى ببول عدوّ الله في النّخلة والعنب صار كلّ مختمر خمراً لأنّ المآء اختمرت في النّخلة و الكرمة من رائحة بول عدوّالله هذا.

وقد استطرفت هذه الأخبار لكونها غير خالية عن المناسبة للمقام مع ما فيها من الاشارة إلى بعض ما ابتلى به آدم عليه السلام بعد إهباطه إلى دارالبلية.

و من أعظم ما ابتلي به قتل هابيل ولقدرثى له بما رواه في العيون باسناده عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام في حديث الشّامي مع أميرالمؤمنين عليه السلام وسأله عن أوّل من قال الشّعر: فقال عليه السلام: آدم عليه السلام، فقال: و ما كان شعره؟ قال عليه السلام:

١ـ وكانت العنب والتمر اشد رائحة من المسك الا ذفر وأحلى من العسل فلما مصهما ابليس لعنه الله ذهبت رائحتهما وانتقصت حلاوتهما هكذا في نسخة الوافي، منه

لمّا انزل من السّمآء إلى الأرض فرأى تربتها وسعتها و هوا ها ، وقتل قابيل هابيل قال آدم عليه السلام :

تغيّرت البلاد و من عليها — فوجه الارض مغبرّ قبيح
تغيّر كل ذي لون و طعم — و قلّ بشاشة الوجه المليح
و ما لي لا اجود بسكب دمع — و هابيل تضمّنه الضّريح
ارى طول الحياة عليّ غماً — و هل انا من حياتي مستريح
قتل قابيل هابيل أخاه — فواحزنا لقد فقد المليح

فأجابه ابليس لعنه الله

تنحّ عن البلاد و ساكنيها — فبي في الخلد ضاق بك الفسيح
و كنت بها وزوجك في قرار — و قلبك من أذى الدّنيا مريح
فلم تنفكّ من كيدي ومكري — الى ان فاتك الثّمن الر بيح
و بدّل أهلها أثلاو خمطاً — بجنّات و أبواب متيح (١)
فلولا رحمة الجبار أضحى — بكفّك من جنان الخلد ريح

هذا و قوله عليه السلام (و تناسل الذرّية) أى أهبطه إلى دار توالد الاولاد من البنات والبنين.

وقد اختلف في ابتداء التّناسل فذهب المجوس المجوّزون لنكاح المحارم إلى أنّ آدم زوّج البنات للبنين فحصل التّناسل و كثر الخلق.

وفي الآثار أنّهم كان لهم ملك فسكر ليلة فوقع على اخته و امّه فلما أفاق ندم و شقّ ذلك عليه و أراد رفع التّعيير عنه ، فقال للنّاس : هذا حلال ، فامتنعوا عليه فجعل يقتلهم و حفر لهم الاخدود.

و في خبر آخر عن امير المؤمنين عليه السلام يأتي في شرح الخطبة الثّانية والتّسعين أنه احتجّ لهم على جوازه بتزويج أولاد آدم وأنّهم قد كانوا ينكحون أخواتهم فقبله جماعة وبقوا عليه إلى الآن.

١ــ اى مرتفع منه

و وافقهم على ذلك الاعتقاد الفاسد جمهور المخالفين، فانّهم قالوا : إنّ حواء امرأة آدم كانت تلدفي كلّ بطن غلاما و جارية ، فولدت أوّل بطن قابيل وتوأمته اقليميا، والبطن الثّاني هابيل و توأمته ليوذا ، فلما أدركوا جميعاً أمرالله تعالى أن ينكح قابيل اخت هابيل و هابيل اخت قابيل ، فرضي هابيل و أبى قابيل ،لأنّ اخته كانت حسناء ، و قال : ما أمرالله سبحانه بهذاولكن هذا من رأيك فأمرهما آدم أن يقربا قرباناً فرضيا بذلك ، فانطلق هابيل إلى أفضل كبش من غنمه و قربه التماساً لوجه الله تعالى و مرضاة أبيه ، و أمّا قابيل فانّه قرّب الزّوان الذي يبقى في البيدر الذي لايستطيع أن يدسه ، فقرّب ضغثا منه لايريد به وجه الله ولا مرضاة أبيه ، فقبل الله قربان هابيل و أتت نار بيضاء من السّماء فأخذته ، ورد على قابيل قربانه ، فقال ابليس لعنه الله لقابيل: إنّه يكون لهابيل عقب يفتخرون على عقبك ،بأن قبل قربان أبيهم فاقتله حتّى لايكون له عقب ، فقتله، و هذا مقالة المخالفين الموافقة لمذهب المجوس لعنهم الله .

و أمّا الحقّ الحقيق الذي ينبغي أن يدان به فهو ما ذهب إليه أصحابنا أخذاً عن الأخبار المأثورة عن أهل بيت العصمة والطهارة سلام الله عليهم .

منها ما رواه الصّدوق في الفقيه عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام إنّ آدم ولد له شيث و أنّ اسمه هبةالله ، و هو أوّل وصي الله من الادميين في الأرض ، ثم ولد له بعد شيث يافث ، فلمّا أدركا أراد الله أن يبدء بالنّسل ما ترون و أن يكون ماقدجرى به القلم من تحريم ما حرّم الله عزّوجلّ من الاخوات على الاخوة ، أنزل بعدالعصر في يوم الخميس حوراء من الجنّة اسمها نزلة ، فأمرالله عزّوجلّ أن يزوجها من شيث ، فزوجها منه ، ثم أنزل بعدالعصر من الغدحوراء من الجنّة اسمها منزلة فأمر الله عزّوجلّ أن يزوجها من يافث ، فزوّجها منه ، فولد لشيث غلام ، و ولد ليافث جارية ، فأمرالله عزّوجلّ آدم عليه السلام حين أدركا أن يزوّج ابنة يافث من ابن شيث ، ففعل ، فولد الصّفوة من النبيين والمرسلين من نسلهما ، و معاذالله أن يكون ذلك على

ما قالوا من أمر الاخوة والأخوات.

و منها ما فيه عن القاسم بن عروة عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : إنّ الله تبارك وتعالى انزل على آدم حوراء من الجنّة فزوّجها أحد ابنيه وزوّج الآخر ابنة الجان ، فما كان في النّاس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء ،وما كان فيهم من سوء الخلق فهو من ابنة الجان

و منها ما رواه أبوبكر الحضرمي عن أبيجعفر عليه السلام قال : قال : لي ما يقول الناس في تزويج آدم ولده ؟ قال : قلت يقولون : إنّ حوّاء كانت تلد لآدم في كلّ بطن غلاماً و جارية ، فتزوّج الغلام الجارية التي من البطن الآخر الثّاني و تزوّج الجارية الغلام الذي من البطن الاخر الثّاني حتى توالدوا ، فقال أبوجعفر عليه السلام :وليس هذا كذاك ، أيحجّكم المجوس ، و لكنّه لمّا ولد آدم هبة الله و كبر سأل الله أن يزوّجه ، فأنزل الله حوراء من الجنّة فزوّجها إيّاه فولدت له أربعة بنين ، ثم ولد آدم ابناً آخر فلما كبر أمره فتزوّج إلى الجان فولدأربع بنات فتزوّج بنوهذابنات هذا ، فماكان من جمال فمن قبل الحور ، و ما كان من حلم فمن قبل آدم، وما كان من حقد فمن قبل الجان ، فلما توالدوا صعدالحوراء إلى السّماء.

و منها مارواه الصّدوق أيضاً باسناده عن مسمع عن زرارة قال : سئل أبوعبدالله عليه السلام عن بدء النّسل من آدم كيف كان هو ؟ و عن بدء النّسل من ذرّية آدم فان أناسا عندنا يقولون : إنّ الله تبارك و تعالى أوحى إلى آدم أن يزوّج بناته بنيه و انّ هذا كلّه أصله من الاخوة والأخوات ، فقال ابوعبدالله عليه السلام : تعالى الله عن ذلك علوّا كبيراً ، يقول من قال هذا : بأنّ الله عزّ وجلّ خلق صفوة خلقه و أحبّائه وأنبيائه و رسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين و المسلمات من حرام ، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال ، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب ، فوالله لقد نبئت(ينتخ) أن بعض البهائم تنكرت له اخته، فلما نزا عليها ونزل كشف له عنها، فعلم أنّها اخته أخرج عزموله ثمّ قبض عليه بأسنانه حتّى قطعه فخر ميّتا ، و آخر تنكرت له امّه ففعل هذا بعينه ، فكيف الانسان في فضله و علمه ، غير أنّ جيلامن

هذا الخلق الذي ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيآئهم و أخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا إلى ما ترون من الضّلال والجهل إلى أن قال عليه السلام : و حقّاً أقول : ما أراد من يقول هذا و شبهه إلاّ تقوية حجج المجوس، فما لهم قاتلهم الله.

ثمّ أنشأ عليه السلام يحدّثنا كيف بدء النسل من آدم و كيف كان بدء النّسل من ذريته، فقال : إنّ آدم صلوات الله عليه ولد له سبعون بطنا في كلّ بطن غلام وجارية إلى أن قتل هابيل ، فلما قتل هابيل جزع آدم جزعاً شديداً قطعه عن إتيان النّسآء فبقى لايستطيع أن يغشي حوّاء خمسمأة عام ، ثم تجلى ما به من الجزع عليه فغشى حوّاء ، فوهب الله شيثاً وحده ليس معه ثان ، و اسم شيث هبة الله ، و هو أوّل ما أوصى إليه من الآدميّين في الأرض ، ثمّ ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثان ، فلمّا أدركا و أراد الله أن يبلغ النّسل ما ترون و أن يكون ماجرى به القلم من تحريم ما حرم الله عزّ وجلّ من الاخوات على الاخوة ، أنزل الله بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنّة اسمها نزلة فأمر الله أن يزوّجها من شيث إلى آخر ما مرّ في الحديث الأوّل.

و يمكن الجمع بين هذه الأخبار المختلفة ظاهراً بأن يكون ليافث زوجتان: إحديهما حورآء، و الاخرى جنيّة ، أو يكون الولد المتزوّج بالجنّية غير شيث و يافث هذا .

ولم يستفد من الرّوايات أحوال بنات آدم فلابدّ إمّا من بقائهن بلا زوج ، و إمّا من جواز تزويج العمات دون الأخوات، وهو بعيد أيضاً والله العالم (و) كيف كان فانّ الله سبحانه لمّا أهبط آدم إلى دار الدّنيا و بدء بالنسّل والأولاد (اصطفى من ولده أنبيآء أخذ على الوحى ميثاقهم و على تبليغ الرّسالة أمانتهم) أى أخذ منهم العهد والميثاق على أداء الوحى إليهم من الاصول والفروع ، و أخذ الأمانة منهم على تبليغ الرّسالة ونشر الشّرايع والأحكام و ابلاغها إلى امتهم كما قال سبحانه:

« و إذْ أخذْنا مِنَ النّبيّينَ ميثاقَهُمْ و مِنْكَ و مِنْ نُوحٍ و إبراهيم

وَمُوسَىٰ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ــ الآية».

و توضيح هذا الأخذ ما رواه في الكافي كالبحار من تفسير العياشي باسنادهما عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال لما أكل آدم من الشجرة اهبط إلى الأرض فولدله هابيل و اخته توام، ثم إن آدم أمر هابيل وقابيل أن يقربا قرباناً، و كان هابيل صاحب غنم و كان قابيل صاحب زرع، فقرب هابيل كبشاً من أفاضل غنمه، و قرب قابيل من زرعه مالم ينق، فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل وهو قول الله عز وجل:

«وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ــ الآية».

و كان القربان تأكله النار، فعمد قابيل إلى النار فبنى لها بيتاً و هو أول من بنى بيوت النار، فقال: لأعبدن هذه النار حتى يتقبل مني قرباني، ثم إن ابليس لعنه الله أتاه وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، فقال له: ياقابيل قد تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانك، و إنك إن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك و يقولون نحن ابناء الذي تقبل قربانه، و أنتم أبناء الذي ترك قربانه، فاقتله كيلا يكون له عقب يفتخرون على عقبك، فقتله، فلما رجع قابيل إلى آدم عليه السلام قال له: ياقابيل أين هابيل؟ قال: اطلب (اطلبوه خ ل) حيث قربنا القربان، فانطلق آدم فوجد هابيل مقتولا، فقال آدم: لعنت من أرض(١) كما قبلت دم هابيل و بكى آدم صلى الله عليه على هابيل أربعين ليلة، ثم إن آدم سأل ربه ولداً فولد له غلام فسماه هبة الله لأن الله عز وجل وهبه له، واخته(٢) توأم فلما انقضت نبوة آدم واستكمل أيامه أوحى الله عز وجل

١ـ اقول و من ذلك ان الارض لاتقبل الدم منذ الى الان منه

٢ـ قوله و اخته توام لايخفى ان هذا مناف لما مر فى رواية الصدوق عن ابى عبدالله عليه السلام من قوله فوهب الله له شيئاً وحده ليس له ثان فلابد من التامل فى وجه الجمع منه

إليه يا آدم قدقضيت نبوتك و استكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والايمان والاسم الأكبر و ميراث العلم و آثار علم النبوة في العقب من ذريتك عند هبة الله ابنك ، فاني لم أقطع العلم والايمان والاسم الأكبر و آثار علم النبوة من العقب من ذريتك إلى يوم القيامة ولن أدع الأرض إلاّ و فيها عالم يعرف به ديني ويعرف به طاعتي ، و يكون نجاة لمايولد فيما بينك و بين نوح.

و بشر آدم بنوح ، و قال : إنّ الله تبارك و تعالى باعث نبيّاً اسمه نوح وأنّه يدعو إلى الله عزّ ذكره ، و يكذبه قومه ، فيهلكهم الله بالطوفان ، و كان بين آدم و بين نوح عشرة آباء أنبياء و أوصياء كلهم ، و أوصى آدم إلى هبة الله أن من أدركه منكم فليؤمن به وليتبعه وليصدق به فانّه ينجو من الغرق.

ثمّ إنّ آدم مرض المرضة التي مات فيها فأرسل هبة الله ، و قال له إن لقيت جبرئيل أو من لقيت من الملائكة فاقرأه مني السّلام و قل له : يا جبرئيل إنّ أبي يستهديك من ثمار الجنّة، فقال له جبرئيل: ياهبة الله إن أباك قد قبض وإنا نزلنا للصلاة عليه وما نزلنا الا للصّلاة عليه ، فارجع، فرجع فوجد آدم قد قبض فأراه جبرئيل كيف يغسله حتّى إذا بلغ للصّلاة قال هبة الله : يا جبرئيل تقدّم فصلّ على آدم ، فقال له جبرئيل: إن الله عز وجل أمرنا أن نسجد لابيك آدم و هو في الجنّة فليس لنا أن نؤمّ شيئاً من ولده فتقدم هبة الله و صلى على أبيه و جبرئيل خلفه و جنود الملائكة ، و كبر عليه ثلاثين تكبيرة ، فأمره جبرئيل فرفع من ذلك خمساً و عشرين تكبيرة والسنة اليوم فينا خمس تكبيرات ، وقد كان يكبر على أهل بدر تسعاً و سبعاً .

ثمّ إن هبة الله لمّا دفن آدم أتاه قابيل فقال : يا هبة الله إنّي قد رأيت أبي آدم قد خصّك من العلم بما لم اخصّ به أنا، و هو العلم الذي دعابه أخوك هابيل فتقبل به قربانه ، و إنّما قتلته لكيلا يكون له عقب فيفتخرون على عقبي فيقولون نحن أبناء الذي تقبّل منه قربانه و أنتم ابناء الذي ترك قربانه ، و إنك إن أظهرت من العلم الذي اختصك به أبوك شيئاً قتلتك كما قتلت أخاك هابيل.

فلبث هبة الله والعقب من بعده مستخفين بما عندهم من العلم والايمان والاسم الاكبر و ميراث النبوة و آثار علم النبوة حتى بعث الله نوحاً، وظهرت وصية هبة الله حين نظروا في وصية آدم، فوجدوا نوحاً نبياً قد بشر به أبوهم آدم، فآمنوا به و اتبعوه و صدقوه، و قد كان آدم أوصى إلى هبة الله أن يتعاهد هذه الوصية عند رأس كل سنة فيكون يوم عيدهم فيتعاهدون بعث نوح و زمانه الذي يخرج فيه، و كذلك في وصية كل نبي حتى بعث الله محمداً ﷺ، و إنما عرفوا نوحاً بالعلم الذي عندهم، و هو قول الله عز وجل:

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ ـ الآية »

و كان من بين آدم و نوح من الأنبياء مستخفين، و لذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، و هو قول الله عز وجل:

« وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ »

يعنى لم اسم المستخفين كما سميت المستعلنين من الأنبياء عليهم السلام، فمكث نوح صلى الله عليه في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يشاركه في نبوته أحد، ولكنه قدم على قوم مكذبين للأنبياء عليهم السلام الذين كانوا بينه وبين آدم صلى الله عليه و ذلك قول الله عز وجل:

« كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ »

يعنى من كان بينه و بين آدم إلى أن انتهى إلى قوله عز وجل:

« وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ »

ثم إن نوحاً لما انقضت نبوته و استكمل أيامه، أوحى الله عز وجل إليه أن يا نوح قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والايمان والاسم الاكبر و ميراث العلم و آثار علم النبوة في العقب من ذريتك، فاني لن أقطعها كما

لم أقطعها من بيوتات الأنبياء صلوات الله عليهم التي بينك و بين آدم ﷺ ولن أدع الأرض إلاّ وفيها عالم يعرف به ديني و يعرف به طاعتي ويكون نجاة لمن يولدفيها بين قبض النبيّ إلى خروج النبيّ الآخر .

و بشّر نوح ساماً بهود ، فكان فيما بين نوح و هود من الأنبياء عليهم السّلام و قال نوح : إنّ الله باعث نبياً يقال له : هود و انّه يدعو قومه الى الله عزّ وجل فيكذّبونه والله عزّ وجلّ مهلكهم بالرّيح ، فمن أدركه منكم فليؤمن به وليتبعه فان الله عزّ وجلّ ينجيه من عذاب الرّيح . و أمر نوح ﷺ ابنه ساماً أن يتعاهد هذه الوصيّة عند رأس كلّ سنة ، فيكون يومئذ عيداً لهم فيتعاهدون و فيه ما عندهم من العلم والايمان والاسم الأكبر و مواريث العلم و آثار علم النبوّة ، فوجدوا هوداً نبياً و قد بشّر به أبوهم نوح ﷺ فآمنوا به و اتّبعوه و صدّقوه فنجوا من عذاب الرّيح، و هو قول الله عزّ وجل

« وَ إِلىٰ عادٍ أَخاهُمْ هُوداً » و قوله عزّ وجلّ: « كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاٰ تَتَّقُونَ » وقال تبارك وتعالىٰ : « وَ وَصّىٰ بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ » وقوله : « وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحٰقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلاًّ هَدَيْنا» لنجعلها في أهل بيته « وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ » لنجعلها في أهل بيته.

و أمر العقب من ذرّيته الأنبياء عليهم السّلام من كان قبل ابراهيم لابراهيم ﷺ ، فكان بين إبراهيم و هود من الأنبياء صلوات الله عليهم و هو قول الله عزّ وجل.

« وما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ » وقوله عزّ ذكره : « فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلىٰ رَبِّي » و قوله عزّ وجلّ : « وَإِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَ اتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ »

فجرى بين كلّ نبيّين عشرة أنبياء و تسعة و ثمانية أنبياء كلهم أنبياء، وجرى لكل نبيّ كما جرى لنوح عليه السلام، وكما جرى لآدم وهود وصالح وشعيب و ابراهيم صلوات الله عليهم.

حتّى انتهت إلى يوسف بن يعقوب عليه السلام، ثم صارت من بعد يوسف في أسباط اخوته.

حتّى انتهت إلى موسى عليه السلام فكان بين يوسف و بين موسى من الأنبياء، فأرسل الله موسى و هارون الى فرعون و هامان و قارون، ثم ارسل الرّسل:

«تَتْرَىٰ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ»

و كانت بنو إسرائيل يقتل نبيّ.. اثنان قائمان و يقتلون اثنين و أربعة قيام، حتّى أنّه كان ربّما قتلوا في اليوم الواحد سبعين نبيّاً، و يقوم سوق قتلهم آخر النهار، فلمّا نزلت التّوراة على موسى عليه السلام، بشّر بمحمد صلى الله عليه وآله، و كان بين يوسف وموسى من الأنبياء، وكان وصيّ موسى يوشع بن نون عليهما السّلام، وهو فتاه الذي ذكره الله في كتابه.

فلم تزل الأنبياء تبشّر بمحمد صلى الله عليه وآله، حتّى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى بن مريم فبشر بمحمد صلى الله عليه وآله، وذلك قوله تعالى

«يَجِدُونَهُ» يعني اليهود والنّصارى «مَكْتُوباً» يعني صفة محمّد صلى الله عليه وآله «عِنْدَهُمْ» يعني في التوراة و الإنجيل «يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ» وهو قول الله عزّ وجلّ يخبر عن عيسى عليه السلام: «وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» و بشّر موسى و عيسى بمحمّد صلى الله عليه وآله، كما بشّر الأنبياء بعضهم ببعض، حتّى بلغت محمداً.

فلما قضى محمد صلى الله عليه وآله نبوته و استكمل أيامه أوحى الله تبارك و تعالى إليه أن يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك ، فاجعل العلم الذي عندك والايمان والاسم الأكبر و ميراث العلم و آثار علم النبوة في أهل بيتك ، عند علي بن أبي طالب عليه السلام فاني لم أقطع العلم والايمان والاسم الأكبر و ميراث العلم و آثار علم النبوة من العقب من ذريتك ، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك و بين أبيك آدم ، و ذلك قول الله تعالى:

(إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

و ان الله تبارك و تعالى لم يجعل العلم جهلا ، ولم يكل أمره إلى أحد من خلقه ، لا إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل، ولكنه أرسل رسولا من ملائكته، فقال له : قل كذا و كذا ، فأمرهم بما يحب و نهيهم عما يكره ، فقص عليهم امر خلقه بعلم، فعلم ذلك العلم و علم أنبيائه و أصفيائه من الأنبياء ، والأخوان والذرية التي بعضها من بعض ، فذلك قوله عز وجل:

(وَلَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً)

فأما الكتاب فهو النبوة ، و أما الحكمة فهم الحكماء من الأنبياء من الصفوة وأما الملك العظيم فهم الأئمة من الصفوة ، و كل هؤلاء من الذرية التي بعضها من بعض، والعلماء الذين جعل فيهم البقية وفيهم الباقية وحفظ الميثاق حتى تنقضي الدنيا، والعلماء ولولاة الامر استنباط العلم وللهداة فهذا شأن الفضل من الصفوة والرسل والأنبياء والحكماء و ائمة الهدى والخلفاء الذين هم ولاة أمر الله عزوجل ، واستنباط علم الله وأهل آثار علم الله من الذرية التي بعضها من بعض من الصفوة بعد الأنبياء عليهم السلام من الآباء والاخوان والذرية من الأنبياء .

فمن اعتصم بالفضل انتهى بعلمهم و نجا بنصرتهم ، و من وضع ولاة أمر الله تبارك وتعالى في غير الصّفوة من بيوتات الأنبياء صلوات الله عليهم ، فقد خالف أمر الله جلّ وعزّ وجعل الجهّال ولاة أمر الله والمتكلّفين بغير هدى من الله عزّ وجلّ ، وزعموا أنّهم أهل استنباط علم الله ، فقد كذّبوا على الله تبارك و تعالى و رسوله ، و رغبوا عن وصيّته و طاعته ، ولم يضعوا فضل الله حيث وضعه الله تبارك و تعالى ، فضلّوا وأضلّوا أتباعهم ولم يكن لهم حجّة يوم القيامة إنّما الحجّة في آل إبراهيم عليه السلام ، لقول الله عزّ ذكره :

(وَلَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ و الْحِكْمَةَ والنُّبُوَّةَ و آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً)

فالحجّة الأنبياء صلوات الله عليهم و أهل بيوتات الأنبياء عليهم السّلام حتّى يقوم السّاعة ، لأنّ كتاب الله ينطق بذلك وصيّة الله بعضها من بعض الذي وضعها على النّاس ، فقال جلّ وعزّ :

(في بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ)

وهي بيوت الأنبياء والرّسل والحكماء و أئمة الهدى ، فهذا بيان عروة الايمان التي نجا بها من نجا قبلكم و بها ينجو من يتبع الأئمة ، وقال الله عزّ وجلّ في كتابه :

(وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَ زَكَرِيّا وَيَحْيى وعِيسى و إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحِينَ ، وإِسْمعِيلَ والْيَسَعَ و يُونُسَ و لُوطاً وكُلّاً فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ ، ومِنْ آبائِهِمْ و ذُرِّيّاتِهِمْ و إِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْناهُمْ وهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ، أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ

وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ)
فانه و كل بالفضل من أهل بيته والأخوان والذريّة ، و هو قول الله تبارك وتعالى: إن يكفر به امتك فقد وكلنا أهل بيتك بالايمان الذي أرسلتك به، فلا يكفرون به أبداً ولا اضيع الايمان الذي أرسلتك به من أهل بيتك من بعدك علماء امتك وولاة امرى بعدك وأهل استنباط العلم الذي ليس فيه كذب ولا إثم ولا زور ولا بطر ولا رياء، فهذا بيان ما ينتهى إليه أمر هذه الامة إن الله عزّ وجلّ طهر أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسألهم أجر المودة وأجرى لهم الولاية وجعلهم أوصيائه وأحبائه ثابتة بعده في امّته، فاعتبروا أيها النّاس فيما قلت: حيث وضع الله عزّ وجل ولايته وطاعته ومودته واستنباط علمه وحججه، فاياه فتقبلوا به، وبه فاستمسكوا تنجوا به ، و يكون لهم الحجة يوم القيامة و طريق ربّكم جلّ وعز ، لا يصل ولاية إلى الله عزّ وجلّ إلا بهم ، فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يكرمه ولا يعذّبه ، ومن يأت الله عزّ وجلّ بغير ما أمره كان حقّا على الله عزّ وجل أن يذله و أن يعذّبه .

أقول: لا يخفى على الفطن العارف ما في هذه الرّواية الشريفة من النّكات الرّايقة و الأسرار الفايقة والمطالب المهمة والمسائل المعظمة ، وبالغور فيها يمكن استخراج بعض ما تضمنته من كنوز الاسرار، وبالتّوسل بها يمكن الوصول إلى رموز المعارف و حقائق الأنوار ، و إنّما ذلك في حقّ من امتحن قلبه بنور العرفان والايمان ، و صفى ذهنه من كدورات الشبهات وظلمات الأوهام ، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم و قوله عليه السلام (لما بدّل أكثر خلقه عهد الله اليهم) يعني إذ بدّل أكثر الخلق عهد الله و ميثاقه الماخوذ عليهم في باب التوحيد و المعرفة و النّبوة والولاية حسبما اشير إليه في الاية الشريفة والأخبار المتواترة قال سبحانه :

« وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ

هٰذا غافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ».

قال أكثر المفسّرين و أهل الأثر: إنّ الله أخرج ذريّة آدم من صلبه كهيئة الذّر (١) فعرضهم على آدم و قال: إنّي آخذ على ذريّتك ميثاقهم أن يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً و على أرزاقهم، ثم قال: ألست بربّكم قالوا: بلى شهدنا أنّك ربّنا، فقال للملائكة: اشهدوا، فقالوا: شهدنا.

وقيل: إنّ الله جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه و يفهمونه، ثمّ ردّهم إلى صلب آدم والنّاس محبوسون بأجمعهم حتّى يخرج كلّ من أخرجه في ذلك الوقت وكلّ من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى، و من كفر و جحد فقد تغيّر على الفطرة الأولى.

و ردّ المحقّقون هذا التّفسير بوجوه (٢) كثيرة تنيف على عشرة.

و منهم المرتضى رضي الله عنه، و قد شدد النكير على ذلك في كتاب الغرر والدّرر، قال بعد ذكر الآية: وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده أنّ تأويل هذه الآية أن الله استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته وهم في خلق الذّر، فقرّرهم بمعرفته و أشهدهم على أنفسهم، وهذا التّأويل مع أنّ العقل يبطله ويحيله، ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه، لأنّ الله قال:

« وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ».

ولم يقل من آدم، و قال « مِنْ ظُهُورِهِمْ » ولم يقل من ظهره وقال: « ذُرِّيَّتَهُمْ » ولم يقل ذريّته، ثم أخبر تعالى بأنّه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيامة إنّهم كانوا

(١) الذر صغار النمل، مصباح.

(٢) بعضها راجع الى عدم مطابقة ذلك التفسير لظاهر الاية، و بعضها راجع الى استحالة اصل القضية كما ستعرفه في كلام المرتضى رضي الله عنه وقد ذكر الفخر الرازي في التفسير الكبير اثنى عشر وجهاً على ما ببالي، منه.

عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم و أنّهم نشأوا على دينهم و سنّتهم و هذا يقتضي أنّ الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه وأنّها تناولت من كان له آباء مشركون، وهذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذرّيّة آدم، فهذا شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم.

فأمّا شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرّيّة الّتي استخرجت من ظهر آدم فخوطبت و قرّرت من أن تكون كاملة العقل مستوفية الشروط أو لا تكون كذلك.

فان كانت بالصّفة الأُولى وجب أن يذكرهؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال و ما قرّروا به واستشهدوا عليه لأنّ العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى و إن بعد العهد وطال الزّمان، و لهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من البلدان و هو عاقل كامل، فينسى مع بعد العهد جميع تصرّفه المتقدم و ساير أحواله، وليس أيضاً لتخلّل الموت بين الحالين تأثير لأنّه لو كان تخلّل الموت يزيل الذكر لكان تخلّل النّوم والسّكر والجنون والاغماء بين أحوال العقلاء يزيل الذكر، لما مضى من أحوالهم، لأن ساير ما عددناه ممّا ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب، وليس لهم أن يقولوا إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسي ما كان عليه في حال الطفوليّة جاز ما ذكرناه، و ذلك انّا إنّما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه إذ اكملت عقولهم من حيث جرى عليهم و هم كاملوا العقل، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه، على أنّ تجويز النّسيان عليهم ينقض الغرض في الآية، و ذلك إنّ الله تعالى أخبر بأنّه إنّما قرّرهم وأشهدهم لئلاّ يدّعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك، و سقوط الحجّة عنهم فيه، فاذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّة عنهم و زوالها.

وإن كانوا على الصّفة الثّانية من فقد العلم «العقلخ» وشرايط التّكليف قبح خطابهم و تقريرهم و إشهادهم و صار ذلك عبثاً قبيحاً تعالى الله عنه.

ثمّ قال: فان قيل: قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فما تأويلها الصّحيح عندكم؟

قلنا في الاية وجهان أحدهما أن يكون تعالى إنّما عنى بها جماعة من ذريّة بني آدم خلقهم وبلغهم وأكمل عقولهم و قرّرهم على ألسن رسله بمعرفته وما يجب من طاعته ، فأقرّوا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم إلى أن قال :

والجواب الثّاني و هو أحسن أنّه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدلّ على معرفته ويشهد بقدرته و وجوب عبادته ، و أراهم العبر والايات والدلايل في غيرهم و في أنفسهم ، كان بمنزلة المستشهد لهم على أنفسهم و كانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته و ظهوره على الوجه الذي أراد الله تعالى و تعذّر امتناعهم منه و انفكاكهم من دلالته بمنزلة المقرّ المعترف ، وإن لم يكن هناك شهادة ولا اعتراف على الحقيقة إلى آخر ما ذكره ، وقد وافقه على الجواب الأخير الزّمخشري في الكشّاف و غيره من المفسرّين .

و اقول : أمّا ما ذكره السّيد (ره) من عدم انطباق ظاهر الاية بما حملوها عليه من وجود عالم أخذ الميثاق و إخراج ذريّة آدم من صلبه كالذر فمسلّم، لكن يتوجّه عليه أنّ ما ذكره من الوجهين في تأويل الاية أيضاً كذلك ، بل مخالفة الظاهر فيهما أزيد منها في الوجه الذي ذكروه مع عدم شاهد على واحد منهما في شيء من الأخبار .

و أمّا إنكار أصل هذه القضيّة والحكم باستحالته بما ذكره من دليل العقل، فلاوجه له ولا يعبأ بالدّليل المذكور قبال الأخبار المتواترة المفيدة لوجود ذلك العالم ، بل قدوقع في الأخبار الكثيرة تفسير الاية به أيضاً ، والاستقصاء فيها موجب للاطناب الممل إلاّ أنّا نذكر شطراً منها تبركاً و توضيحاً و استشهاداً .

منها ما رواه عليّ بن إبراهيم القمي في تفسيره عن ابن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : و إذ أخذ ربّك ، إلى قوله : قالوا بلى ، قلت : معاينة كان هذا؟ قال : نعم ، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه فلولا ذلك لم يدر أحد من خالقه و رازقه ، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذّرّ ولم يؤمن بقلبه ، فقال الله :

«فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل»

و منها ما رواه أيضاً عنه عليه السلام، قال: كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالرّبوبية و لرسوله بالنّبوة ولامير المؤمنين والأئمة عليهم السّلام بالامامة، فقال: ألست بربّكم، ومحمد نبيّكم، وعليّ امامكم، والائمة الهادون أئمتكم؟ فقالوا: بلى.

و منها ما في البحار عن أمالي الشّيخ عن المفيد باسناده عن جابر عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليهم السّلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: أنت الذي احتجّ الله بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً، فقال لهم: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى، قال: و محمد رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: و عليّ أمير المؤمنين؟ فأبى الخلق جميعاً استكباراً و عتوّاً عن ولايتك إلاّ نفر قليل، وهم أقلّ القليل وهم أصحاب اليمين.

و منها ما فيه أيضاً من بصائر الدّرجات باسناده عن عبدالرّحمان بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: و إذ اخذ ربك من بني آدم الاية، قال: أخرج الله من ظهر آدم ذريّته إلى يوم القيامة كالذّر فعرفهم نفسه، و لولا ذلك لم يعرف أحد ربّه و قال: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى وأنّ محمداً رسول الله وعلياً أمير المؤمنين

و منها ما فيه أيضاً من كشف الغمة من كتاب الامامة عن الحسن بن الحسين الأنصاري عن يحيى بن العلا عن معروف بن خربوز المكي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لو يعلم النّاس متى سمّي علي أمير المؤمنين لم ينكروا حقّه، فقيل له: متى سمّي؟ فقرء: و إذ أخذ ربّك إلى قوله ألست بربّكم قالوا: بلى قال: محمد رسول الله و عليّ أمير المؤمنين.

و منها ما فيه أيضاً من تفسير فرات بن إبراهيم عن ابن القاسم معنعناً عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: و إذ اخذ ربّك من بني آدم إلى آخر الآية، قال: أخرج الله من ظهر آدم ذريّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّر وعرّفهم نفسه وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه، قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قال: فانّ محمداً

عبدي و رسولي و أنّ علياً أمير المؤمنين خليفتي و أميني ، و قال النّبي صلى الله عليه وآله : كل مولود يولد على المعرفة بأنّ الله تعالى خالقه ، و ذلك قوله تعالى:

« وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ »

إلى غير هذه من الأخبار الكثيرة ، و قد عقد المجلسي طاب ثراه باباً فيهافي مجلّد الامامة من البحار.

و بالجملة فقد تلخص ممّا ذكرنا أنّ المراد من العهد المأخوذ عن الخلق الذي بدّلوه هو الميثاق المأخوذ عليهم لله بالرّبوبية و لرسوله صلى الله عليه وآله بالنبوة وللائمة عليهم السّلام بالولاية ، و كذلك المراد بالحق في قوله عليه السلام (فجهلوا حقّه) هو الحق اللازم على العباد من المعرفة والتّوحيد كما يشهد به رواية معاذ بن جبل التي مضت في ثاني التّذنيبات من رابع فصول الخطبة ، قال كنت رفقت النبّي صلى الله عليه وآله، فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد ؟ يقولها ثلاثا ، قلت : الله و رسوله أعلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حق الله عزّ وجل على العباد أن لايشركوا به شيئاً إلى آخرما مرّ هناك ، و يحتمل أن يكون المراد به (١) الاعمّ ممّا ذكرنا و من الفروعات ، و يشعر به ثالث الجملات المعطوفة (٢) من قوله : (و اتخذوا الانداد) أى الأمثال (معه واجتالتهم) أى أدارتهم و صرفتهم (الشّياطين عن معرفته ، واقتطعتهم عن عبادته) أى أقطعتهم كما في بعض النّسخ كذلك ، فهم قطاع طريق العباد عن عبادة الله سبحانه وتعالى (ف) لمّا كان الحال بهذا المنوال (بعث فيهم) أى أرسل إليهم (رسله ، وواتر اليهم أنبيائه) أى أرسلهم متواتراً و بين كلّ نبيّين فترة ، قال سبحانه :

« ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً (٣) وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ »

١ـ اى بالحق منه

٢ـ و هو قوله و اقتطعتهم عن عبادته فافهم منه

٣ـ اى في الاهلاك اى اهلكنا بعضهم فى اثر بعض مجمع البيان .

قال الطبرسي في تفسير الاية أى متواترة تتبع بعضهم بعضا ، عن ابن عبّاس ومجاهد، وقيل متقاربة الأوقات، وأصله الاتّصال ومنه الوتر لاتّصاله بمكانه من القوس ومنه الوتر، وهو الفرد عن الجمع المتّصل، قال الأصمعي يقال: واترت الخبر أتبعت بعضه بعضاً وبين الخبرين هنيهة انتهى ، و قوله : (ليستأدوهم ميثاق فطرته) إلى قوله : و يروهم آيات المقددة إشارة إلى الغاية من بعث الرّسل والثمرة المترتبة على ذلك، وهي على ماذكره عليه السلام خمس ، والمراد من ميثاق الفطرة هو ميثاق التّوحيد والنّبوة والولاية.

كما يشهد بهما رواه الصّدوق في التّوحيد باسناده عن عبدالرّحمان بن كثير مولى أبي جعفر عليه السلام عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:

« فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها»

قال : التّوحيد و محمد رسول الله وعليّ أمير المؤمنين.

و عن ابن مسكان عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام أصلحك الله ، قول الله عزّ وجلّ في كتابه :

« فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها»

قال: فطرهم على التّوحيد عند الميثاق على معرفته أنّه ربّهم ، قلت : وخاطبوه ؟ قال : فطأطأ رأسه ثم قال : لولا ذلك لم يعلموا من ربّهم ولا من رازقهم.

وعن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : فطرة الله التي فطر النّاس عليها ، ما تلك الفطرة ؟ قال : هي الاسلام ، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التّوحيد فقال : ألست بربّكم و فيهم المؤمن والكافر ، و المراد بالنّعمة في قوله عليه السلام : (و يذكروهم منسيّ نعمته) إمّا النّعمة التي من بها على العباد في عالم الذّرّ والميثاق حسبما مرّ ، أو جميع النّعم المغفول عنها ، والأوّل هو الظاهر نظراً إلى ظاهر لفظ النّسيان (ويحتجّوا عليهم) أى في يوم القيامة (بالتّبليغ) أى تبليغ الأحكام ونشر الشّرايع والأديان:

« لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَلِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً »

(و يثيروا) أى يهيجوا (لهم دفائن العقول) من شواهد التّوحيد و أدلة الرّبوبيّة كما قال سبحانه:

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَى بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »

(و يروهم آيات المقدرة) أى علامات القدرة وشواهدها حتّى ينظروا إليها بنظر الدّقة والاعتبار وإلاّ فالامارات المذكورة ممّا هي بمرئى ومسمع من كلّ أحد لاحاجة فيها إلى الارائة كما هو ظاهر .

ثمّ أشار ﷺ إلى ستّ آيات من تلك الآيات وبيّنها بقوله : (من سقف فوقهم مرفوع ، و مهاد تحتهم موضوع) كما قال سبحانه :

« وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ » وقال: « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً » إلى أن قال: « وَ بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً »

وقد مضى في التّذييل الثّاني من تذييلات الفصل الثّامن من فصول هذه الخطبة ما يوجب زيادة البصيرة في المقام فتذكر (و معايش تحييهم ، و آجال تفنيهم ،وأوصاب تهرمهم) نسبة الاحياء إلى المعايش أى المطعومات والمشروبات التي بها قوام الحياة ، والافناء إلى الآجال ، والاهرام إلى الأوصاب والامراض من قبيل الاسناد إلى السبب مجازاً على حدّ أنبت الرّبيع البقل (وأحداث) أى نوائب حادثة ومصائب

متجدّدة (تتتابع عليهم) و في كلّ واحدة من الآيات المذكورة دلالة على أنّ للعالم صانعاً قادراً يفعل فيه ما يشآء و يحكم ما يريد ، لارادّ لقضائه ولا دافع عن بلائه .

الترجمة

پس فرو فرستاد او را بسراى محنت و امتحان و بخانهٔ تناسل نسل وزائيدن اولاد ، و بر گزيد او سبحانه از اولاد او پيغمبران را در حالتى كه أخذ فرمود بر ابلاغ وحى عهد و پيمان ايشان را ، و بر رساندن رسالت أمانت آنها را در حينى كه تبديل كردند بيشتر خلايق پيمان خدا را كه بسوى ايشان است ، پس جاهل و نادان شدند حقّ او را و فرا گرفتند شريكان و أمثال مر اورا ، و بر گردانيدند ايشان را شياطين از شناخت او ، و بريدند ايشان را از پرستش او ، پس مبعوث وبر انگيخته فرمود در ميان ايشان فرستادكان خود را ، و پى در پى فرستاد بسوى ايشان پيغمبران خود را ، تا طلب أداكنند ازايشان عهد فطرت وپيمان خلقت‌خودرا كه مخلوق شده بودند بر آن كه عبارتست از توحيد و معرفت ، و تا اينكه ياد آورى نمايند ايشان را نعمتهاى فراموش شدهٔ او را و اتمام حجت بكنند بر ايشان با تبليغ و رساندن أحكام ، و بر انگيزانند از براى ايشان دفينه هاى عقلها وخزاين فهمها ، و بنمايند ايشان‌را علامات قدرت خداوندى را كه آن‌امارات‌قدرت عبارتست از آسمانى كه در بالاى ايشان برافراشته و فراشى است كه در زير آنها نگاهداشته ، و معيشتهائى است كه زنده ميدارد ايشان را ، و اجلهائى كه فانى ميسازد ايشان را ، و بيماريهائى كه پير فانى ميگرداند ايشان را ، و مصيبتهائيكه پى در پى مي‌آيد بر ايشان .

الفصل الخامس عشر

وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لاَ يُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ.

اللغة

(النّبيّ) فعيل بمعنى الفاعل وهومشتقّ من النّبأ وهو الخبر ونبأ ونبّأ وأنبأ كلّها بمعنى أخبر، والنّبيّ مخبر عن الله تعالى، وقلبوا فيه الهمزة كما في الذريّة حسبما مرّ في الفصل السّابق.

وعن شارح المقاصد النّبوة هو كون الانسان مبعوثا من الحقّ إلى الخلق، فان كان النّبيّ مأخوذاً من النّباوة وهو الارتفاع لعلوّ شأنه و ارتفاع مكانه، أو من النّبي بمعنى الطريق لكونه وسيلة إلى الحقّ، فالنّبوة على الأصل كالأبوة، و إن كان من النّبأ بمعنى الخبر لانبائه عن الله تعالى فعلى قلب الهمزة واواً ثمّ الادغام كالمروة.

وقال في المحكيّ عنه: النّبيّ هو إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرّسول، وقد يخصّ بمن له شريعة وكتاب فيكون أخصّ من النّبيّ، واعترض عليه بزيادة عدد الرّسل على الكتب، و ربّما يفرق بأنّ الرّسول من له كتاب أو نسخ لبعض أحكام الشّريعة السّابقة، والنّبي قد يخلو عن ذلك كيوشع عليه السلام.

وفي كلام بعض المعتزلة أنّ الرّسول صاحب الوحى بواسطة الملك، والنّبي هوالمخبر عن الله بكتاب أوالهام أو تنبيه في منام، والتّفصيل في ذلك المقام موكول إلى الكتب الكلاميّة، ومن أداد اقتباس النّور في هذا الباب من كلام الأئمة فعليه بالرّجوع إلى باب الفرق بين الرّسول والنّبي والمحدّث، وهو ثالث أبواب كتاب الحجّة من الكافي و(الحجّة) بالضّمّ ما يحتجّ به الانسان غيره أى يغلب به و(المحجة)

بفتح الميم جادّة الطريق و (الغابر) هو الباقي و قد يطلق على الماضي فهو من الأضداد .

الاعراب

الظاهر أنّ كلمة أو في قوله عليه السلام أو كتاب أو حجّة أو محجّة لمنع الخلوّ إذالانفصال الحقيقي كمنع الجمع لا يمكن إرادته ، و سياق الكلام هو منع الخلو كما يدلّ عليه قوله : ولم يخل الله صريحاً ، و يمكن جعلها بمعنى الواو نظراً إلى دلالة ولم يخل صراحة على منع الخلوّ ، فلاحاجة إلى جعلها لذلك فافهم، و (رسل) مرفوع على الخبريّة ، يعني أنّهم رسل ، والجملة هذه لا محلّ لها من الاعراب ، لكونها مستأنفة فكأنّه قيل هؤلاء المرسلون الذين لم يخل الخلق منهم هل بلّغوا ما أرسلوا به أم قصّروا فيه لوجود التّقية ، فقال عليه السلام : إنّهم رسل لا يقصّر اه ، فهي من قبيل الاستيناف البياني ، ومتعلق لا يقصّر محذوف ، أى لا يقصّر بهم عن أداء الرّسالة و إبلاغ التكليف وكلمة (من) في قوله عليه السلام من سابق بيان للرّسل و تفصيل لهم .

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام بعد مانبّه بخلقة آدم عليه السلام و تفصيل ما جرى عليه من إسجاد الملائكة له و إسكانه في الجنّة واجتنائه من الثمرة المنهيّة و إهباطه إلى الأرض واصطفاء الأنبياء من ولده لارشاد الخلق و هداية الأنام ، أشار عليه السلام إلى العناية الكاملة لله سبحانه بالخلق من عدم إخلائه امّة منهم من نبيّ هاد لهم إلى المصالح و رادع لهم عن المفاسد ، أوكتاب مرشد إلى الخيرات والحسنات ومانع عن الشّرور والسّيئات ، و ذلك كلّه لاكمال اللطف و إتمام العناية فقال عليه السلام : (ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسل أو كتاب منزل) و هذا ممّا لا ريب فيه ، ولابدّ من بيان الحاجة إلى بعث الرّسل و إقامة البرهان على اضطرار النّاس إليه و أنّه لابد في كلّ زمان من حجة معصوم عالم بما يحتاج إليه الخلق ، وقد دللوا على ذلك في الكتب الكلاميّة بالبراهين العقلية والنقلية و نحن نذكر منها هنا وجهاً واحداً

لاقتضاء المقام، وذلك موقوف على رسم مقدمات.

الاولى انّ لنا خالقاً صانعاً قادراً على كلّ شيء.

الثانية أنّه سبحانه منزّه عن التجسّم والتعلّق بالموادّ والأجسام و عن أن يكون مبصراً أو محسوساً باحدى الحواس.

الثالثة أنّه تعالى حكيم عالم بوجوه الخير والمنفعة في النظام وسبيل المصلحة للخلايق في المعيشة والقوام والبقاء والدّوام

الرّابعة أنّ النّاس على كثرتهم محتاجون في معاشهم و معادهم إلى من يدبّر أمورهم و يعلمهم طريق المعيشة في الدّنيا والنّجاة من العذاب في العقبى، وذلك لأنّ من المعلوم أنّ نوع الانسان مدني بالطبع، بمعنى أنّه لابدّ في بقاء النوع إلى اجتماع كلّ واحد من الأفراد مع الآخر يستغني به فيما يحتاج إليه من المآكل والمشارب والملابس والمساكن ونحوها، فيكون هذا يطحن لهذا، وذلك يبني لذلك، و ذلك يخيط لآخر، وهكذا، فمن ذلك احتاجوا إلى بناء البلاد واجتماع الآحاد، و اضطرّوا إلى عقد المعاملات.

و بالجملة لابدّ في بقاء الانسان من الاجتماع والمعاونة، والتّعاون لايتمّ إلاّ بالمعاملة ولابدّ في المعاملة من قانون عدل، إذلو ترك النّاس و آراؤهم في ذلك لاختلفوا فيه، فيرى كلّ أحد منهم ماله عدلا ما عليه ظلماً و جوراً نظراً إلى أنّ كلّ أحد بالذّات والطبع طالب لجلب المنفعة لنفسه ودفع المضرّة عن نفسه كما هو واضح، فعلم وجه الحاجة في المعاملات إلى القانون العدل.

ولا بدّ لذلك القانون من مقنّن ومعدّل ولايجوز أن يكون ذلك المعدّل ملكاً، بل لابدّ و أن يكون بشراً، ضرورة أنّ الملك لايمكن رؤية اكثر النّاس له لأنّ قواهم لايقوى على رؤية الملك على صورته الأصلية، وإنّما رآهم الأفراد من الانبياء بقوتهم القدسية، ولو فرض أن يتشكّل بحيث يراه جميع الخلق كان ملتبساً عليهم كالبشر كجبرئيل في صورة دحية، ولذلك قال سبحانه:

« وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ »

ولابدّ أن يكون المعدّل له خصوصيّة ليست لساير النّاس حتّى يستشعر النّاس فيه أمراً لايوجد لهم فيتميز به منهم ، فيكون له المعجزات التي أخبرنا بها ، والحاجة إلى هذا الانسان في بقآء نوع البشر أشدّ من كثير من المنافع التي لاضرورة فيها للبقآء ، كانبات الشّعر على الحاجبين و تقعير الأخمص للقدمين و ما يجرى مجراهما من منافع الأعضاء التي بعضها للزّينة وبعضها للسّهولة في الأفعال والحركات، ووجود هذا الانسان الصّالح لأن يشرع و يعدل ممكن ، و تأييده بالمعجزات الموجبة لاذعان الخلق له أيضاً ممكن ، فلايجوز أن تكون العناية الاولى تقتضي تلك المنافع ولاتقتضي هذه التي هي أصلها و عمدتها .

فاذا تمهدت هذه المقدّمات فثبت و تبين أنّه واجب أن يوجد نبيّ وأن يكون إنسانا و أن يكون له خصوصية ليست لساير النّاس ، و هي الامور الخارقة للعادات، و يجب أن يسنّ للناس سننا باذن الله وأمره ووحيه وإنزال الملك اليه ، ويكون الأصل الأول فيما يسنّه تعريفه إيّاهم أنّ لهم صانعاً قادراً واحداً لاشريك له ، وأنّ النبيّ عبده و رسوله ، و أنّه عالم بالسّر والعلانية ، و أنّه من حقّه أن يطاع أمره ، و أنّه قد أعدّ للمطيعين الجنّة و للعاصين النّار حتّى يتلقى الجمهور أحكامه المنزلة على لسانه من الله والملائكة بالسّمع والطاعة.

والى هذا البرهان أشار الصّادق عليه السلام فيما رواه في الكافي باسناده عن هشام بن الحكم عنه عليه السلام أنّه قال للزّنديق الذي سأله من أين اثبت الأنبيآء والرّسل؟ قال: إنّا لما أثبتنا أنّ لنا خالقا صانعاً متعالياً عنّا و عن جميع ما خلق ، و كان ذلك الصّانع حكيما متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم و يباشرونه و يحاجوهم و يحاجونه ، ثبت أنّ له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، و يدلّونهم على مصالحهم وما به بقاؤهم ، و في تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه ، والمعبّرون عنه جلّ وعزّ هم الأنبيآء و صفوته من

خلقه حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للنّاس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء(١) من أحوالهم ، مؤيّدين عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر و زمان ممّا أتت به الرّسل والأنبيآء من الدلائل والبراهين لكيلا يخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته هذا .

و قال بعض شرّاح الكافي في شرح قوله عليه السلام : ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر و زمان ممّا أتت به الرّسل والأنبيآء من الدلائل و البراهين : يعني أنّه ثبت وجود النبيّ في كلّ وقت من جهة ما أتوا به من المعجزات و خوارق العادات ، كأنّ قائلا يقول : إنّ الذي ذكرته من البرهان قد دلّ على حاجة النّاس في كلّ زمان بوجود النبيّ، و أنّه يجب من الله بعثه الرّسل والأنبياء و إرسالهم ، ولكن من أي سبيل تعلم النّاس النبي و يصدق بنبوّته ورسالته ، فأجيب بأنّه ثبت ذلك عليهم بمشاهدة ما أتت به الرّسل والنّبيون من الدّلائل والبراهين ، يعني المعجزات الظاهرة منهم، وهي المراد هيهنا بالدّلائل والبراهين إذ النّاس لايذعنون إلاّ بما يشاهدونه وقوله عليه السلام : لكيلا يخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته تعليل متعلق بقوله : ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر ، ووجه التعليل أنّ ما دامت الأرض باقية والنّاس موجودون فيها فلابدّ لهم من حجّة لله عليهم يقوم بأمرهم و يهديهم إلى سبيل الرّشاد و حسن المعاد ، و هو الحجة الظاهرة ولابدّ أن يكون معه علم بالله و آياته يدل على صدق مقالته ودعوته للنّاس و على جريان حكمه عليهم وجواز عدالته فيهم ، وهو الحجة الباطنة انتهى.

و به ظهر الوجه في عدم إخلائه سبحانه خلقه من نبيّ مرسل على ما صرّح به الامام عليه السلام ، كما ظهر وجه قوله عليه السلام : (أوحجة لازمة) أي لازمة على الخلق (أومحجّة قائمة) أي طريقة عدل يقفون عليها ولايميلون عنها يميناً ويساراً، والمراد بها هنا هي الشريعة كماقال سبحانه:

١- متعلق بمشاركين.

« وَ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً » وقال : « وَ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّىٰ بِهِ نُوحاً »

ثمّ إنّ الحجة قد تطلق و يراد بها الكتاب ، وقد تطلق على الامام المعصوم الذي يكون مقتدى للخلائق يأتمّون به و يتعلّمون منه سبيل الهدى و طريق التقوى ، نبيّا كان أو وصيّا ، و هو المراد منها فيما رواه في الكافي باسناده عن أبي اسحاق عمّن يثق به من أصحاب أمير المؤمنين ، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : اللّهمّ إنّك لاتخلي أرضك من حجّة لك على خلقك ، يعني أنّك بلطفك وجودك على عبادك لاتخلي أرضك من حجّة لك عليهم ليهتدوا به سبيلك ، و يسلكوا به سبيل قربك و رحمتك، وينجوبه عن معصيتك و عقابك.

وقد تطلق و يراد بها العقل ، فانّه حجة لله على النّاس في الباطن كما أن النبي والامام حجة في الظاهر ، وقد وردت به الأخبار المستفيضة عن أئمّتنا عليهم السلام.

إذا عرفت ذلك فنقول : الظاهر بل المتعين أنّ المراد بها هنا هو الامام المعصوم أعني الوصيّ بخصوصه ، لعدم إمكان إرادة النبيّ و الكتاب لسبق ذكر هما و عدم امكان إرادة العقل لأنّ حجيّته منحصرة في المستقلاّت العقليّة لامجال له في غيرها ، فلا يعرف الحقّ من الباطل في الأمور الّتي عجزت عن إدراكها عقول البشر بأفكارها ، و إنّما يعرفها الامام بنور الالهام فلايتمّ اللّطف منه تعالى على خلقه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ بوجوده عليه السلام فيهم.

و بذلك ظهر فساد ما توهّمه الشّارح المعتزلي من جعله الحجة في العبارة حجة العقل حيث قال : و منها أن يقال إلى ماذا يشير عليه السلام بقوله أو حجّة لازمة ، هل هو إشارة إلى ما يقوله الاماميّة من أنّه لابدّ في كلّ زمان من وجود إمام معصوم ، الجواب أنهم يفسرون هذه اللّفظة بذلك، و يمكن أن يكون المراد بها حجة العقل انتهى.

وجه الفساد ما ذكرنا ، و نزيد توضيحاً و نقول : إنّ لله سبحانه حجّتين :

داخليّة وخارجيّة، والنّاس إمّا أهل بصيرة عقلية أم أهل حجاب، فالحجّة على أهل البصيرة إنّما هي عقولهم الكلية العارفين بها بالمصالح والمفاسد الكامنة الواقعية، فلاحاجة لهم إلى اتباع الحجة الخارجية، بل حجّة الله عليهم بصيرتهم و نور عقلهم وهداهم، وأما أهل الحجاب و ذو العقول الناقصة فالحجّة عليهم إنّما هي الخارجيّة، لعدم إحاطة عقولهم بالجهات المحسّنة والمقبحة، فلا يكمل اللّطف في حقهم إلاّ بقائد خارجيّ يتبعون به، إذ الأعمى يحتاج في قطع السّبيل إلى قائد خارجي يتبعه تقليداً في كل قدم وهو واضح.

فقد تحصّل ممّا ذكرنا أنّ المراد بالحجّة في كلامه عليه السلام هو الامام المعصوم كما قد ظهر ممّا بيّناه هنا و فيما سبق في شرح قوله من نبيّ مرسل: لزوم وجود الحجّة في الخلق، لمكان الحاجة.

و ملخّص ما ذكرناه هنا و سابقاً أنّ نظام الدّنيا والدّين لايحصل إلاّ بوجود إمام يقتدي به النّاس و يأتمّون به و يتعلّمون منه سبيل هداهم و تقواهم، والحاجة إليه في كلّ عصر و زمان أعظم و أهمّ من الحاجة إلى غذاهم و كساهم و مايجرى مجراهما من المنافع والضرورات، فوجب في العناية الرّبانية أن لايترك الأرض ولا يدع الخلق بغير إمام نبيّاً كان أو وصيّاً، وإلاّ لزم أحد الأمور الثّلاثة: إمّا الجهل و عدم العلم بتلك الحاجة، أو النّقص و عدم القدرة على خلقه، أو البخل والضّنّة بوجوده والكلّ محال على الله سبحانه هذا،

و يطابق كلام الامام عليه السلام ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن محمّد ابن عيسى عن محمّد بن الفضيل عن أبي حمزة عن أبيجعفر عليه السلام قال: قال: والله ماترك الله أرضاً منذ قبض الله آدم إلا فيها إمام يهتدى به إلى الله، و هو حجّة على عباده ولاتبقى الأرض بغير امام حجّة لله على عباده،

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ الله أجلّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل.

و أيضاً عن أبي بصير عن أحدهما عليه السلام ، قال : قال : إنّ الله لم يدع الأرض بغير عالم ، ولولا ذلك لم يعرف الحقّ من الباطل ، يعني في الأمور التي تعجز عن إدراكها العقول حسبما مرّ سابقا .

و في الأخبار الكثيرة المستفيضة بل القريبة من التواتر المعنوي المرويّة في الكافي و علل الشّرايع و إكمال الدّين و رجال الكشي و غيرها أنّ الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت ، يقال : ساخت الأرض بهم انخسفت ، والمراد به في الأخبار إمّا غوصها في الماء حقيقة أو كناية عن هلاك البشر وذهاب نظامها كما نبّه عليه المحدّث المجلسي طاب ثراه في مرءآة العقول ثمّ إنّه عليه السلام وصف المرسلين بأنّهم رسل (لا يقصر(١) بهم قلّة عددهم) أي عن نشر التكليف و حمل إعباء الرّسالة (ولا كثرة المكذّبين لهم) أي عن تبليغ الأحكام و اداء الامانة ، و هذا الكلام صريح في عدم جواز التقيّة على الأنبياء .

و منه يظهر فساد ما نسبه الفخر الرّازي إلى الاماميّة من تجويزهم الكفر على الأنبيآء تقية حسبما مرّ في تذييلات الفصل الثّاني عشر في باب عصمة الأنبيآء عليهم السّلام ، ضرورة أنّ اقتداء الاماميّة رضوان الله عليهم إنّما هو على إمامهم عليه السلام ، و مع تصريحه عليه السلام بما ذكر كيف يمكن لهم المصير إلى خلاف قوله عليه السلام هذا .

مضافاً إلى ما أوردناه عليه سابقا بل و مع الغضّ عن تصريحه عليه السلام ، بذلك أيضاً نقول : كيف يمكن أن يتفوّه ذو عقل بصدور كلمة الكفر عن نبيّ مع أنّ بعث النبي ليس إلاّ لحسم مادة الكفر ، نعوذ بالله من هذه الفرية البيّنة وذلك البهتان العظيم ، ثم إنّه عليه السلام بين الرّسل وميّزهم بقوله : (من سابق سمّي له من بعده أو غابر) أي لاحق (عرفه من قبله) يعني أنّهم بين سابق سمى (٢) لنفسه من بعده ، بمعنى أنّه عين من يقوم مقامه من بعده، أو أنّ السّابق(٣) سمّى الله له من يأتي

١ــ من القصور او التقصير والاول اظهر،منه

٢ــ هذا على بناء سمى للفاعل على مافى بعض النسخ، منه

٣ــ هذا على البناء للمفعول ، منه

بعده و اطلعه عليه ، و بين لاحق عرّفه من قبله و بشّربه ، كتعريف عيسى عليه السلام وبشارته بالنبيّ صلى الله عليه وآله كما قال سبحانه حكاية عنه:

« وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ».

و قد مرّ في حديث الكافي عند شرح قوله : واصطفى من ولده أنبيآء اه ، تفصيل بشارة الأنبيآء السّلف للخلف سلام الله عليهم أجمعين فتذكر .

الترجمة

و خالى نگذاشت حق سبحانه و تعالى مخلوقان خود را از پيغمبر مرسلى يا از كتاب منزلى يا برهانى لازم كه عبارتست ازامام معصوم ياطريقهٔ مستقيمهٔ كه عبارتست ازشريعت قويمه آنها ، رسولانى هستند كه قاصر نميكند يامقصر نميكند آنها را كمى عدد ايشان از تبليغ رسالت ، و نه بسيارى تكذيب كنندگان ايشان از اداء وحى وامانت ، طايفه از ايشان سابق بودند كه نام ميبردند بجهت خود آن كسى راكه بعد از اوست ، يا اينكه خداوند عالم نام برد آنكسى را كه بعد از او بود ، و طايفه ديكر لاحق بودند كه تعريف كرده بود او را آنكسى كه پيش از اوبود

الفصل السادس عشر

عَلىٰ ذٰلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ، وَ مَضَتِ الدُّهُورُ ، وَ سَلَفَتِ الْآباءُ ، وَخَلَفَتِ الْأَبْناءُ ، إِلىٰ أَنْ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لِإِنْجازِ عِدَتِهِ ، وَ إِتْمامِ نُبُوَّتِهِ ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثاقُهُ ، مَشْهُورَةً سِماتُهُ ، كَرِيماً مِيلادُهُ ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَأَهْواءٌ مُنْتَشِرَةٌ ، وَطَرائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلّٰهِ بِخَلْقِهِ ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي إِسْمِهِ ، أَوْ مُشِيرٍ إِلىٰ غَيْرِهِ ، فَهَدٰيهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ ، وَ أَنْقَذَهُمْ بِمَكانِهِ مِنَ الْجَهالَةِ .

اللغة

(نسل) نسلا من باب ضرب كثر نسله ، و يتعدّى إلى مفعول يقال : نسلته أى ولدته ونسل الماشي ينسل بالضّم و بالكسر نسلا و نسلا ونسلاناً أسرع ، ونسلت القرون أى ولدت أو أسرعت و (سلف) سلوفا من باب قعد مضى و انقضى و (خلفته) جئت بعده ، والخلف بالتّحريك الولد الصالح ، فاذا كان فاسداً أسكنت اللاّم و ربّما استعمل كلّ منهما مكان الآخر و(الميثاق) والموثق كمجلس العهد و (السّمات) جمع السّمة و هي العلامة و(الميلاد) كالمولد وقت الولادة ،ولم يستعمل في الموضع كما توهّمه الشارح البحراني بل مختص بالزّمان، والمولد يطلق على الوقت والموضع كما صرّح به الفيومي (والملل) جمع الملّة و هي الشريعة والدّين (والأهواء) جمع هوا بالقصر إرادة النّفس (و طرائق متشتّتة) أى متفرقة و (الملحد) من الالحاد يقال الحد و لحد إذا حاد عن الطريق و عدل عنه و(الانقاذ) كالنّقذ والاستنقاذ التّخليص و(المكان) مصدر بمعنى الكون.

الاعراب

قوله ﷺ : على ذلك متعلّق بالفعل الذي يليه ، واللاّم في قوله لانجازعدته تعليل للبعث متعلّق به ، و مأخوذاً و مشهورة و كريماً منصوبات على الحالية من محمّد ﷺ ، كما أنّ محلّ الجملة أعني قوله ﷺ : و أهل الارض اه ، كذلك ، و ملل وأهواء و طرائق مرفوعات على الخبريّة من أهل الأرض ، و إسنادها إليه من باب التّوسّع ، والأصل ذو ملل متفرقة ، و قيل : إنّ المبتداء محذوف أى مللهم ملل متفرقة ، و أهوائهم أهواء منتشرة ، و طرائقهم طرائق متشتّتة ، و بين ظرف متعلّق بقوله: متشتّتة، وهو من الظروف المبهمة لايتبيّن معناه إلاّ بالاضافة إلى اثنين فصاعداً أو ما يقوم مقامه كقوله تعالى : عوان بين ذلك،

قال الفيومي في المصباح : والمشهور في العطف بعدها أن يكون بالواو ، لأنّها للجمع المطلق ، نحو المال بين زيد و عمرو، و أجاز بعضهم بالفاء مستدلاّ بقول امرء القيس : بين الدّخول فحومل ، و اُجيب بأن الدّخول اسم لمواضع شتى،

فهو بمنزلة قولك المال بين القوم و بها يتمّ المعنى انتهى.

إذا عرفت ذلك فأقول: الظاهر أنّ كلمة أو في قوله: أو ملحد، أو مشير، بمعنى الواو إجراء للفظ بين على ما هو الأصل فيه، مضافا إلى عدم معنى الانفصال هيهنا، و قول الشارح البحراني، إنّ الانفصال هنا لمنع الخلوّ فاسد، ضرورة أن بعض أهل الأرض عند بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله كان من أهل التّوحيد حسبما تعرفه وهؤلاء ليس داخلا في أحد الأصناف الثلاثة فافهم جيّدا، والباء في بمكانه سببيّة، أى أنقذهم بسبب كونه و وجوده صلى الله عليه وآله من الجهالة.

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام ساق هذه الخطبة بمااقتضاه التّرتيب الطبيعي، أى من لدن آدم عليه السلام إلى بعث محمّد صلى الله عليه وآله وهداية الخلق به واقتباسهم من أنوار وجوده الذي هوالمقصود العمدة في باب البعثة، فقال عليه السلام (على ذلك) يعني على هذا الاسلوب الذي ذكرناه من عدم إخلاء الارض والخلق من الأنبياء والحجج (نسلت القرون) و ولدت أو أسرعت، و هو كناية عن انقضائها (و مضت الدهور، و سلفت الآباء) أى تقدّموا و انقضوا (و خلفت الأبناء) أى جاءوا بعد آبائهم و صاروا خليفة لهم (إلى أن بعث الله) النّبيّ الأمّيّ العربيّ القرشيّ الهاشميّ الابطحيّ التّهاميّ المصطفى من دوحة الرّسالة، والمرتضى من شجرة الولاية (محمّداً صلى الله عليه وآله لانجاز عدته) التي وعدها لخلقه على ألسنة رسله السّابقين بوجوده عليه السلام (ولاتمام نبوّته) الظاهر رجوع الضمير فيه الى الله سبحانه، وقيل: برجوعه إلى محمّد صلى الله عليه وآله ولا يخلو عن بعد.

وينبغي الاشارة إلى الحجج الذين لم يخل الله سبحانه خلقه منهم من لدن آدم عليه السلام إلى بعث نبينا صلوات الله عليهم أجمعين فنقول:

روى الصّدوق في الأمالى عن ابن المتوكل عن الحميري عن ابن عيسى عن الحسن بن محبوب عن مقاتل بن سليمان عن أبي عبدالله الصّادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيّد النّبيّين، ووصيّي سيّد الوصيّين، وأوصيائى سادة الأوصياء، إنّ آدم سأل الله عزّ وجلّ ان يجعل له وصيّا صالحاً، فاوحى الله عز وجلّ إليه إني أكرمت الأنبياء

بالنبوة ثم اخترت خلقا (خلقي خ ل) و جعلت خيارهم الأوصيآء، فقال آدم: يا رب اجعل وصيي خير الأوصياء، فأوحى الله عز وجل إليه يا آدم اوص إلى شيث و هو هبة الله بن آدم، و أوصى شيث إلى ابنه شبان (١)، و هو ابن نزلة الحوراء التي أنزلها الله على آدم من الجنة فزوجها ابنه شيثا، وأوصى شبان إلى محلث (٢)، وأوصى محلث إلى محوق (٣) وأوصى محوق إلى عثميا، و أوصى عثميا (٤) إلى اخنوخ وهو إدريس النبي، وأوصى إدريس إلى ناخور (٥) ودفعها ناخور إلى نوح النبي وأوصى نوح إلى سام، وأوصى سام إلى عثامر (٦) واوصى عثامر إلى برغيثاشا «٧»، و أوصى برغيثاشا إلى يافث، و أوصى يافث إلى برة، وأوصى برة إلى جفشية (٨)، و أوصى جفشية إلى عمران، ودفعها عمران إلى ابراهيم الخليل عليه السلام، وأوصى ابراهيم إلى ابنه اسماعيل، وأوصى اسماعيل إلى إسحاق، و أوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، و أوصى يوسف إلى بريثا، و أوصى بريثا إلى شعيب، ودفعها شعيب إلى موسى بن عمران، و أوصى موسى بن عمران إلى يوشع بن نون، و أوصى يوشع بن نون إلى داود، و أوصى داود إلى سليمان، و أوصى سليمان إلى آصف بن برخيا و أوصى آصف بن برخيا إلى زكريا، و أوصى (دفعها خ ل) زكريا إلى عيسى بن مريم و أوصى عيسى بن مريم إلى شمعون بن حمون الصفا، و أوصى شمعون إلى يحيى (٩)

١- بالشين المثلثة والباء الموحدة م

٢- بالحآء المهملة والثاء المثلثة

٣- بالحاء المهملة والقاف م

٤- بالثاء المثلثة والميم بعده الياء م

٥- بالنون والخاء المعجمه و في بعض النسخ بالحاء المهملة

٦- بالعين المهملة والثاء المثلثة والراء اخيرا م

٧- بالغين المعجمة بعدها ياء تحتانية وبعدالياء ثاء مثلثة و آخر الحروف الف قبلها شين مثلثة، انوار

٨- بالجيم والفاء والشين المعجمة بعدها ياء تحتانية، انوار

٩- الخبر يدل على بقاء يحيى بن زكريا «ع» خلافا للمشهور ويناقي بعض الاخبار الدالة على نبوة يحيى قبل عيسى «ع» و ربما قيل بتعدد يحيى من زكريا ولايخفى بعده، بحار الانوار

ابن زكريا، وأوصى يحيى بن زكريّا إلى منذر، و أوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى بردة.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: و دفعها إليّ بردة، و أنا أدفعها إليك يا عليّ، وأنت تدفعها إلى وصيّك، و يدفعها وصيّك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، و لتكفرنّ بك الامّة، و لتختلفن عليك اختلافا شديداً الثّابت عليك كالمقيم، و الشّاذ عنك في النّار، و النّار مثوى للكافرين.

وقد مضى في شرح قوله عليه السلام: و اصطفى من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، ما يوجب ازدياد البصيرة في المقام فراجعه و قوله عليه السلام: (مأخوذاً على النبيّين ميثاقه).

أقول: قد عرفت في الفصل الرّابع عشر عند شرح قوله عليه السلام: لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، ما دلّ على أخذ ميثاق جميع الخلق على توحيد الله تعالى ونبوّة محمد صلى الله عليه وآله و إمامة الأئمة عليهم السّلام في عالم الميثاق.

و ينبغي أن نذكر هنا بعض ما يفيد أخذ ميثاق النبيّين بخصوصهم سلام الله عليهم، فأقول: قال سبحانه في سورة آل عمران:

«وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي، قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

قال الطبرسيّ عند تفسير الآية: و روى عن أمير المؤمنين عليه السلام و ابن عبّاس و قتادة أنّ الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا صلى الله عليه وآله أن يخبروا أممهم بمبعثه و رفعته، و يبشّروهم به و يأمروهم بتصديقه.

و قال أيضاً: و قد روي عن علي عليه السلام أنّه قال، لم يبعث الله نبيّا آدم ومن

بعده إلاّ أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمّداً وهو حيّ ليؤمننّ به و لينصرنّه ، و أمره بأن أخذ العهد بذلك على قوله

و في تفسير عليّ بن ابراهيم القمّي قال الصّادق عليه السلام في قوله:

« وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ـ الآية »

كان الميثاق مأخوذاً عليهم بالرّبوبيّة ولرسوله صلّى الله عليه وآله بالنّبوّة ولأمير المؤمنين والأئمة عليهم السّلام بالامامة فقال « ألست بربّكم » و محمّد نبيّكم و عليّ إمامكم والأئمة الهادون أئمتكم ؟ فقالوا: بلى ، فقال الله تعالى.

« أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ » أي لئلاّ تقولوا يوم القيامة « إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ » فأوّل ما أخذ الله عزّ وجلّ الميثاق على الأنبياء بالرّبوبيّة وهو قوله : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ » فذكر جملة الأنبياء ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي فقال : « وَمِنْكَ » يا محمّد فقدّم رسول الله صلّى الله عليه وآله لأنّه أفضلهم « وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ »

فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ، ورسول الله صلّى الله عليه وآله أفضلهم ، ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلّى الله عليه وآله على الأنبياء بالايمان به و على أن ينصروا أمير المؤمنين ، فقال:

« وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ » يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله « لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ » يعنى أمير المؤمنين عليه السلام تخبروا اممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمة .

و في البحار عن كشف الغمّة من كتاب بكر بن محمّد الشّامي باسناده عن أبي الصّباح الكناني عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال : أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام و هو في مسجد الكوفة قد احتبى بسيفه ، قال : يا أمير المؤمنين إنّ في القرآن آية قد أفسدت قلبي و شكّكتني في ديني ، قال عليه السلام له : و ماهي ؟ قال : قوله عزّ وجلّ:

«وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا»

هل كان في ذلك الزمان نبيا غيره ﷺ يسأله ؟ فقال له علي عليه السلام : اجلس أُخبرك إنشاءالله إن الله عز وجل يقول في كتابه :

«سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا»

فكان من آيات الله عز وجل التي أراها محمداً ﷺ أنه أتاه جبرئيل فاحتمله من مكة فوافى به بيت المقدس في ساعة من الليل ، ثم أتاه بالبراق فرفعه إلى السماء ، ثم إلى البيت المعمور ، فتوضأ جبرئيل وتوضأ النبي ﷺ كوضوءه ، و أذن جبرئيل و أقام مثنى مثنى ، و قال للنبي : تقدم فصل و اجهر بصلاتك فان خلفك افقاً من الملائكة لايعلم عددهم الا الله ، و في الصف الأول أبوك آدم ونوح وهودوابراهيم و موسى و كل نبي أرسله الله مذ خلق السماوات والأرض إلى أن بعثك يا محمد ، وتقدم النبي ﷺ فصلى بهم غير هائب ولا محتشم ركعتين ، فلما انصرف من صلاته أوحى الله إليه اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الاية ، فالتفت إليهم النبي ﷺ ، فقال بم تشهدون ؟ قالوا : نشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له ، و أنك رسول الله ، و أن علياً أمير المؤمنين ووصيك وكل نبي مات خلف وصياً من عصبته غير هذا ، و أشاروا إلى عيسى بن مريم ، فانه لاعصبة له ، و كان وصيه شمعون الصفا ابن حمون بن عمامة ، و نشهد أنك رسول الله سيد النبيين ، و أن علي بن ابي طالب عليه السلام سيد الوصيين ، اخذت على ذلك مواثيقنا لكما بالشهادة ، فقال الرجل أحييت قلبي و فرجت عني يا أمير المؤمنين.

وفيه أيضاً عن بصائر الدرجات باسناده عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : إن الله تبارك و تعالى أخذ الميثاق على أُولي العزم أني ربكم و محمد رسولي و علي أمير المؤمنين و أوصياؤه من بعده ولاة أمري و خزان علمي ، و أن المهدي

أنتصر به لديني .

إلى غير هذه ممـا يطلع عليه المتتبع (مشهورة سماته) إى صفاته وعلاماته في الكتب المنزلة والصحف السماوية من التوراة والزبور والانجيل و صحف ابراهيم و دانيال و كتاب زكريا و شعيا و غيرها ، قال سبحانه في سورة البقرة :

« أَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ »

يعني يعرفون محمداً صلى الله عليه وآله بنعته و صفته و مبعثه و مهاجره و صفة أصحابه كما يعرفون أبنائهم في منازلهم ، و قال أيضاً في سورة الأعراف :

« اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيلِ »

روى العياشي عن الباقر عليه السلام يعني اليهود والنصارى صفة محمد و اسمه.

و في الصافي عن المجالس عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال يهودي لرسول الله صلى الله عليه وآله إني قرأت نعتك في التوراة محمد بن عبدالله ، مولده بمكة ، و مهاجره بطيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب (١) ولا مترنن (٢) بالفحش ولا قول الخنا ، و أنا أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله ، هذا مالي فاحكم فيه بما انزل الله.

و في الكافي عن الباقر عليه السلام لما انزلت التوراة على موسى بشر بمحمد صلى الله عليه وآله ، قال : فلم تزل الأنبياء تبشر به حتى بعث الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فبشر بمحمد صلى الله عليه وآله ، وذلك قوله : يجدونه ؛ يعني اليهود والنصارى ، مكتوباً ، يعني صفة محمد عندهم ، يعني في التوراة والانجيل ، وهو قول الله عز وجل يخبر عن عيسى:

« وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ »

وقد مضى تمامه عند شرح قوله عليه السلام : و اصطفى من ولده أنبياء ، أخذ على الوحي ميثاقهم اه .

١ـ السخب محركة الصخب والصخب شدة الصوت قاموس

٢ـ الترنن هو التصوت لغة

و في الكافي أيضاً مرفوعاً أنّ موسى عليه السلام ناجاه ربّه تبارك و تعالى ، فقال في مناجاته : اوصيك يا موسى وصيّة الشّفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم ، و من بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيب الطاهر المطهّر ، فمثله في كتابك أنّه مهيمن (١) على الكتب كلّها ، و أنّه راكع ساجد راغب راهب (٢) ، إخوانه المساكين و أنصاره قوم آخرون (كريماً ميلاده) أى وقت ولادته صلى الله عليه وآله ، فقد تولـد و كان طالع ولادته على ماحكاه المجلسي قده عن أبي معشر : الدّرجة العشرون من جدى، و كان زحل والمشتري في العقرب ، والمريخ في بيته في الحمل ، والشمس في الحمل في الشّرف ، والزهرة في الحوت في الشّرف ، والعطارد أيضاً في الحوت ، والقمر في أوّل الميزان ، والرّأس في الجوزاء ، والذّنب في القوس.

و روي أيضاً اتّفاق الحكماء على أنّ طالعه صلى الله عليه وآله المشتري والعطارد والزّهرة والمرّيخ ، وقالوا إنّ نظر المشتري علامة العلم والحكمة والفطنة والكياسة والرّياسة له صلى الله عليه وآله ، و إنّ نظر العطارد كان آية لطافته و ظرافته و ملاحته و فصاحته وحلاوته صلى الله عليه وآله ، و إنّ نظر الزّهرة دليل صباحته و سروره و بشاشته و حسنه و طيبه و بهائه و جماله و دلاله صلى الله عليه وآله ، وإنّ نظر المرّيخ علامة شجاعته و جلادته و محاربته وقتاله و قهره و غلبته .

و أمّا تاريخ ولادته صلى الله عليه وآله فقد قال في الكافي : إنّه ولد صلى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل (٣) يوم الجمعة مع الزّوال .

و روى أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة ، و حملت به أُمّه أيّام التشريق عند الجمرة الوسطى ، و كانت في منزلة عبدالله بن عبدالمطلب وولدته

١ــ المهيمن هو المؤتمن وقيل الشاهد وقيل الرقيب منه

٢ــ الرهبة هو الخوف

٣ ــ اى فى عام هجوم اصحاب الفيل على مكة و قيل ان ولادته كانت بعد هلاك اصحاب الفيل بخمسة و خمسين يوما وقيل بخمسة واربعين وقيل بعده بثلاثين سنة وقيل تولد في يوم هلاكهم والله العالم ،منه

في شعب أبي طالب في دار (١) محمّد بن يوسف في الزّاوية القصوى عن يسارك وانت داخل في الدّار، و قد اخرجت الخيزران ذلك البيت فصيّروه مسجداً يصلّي النّاس فيه، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: أمّا ماذكره من كون تولّده في ثاني عشر من شهر ربيع الأوّل فهو المشهور بين الجمهور و لعلّه (ره) و افقهم على ذلك تقيّة، و لبعض العامّة قول بكونه في ثامن ذلك الشّهر، و قول آخر بأنّه في عاشره و قول شاذّ بكونه في شهر رمضان.

والمشهور في أخبارنا و بين أصحابنا بل المدّعى عليه إجماعنا في جملة من العباير أنّ تولّده صلى الله عليه وآله في السّابع عشر.

و أمّا ما ذكره من أنّ أُمّه حملت به في أيام التّشريق عند الجمرة الوسطى يستلزم بقائه في بطن أُمّه إمّا ثلاثة أشهر أو سنة و ثلاثة أشهر مع أنّه خلاف ما اتّفق عليه أصحابنا من كون أقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر و أكثرها تسعة، ولم يقل أحد أيضاً بكون ذلك من خصايصه ولا وردت عليه رواية.

و أجاب عنه جمع من الأصحاب كالمجلسي (ره) والمحدّث الجزايري (ره) و غيرهما بأنّه مبنيّ على النسيء المراد بقوله:

« إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ »

و ذلك أنّ المشركين كانوا يؤخّرون موسم الحجّ، فمرّة كانوا يحجّون في صفر و أُخرى في محرّم و هكذا، تبعاً لاعتدال الوقت والهواء، وكان حجّهم في سنة تولّده في جمادى الآخرة.

قال الجزائري و يؤيّده ما رواه ابن طاوس في كتاب الاقبال أنه صلى الله عليه وآله حملت به أُمّه في ثمان عشر مضت من جمادى الآخرة، ولمّا فتح النبيّ صلى الله عليه وآله مكّة كان

١- لايخفى ان تولده كان فى بيته صلى الله عليه وآله واعطى ذلك البيت لعقيل بن ابيطالب وباعه عقيل لمحمد بن يوسف الثقفى اخ الحجاج فادخله فى بيته وقد اخرجت الخيزران ام هارون لعنه الله فى ايام خلافته ذلك البيت من بيت محمد بن يوسف فصيرته مسجدا والان باق على المسجدية، منه

حجّهم في شهر ذي الحجّة فقال الآن دار الزّمان كما كان فلايجوز لأحد تغييره ولا تبديله انتهى.

و كيف كان فقد كان مولده على مذهب الشّيعة اليوم السّابع عشر من شهر ربيع الأوّل و بعث للرّسالة يوم السّابع والعشرين من رجب وله حينئذ أربعون سنة (و) قد كان (أهل الأرض يومئذ) أي يوم بعثه و تصديعه بالرّسالة ذي (ملل) وشرايع (متفرّقة و أهوآء) أي آراء (منتشرة و طرائق) أي مسالك (متشتتة) و متفرقة و مذاهب مختلفة (بين مشبّه لله بخلقه، او ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره).

قال الشّارح المعتزلي: إنّ العلمآء يذكرون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث والنّاس أصناف شتّى في أديانهم، يهود و نصارى و مجوس و صابئون و عبدة أصنام وفلاسفة و زنادقة، فأمّا الامة التي بعث فيها محمّد صلى الله عليه وآله فهم العرب و كانوا أصنافا شتى، فمنهم معطلة، و منهم غير معطلة. فأمّا المعطلة منهم فبعضهم أنكر الخالق والبعث والاعادة و قالوا: ما قال القرآن العزيز منهم:

« ما هِيَ إلاّ حَيوتُنَا الدُّنيا نَمُوتُ وَنَحْيى وَما يُهْلِكُنا إلاّ الدَّهْرُ »

فجعلوا الجامع لهم الطبع والمهلك الدّهر، و بعض اعترف بالخالق سبحانه وأنكر البعث، وهم الذين أخبر سبحانه عنهم بقوله:

« قالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ »

و منهم من أقرّوا بالخالق و نوع من الاعادة، و أنكروا الرّسل وعبدوا الأصنام و زعموا أنّها شفعآء عندالله في الآخرة وحجّوا لها و نحروا لها الهدى و قرّبوا لها القربان و حلّلوا و حرّموا، وهم جمهور العرب، وهم الذين قال الله تعالى عنهم:

« و قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ و يَمْشي في الأَسْواقِ »

و كانوا في عبادة الأصنام مختلفين، فمنهم من يجعلها مشاركة للباري جلّ اسمه و يطلق عليها لفظ الشّريك، و منهم من لايطلق عليها لفظ الشّريك و يجعلها وسائل

و ذرايع إلى الخالق سبحانه وهم الذين قالوا :

« إِنَّمَا نَعْبُدُهُمْ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّٰهِ زُلْفَى »

و كان في العرب مشبّهة و مجسّمة ، وكان جمهورهم عبدة الأصنام فكان ودّ لكلب بدومة (١) الجندل ، وسواع (٢) لهذيل و نسر لحمير ، و يغوث لهمدان ، و اللاّت لثقيف بالطايف ، والعزّى لكنانة و قريش و بعض بني سليم ، ومناة لغسان والأوس والخزرج ، و كان هبل لقريش خاصّة على ظهر الكعبة ، و اساف (٣) و نائلة على الصّفا والمروة ، و كان في العرب من يميل إلى اليهوديّة ، منهم جماعة من التّبابعة (٤) و بلوك اليمن ، و منهم نصارى كبني تغلب والعباديين رهط عديّ بن زيد و نصارى نجران ، و منهم من كان يميل إلى الصّابئة (٥) و يقول بالنجوم والانواء (٦) ، فامّا الذّين ليسوا بمعطلة من العرب فالقليل منهم وهم المتألهون أصحاب الورع والتّحرج عن القبايح ، كعبدالله و عبدالمطلب و ابى طالب و زيدبن عمروبن نفيل و قس بن ساعدة الأيادى ، و جماعة غيرهؤلاء ، انتهى باختصار منّا.

١ـ دومة الجندل حصن بين المدينة والشام و هواقرب الى الشام من المدينة

٢ـ سواع اسم صنم كان يعبد فى زمن نوح ثم صارلهذيل

٣ـ اساف ككتاب وسحاب اسم صنم وضعها عمروبن يحيى على الصفا و نائلة على المروة وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وهما اساف بن عمرو و نائلة بنت سهل كانا شخصين من جرهم ففجرا فى الكعبة فمسخا حجرين فعبدتهما قريش وقالوا لولا ان الله رضى ان يعبد هذان معه ماحولهما عن حالهما مجمع البحرين.

٤ـ جمع تبع كسكر من بلوك حمير

٥ـ الصابئة من صبأ فلان خرج من دينه الى دين آخر وصبات النجوم خرجت من مطالعها قيل اصل دينهم دين نوح فمالوا عنه و قيل الصابئون لقب لقب به طائفة من الكفار يقال انها تعبد الكواكب فى الباطن ، مجمع البحرين .

٦ـ جمع نوء وهوالنجم ، طريحى

إذا عرفت هذا فأقول: قوله عليه السلام بين مشبّه لله بخلقه ، إشارة إلى بعض هذه الفرق ، وهم المشبّهة الذين شبّهوا الله تعالى بالمخلوقات و مثلوه بالحادثات وأثبتوا له صفات الجسم .

فمنهم مشبّهة الحشويّة ، قالوا : هو جسم لا كالأجسام ، و مركب من لحم و دم لا كاللحوم والدّماء ، و له الأعضاء والجوارح ، ويجوز عليه الملامسة والمعانقة والمصافحة للمخلصين .

و منهم الذين قالوا : إنّ الله على العرش من جهة العلوّ مماسّ له من الصّفحة العليا ، و يجوز عليه الحركة و الانتقال ، قال اميّة بن ابي الصلت :

من فوق عرش جالس قد حطّ رجليه على كرسيّه المنصوب .

و منهم اليهود والنّصارى الذين قالوا :

« نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ، وَقَالَتَ النَّصارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ » و قالت اليهود : « يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ »

و قد أثبتوا له سبحانه يداً و ولداً إلى غير هؤلاء من المشبّهة و المجسّمة.

و قوله عليه السلام : أو ملحد في اسمه اشارة إلى فرقة اخرى من هذه ، وهم الذين يعدلون بأسماء الله تعالى عمّا هي عنه فيسمّون بها أصنامهم ، و يغيّرونها بالزّيادة والنّقصان ، فاشتقّوا اللاّت من الله ، و العزّى من العزيز ، و مناة من المنان و هذا المعنى حكاه الطبرسي عن ابن عبّاس و مجاهد في تفسير قوله تعالى :

« وَلِلّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ »

ثم قال : و قيل : إنّ معنى يلحدون في أسمائه يصفونه بما لايليق به ، و يسمّونه بما لايجوز تسميته به ، و هذا الوجه أعمّ فائدة ، و يدخل فيه قول الجبائي : أراد تسميتهم المسيح بأنّه ابن الله ، ثمّ قال و في هذا دلالة على أنّه لايجوز أن يسمّى الله إلاّ بما سمّى به نفسه .

و قوله عليه السلام: أو مشير إلى غيره إشارة إلى الدّهريّة و بعض عبدة الأصنام ممّن لم يدخل في القسمين السّابقين.

والحاصل أنّ النّاس عند بعث النبيّ صلى الله عليه و آله كانوا على مذاهب مختلفة ،وآراء متفرّقة من اليهوديّة والنّصرانيّة والمجوسيّة والدّهريّة و عبدة الأصنام و غيرهم (فهداهم الله) سبحانه (به) عليه السلام أى بنور وجوده (من الضّلالة) والغواية(وأنقذهم بمكانه) أى خلصهم وأنجاهم بكونه ووجوده(من) ظلمة (الجهالة) فانجلى به عين قلوب العارفين ، و اضمحلّ باطل الشّيطان بماجاء به من الحقّ اليقين.

الترجمة

پس بر اين منوال منقضى ميشد قرنها وميگذشت روزكارها ، و از پيش رفتند پدران و از پس در آمدند و خليفه شدند پسران ، تا اينكه بر انگيخت خداوند عالم محمّدبن عبدالله صلى الله عليه و آله را بجهت روا كردن وعدهٔ خود كه‌بانبياء گذشته داده بود ، و بجهت تمام فرمودن نبوّت خود در حالتيكه فرا گرفته بودبرپيغمبران عهد و پيمان او را در حالتيكه مشهور و معروف بود علامات و صفات او در كتب سماويّه و صحف منزلة ، و در حالتيكه شريف و عزيز بود وقت ولادت او و حال آنكه اهل زمين در روز بعثت او صاحبان ملل ومذاهب متفرقه بودند، وخداوندان هواها و رأيهاى پراكنده و صاحبان راههاى مختلف در ميان ، تشبيه كنندهٔ حق تعالى بمخلوقات خود و عدول كننده در اسماء حسناى او و إشاده كننده برغيراو، پس هدايت و راهنمائى فرمود ايشان را بنور وجود او از گمراهى ، وخلاص فرمود آنها را بجهت هستى او ازجهالت‌ونادانى.

الفصل السابع عشر

ثُمَّ اخْتارَ سُبْحانَهُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله لِقائَهُ، و رَضِيَ لَهُ ماعِنْدَهُ فَأَكْرَمَهُ عَنْ دار الدُّنيا ، ورَغِبَ بِهِ عَنْ مُقارَنَةِ (مَقامِ خ‍ل) الْبَلْوى ، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ

كَريماً صلى الله عليه وآله، وخَلَفَ فيكُم ما خَلَّفَتِ الأنبياء في أُمَمِها، إذ لَم يَترُكُوهُم هَمَلاً بِغَيرِ طَريقٍ واضِحٍ، وَلا عَلَمٍ قائِمٍ، كِتابَ رَبِّكُم مُبَيِّناً حَلالَهُ وَحرامَهُ، وفَضائِلَهُ وفَرائِضَهُ، وناسِخَهُ ومَنسُوخَهُ، ورُخَصَهُ وعَزائِمَهُ، وخاصَّهُ وعامَّهُ، وعِبَرَهُ وأمثالَهُ، ومُرسَلَهُ ومَحدُودَهُ، ومُحكَمَهُ ومُتَشابِهَهُ، مُفَسِّراً جُمَلَهُ، ومُبَيِّناً غَوامِضَهُ، بَينَ مَأخُوذٍ ميثاقُ عِلمِهِ، ومُوَسَّعٍ عَلَى العِبادِ في جَهلِهِ، وبَينَ مُثبَتٍ في الكِتابِ فَرضُهُ، ومَعلُومٍ في السُّنَّةِ نَسخُهُ، وواجِبٍ في السُّنَّةِ أخذُهُ، ومُرَخَّصٍ في الكِتابِ تَركُهُ، وبَينَ واجِبٍ بِوَقتِهِ، وزائِلٍ في مُستَقبَلِهِ، ومُبايَنٍ بَينَ مَحارِمِهِ، مِن كَبيرٍ أوعَدَ عَلَيهِ نيرانَهُ، أو صَغيرٍ أرصَدَ لَهُ غُفرانَهُ، وبَينَ مَقبُولٍ في أدناهُ، ومُوَسَّعٍ في أقصاهُ.

اللغة

(رغب) بالكسر من باب تعب إذا تعدى بكلمة في فبمعنى الارادة والميل، وإذا عدّى بعن فبمعنى الاعراض والعدول، يقال: رغب فيه رغباً ورغبة إذا أراده ورغب عنه إذا لم يرده وأعرض عنه و (البلوى) والبلاء بمعنى واحد و (خلّفوا) أثقالهم تخليفاً خلّوها وراء ظهورهم و (الهمل) محركة مصدر همل كضرب يقال: تركت الابل والغنم ونحوهما هملا، أى سدى يرعى بغير راع ليلا و نهاراً، والهمل أيضاً جمع هامل مثل همّل وهمال و زان ركع و كتاب، يقال: بغير هامل أى راع ولا داعي له و (العلم) هو العلامة و ما ينصب في الطريق لاهتداء النّاس به من الميل والمنار و (الفضايل) جمع الفضيلة و هو الخير، و هو خلاف النقيصة و (الفرايض) جمع الفريضة بمعنى المفروضة، و هي الأحكام الواجبة يقال: فرض الله الأحكام أى أوجبها و (النّسخ)

إزالة ما كان ثابتاً و (الرّخص) جمع الرّخصة كغرف و غرفة و هو التّسهيل في الأمر والتّيسير يقال: رخص الشّرع لنا في كذا ترخيصاً و ارخص إرخاصا إذا يسّره و سهله و (العزائم) جمع العزيمة و فسرها أهل اللغة بالفريضة والظاهر بقرينة المقابلة بالرّخص إرادة الفرايض المشتملة على الجدّ والضّيق و (العبر) جمع عبرة و هو الاعتبار والاتعاظ بما مضى و (المحكم) من اللّفظ ما اتّضح دلالته و (المتشابه) خلافه و(غمض) الحقّ غموضاً من باب قعد خفي ونسب غامض لايعرف و (المباين) بفتح الياء مفعول من باين بمعنى المفاصل و (ارصد له) أي أعدله .

الاعراب

كريماً حال من مفعول قبضه ، و كلمة ما مفعول لقوله خلف مجازاً ، والاصل مثل ما خلّفت ، و إذ لم يتركوهم تعليل لتخليف الأنبياء ، و كتاب منصوب على أنّه عطف بيان لما ، و مبيّنا حال من فاعل خلّف ، و هو العامل فيه ، و مفسّرا حال بعد حال ، والضّماير كلها راجعة إلى الكتاب المشتمل على الأحكام المذكورة ، و بين مأخوذ متعلق بمقدّر حال من الكتاب ، أي حال كون ذلك الكتاب دائراً بين مأخوذ ، و مباين بالجرّ عطف على سابقه أي بين مباين بين محارمه.

وماتوهّمه الشّارح المعتزلي وتبعه غيره من أنّ الواجب كونه بالرّفع لابالجرّ نظراً إلى أنّه ليس معطوفاً على ماقبله ، بدليل أنّ جميع ماقبله يستدعي الشيء وضده ، أوالشيء و نقيضه وقوله ومباين بين محارمه لانقيض و لا ضدّ له ، لأنّه ليس القرآن العزيز على قسمين أحدهما مباين بين محارمه ، والآخر غير مباين ، فانّ ذلك لايجوز ،فوجب رفع مباين وأن يكون خبر مبتدء محذوف

فيه أنّه إن أراد أنّ كلمة بين يستدعي الاضافة إلى اثنين فصاعداً نقيضاً كان أحدهما للآخر أوضداً نظراً إلى عدم تماميّة المعنى بدونهما ، ففيه منع ذلك ، لما قد عرفت في الفصل السّابق من تجويزهم إضافته إلى شيء واحد يقوم مقام شيئين كما في قوله تعالى : عوان بين ذلك ، وقول امرء القيس : بين الدّخول فحومل ، حيث

ردّوا من جوّز العطف بعدها بالفاء ، استدلالا بالبيت المذكور بأنّ الدّخول اسم لمواضع شتى

وإن أراد أنّ جميع ما ذكره ﷺ قبل قوله ومباين ممّا اقحم فيه كلمة بين قد ذكر ﷺ فيه الشيء و ضدّه أو الشيء ونقيضه ، و مباين لو كان مجروراً بالعطف للزم أن يذكر له ضدّاً و نقيض وليس فليس ، ففيه أنّ كون ما قبله على النّسق المذكور لا يستدعي كون ذلك على ذلك النّسق أيضاً ، ألا ترى إلى قوله ﷺ بعد ذلك بين محارمه حيث لم يذكر له ضدٌّ ولا نقيض

فان قلت : إنّ المحارم لما لم تكن شيئاً واحداً بل بعضها من قبيل الكبائر وبعضها من قبيل الصّغائر كما بينها بقوله ﷺ : من كبير أوعد عليه نيرانه أوصغير اه لاجرم حسن الاكتفاء بها في مقام الاضافة

قلت : أوّلا إنّ هذاهدم لما أسّسته ، وثانياً أنّ المباين ليس أيضاًشيئاًواحداً شخصيّاً ، بل هومثل المحارم ، و بعبارة اخرى الحرمة المباينة بين المحارم تابعة للمحارم في تعدّد الأفراد فافهم جيّداً

وأمّا قوله : لأنّ القرآن العزيز ليس على قسمين ، أحدهما مباين ، والآخر غير مباين ، ففيه ان ذلك مما تضحك منه الثكلى ، ضرورة أنّ الكتاب ليس منحصراً في المباين ، بل بعضه جدل و بعضه قصص وبعضه مثل و بعضه أحكام وبعضه ترغيب وبعضه ترهيب ، كما أنّ بعضه مباين بين محارمه إلى غير ذلك ممّا اشتمل عليه ، وبالجملة فقد تلخص ممّا ذكرنا كله أنّ مباين مجرور معطوف على ماقبله و ليس بمرفوع على أنّه خبرمبتدء محذوف ، مضافا إلىأن جعله مرفوعاًخلاف مايستفاد (١) من سياق كلامه ﷺ سابقاً ولاحقاً .

١ـ يعني ان توسط قوله ومباين بين قوله عليه السلام بين مأخوذ ميثاق علمه الى قوله وزايل في مستقبله و بين قوله عليه السلام و بين مقبول في ادناه اه يفيد كونه جاريا على ذلك النسق بان يكون مجرورا بكلمة بين أيضاً جريا للكلام على نسق واحد، منه

المعنى

(ثمّ) إنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله لمّا بلّغ الرّسالة و أدّى الأمانة وأكمل الدّين وأتمّ النّعمة وهدى الامّة من الضّلالة وأنقذها من الجهالة (اختار) الله (سبحانه) عند ذلك له أى (لمحمّد صلّى الله عليه وآله لقاءه ، ورضى له ماعنده) ممّا لاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (فأكرمه) وأعزّه (عن) اللبث والبقاء في(دارالدّنيا ، ورغب به) وصرفه (عن) اقامة (مقام) المحنة و (البلوى فقبضه) أى قبض روحه الشّريف (إليه)أى إلى قربه الروحاني حالكونه (كريماً) شريفاً (صلّى الله عليه وآله) وكان قبضه صلّى الله عليه وآله لاثنتى عشرة ليلةمضت من ربيع الأوّل يوم الاثنين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة على مافي الكافي ، والاشهر أنّه لليلتين بقيتا من صفر ، ولم يمض صلّى الله عليه وآله حتّى بين للناس معالم دينهم ، و أوضح لهم سبيلهم ، و لم يتركهم بعده سدى و هملا ، بل خلف فيهم الثقلين على مادلّ عليه الحديث المتواترين الفريقين ويأتي إنشاءالله في شرح المختار السّادس والثّمانين وغيره من المقام اللايق والمناسب

ومن جملة طرقه الصّدوق : قال : حدّثنا أحمد بن الحسن القطان ، قال : حدثنا الحسن بن عليّ بن الحسين السكري عن محمّد بن زكريا الجوهري عن جعفربن محمّد ابن عمارة عن أبيه عن الصّادق جعفربن محمّد عن أبيه محمّد بن علي عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه عليّ بن أبيطالب سلام الله عليهم، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، و أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين ، وضمّ بين سبّابتيه ، فقام إليه جابربن عبدالله ، فقال : يا رسول الله من عترتك ؟ قال صلّى الله عليه وآله : عليّ والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين عليهم السلام إلى يوم القيامة .

و إلى ذلك المعنى أشار عليه السلام بقوله : (وخلف فيكم) أى خلّى وراء ظهره مثل (ما خلفت الأنبياء) السّابقة و الرّسل السّالفة (في اممها) من آثار النّبوة واعلام الرّسالة (إذ لم يتركوهم هملا) أى لم يتركوا اممهم يفعلون مايشاؤون كالابل التي رعت حيث تشاء و لا راعى لها ليلا ونهاراً ، و يحتمل الجمع على مامرّ أى لم

يتركوهم هاملين (بغيرطريق واضح) يوصل إلى مقام القرب والزلفى (ولاعلم قائم) بينهم ينجي بهم عن ورطة الهلاكة والردّى

أقول : قد عرفت في الفصل السّادس عشرأنّ بعث الأنبياء والحجج عليهم السلام إنّما هولأن يدعوا الخلق إلى الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليكونوا سبباً لانتظام أمرمعاشهم ومعادهم ، لمكان ماجاءوا به من القانون العدل والشّرع السّواء ، ولأجل ذلك مست الحاجة على أن يأتوا من عنده سبحانه بكتاب باق و علم قائم بعد انقراض قرن النبي المبعوث إلى زمن مجيء بعث النبيّ الاخر ، ليكون تذكرة لهم ، وكيلا يندرس آثار النبوّة من الأرض و لا تنقطع بفقدانهم ، ولا يكون الخلق ينسون ما ذكروا به و غافلين و كالهمل من الحيوان يعملون ما يشتهون ، أو كالهمج الرّعاع لكلّ ناعق يصغون ، ولمّا كان شرع نبينا صلى الله عليه وآله مستمرّاً إلى يوم القيامة وجب له أن يخلّف لمن يليه مايكون ذكرى وتذكرة في هذه المدّة المتطاولة

وقد خلّف الثقل الأكبر مضافاً إلى الثقل الاصغروهو حبل ممدود من السماء إلى الارض ينجى به من المهالك ومن فارقه فهالك وبيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع مايحتاج إليه النّاس كملا ، وكما جعله الله سبحانه خاتماً للأنبياء فقد جعل كتابه خاتماً للكتب ، فلا كتاب بعده أحلّ فيه حلالا وحرّم حراماً ، فحلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة فيه شرعكم و خبر من قبلكم وخبر من بعدكم وهو (كتاب ربّكم) و جعله النبي صلى الله عليه وآله علماً باقياً و طريقاً قائماً بين امّته حالكونه (مبيّناً حلاله وحرامه) كما قال تعالى :

« أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا »

وقد يجعل الحلال أعمّ من المباح والمكروه ليكون ذلك مع قوله عليه السلام : (وفضائله وفرائضه) إشارة إلى الأحكام الخمسة التي عليها مدار الفقه ، ليكون الفضائل إشارة إلى المندوبات ، والفرائض إشارة إلى الواجبات ، وذلك مثل قوله سبحانه:

« فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلٰوةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ »

فإذا اطمأننتم فأقيموا الصّلوة إنّ الصّلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»

فانّ ذكرالله سبحانه بعد قضاء الصّلاة وفعلها داخل في المندوبات ، و إقامة الصّلاة بعدالاطمينان موقوتة مفروضة (وناسخه ومنسوخه) والمراد بالأوّل الحكم الرافع للحكم الثّابت بالنصّ المتقدّم ، ويسمّى الثّاني و هو الحكم المرفوع منسوخاً ، و مثال ذلك قوله تعالى :

« والمحصنات(١) من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم »

فانه منسوخ بقوله تعالى :

« ولا تنكحوا المشركات »و بقوله :« ولا تمسكوا بعصم الكوافر »

كما يدلّ عليه ما رواه في الكافي عن الحسن بن الجهم قال : قال لي أبوالحسن الرّضا عليه‌السلام : يا با محمد ما تقول في رجل يتزوج نصرانيّة على مسلمة ؟ قلت جعلت فداك وماقولي بين يدك ، قال : لتقولنّ فانّ ذلك تعلم به قولي ، قلت : لايجوز تزويج نصرانية على مسلمة ولا على غيرمسلمة ، قال : ولم ؟ قلت : يقول الله عزّ وجلّ

« ولا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ »

قال : فما تقول في هذه الآية

« والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم »

قلت : فقوله : و لا تنكحوا المشركات نسخت هذه الآية فتبسّم عليه‌السلام ثمّ سكت (ورخصه وعزائمه) الظاهر أنّ المراد بالعزائم الاحكام التي لايجوز مخالفتها بحال من الأحوال ، مثل وجوب الاعتقاد والاقرار بالتّوحيد كما قال تعالى:

١ـ اى احل لكم العقد على المحصنات كما يدل عليه سابق الاية وهوقوله احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم و المحصنات من المؤمنات و المحصنات من الذين الاية ،منه

« فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ »

وبالرّخص مايجوز مخالفته واذن في تركه في بعض الأحيان لقيام الدّاعي إلى المخالفة كأكل الميتة في حال المخمصة على مايدلّ عليه الآية الشّريفة

« إِنَّمَا حُرِّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ»

وقريب منه ماقيل: من انّ الرّخص ماأذن في فعله مع قيام السّبب المحرّم لضرورة أو غيرها، والعزائم ماكان من الاحكام الشّرعيّة جارياً على وفق سببه الشّرعى

أقول: وذلك مثل صوم شهر رمضان، فانّه رخصة بمعنى أنّه يجوز تركه في حقّ الحامل المقرب والمرضعة القليلة اللّبن و الشيخ والشيخة، و يجب تركه في حقّ المريض والمسافر، فيكون الافطار عزيمة لهما والصوم عزيمة في حقّ غيرهم من الجامعين لشرايط الوجوب، قال تعالى:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»

فانّ الصّيام عزيمة في حقّ المؤمنين، ورخص في تركه لمن كان مريضاً أوعلى سفر فيجب له الافطار كما رخص جوازا في حقّ الذين لهم طاقة و ليس لهم وسع من الحامل المقرب ونحوها ممّن ذكرناه، وإليه الاشارة بقوله: وعلى الذين يطيقونه، فانهم مرخّصون في الافطار مخيرون بين الصّوم والفدية وان يصوموا خيرلهم إن كانوا يعلمون (وخاصّه وعامّه) العام هواللّفظ الموضوع للدلالة على استغراق أجزائه أو جزئياته، والخاص خلافه والأوّل مثل قوله تعالى:

« أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة » وقوله : « أحل لكم الطيبات »

والثاني مثل قوله : « وجاء رجل من أقصى المدينة »

و يحتمل أن يكون المراد بالعام ما لفظه موضوع للعموم و اريد منه ذلك أيضاً : كقوله تعالى : « والله بكل شيء عليم »

و بالخاص ما لم يرد به ذلك و إن كان اللفظ موضوعاً له ، مثل قوله تعالى حكاية عن بلقيس : « وأوتيت من كل شيء »

فانّ لفظه عامّ ومعناه خاصّ ، لأنّها لم تؤت شيئاً كثيراً منها الذكر واللحية وقوله :

« يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين »

لأنّ معناه خاصّ ، لأنّهم إنّما فضلوا على أهل زمانهم بأشياء خصّهم بها (و عبره وامثاله) العبر جمع العبرة مأخوذة من العبور الذي هوانتقال الجسم من مكان إلى آخر ، و معناهـا انتقال ذهن الانسـان من شيء إلى آخر بسبب من الأسباب ؛ كانتقاله من المصائب و الآلام الواقعة على الغير إلى نفسه فيقدّرها كانّها نازلة به ، فيحصل له بذلك رغبة عن الدنيا وميل إلى العقبى ، قال تعالى :

« فأخذه الله (١) نكال الآخرة والأولى ، إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى »

و هذا أكثر مواقع استعمالها ، و قد يستعمل في الانتقال من آثار الصّنع و القدرة إلى وجود الصّانع وصفات كماله ، قال سبحانه :

« يقلّب الله الليل والنهار إنّ في ذلك لعبرة لاولى الأبصار »

١- يعني اخذفرعون بعقوبة الاخرةوالدنيا وفيه عبرة لمن في قلبه خوف وخشية ولم يتغشأه غطاء وقساوةمنه ،

وقال أيضاً: «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشّارِبِينَ»

وأمّا الأمثال فكقوله عزّ من قائل: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً» وقوله: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ».

(ومرسله ومحدوده) المراد بالمرسل هو المطلق، وهو على ما عرفه أكثر الأصوليّين اللفظ الدّالّ على شايع في جنسه، وفرق الشّهيد في التّمهيد بينه وبين العام، بأن المطلق هو الماهيّة لا بشرط شيء والعام هو الماهيّة بشرط الكثرة المستغرقة، والتّفصيل في ذلك موكول إلى الأصول، والمراد بالمحدود هو المقيد مثال الأوّل قوله تعالى:

«وَإِذْ قالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً»

ومثال الثّاني قوله: «قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها - الآية»

(ومحكمه ومتشابهه) قال تعالى:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ»

والمحكم مأخوذ من حاكمت و أحكمت بمعنى رددت و منعت، و الحاكم يمنع

الظالم من الظلم ، و بناء محكم أي وثيق يمنع من تعرّض له ، و سمّيت الحكمة حكمة لمنعها عمّا لاينبغي ، والتّشابه أن يكون أحد الشّيئين شبيهاً بالاخر بحيث يعجز الذّهن عن التّميز بينهما ، قال تعالى:

«إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا»

و قال رسول‌الله ﷺ : حلال بيّن و حرام بيّن و شبهات بين ذلك ، ولما كان من شأن المتشابهين عجز الانسان عن التّميز بينهما سمّي كلّ مالايهتدى الانسان إليه بالمتشابه إطلاقا لاسم السّبب على المسبّب هذا.

و عرّفهما المحقّقون من العامة والخاصّة بأنّ اللفظ الموضوع لمعنى إمّا أن يحتمل غير ذلك أم لا ، الثّاني النّص ، و على الأوّل فإمّا أن يكون أحدهما راجحاً والآخر مرجوحاً أم لا، بل يكون احتماله لهما على السّوآء ، فعلى الأوّل الرّاجح الظاهر، والمرجوح المأوّل ، والثّاني المشترك أو المجمل ، والقدر المشترك بين النّص والظاهر هو المحكم ، و بين المجمل و المأوّل هو المتشابه .

فقد ظهر من ذلك أنّ المحكم ما اتّضح دلالته ، والمتشابه خلافه وقد حقّقنا الكلام فيهما بما لامزيد عليه في حواشينا على القوانين مثال الأوّل قوله:

«إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النّاسَ شَيْئاً ، وَلا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ»

ومثال المتشابه قوله : «وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلٰثَةَ قُرُوءٍ»

وقوله : «الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ»

والتشابه في الأولى من جهة الاشتراك، و في الثّانية من تعذّر الحقيقة و اختفاء قرينة المجاز، ومن المتشابه الحروف المقطعة في أوايل السّور مثل الم وحم وطه ونحوها و قوله ﷺ (مفسراً جمله) المراد بالجمل الألفاظ المجملة المحتملة المحتاجة إلى التّفسير والبيان ، مثل ثلاثة قروء في الآية السّابقة المردّدة بين الطهر والحيض، ومنه على مذهب البعض قوله :

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ، وحُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ»

و أمثالها ممّا أُضيف فيه التحليل والتّحريم إلى الأعيان (١) فانّ إرادة الحقيقة فيها غير ممكنة، والمجازات متعدّدة، واللفظ مجمل بالنّسبة إليها ومحتمل لكلّ منها (ومبينا غوامضه) أي معضلاته و مشكلاته.

ثمّ أشار عليه السلام إلى تقسيم الكتاب بنحو آخر بقوله: (بين مأخوذ ميثاق علمه) أي على كلّ أحد لايقبل العذر فيه، و ذلك مثل معرفة الصّانع و توحيده قال تعالى:

«وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ - الآية»

(و) بين (موسّع على العباد في جهله) كالمتشابهات التي جعل علمها مخصوصا بالرّاسخين في العلم، و غيرهم منها في سعة كما قال:

(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)

(وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخه) هذا الكلام نصّ و صريح في وقوع نسخ الكتاب بالسنّة المتواترة، فيدلّ على جوازه بطريق أولى، لأنّ الوقوع أخص من الامكان، وهومذهب أصحابنارضي الله عنهم والمتكلمين من المعتزلة و الأشاعرة، و إليه ذهب أصحاب أبي حنيفة و مالك، و خالف فيه الشافعي و أكثر الظاهريّة على المحكى عنهم في النّهاية والحنبلى في إحدى الرّوايتين عنه، والمسألة معنونة في الاصول ويشهد بوقوعه قوله:

١- لايخفى ان الاية الا ولى اعنى قوله ثلثة قرو، مثال لما كان الاجمال من جهة الاشتراك و تعدد المعانى الحقيقية والايات الاخيرة امثلة لما كان جهة الاجمال كثرة المعانى المجازية وتردد اللفظ بينها، منه

(وَاللاَّتي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِن نِسائِكُمْ فَاستَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أرْبَعَةً مِنكُمْ فَإنْ شَهِدُوا فَأمسِكُوهُنَّ في البُيُوتِ حَتّى يَتَوَفّيهُنَّ المَوْتُ أوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ، وَاللَّذانِ يَأتِيانِها مِنكُمْ فَآذُوهُما فَإنْ تابا وَأصْلَحا فَأعْرِضُوا عَنهُما إنّ اللهَ كانَ تَوّاباً رَحِيما)

فانّ مفاد الآيـة الأُولى حبس الفواحش من النّساء في البيوت إلى حين الممات ، كما أنّ مفاد الثّانية وجوب ايذاء الآتين للفاحشة ، ثمّ نسخ ذلك أى الحبس والايذاء بالجلد الثابت لغير المحصن والمحصنة بالكتاب أعني قوله :

(ألزّانِيَةُ وَالزّاني فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنهُما مِأةَ جَلْدَةٍ)

وبالرّجم الثابت لهما بالسنة النبويّة

وأمّا ماقيل : من أنّ الآية الأُولى منسوخة بآية الجلد والرّجم الثّابت بالسنة مضاف إلى الجلد زيادة وليس نسخاً له ، وأنّ الآية الثانية باقية بحالها غير منسوخة إذ الزّاني المستحق للحدّ يذمّ أو لا ويعنف ، ثمّ يحدّ فليست الآيتان منسوختين بالسنة

ففيه منع اضافة الجلد إلى الرّجم دائماً كمنع إضافة الرّجم إليه كذلك ، بل بعض الفاحشات مستحقّة للجلد فقط وبعضها للرّجم فقط وبعضها يجمع لها بين الحدّين على ما فصل في الكتب الفقهية

وأمّا ما قاله الشّارح البحراني في تقرير الاستشهاد بهما على المدّعى : من أنّه كانت الثيب إذا زنت في بدء الاسلام تمسك في البيوت إلى الممات ، و البكر تؤذى بالكلام ونحوه بمقتضى هاتين الآيتين ، ثم نسخ في حقّ الثّيب بالرّجم وفي حقّ البكر بالجلد والتعزير بحكم السّنة

ففيه أوّلا أن الآية الأُولى غير مختصّة بالثّيب بل شاملة لها وللبكر ، اللهمّ إلاّ أن يقال باستفادة الثّيبوبة من الاضافة ، لأنّه سبحانه أضافهن إضافة زوجيّة إذ لو أراد غير الزوجات لقال : من النّساء ، ولم يقل : من نسائكم ، فالبكر تكون خارجة عنها

وثانياً أنّ السنّة لم تقم على الرجم في حقّ الثيب مطلقاً بل في حقّ المحصنة منها فاللازم تبديل لفظ الثيب في قوله : ثم نسخ ، في حقّ الثيب بالمحصنة

و ثالثاً أنّ ثبوت الجلد للبكر إنّما هو بالكتاب لابحكم السنّة ، لا يقال إنّ غاية ما يستفاد من الكتاب هوجلد الزّانية مأة جلدة ، و كون المراد بها هي البكر الغير المحصنة ممّا استفيد من السّنة ، فثبوت الجلد في حقّها قد كان بحكم السنّة فكان النّاسخ هوالسنّة دون الكتاب ، لأنانقول : إنّ النّاسخ هوالكتاب ، والسنّة بيان لما هوالمراد بالنّاسخ فافهم

ورابعاً أنّ المستفاد من كلامه (ره) أنّ الآية الأولى واردة في حقّ الثيب والآية الثّانية في حقّ البكر وهوخلاف مايستفاد من الأخبار ، فانّ المستفاد منها أن الأولى واردة في حقّ النّساء ، والثّانية في حقّ الرّجال

قال علي بن إبراهيم القمّي (ره) عند تفسير الآيتين : فانّ في الجاهليّة إذازنى الرّجل يؤذى والمرأة تحبس في بيت إلى أن تموت ، ثمّ نسخ ذلك بقوله : الزّانية والزّاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مأة جلدة .

و روى في الوسائل عن رسالة المحكم و المتشابه للمرتضى ، نقلا من تفسير النّعماني باسناده عن إسماعيل بن جابر عن أبي عبدالله عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليهم‌السلام في حديث النّاسخ والمنسوخ ، قال : كان من شريعتهم في الجاهليّة أنّ المرأة إذا زنت حبست في البيت واُقيم بادوها حتّى يأتيهاالموت ، وإذا زنى الرّجل نفوه عن مجالسهم وشتموه وآذوه وعيّروه ولم يكونوا يعرفون غيرهذا ، قال الله تعالى في أوّل الاسلام واللاّتي يأتين الفاحشة إلى آخرالآيتين ، فلمّا كثرالمسلمون وقوى الاسلام واستوحسوا امورالجاهليّة أنزل الله تعالى : الزّانية والزّاني ، الاية ، فنسخت هذه آية الحبس والأذى

أقول : و لعلّ مراده عليه‌السلام نسخ هذه الآية لتلك الآيتين في حقّ غيرالمحصن و المحصنة فلا ينافي ما قرّرناه في مقام الاستشهاد كما لايخفى (و) بين (واجب في السّنة أخذه ، و مرخّص في الكتاب تركه) هذا الكلام كسابقه صريح في عكس

سابقه، و هو وقوع نسخ السنّة بالكتاب، فيدلّ على الجواز بالأولويّة حسبما مرّ وهومذهب الاماميّة والأشاعرة والمعتزلة وجميع فقهاء العامّة، والمخالف منحصر في الشّافعي على ماحكى عنه، والشّاهد على وقوعه أنّ التّوجّه إلى بيت المقدس كان واجباً في ابتداء الاسلام بالسنّة خاصّة، لعدم دليل في الكتاب عليه ثمّ نسخ بقوله تعالى:

(فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ)

وأنّ مباشرة النّساء في اللّيل كانت محرّمة على الصّائمين بالسنّة أيضاً، وقد نسخ بقوله تعالى:

(فَالْآنَ باشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا ما كَتَبَ اللهُ لَكُمْ)

وأنّ صوم عاشوراء كان واجباً بالسنّة، ثمّ نسخ بصوم شهر رمضان بقوله:

(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)

كما رواه في الوسائل عن الحارث العطار، قال: سألت أباجعفر عليه السلام عن صوم عاشوراء فقال صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة، وفيه أيضاً عن زرارة بن أعين و محمّد بن مسلم جميعا أنّهما سألا أباجعفر الباقر عليه السلام عن صوم يوم عاشور، فقال: كان صومه قبل شهر رمضان، فلمّا نزل شهر رمضان ترك (وبين واجب لوقته وزايل في مستقبله) كالنّذر والعهد واليمين الموقت بوقت معيّن، قال تعالى:

(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْئُولاً) وقال أيضاً: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً)

وتمثيل الشّارح البحراني له بالحجّ الواجب في العمر مرّة لامعنى له، إذالحجّ وإن كان واجباً في العمر مرّة إلاّ أنّه لايزول وجوبه في المستقبل، مع عدم الاتيان،

بل يجب في العام القابل ويجب قضاؤه مع عدم الاتيان به دوام العمر

فان قيل : لعلّ مراده عليه السلام بقوله : وزايل في مستقبله ، هوزوال الوجوب بعد الاتيان بالواجب ، وعلى ذلك فيصحّ التّمثيل

قلت : لوبنى على ذلك لاستوى فيه جميع الواجبات سواء كان وجوبه في العمر مرّة أو غير مرّة ضرورة أنّ كلاّ منها مع الاتيان يوجب سقوط التكليف ، فلا يبقى بعد الاتيان والامتثال وجوب كما هوظاهر

لا يقال كيف يمكن إنكار الفرق بين الحجّ و بين صلاة الظهر و أمثالها من الواجبات المكرّرة ، مع أنّ الحجّ إذا اتى به مرّة يزول التكليف به بعده ، بخلاف الظهر فان الاتيان به في ذلك اليوم لايوجب سقوط الوجوب في الغد

لأنّا نقول : إن أردت من عدم سقوط الوجوب في الغد عدم سقوط وجوب الظهر المأتي به في ذلك اليوم ، ففيه انّه ساقط قطعاً إذ لامعنى للامتثال عقيب الامتثال وإن أردت عدم سقوط وجوب الظهر الواجب عند زوال الغد ، ففيه أنّه واجب مستقبل لا منافاة بين وجوبه وسقوط وجوب ظهر اليوم بعد الاتيان به في وقته فافهم جيّدا

و من العجب جعله الحجّ من الموقتات مع أنّه لا وقت له فلوبدّ له بصلاة الجمعة ومثل بها كما فعله الشّارح المعتزلي لكان له وجه (و) بين حكم (مباين بين محارمه) جمع محرم كمقعد ، والمراد بها المحرّمات التي هي محل الحرمة ، والمراد بالحكم المباين أى المفاصل هو الحرمة ، و المعنى و بين حرمة مفاصلة بين محال الحرمة ، اى مفرقة بين محرّمات الكتاب بالشدّة والضّعف كما بيّنه بقوله : (من كبير أوعد عليه نيرانه ، أوصغير أرصد له غفرانه) فرّق بين الكبير والصغير بأنّ الأوّل ماتوعّد عليه بالنّيران ، والثاني ما اعدّ له الغفران

و بهذا صرّح في جمع من الأخبار ، مثل ما رواه المفيد عن عباد بن كثير قال سألت أباجعفر عليه السلام عن الكبائر ، فقال كلّ ما أوعدالله عليه النّار

وفي الوسائل عن عليّ بن جعفر في كتابه عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال : سألته عن الكبائر التي قال الله عز وجل :

« إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنهَوْنَ عَنْهُ »

قال : التي أوجب الله عليه النار ، وبمعناهما أخبار اُخر

وفي بعض الأخبار أنّها سبع ، وهوما رواه في الكافي عن ابن محبوب ، قال كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الكبائر كم هي و ما هي ؟ فكتب عليه السلام : الكبائر من اجتنب ما أوعدالله عليه النّار كفرعنه سيئآته إذا كان مؤمناً والسّبع الموجبات قتل النّفس الحرام وعقوق الوالدين و أكل الرّبوا والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم و الفرار من الزحف .

ومثله في تعيين السّبع المذكور رواية ثواب الأعمال باسناده عن أحمد بن عمر الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام ، وزيد في بعض الأخبار على السّبع ، ونقص في اخرى و اختلف الحاصر لها في السّبع أيضاً في تعيينها ، و بالجملة الأخبار كالأقوال في المقام مختلفة جدّاً وقد جمعوا بينها بحمل الكبيرة على ماهو كذلك بالنسبة إلى ماهو أصغر منه و الصّغيرة على ماهو كذلك بالنسبة إلى ماهو أكبر منه ، فالقبلة صغيرة بالنسبة إلى الزّنا ، وكبيرة بالنسبة إلى النّظر وهكذا

قال الصّدوق : الأخبار في الكبائر ليست مختلفة ، لأن كلّ ذنب بعد الشّرك كبير بالنّسبة ألي ماهو أصغر منه ، وكلّ كبير صغير بالنّسبة إلى الشّرك بالله

وفي مجمع البيان عند تفسير قوله تعالى :

« إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئاتِكُمْ »

قال : اختلف في معنى الكبيرة ، فقيل : كلّ ما أعدالله عليه في الاخرة عقابا وأوجب عليه في الدّنيا حدّاً فهو كبيرة ، وهو المرويّ عن سعيد بن جبير و مجاهد ، و قيل : كلّ مانهى الله عنه فهو كبيرة ، عن ابن عباس وإلى هذا ذهب أصحابنا ، فانّهم قالوا : المعاصي كلّها كبيرة من حيث كانت قبايح لكن بعضها أكبر من بعض ، وليس في الذّنوب صغيرة وإنّما تكون بالاضافة إلى ماهو أكبر منه ويستحق العقاب عليه أكثر هذا د أكثر الأخبار جمعاً واحتواء لها ، ما رواه الصّدوق باسناده ، والطبرسي في

مجمع البيان جميعاً عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني ، قال حدثني أبوجعفر الثاني عليه السلام قال سمعت أبي يقول : سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول : دخل عمرو بن عبيد على أبي عبدالله عليه السلام فلمّا سلم وجلس تلا هذه الآية :

« ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ » .

ثمّ امسك ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام ما أسكتك ؟ قال أُحبّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله ، فقال عليه السلام : نعم يا عمرو أكبر الكبائر الاشراك بالله يقول الله :

« وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ »

وبعده الاياس من روح الله، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« وَلَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ »

ثمّ الأمن من مكر الله ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ »

ومنها عقوق الوالدين ، لأنّ الله سبحانه جعل العاق جبّاراً شقيّاً ، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا »

إلى آخر الآية ، وقذف المحصنة لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »

وأكل مال اليتيم، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً »

والفرار من الزحف ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ

فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَيهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ »

و أكل الرّبوا لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ »

و السّحر لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَيهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ »

و الزّنا ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً »

و اليمين الغموس الفاجرة لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« اَلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ »

والغلول لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيمَةِ »

ومنع الزّكاة المفروضة ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

(فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ)

و شهادة الزّور وكتمان الشّهادة ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول :

(وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ)

وشرب الخمر ، لأنّ الله عزّ وجلّ نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان ، و ترك

الصّلاة متعمّداً أو شيئاً ممّا فرض الله عزّوجلّ ، لأنّ رسول الله ﷺ قال : من ترك الصّلاة متعمّداً فقد برء من ذمة الله وذمّة رسوله ، ونقض العهد وقطيعة الرّحم لأنّ الله عزّوجلّ يقول:

(لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)

قال : فخرج عمرو و له صراخ من بكائه و يقول : هلك من قال برأيه و نازعكم في الفضل والعلم (و بين مقبول في أدناه و موسّع في أقصاه) كالقيام إلى صلاة اللّيل ، فانّ قليله مقبول والكثير منه موسّع ، قال تعالى :

(يا أيُّها الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاّ قَليلاً نِصْفَهُ أوِانْقُصْ مِنْهُ قليلاً أوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتيلاً) و قال أيضاً :(إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقُومُ أدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذينَ مَعَكَ ، وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارِ ، عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ)

أى صلّوا ما تيسّر من الصلاة في اللّيل ، عبّر عن الصّلاة بالقرآن ، لأنّها تتضمّنه و كقرائة القرآن ، فانّه مرغوب فيها و من القربات المستحبة قليلها مقبول والنّاس من الكثير منها في سعة، و بهافسّرت الآية الأخيرة في أحد التّفسيرين، وروى في مجمع البيان عن الرّضا عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال : ما تيسّر منه أى من القرآن لكم فيه خشوع القلب و صفاء السّر هذا .

و ينبغي تذييل هذا الفصل بامور مهمة مفيدة

لزيادة البصيرة الاول

في الاشارة إلى فائدة إنزال القرآن و نعته بلسان الرّمز والاشادة و بيان

جملة من القابه و أسمآئه .

فاقول : اعلم هداك الله إلى الصّراط المستقيم ، و ثبّتك على المنهج القويم ، أنّ القرآن لما كان اصله مكتوباً:

« فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ »

بلا صحائف ولا أوراق ، لكونه قبل وجود الأنفس والآفاق ، وكنا في ابتدآء وجودنا ضعفآء العقول ، ضعفآء الأبصار ولم يكن تصل قوة أنظارنا إلى أطراف هذه الأرقام، و أكناف هذه الكلمات العظام ، لتعاظم حروفها ، و تعالى كلماتها ، و تباعد أطرافها و حافاتها ، لاجرم تضرعنا إليه سبحانه بلسان احتياجنا واستعدادنا ، و قلنا : إلهنا ارحم على قصورنا ، ولا تؤيسنا عن روحك و رحماتك ، و اهدنا سبيلا إلى مطالعة كلماتك ، و وصولا إلى رضوانك و جنّاتك ، فتلطف سبحانه بنا بمقتضى عنايته الشّاملة ، و حكمته الكاملة و رحمته الواسعه ، و قدرته البالغة ، فاعطى لنا نسخة مختصرة من أسرار كتبه الجامعة ، و انموزجاً و جيزاً من معاني كلماته التّامة

و هو القرآن الكريم و الصّراط المستقيم ، والتّنزيل من العزيز الرّحيم ، نزّله على النّبي الأمين، لانجاء العباد من سلاسل تعلّقات النّفس ، ووساوس الشّيطان اللّعين ، فلو كشف نقاب العزّة عن وجهه ، و رفع جلباب العظمة والكبرياء عن سرّه ، لشفى كلّ عليل ، و روى كلّ غليل، ودادى كل مريض القلب بعلل الأخلاق الذميمة، و أسقام الجهالات المهلكة ، و أنجى المقيدين بسلاسل التعلّقات ، و المزينين بحبّ الأهل والأولاد و الشّهوات ، و هو مع عظمة قدره و علوّ منزلته و سموّ مكانه ، قد تلبّس بلباس الحروف والأصوات ، و اكتسى بكسوة الألفاظ والعبادات ، رحمة منه سبحانه على العباد ، و شفقة على خلقه و تقريباً إلى أفهامهم و مداراة معهم ، و منازلة إلى اذواقهم ، و إلاّ فما للتّراب و ربّ الأرباب ، ففي كلّ حرف منه ألف رمز و إشارة ، و فيكلّ لفظ ألف سرّ وكناية.

و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيما رواه في الكافي باسناده إلى الصّادق عليه السلام عن

آبائه، عنه ﷺ : أيّها النّاس إنّكم في دار هدنة و أنتم على ظهر سفر (١) والسّير بكم سريع و قد رأيتم اللّيل والنّهار والشّمس والقمر يبليان (٢) كلّ جديد و يقربان كلّ بعيد ويأتيان بكل موعود، فأعدّوا الجهاز (٣) لبعد المجاز قال: فقام المقداد بن الأسود، فقال يا رسول الله : و ما دار الهدنة ؟ قال :دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن، فانّه شافع مشفّع و ماحل (٤) مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنّة و من جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدّليل يدلّ على خير سبيل و هو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل (٥) ليس (٦) بالهزل، و له ظهر و بطن، فظاهره حكم، و باطنه علم، ظاهره أنيق (٧) و باطنه عميق له تخوم (٨) و على تخومه تخوم (٩)، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة، و دليل على المعرفة لمن عرف الصّفة، فليجل (١٠) جال بصره، وليبلغ الصّفة نظره، ينج من عطب و يتخلص من نشب (١١) فانّ التفكر حياة قلب البصير كما يمشى المستنير في الظلمات بالنّور، فعليكم بحسن التخلص و قلة التربص هذا.

و لغاية عظمته ومنتهى جلالته سمّي بأسماء مختلفة و لقّب بألقاب كثيرة،

١- التنكير اشارة الى ما هو به و عظمته وهيبته

٢- اى يفنيان م

٣- جهاز السفر اهبة السفر وما يحتاج اليه فى قطع المسافة م

٤ - قال الطريحى فى الحديث من محل به القرآن يوم القيامة صدق اى سعى به يقال محل بفلان اذا قال عليه حولا يوقعه فى مكروه انتهى، فعلى هذا يكون قوله و ما حل اشارة الى سعاية القرآن فى يوم الحساب ممن ضيعه و نبذه و راء ظهره، منه

٥- اى الفاصلة بين الحق والباطل م

٦- اى ليس فيه من الهزلات الشعرية م ل

٧- اى حسن معجب م

٨ - تخم الارض حده والجمع تخوم كفلس و فلوس م

٩ - و فى بعض النسخ له نجوم و على نجومه نجوم وقد فسره المجلسى فى عين الحيوة بالائمة «ع» م

١٠- من جال يجول دار م

١١ - هو من قولهم نشب فى الشىء اذا وقع فيما لامخلص منه، مجمع

لأنّ الشيء كلما ازداد جلالة و رفعة ازداد نعتاً و وصفاً:

فمنها الكتاب قال تعالى: « ذٰلِكَ ٱلْكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ »

و منها القرآن: « إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ »

و منها الفرقان لكونه فارقا بين الحقّ والباطل ، قال سبحانه :

« وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْهُدٰى وَ ٱلْفُرْقانِ »

ومنها النّور ، لأنّه نورعقليّ ينكشف به أحوال المبدء والمعاد ويترا أى منه حقائق الأشياء ، ويهتدى به في ظلمات برّ الاجسام وبحرالنفوس ويظهر بهللسالكين إلى الدار الأخرى طريق الجنة و طريق النار ، قال تعالى :

« قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ و يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ ».

ومنها الحكمة ، قال تعالىٰ: « و يُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ »

و هي عبارة عن: أفضل علم بأحكم معلوم ولا يوصف بها إلاّ المتجرّدون عن جلباب البشريّة ، والمنسلخون عن لباس هذا الوجودالكوني و لذلك قال سبحانه بعدقوله: و يعلّمهم الكتاب والحكمة :

« ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »

ومنها الرّوحُ ، قال تعالىٰ : « يُلْقِي الرُّوحَ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ »

و منها الحق ، لأنّه ثابت لايتغيّر أبداً من حقّ الأمر إذا ثبت ، و لأنّه صادق مطابق للواقع لايعتريه شكّ و ريب ، قال تعالى .

« بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتيٰهُمْ مِنْ نَذيرٍ »

و منها الهدى ، لأنّه يهدى إلى الصّراط المستقيم ، قال تعالى :

« هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، وذٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ »

ومنها الذّكر ، « إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ يُسْئَلُونَ »

سمّي به لأنّه يتذكر به أُمور الآخرة و أحوال المبدء والمعاد .

و منها النّبأ العظيم ، لأنّه يخبر عن عالم الغيب والمغيبات ، قال :

« بَلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ »

و منها الشّفاء ، لأنّه يقع به الشّفاء على الأمراض النّفسانيّة والأسقام الباطنية قال تعالى :

« قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ »

ومنها الرّحمة ، قال تعالىٰ : « وَما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »

ومنها العليّ الحكيم ، قال تعالىٰ : « وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ »

أمّا كونه عليّاً فلأنّ أصله من العالم العلوي ، و أمّا كونه حكيماً فواضح .

و منها التّنزيل ومنها البشير النّذير ومنها العزيز ومنها الموعظة الحسنة ومنها المجيد إلى غير ذلك من الألقاب والأسماء . ولاشكّ أنّ كثرة الأسامى والأوصاف تدلّ على عظم شأن المسمّى والموصوف ، والله العالم بجلالة شأن كلامه و رفعة مرتبة كتابه و مقامه .

الثانى

أنّه لابدّ أن يعلم أنّ القرآن الذي نزل به الرّوح الأمين على سيّد المرسلين صلوات الله عليه و آله أجمعين هل هو مابين الدّفتين و ما وصل إلينا و تناولته أيدينا أم لا ، بل الواصل إلينا بعض القرآن و أنّ القرآن الأصيل الذي نزل به جبرئيل

قد حرّف و بدّل و زيد عليه و نقص عنه، اختلف فيه الأصحاب.

فالذي ذهب إليه أكثر الأخباريّين على ما حكى عنهم السّيد الجزايري في رسالة منبع الحياة و كتاب الأنوار هو وقوع التحريف والزّيادة والنّقصان.

و إليه ذهب عليّ بن إبراهيم القمّي، و تلميذه محمّد بن يعقوب الكليني، والشّيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي، والمحدّث العلامة المجلسي قدّس الله روحهم.

و ذهب المرتضى على ما حكي عنه، والصدوق في اعتقاداته، و الشّيخ في التّبيان والطبرسي في مجمع البيان إلى عدمه، و عزى ذلك إلى جمهور المجتهدين بل الظاهر من الصّدوق قيام الاجماع عليه حيث قال في اعتقاداته: إنّ اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزل الله على نبيّه محمّد ﷺ هو ما بين الدّفتين، و هو ما في أيدي النّاس ليس بأكثر من ذلك إلى أن قال و من نسب إلينا انّا نقول: إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب انتهى.

و مثله الشّيخ، حيث ادّعى قيامه على عدم الزّيادة، قال في محكي كلامه: و أمّا الكلام في زيادته و نقصانه فممّا لا يليق به، لأنّ الزّيادة فيه مجمع على بطلانه، و أمّا النّقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصّحيح من مذهبنا، و هو الذي نصره المرتضى (ره)، و هو الظاهر من الرّوايات، غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصّة والعامّة بنقصان كثير من آى القرآن طريقها الآحاد لا توجب علماً، فالأولى الاعراض و ترك التشاغل بها، لأنّها يمكن تأويلها انتهى.

و مثله الطبرسي في مجمع البيان حيث قال: فأمّا الزّيادة فيه فمجمع على بطلانه و أمّا النّقصان فيه فقد روى جماعة من أصحابنا و جماعة من حشويّة العامة، أنّ في القرآن تغييراً و نقصاناً، والصّحيح من مذهب أصحابنا خلافه.

قال: وهو الذي نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيّات، و ذكر في مواضع أنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان و الحوادث الكبار و الوقايع العظام و الكتب المشهورة و أشعار العرب

المسطورة ، فانّ العناية اشتدت والدّواعي توفّرت على نقله و حراسته ، و بلغت إلى حدّ لم تبلغه فيما ذكرناه. لأنّ القرآن معجزة النّبوة و مأخذ العلوم الشّرعية، والأحكام الدّينيّة ، و علماء المسلمين قد بلغوا في حفظه و حمايته الغاية ، حتّى عرّفوا كلّ شيء اختلفوا فيه من إعرابه و قرائة حروفه و آياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضّبط الشّديد.

و قال (١) أيضاً قدّس سره : و إنّ العلم بتفصيل القرآن و أبعاضه في صحّة نقله كالعلم بجملته و جرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة ، ككتاب سيبويه والمزنى فان أهل العناية بهذا الشّان يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما حتّى لو أنّ مدخلا أدخل في كتاب سيبويه باباً في النّحو ليس من الكتاب لعرف و ميّز و علم أنّه ملحق ، و ليس من أصل الكتاب ، و كذلك القول في كتاب المزنى ، و معلوم أنّ العناية بنقل القرآن و ضبطه أضبط من العناية بضبط كتاب سيبويه و دواوين الشّعراء.

ثم قال الطبرسيّ ره : و ذكر أي المرتضى أنّ من خالف في ذلك من الاماميّة والحشويّة لايعتدّ بخلافهم ، فانّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لايرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته انتهى ماذكره في مجمع البيان.

و هذه العبارات منه و ممّن سبق ذكره كماترى مطبقة في صحّة نقل ما بين الدّفتين و عدم وقوع تغير فيه بوجه من الوجوه ، و إنّما اختلفت في دعوى الاجماع.

فالظاهر من الصّدوق كما عرفت قيامه على عدم التغير بوجه ، حيث نسب ذلك إلى اعتقاد الاماميّة.

و عبارة الشّيخ والطبرسي حسبما حكيناها صريحة في قيامه على عدم الزّيادة و تبعهما على ذلك من متأخري المتأخّرين السّيد المحقق الكاظمي في شرح الوافية

---

١ ـ الظاهر ان كلامه هذا اشارة الى نفى الزيادة فى القرآن كما ان ما ذكره قبل ذلك اشارة الى نفى مطلق التغيير،منه

حيث، قال: اتّفق الكلّ لاتمانع بينهم على عدم الزّيادة، و نطقت به الأخبار، والمرتضى رضي‌الله عنه و إن لم يدّع الاجماع عليه إلاّ أنّه (ره) حسبما عرفت أشد نكيراً منهم لدعواه العلم الضّروريّ به.

إذا عرفت ذلك فأقول: المختار عندي هو وقوع النّقصان فيه دون الزّيادة، ولا بأس بذكر أدلة الطرفين و ما يمكن الاستدلال به عنهم حتّى يتّضح الحقّ من البين، و لنقدّم أدلة النّافين لكون قولهم مطابقا للأصل، ثمّ نتبعها بأدلة المثبتين فنقول:

احتج النّافون القائلون بالعدم بوجوه، بعضها دالّ على عدم التغيير مطلقا وبعضها مختص بنفى الزّيادة.

الاول الاجماع المستفاد من كلام الصّدوق السّابق والمنقول في كلام الشيخ والطبرسي صريحاً حسبما تقدم.

و فيه بعد الغضّ عن حجيّة الاجماع المنقول في نفسه أنّ حجّيته إنّما هو من جهة افادته الظنّ و هو لايكافؤ القطع الحاصل من الأخبار المتواترة المفيدة للنقيصة حسبما تعرفها إن شاء الله، نعم هو حجّة على مدّعي الزّيادة، لأنّ الظنّ الحاصل من أدلتها لايقاوم الظنّ الحاصل منه.

الثاني ما ظهر من كلام المرتضى من توفّر الدّواعي و اشتداد العنايات على حفظه وضبطه، لكونه معجزة النّبوة و مأخذ العلوم الشّرعيّة و مدرك الأحكام الدينية.

و فيه منع توفر الدّواعي على الحفظ والضبط لو لم يقم على التّضييع والتّحريف. و ما استدلّ به عليه **أولا** من كونه متضمناً للتحدّي والاعجاز، **وثانيا** من كونه مدرك الأحكام الشّرعيّة لاينهض على الاثبات:

أما الأوّل فلأنّه إنّما يتمّ لو انحصر طريق إثبات النّبوة فيه، كانحصار معجزة عيسى عليه‌السلام في الطب و إبراء الأكمه و الأبرص، و معجزة موسى عليه‌السلام في

العصا واليد البيضاء، وأمّا مع عدم الانحصار فلا تتوفّر الدّواعي عليه، كأكثر معجزاته لم يتوافر بعد.

فان قلت: سلّمنا عدم انحصار معجزته فيه ولكنّه أظهر المعجزات وأقويها وآكدها فتوفّر الدّواعي عليه.

قلت: إنّ الاعجاز كما يحصل بالجميع كذلك يحصل بالبعض، إذ المناط في الاعجاز هو الفصاحة والبلاغة وغرابة الاسلوب وحسن النّظم، وهي باقية بحالها لم تتغيّر ولم تتبدّل، فلا يخرجه وقوع التّحريف فيه عن كونه دليلا للنّبوة والرّسالة، بل لو فرض والعياذ بالله سقوط جميع آياته عن الاعجاز لكفانا فيه قوله:

«وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»

فانّها مع اختصارها وجازتها مشتملة على أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

وحكى أن بعضهم سمع بدويّة تنشد أبياتاً، فقال لها: لله درّكما أفصحك، فقالت: الفصاحة لله وذكرت هذه الآية، وقوله سبحانه:

(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ - الآية)

لأنّها مشتملة على وجوه عديدة (١) من الفصاحة يقطع معها بأنّها خارجة عن

١- منها قوله و قيل فانه يدل على انه سبحانه في الجلال والعلو والعظمة بحيث لايتبادر الذهن من القائل الا اليه ولايتوجه الفكر الا الى ان ذلك القائل هو هو و منها مخاطبة الارض والسماء بما يخاطب به العاقل فان فيه اشارة الى انهما مع كونهما جماداً فى مقام الخضوع والانقياد وقبول الامر التكوينى مثل العقلاء فى قبول الامر التكليفى وان حكمه نافذ فيهما و انهما مقهور ان مغلوبان تحت قدرته و قهره مع ماهما عليه من الشدة والقوة والعظمة، ومنها ما فى قوله وقضى الامر من الدلالة على ان كل ماقضى به وقدره سبحانه فى الازل فصار حتماً وقدراً لازماً لامحالة يكون واقعا وانه لاراد لقضائه ولا مانع من نفاذ حكمه فى ارضه وسمآئه، ومنها حسن تقابل الالفاظ وايتلاف المعنى، و منها حسن البيان فى تصوير الحاله ومنها الايجاز من غير اخلال الى غير هذه من الوجوه التى لايخفى على المتدبر منه

وسع البشر .

وقد روي أنّ من تكلّم من قريش بكلام فصيح كان يعلّقه على الكعبة مباهاة و تفاخراً ، فلمّا نزل الآية هذه ذهبوا في ظلام اللّيل و أخذوا ما علّقوه مخافة الفضاحة و الشّناعة .

و في مجمع البيان يروي أن كفّار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن، فعكفوا على لباب البرّ و لحوم الضأن و سلاف الخمر أربعين يوماً لتصفو أذهانهم ، فلما أخذوا فيما أرادوا و سمعوا هذه الآية تركوا ما اخذوا فيه و افترقوا .

و كيف كان فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ وقوع التّحريف لايخرجه عن الاعجاز حتّى تبقى النّبوة الخاصّة بلا دليل ،لأنّ الفصاحة باقية على حالها بل ساير وجوه الاعجاز أيضاً موجودة فيه كالصّرفة و اشتماله على القصص والحكايات ، والاخبار عن المغيبات و عدم الاختلاف فيه مع طوله إلى غير هذه من الجهات .

و أما الثانى فلأنّ المتيقّن الثّبوت من الأخبار الآتية هو طروّ التّحريف على الآيات المشتملة على فضائل أهل البيت وفضايح أهل النّفاق، و أمّا طروّه على آيات الأحكام فهو بعد غير ثابت، فالأدلة القطعية الدّالة على جواز العمل بالظواهر و استنباط الأحكام الشّرعية منها محكمة ، ولم يثبت مانع منها ، فلا يرفع اليد عن مقتضاها ، و مجرّد احتمال وجود المانع لايكفي في رفع اليد عن اقتضاء المقتضى .

و بالجملة كون القرآن مدرك الأحكام الشّرعيّة إنّما يدلّ على عدم وقوع التّحريف و النّقصان في آيات الأحكام ، و يستلزم توفّر الدّواعي فيها فحسب لا مطلقا .

و هذا كلّه مبنىّ على التّنزل والمماشاة وإلّا فنقول إنّ كونه مدركاللأحكام وإن كان مقتضياً لتوفر الدّواعي إلّا أنّه إنّما يتم إذالم يمنع منه مانع ولم يمنع المكلفون على أنفسهم اللطف إذ قد يتوفر الدواعي على تضييعه و كتمانه أكثر منها على ضبطه و إعلانه ، نظير الامام عليه السلام ، فانّ وصيّة النّبيّ صلى الله عليه وآله بحفظه و إعانته و كونه حجة الله على خلقه و بريّته وأصل أحكامه وشريعته، ممّا يوجب توفّر الدّواعي عليه مع

أنّ الدّواعي قد توفّرت على حجبه و غيبته ، و نعم ما قال في التّجريد: وجوده لطف وتصرفه لطف آخر ، و عدمه منّا .

و بالجملة وقوع التّحريف والنّقصان في آيات الأحكام على فرض ثبوته ليس بأبعد من غيبة الامام ، فكما أنّ المكلفين صاروا سبباً لاختفائه وغيبته، ومانعا عن تبليغه والرّجوع إليه مع كونه أساس الأحكام و عماد الاسلام ، فكذلك صاروا مانعاً عن استنباط الأحكام من القرآن بسبب ما فعلوه فيه من التّحريف وأحدثوه فيه من النّقصان .

الثالث قوله تعالى :

(وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ)

فانّ ورود التّحريف عليه إتيان الباطل من خلفه، وقد أخبر الله سبحانه بعدمه فلابدّ أن يكون سالما محفوظا .

و فيه أنّ المراد بالآية أنّه ليس في إخباره عمّا مضى باطل ، ولا في إخباره عمّا يكون في المستقبل باطل ، بل أخباره كلّها موافقة لمخبراتها ، رواه الطبرسيّ في مجمع البيان عن أبى جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام، و في تفسير القمي عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : لايأتيه الباطل من قبل التّوراة ولا من قبل الانجيل والزّبور ،ولا من خلفه لايأتيه من بعده كتاب يبطله

الرابع قوله تعالى :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

فـانّ الله سبحانه قد أخبر بكونه حافظاً للقرآن فلابدّ من كونه محفوظا عن تطرق التغيير ،

قال الفخر الرّازي في الآية دلالة قويّة على كون التسمية آية من كلّ سورة ، لأنّ الله قد وعد بحفظ القرآن والحفظ لا معنى له إلاّ أن يبقى مصونا من الزّيادة والنّقصان ، فلو لم تكن التّسمية من القرآن لما كان القرآن مصونا من التّغيير ،

و لما كان محفوظا عن الزيادة ،

و فيه أنّ كون أصل القرآن الذي نزل به الرّوح الأمين على خاتم النّبيين صلى الله عليه وآله محفوظاً عند الأئمة الذين هم خزّان علم الله و كهوف كتبه ، يكفي في صدق الآية ولا دلالة فيها على كون ما بأيدينا محفوظا كما لايخفى، مضافا إلى احتمال أن يكون المراد أنّه سبحانه يحفظه إلى آخر الدّهر بأن بعث جماعة يحفظونه و يدرسونه و يشتهرونه بين الخلق ، فتحفظه الامة وتناولته الأيدى قرنا بعد قرن إلى يوم القيامة لقيام الحجّة به على الخلق و كونه معجزة النّبوة.

هذا كله بعد الغضّ عن رجوع الضّمير في له إلى النّبي صلى الله عليه وآله ، وإلاّ كما ذهب إليه الفرّاء فيسقط الاستدلال رأساً،قال ابن الانباري لماذكر الله الانزال و المنزل والمنزل دلّ ذلك على المنزل عليه ، فحسنت الكناية عنه لكونه أمراً معلوماً كما في قوله:

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)

فانّ عود الضّمير إلى القرآن مع عدم تقدّم ذكره لكونه معلوماً من المقام

الخامس الأخبار الدّالة على وجوب التمسّك بالقرآن والآمرة بالرّجوع إليه كحديث الثقلين المتواتر بين الفريقين و نحوه ، والأخبار المفيدة بعرض الأخبار المتعارضة عليه ، مثل مقبولة عمر بن حنظلة و فيها : فما وافق حكمه حكم الكتاب والسّنة و خالف العامة فيؤخذ به و يترك ما خالف حكمه حكم الكتاب و السّنة و وافق العامة .

و ما رواه السّكوني عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ على كلّ حقّ حقيقة و على كلّ صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه و ماخالف كتاب الله فدعوه .

و ما رواه عبدالرّحمن بن أبي عبدالله ، قال:قال الصّادق عليه السلام : إذاورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله ،فماوافق كتاب الله فخذوه ، و ماخالف كتاب الله فردّوه إلى غير هذه ممّا هي قريبة من التواتر أو متواترة.

تقريب الاستدلال أنّ المراد بالكتاب الذي امرنا بالتمسك به والرّجوع إليه وعرض الأخبار المتعارضة عليه إن كان هو الكتاب المنزل المحفوظ عن تطرّق السّوانح وطرو الزّيادة والنّقصان الذي هو موجود عند الأئمة عليهم السّلام على قول المدّعين للتّحريف، ففيه أنّ التمسّك بهوالرّجوع إليهممّا لايستطاع.

وان كان المراد به المحرّف المبدّل،فلاوجه له، لأنّه لم يبق فيه حجية وليس به وثوق واطمينان فلابدّ أن يكون الموجود بأيدينا سالماًمحفوظاً.

قال الشّيخ في محكي كلامه: وروايتنا متناصرة بالحثّ على قرائته والتمسك بما فيه وردّ ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه، فماوافقه عمل عليه وما خالفه يجتنب ولم يلتفت إليه.

وقد ورد عن النبي ﷺ رواية لايدفعها أحدانّه قال انّي مخلّف فيكم الثّقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وهذا ممّا يدل على أنّه موجود في كلّ عصر، فانّه لايجوز أن يأمرنا بالتمسّك بما لانقدر على التمسّك به، كما أنّ أهل البيت ومن يجب اتّباع قوله حاصل في كلّ وقت انتهى كلامه.

وملخّصه أنّ ظاهر هذه الأخبار أنّه لم يتطرّق على هذا القرآن الموجود بأيدينا تحريف وتغيير، لأنّ المستفاد منها وجوب الرّجوع إليه إذ الرّجوع إلى غيره غير مقدور، فلابدّ من كونه محفوظا من الخلل والنّقصان، وإلاّ لم يبق به وثوق واطمينان، فلايكون وجه للأمر بالرّجوع إليه.

وفيه أوّلا أنّ الأخبار المذكورة إمّا نبويّة كخبر الثّقلين وبعض أخبار العرض، وإمّا مرويّة عن الأئمة عليهم السلام.

أمّا الطائفة الأولى فلا دلالة فيها على المدّعى أصلا، لأنّه ﷺ قد كان امرنا بالاتباع بالكتاب والعرض عليه ولم يتطرّق عليه تحريف يومئذ، كما امرنا باتباع أهل بيته وعترته وأخذ الأحكام عنهم والاقتباس من أنوارهم، وإنّما طرئت السوانح

بعد ما اختاره الله سبحانه له صلى الله عليه وآله، لقائه فمنع المكلفون على أنفسهم اللّطف بسوء اختيارهم، و غيّروا كتاب الله و نبذوه و راء ظهورهم كما تركوا العترة و صاروا سبباً لاعتزالهم و تشريدهم إلى أن انتهى الأمر إلى الغيبة الكبرى، فكما أنّ غيبة الامام عليه السلام و اعتزال الأئمة و قصور اليد عن التمسّك بهم و أخذ الأحكام عنهم النّاشي من سوء فعل المكلفين لامنافاة له مع أمر النّبي صلى الله عليه وآله بالتمسّك، فكذلك قصور اليد عن اتّباع القرآن المنزل على ما هو عليه لاينافي أمر النّبي صلى الله عليه وآله باتّباعه والتّمسك به، بل نقول: إنّ أمره صلى الله عليه وآله لم يكن إلاّ لأجل أن لايفعلوا في كتاب الله ما فعلوه، و أن لايقصروا في حقّ الآل على ما قصّروا.

و أمّا الطائفة الثّانية فلا دلالة فيها أيضاً، لأنا نقول: إنّ الأئمة عليهم السّلام إنّما أمرونا بالرّجوع إلى هذا الكتاب الموجود بأيدينا مع ماهو عليه من التّحريف والنّقصان لأجل التقية والخوف على أنفسهم و شيعتهم، فيكون ما استفدناه حكماً ظاهرياً بالنسبة الينا فافهم (١)

و ثانياً أن يجاب عنه بما ذكره في الصّافي، فانّه بعد نقله كلام الشّيخ الذي حكيناه قال: أقول: يكفي في وجوده في كلّ عصر وجوده جميعاً كما أنزل الله محفوظا عندالله و وجود ما احتجنا إليه منه عندنا و إن لم نقدر على الباقي، كماأن الامام كذلك فان الثقلين سيان في ذلك انتهى.

و أورد عليه المحقّق الكاظمي (ره) بأنّ التمسّك بهم عبارة عن موالاتهم و سلوك طريقتهم، و ذلك ممكن مع الغيبة للعلم بهم، وهذابخلاف التمسّك بالقرآن فانّه إنّما يتحقّق بالأخذ والاطلاع عليه، فقد بان الفرق و اتّضح الأمر انتهى

أقول: والانصاف أنّه إن اريد بلفظ تمسّكتم في الرّواية، التمسّك التّفصيلي بأن يتمكن من الرّجوع الى المتمسّك به و يؤخذ عنه الأحكام مهما اريد، فهو غير ممكن في حال الغيبة الكبرى، لظهور انسداد باب العلم فيه، مع أنّ انفتاحه في

١ـ اشارة الى ان حمل الاخبار على الورود على عنوان التقية بعيد فى الغاية عن سياق اخبار العرض وانما يتمشى فى اخبار التمسك والاتباع فتدبر، منه

حال ظهور الأئمة عليهم السلام أيضاً محل كلام حسبما قررناه في الأصول، وإن اريد به التمسك الاجمالي بأن نرجع إليه بقدر الامكان و مع عدم التمكن والقدرة نكون في مقام التسليم والاذعان والعزم على الرجوع مع التمكن والتوفيق، فالحق أن الثقلين سيان فيه.

و بالجملة هما في حال الغيبة الكبرى سيان في عدم امكان التمسك بهما تفصيلا و في امكانه إجمالا، بأن يصدقا ويسلما و يؤخذ عنهما الأحكام بقدر الوسع والطاقة، والتفرقة بينهما بحمل التمسك بالثقل الأصغر على التمسك التفصيلي والتمسك بالأكبر على التمسك الاجمالي مما لاوجه له.

و ثالثاً أنا نقول: إن أهل بيت العصمة سلام الله عليهم لعلمهم بعدم طرو التحريف على آيات الأحكام رخصونا في الرجوع والعرض، فبملاحظة ترخيصهم يحصل لنا القطع بكونها محفوظة عن الخلل أو أنهم رخصونا في ذلك، لعلمهم بانه ليس في الساقط مايرجع إليه أو يعرض عليه إلا وفي الثابت ما يقوم مقامه.

هذا تمام الكلام في أدلة النافين، و قد عرفت أنها غير ناهضة على إثبات المدعى كما لايخفي.

وحجة القائلين بالتحريف أيضاً وجوه كثيرة بعضها مثبت لوقوع مطلق التحريف، وبعضها مختص باثبات الزيادة والنقيصة، و بعضها دال على النقصان فقط فالأدلة في المقام على ثلاثة أقسام.

القسم الاول الأدلة الدالة على مطلق التحريف والتغيير فيه.

اولها ما ذكره السيد الجزائري من أن القرآن كان ينزل منجما على حسب المصالح والوقايع، و كتاب الوحى كانوا أربعة عشر رجلا من الصحابة، و كان رئيسهم أمير المؤمنين عليه السلام، وقد كانوا في الأغلب ما يكتبون إلا ما يتعلق بالاحكام و إلا ما يوحى إليه صلى الله عليه وآله في المحافل والمجامع، وأما الذي كان يكتب ما ينزل عليه في خلواته و منازله فليس هو إلا أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه كان يدور معه

كيفما دار، فكان مصحفه أجمع من غيره من المصاحف، فلما مضى رسول الله صلّى الله عليه وآله، إلى لقاء حبيبه و تفرّقت الأهواء بعده، جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن كما انزل، و شدّه بردائه و أتى به إلى المسجد، فقال لهم: هذا كتاب ربّكم كما انزل، فقال عمر: ليس لنا فيه حاجة هذا عندنا مصحف عثمان، فقال عليه السلام لن تروه ولن يراه أحد حتّى يظهر القائم عليه السلام.

أقول: أمّا قوله: فكان مصحفه أجمع من غيره من المصاحف فيشهد به:

ما رواه في الكافي باسناده عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمعته يقول: ما ادّعى أحد أنّه جمع القرآن كلّه كما انزل إلاّ كذاب، و ماجمعه وحفظه كما أنزله الله إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده.

و أمّا ما ذكره من اتيان أمير المؤمنين عليه السلام بالكتاب إلى المسجد فيدلّ عليه ما رواه الطبرسيّ رحمه الله في الاحتجاج عن أبي ذر الغفاري أنّه لما توفى رسول الله صلّى الله عليه وآله جمع عليّ عليه السلام القرآن و جاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، فلما فتحه أبوبكر خرج في أوّل صفحة فتحها فضايح القوم، فوثب عمر و قال: يا علي اردده لاحاجة لنا فيه، فأخذه عليّ عليه السلام وانصرف، ثمّ أحضر زيد بن ثابت و كان قارياً للقرآن، فقال له عمر: انّ عليّاً جائنا بالقرآن و فيه فضايح المهاجرين والأنصار، وقد أردنا ان تؤلف لنا القرآن و تسقط منه ما كان فيه فضيحة و هتك المهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: فان أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر عليّ عليه السلام القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كلّ ما عملتم؟ قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنت أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما الحيلة دون أن نقتله و نستريح منه، فدبّر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك. فلما استخلف عمر سأل عليّاً أن يدفع إليهم فيحرّفوه فيما بينهم، فقال يا أباالحسن: إن كنت جئت به إلى أبي بكر فائت به إلينا حتّى نجتمع عليه، فقال عليّ عليه السلام هيهات

ليس إلى ذلك سبيل إنّما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجّة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو تقولوا ما جئتنا به، إنّ القرآن الذي عندي لايمسّه إلاّ المطهّرون والأوصياء من ولدي، فقال عمر: فهل وقت لاظهاره معلوم؟ قال: نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره و يحمل النّاس عليه فتجري السّنة به صلوات الله عليه.

الثاني ما رواه الطبرسيّ في الاحتجاج عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في جواب سؤال الزّنديق حيث سأله عن تصريح الله سبحانه بهفوات الأنبياء و زلاّتهم مثل قوله:

(وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ)

و نحوه، و توريته أسماء من اغترّ وفتن خلقه و ضلّ و أضلّ و تعبيره عنهم بالكناية مثل قوله:

(يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ)

و نحوه، فقال عليه السلام: إنّ الكناية عن أسماء ذوالجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى، و إنّها من فعل المغيرين و المبدّلين الذين جعلوا القرآن عضين(١)، و اعتاضوا الدّنيا من الدّين، و قد بيّن الله قصص المغيرين بقوله:

(الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) و بقوله: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ (٢) أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ) و بقوله: (إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ «٣»)

١ـ اى اجزاء متفرقة من العضة، منه

٢ـ اى يحرفون و يعدلون به عن القصد قال الطريحى قيل يكتب بواو واحد و ان كان لفظها بواوين وهى كذلك فى المصاحف القديمة وآخر الاية لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب و يقولون هو من عندالله و ما هو من عندالله و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون، منه

٣ـ آخر الاية و كان الله بما يعملون محيطا م

بعد فقد الرّسول ﷺ، وما يقيمون(١) به اود باطلهم حسب ما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى و عيسى عليهما السلام من تغيير التّوراة والانجيل و تحريف الكلم عن مواضعه و بقوله:

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ)

يعنى أنّهم أثبتوا في الكتاب مالم يقله الله ليلبسوا على الخليقة فأعمى الله قلوبهم حتّى تركوا فيه ما دلّ على ما أحدثوه فيه و حرفوا منه، و بيّن عن افكهم و تلبيسهم و كتمان ماعلموه منه، ولذلك قال لهم:

(لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ) وضرب مثلهم بقوله:

(فَأَمّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً (٢) وَأَمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)

فالزّبد في هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن، فهو يضمحلّ ويبطل ويتلاشي عند التّحصيل، والذي ينفع النّاس منه فالتّنزيل الحقيقي الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والقلوب تقبله والأرض في هذا الموضع هي محلّ العلم و قراره، و ليس يسوغ مع عموم التقية التّصريح بأسماء المبدّلين، ولا الزّيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر والملل المنحرفة من قبلتنا و إبطال هذا العلم الظاهري الذي قد استكان له الموافق والمخالف بوقوع الاصطلاح على الأيتمار (٣) لهم والرّضا بهم، و لأنّ أهل الباطل في القديم والحديث أكثر عدداً من أهل الحق، و لأن الصّبر على ولاة

---

١ – الظاهر انه عطف على قوله سبحانه مالا يرضى فكان كلامه «ع» متم كلام الله سبحانه فيكون المعنى انهم يدبرون فى الليل بعد فقد الرسول «ص» مايقيمون ويصلحون به اعوجاج باطلهم والاود الاعوجاج يقال قام اوده اى اعوجاجه، منه

٢– بالضم والمد الباطل، لغة

٣– ايتمر الامرامتثله، منه

الأمر مفروض بقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله:

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)

و ايجابه مثل ذلك على أوليائه واهل طاعته بقوله:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

ثم، قال عليه السلام فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سمعت، فانّ شريعة التقية تحظر بأكثر منه.

الثالث ما رواه عليّ بن إبراهيم القمّي عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى:

(لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ)

انّه قال: كيف يحفظ الشّيء من أمر الله و كيف يكون العقب من بين يديه؟ فقيل له كيف ذلك يابن رسول الله؟ فقال: إنّما انزلت له معقّبات من خلفه و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله.

الرابع ما رواه عنه عليه السلام أيضاً في قوله:

(لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)

أنّ الآية هكذا نزلت لقد تاب الله بالنّبيّ على المهاجرين.

الخامس ما رواه أيضاً قال: إنّه قرء على أبي عبدالله عليه السلام:

(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

فقال أبوعبدالله عليه السلام: لقد سألوا الله عظيما أن يجعلهم للمتقين اماماً، فقيل يابن رسول الله كيف ذلك؟ فقال عليه السلام: إنّما نزلت و اجعل لنا من المتّقين إماماً.

السادس ما رواه أيضاً عن ابن أبي عمير عن ابن سنان قال قرأت على أبي عبدالله عليه السلام:

(كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنّاسِ)

فقال أبوعبدالله عليه السلام خير امّة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ابني عليّ عليهم السّلام ، فقال القاري : جعلت فداك كيف نزلت ؟ فقال عليه السلام نزلت خير أئمة اخرجت للنّاس ، ألاترى مدح الله لهم في آخر الآية :

(تَأمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ)

السابع مارواه السيّد المعتمد السيّد هاشم البحراني عن المفيد في كتاب الاختصاص ، قال : و روي عن جابر الجعفي قال : كنت ليلة من بعض اللّيالي عند أبي جعفر عليه السلام فقرأت هذه الآية :

(يا أَيُّهاالَّذينَ آمَنُوا إِذانُودِيَ لِلصَّلوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلىٰ ذِكْرِاللهِ)

فقال : مه يا جابر كيف قرأت ، يا أيهاالذين آمنوا إذا نودي للصّلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ، قال : قال : قلت فكيف أقرء جعلني الله فداك؟ قال : هذا تحريف ياجابر، قال : فقال عليه السلام : يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصّلاة فامضوا إلى ذكر الله هكذا نزلت يا جابر ، لقد كان يكره أن يعدو الرّجل إلى الصّلاة يا جابر لم سمّيت الجمعة يوم الجمعة؟ قال: قلت: تخبرني جعلني الله فداك، قال: أفلا أُخبرك بتأويله الأعظم ؟ قال : قلت : بلى جعلني الله فداك ، قال : فقال : ياجابر سمّى الله الجمعة جمعة لأنّ الله عزّ وجلّ جمع في ذلك الأولين والآخرين و جميع ما خلق الله من الجنّ والانس و كلّ شيء خلق ربّنا والسّماوات والارضين والبحار والجنّة والنّار و كلّ شيء خلق الله في الميثاق فأخذ الميثاق منهم له بالرّبوبيّة و لمحمّد صلى الله عليه وآله بالنّبوة و لعليّ عليه السلام بالولاية ، و في ذلك اليوم قال الله للسّماوات والأرض:

(ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعينَ)

فسمّى الله ذلك اليوم الجمعة ، لجمعه فيه الأولين والآخرين، ثمّ قال عزّ وجلّ ياأيّها الذين آمنوا إذا نودي للصّلاة منَ يوم الجمعة من يومكم هذا الذي جمعكم فيه

والصّلاة أمير المؤمنين عليه السلام، يعني بالصّلاة الولاية، وهي الولاية الكبرى ففي ذلك اليوم أتت الرّسل والأنبياء، و الملائكة وكلّ شيء خلق الله والثقلان الجنّ والانس والسّماوات والأرضون والمؤمنون بالتلبية لله عزّ وجلّ ، فامضوا الى ذكر الله و ذكر الله أمير المؤمنين عليه السلام ، و ذروا البيع ، يعني الأوّل ، ذلكم ، يعني بيعة أمير المؤمنين وخلافته ، خير لكم من بيعة الأوّل و ولايته ، ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت الصّلاة يعني بيعة أمير المؤمنين ، فانتشروا في الأرض يعني بالأرض الأوصياء أمر الله بطاعتهم و ولايتهم ، كما أمر بطاعة الرّسول و طاعة أمير المؤمنين كنى الله في ذلك من أسمائهم فسمّاهم بالأرض ، و ابتغوا من فضل الله ، قال جابر : وابتغوا من فضل الله ، قال : تحريف هكذا نزلت و ابتغوا من فضل الله على الأوصياء، و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، ثمّ خاطب الله عزّ وجلّ في ذلك الموقف محمداً صلى الله عليه وآله، فقال يا محمد : فاذا رأوا الشكّاك والجاحدون تجارة ، يعنى الأوّل أو لهواً ، يعني الثّاني ، انصرفوا إليها، قال: قلت انفضّوا إليها قال : تحريف هكذا نزلت ، و تركوك ، مع عليّ قائماً ، قل يا محمد ما عند الله ، من ولاية عليّ والأوصياء، خير من اللّهو والتجارة ، يعنى بيعة الأوّل والثّاني للّذين اتقوا ، قال : قلت : ليس فيها للّذين اتّقوا ،قال: فقال : بلى هكذا نزلت الآية ، و أنتم هم الذين اتّقوا ، والله خير الرّازقين .

الثامن ما رواه الصّدوق في التوحيد باسناده عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال عن أبيه عن الرّضا عليّ بن موسى عليهما السّلام قال سألته عن قول الله عزّ وجلّ :

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ)

قال : يقول : هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام ، و هكذا نزلت ، والعجب من الصّدوق مع روايته ذلك كيف أنكر وقوع التّحريف فيه.

القسم الثاني الأدلة الدالة على وجود الزيادة والنّقصان.

اولها مارواه في الصافي عن العياشي عن أبي جعفر عليه السلام قال : لولا أنّه زيد في كتاب الله و نقص ما خفي حقّنا على ذي حجى

الثاني ما رواه العيّاشي عنه عليه السلام أيضاً أنّ القرآن قد طرحت منه آي كثيرة

ولم يزد فيه إلّا حروف أخطأت به الكتبة و توهّمتها الرّجال.

الثالث ما في تفسير عليّ بن ابراهيم في قوله:

(وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ النَّبِيِّينَ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ)

قال: هذه الواو زيادة في قوله و منك، و إنّما هو منك و من نوح.

القسم الثالث الأدلة الدّالة على وجود النّقصان فقط، وهي كثيرة.

اولها ما رواه في الكافي عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية، و وجه دلالته أنّ الموجود بأيدينا من القرآن لايزيد على سبعة آلاف آية، و على ما ضبطه الشّيخ الطبرسي ستّة آلاف ومأتا آية و ستّة و ثلاثون آية.

الثاني ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن عليّ عليه السلام في جواب الزّنديق الذي احتجّ عليه بتناقض ظواهر بعض الآيات أنّه عليه السلام قال: و أمّا ظهورك على تناكر قوله:

(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ)

و ليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النّسآء، ولا كلّ النّسآء أيتام، فهو ممّا قدّمت ذكره من إسقاط المنافقين في القرآن بين القول في اليتامى و بين نكاح النسآء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن، و هذا و ما أشبهه ممّا أظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النّظر والتّأمل و وجد المعطلون و أهل الملل المخالفة للاسلام مساغا إلى القدح في القرآن، و لو شرحت لك كلما اسقط و حرّف و بدّل ممّا يجرى هذا المجرى لطال و ظهر ما يحظر التّقية إظهاره من مناقب الأوليآء و مثالب الأعدآء.

الثالث ما رواه في الكافي عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، قال دفع إلي أبو الحسن عليه السلام مصحفاً، فقال : لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه : لم يكن الذين كفروا ، فوجدت فيها اسم سبعين من قريش بأسمائهم و أسماء آبائهم . ، قال فبعث إلى ابعث إلي بالمصحف.

الرابع ما رواه أبوعبيدة بسنده عن ابن عمر قال : لايقولن أحدكم قد اخذت القرآن كلّه و ما يدريه ما كلّه ، قد ذهب منه قرآن كثير ، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر .

و بسنده عن عايشة ، قال : كانت سورة الأحزاب تقرء في زمان الرّسول صلى الله عليه وآله مأتي آية ، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلاّ على ما هو الآن.

و بسنده عن زر بن حبيش ، قال : قال لي أبيّ بن كعب : كم تعدّون سورة الأحزاب ؟ قلت : اثنتين و ستين آية أو ثلاثا و ستّين آية ، قال : ان كانت لتعدل سورة البقرة .

وفي الكشاف عن زرّ مثله إلاّ أنّ فيه قلت ثلاثا وسبعين آية، قال فوالذي يحلف به أُبيّ ابن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرّجم ، الشيخ والشّيخة اذا زنيا فارجموهما البتّة نكالا من الله والله عزيز حكيم.

الخامس ما رواه في كتاب تذكرة الأئمة عن تفسير الكازر ، و المولى فتح الله عن مصحف ابن مسعود ، و هو آيات كثيرة في سور متعدّدة.

ففي المائدة : (يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ في شَأْنِ عَلِيٍّ وَ إِنْ لَمْ تَفعَلْ فَما بَلَّغتَ رِسالَتَهُ)

وفي الرّعد وهو قوله تعالى : (إِنَّما أَنتَ مُنذِرٌ وَعَلِيٌّ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ)

وفي الشّعراء : (وَسَيَعْلَمُ الّذينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ، و رواه القمي أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام .

وفي الصّافّات قوله: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ في وِلايَةِ عَلِيٍّ مالَكُمْ لا تَناصَرُونَ).

وفي النّساء قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه فَقَدْ آتَيْنا آلَ إبْراهيمَ وَآلَ مُحَمَّدٍ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً)

وفي الزّمر قوله: (فَإِمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ بِعَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ) ورواه الطّبرسي أيضاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

وفي طه قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ كَلِماتٍ في مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَالتِّسْعَةِ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْحُسَيْنِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) ورواه أيضاً في الكافي عن الصّادق ﷺ إلاّ أنّ في آخره والأئمّة من ذرّيّتهم بدل قوله والتّسعة، ثم قال هكذا والله نزلت على محمّد ﷺ

وفي النّجم قوله تعالى: (وَأَوْحى إلى عَبْدِهِ في عَلِيٍّ لَيْلَةَ الْمِعْراجِ ما أَوْحى)

وفي آية الكرسي: (اللهُ لا إلهَ إلاّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ ما في السَّمواتِ وَما في الأَرْضِ وَما تَحْتَ الثَّرى، عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحيمُ مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ)

وفي الأحزاب قوله: (وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنينَ الْقِتالَ بِعَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ وَكانَ اللهُ قَوِيّاً عَزيزاً)

ومنها سورة الولاية: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ يا أَيُّهَا الَّذينَ

آمَنُوا آمِنُوا بِالنَّبِيِّ وَالْوَلِيِّ اللَّذَيْنِ بَعَثْنَاهُمَا يَهْدِيَانِكُمْ إِلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ نَبِيٌّ وَوَلِيٌّ بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ، وَأَنَا الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، إِنَّ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ، فَالَّذِينَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا كَانُوا بِآيَاتِنَا مُكَذِّبِينَ، إِنَّ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَقَامٌ عَظِيمٌ، نُودِيَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَيْنَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لِلْمُرْسَلِينَ، مَا خَلَفَهُمُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيُنْظِرَهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَعَلِيٌّ مِنَ الشَّاهِدِينَ)

ومنها سورة النّورين، تركت ذكرها لكونها مع طولها مغلوطة لعدم وجود نسخة مصحّحة عندي يصح الرّكون إليها.

السادس ما رواه عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره و هو أيضاً كثير.

منها قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي وِلَايَةِ عَلِيٍّ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)

و منها قوله تعالى: وَلٰكِنَّ اللهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ فِي عَلِيٍّ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ)

و منها قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ)

و منها (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ يَا عَلِيُّ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ)

و منها قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ فِي

غَمَراتِ الْمَوْتِ)

السابع ما رواه في الصّافي عن العيّاشي عن الباقر عليه السلام في قوله :

(وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ)

أنّها نزلت و إذ أخذالله ميثاق اُمم النّبيين.

الثامن ما فيه عنه في قوله : فبدّل الذين اه أنّها نزلت فبدّل الذين ظلموا آل محمّد حقهم غير الذي قيل لهم ، فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمّد حقهم رجزاً من السّماء بما كانوا يفسقون.

التاسع ما رواه في الكافي (١) عن أبي بصير مقطوعاً في حديث طويل ، ثمّ أتى الوحى إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله فقال :

(سَئَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ لِلْكافِرِينَ بِوِلايَةِ عَلِيٍّ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ مِنَ اللهِ ذِي الْمَعارِجِ)

قال : قلت : جعلت فداك إنّا لانقرئها هكذا ، فقال : هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد صلّى الله عليه وآله ، و هكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة عليها السلام ، إلى غير ذلك ممّا يقف عليه المتتبع المجدّ و أكثر التّفاسير احتواء لذلك تفسير القمّي ، و فيما ذكرناه كفاية لمن طلب الحقّ ، لأنّها على اختلاف مؤدّياتها متفقة على الدلالة على النقيصة في الكتاب فيحصل منها العلم الضّروري بها .

والمناقشة فيها بأنّ الزّيادات المذكورة فيها إنّما هي من قبيل الأحاديث القدسية لا القرآن فبعيدة جدّاً كماأنّ احتمال أن يكون النّاقصات من قبيل التفاسير و بيان المعاني كذلك ، لما عرفت من التّصريح في بعضها بأنّها هكذا نزلت، و في بعضها هكذا والله نزلت ، و مع ذلك التّصريح كيف يمكن القول بكون المنقوصات من قبيل التفاسير كما توهّمه الصّدوق.

١- و رواه في غاية المرام بسند آخر عن ابى بصير عن ابيعبدالله «ع» منه

والانصاف أنّ القول بعدم النّقص فيه ممّا يمكن إنكاره بعد ملاحظة الأدلة والأخبار التي قدّمناها، فانّها قد بلغت حدّ التّواتر، مضافا إلى أخبار ورود الامة على الحوض وقولهم بعد سؤال النبيّ صلى الله عليه وآله عنهم كيف خلّفتموني في الثقلين: أمّا الأكبر فحرقناه (فبدلناه خل) و أمّا الأصغر فقتلناه، و هذه الأخبار أيضاً متواترة، و مع التّنزل عن بلوغها حدّ التواتر نقول: إنّه بانضمامها إلى الأخبار الاول لامحالة تكون متواترة مفيدة للعلم بثبوت النّقصان، إذ لو كان القرآن الموجود بأيدينا اليوم بعينه القرآن المنزل من السّماء من دون أن يكون فيه تحريف و نقصان، فأيّ داع كان لهم على الطبخ والاحراق الذي صار من أعظم المطاعن عليهم.

فان قلت: إذا ثبت وقوع التّغيير في القرآن فكيف يجوز لنا قرائته؟ بل اللازم قرائته على نحو ما انزل فيما اطلعنا عليه.

قلت: إنّ الأئمة عليهم السلام رخّصونا على ما هو الموجود الآن ولم يأذنوا بقرائته على نحو ما انزل.

يدلّ على ذلك ما رواه في الكافي مرسلا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم؟ فقال عليه السلام: لا، اقرءوا كما تعلّمتم فسيجيئكم من يعلّمكم.

و فيه أيضاً باسناده إلى سالم بن سلمة، قال: قرء رجل على أبي عبدالله عليه السلام و أنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرئها النّاس، فقال أبو عبدالله عليه السلام: مه كفّ عن هذه القرائة و اقرء كما يقرء النّاس حتّى يقوم القائم عليه السلام: فاذا قام قرء كتاب الله على حدّه و أخرج المصحف الذي كتبه عليّ عليه السلام

فان قلت: سلّمنا وجود التّحريف فيه فلم لم يصحّحه أمير المؤمنين عليه السلام حيثما جلس على سرير الخلافة مع أنّه لم يكن منه مانع يومئذ.

قلت: إنّه عليه السلام لم يتمكن منه لوجود التقية المانعة من حيث كونه مستلزماً

للتشنيع على من سبقه كما لم يتمكن من إبطال صلاة الضحى ، و من إجراء متعتي الحجّ والنّساء ، و من عزل شريح عن القضاوة ، و معاوية عن الامارة ، وقد صرّح بذلك في رواية الاحتجاج السّابقة في مكالمته عليه السلام مع الزّنديق.

مضافا إلى اشتمال عدم التّصحيح على مصلحة لاتخفى ، و هوأن يتمّ الحجة في يوم القيامة على المحرّفين المغيّرين من هذه الجهة أيضاً بحيث يظهر شناعةفعلهم لجميع أهل المحشر ، و ذلك بأن يصدر الخطاب من مصدر الرّبوبيّة إلى امّة محمّد صلّى الله عليه وآله ، و يقال لهم : كيف قرأتم كتابي الذي أنزلته إليكم ؟ فيصدر عنهم الجواب ، بأنّا قرأناه كذاوكذا ، فيقال لهم : ماأنزلناه هكذا فلم ضيّعتموه وحرّفتموه ونقصتموه؟ فيجيبوا أن يا ربّنا ما قصّرنا فيه ولاضيّعناه ولا فرطنا ، بل هكذا وصل إلينا ، فيخاطب حملة الوحى و يقال لهم: أنتم قصّرتم في تبليغ وحيي و أداء أمانتي؟ فيقولوا ربّنا ما فرطنا في وحيك من شيء و إنّما فرط فيه فلان و فلان بعد مضيّ نبيّهم ، فيظهر شناعه فعلهم و فضاحة عملهم لجميع أهل المحشر ويستحقّوابذلك الخزى العظيم والعذاب الأليم مضافاً إلى استحقاقهم للنّكال و العقاب بتفريطهم في أمر الرّسالة و تقصيرهم في غصب الخلافة .

فان قلت :سلّمنا أنّ عليّا عليه السلام لم يتمكن من تصحيحه و أنّ بقائه على التّحريف كان مشتملا على المصلحة التي ذكرتها ، ولكن بقي هنا شيء و هو أنّ الأئمة لم لم يدفعوا ما عندهم من الكتاب المنظم المحفوظ السّالم عن التّحريف إلى الامّة وماكان المانع لهم من ذلك ؟

قلت : السّر في عدم إظهارهم عليهم السلام له وجوه كثيرة :

منها أنّه لو أظهر ذلك الكتاب مع بقاء هذا الكتاب المحرّف لوقع الاختلاف بين النّاس و يكون ذلك سبباً لرجوع النّاس إلى كفرهم الأصلي و أعقابهم القهقرى .

و منها أنّ شوكة النّفاق يومئذ كان أكثر فلو أظهروه لأحدث المنافقون فيه مثل ما أحدثه رئيسهم قبلهم .

و منها أنّه مع إظهاره أيضاً لايكون له رواج، لمكان شهرة ذلك المحرّف إلى غير هذه من الأسرار التي تستفاد من الأخبار .

و كيف كان فقد ظهر و تحقّق ممّا ذكرنا كله أنّ حدوث التّحريف و النّقصان في القرآن ممّا لاغبار عليه .

و أمّا الزّيادة ففيها تردّد و الأقوى العدم إذ الدّليل عليها ليس إلاّ عدّة روايات و هي لاتقاوم الاجماعات التي ادّعاها الشّيخ و الصّدوق و الطبرسي و المحقّق الكاظمي .

فان قلت : قد ظهر من كلام الصّدوق الاجماع على عدم النقيصة أيضاً ، فان كان الاجماع المنقول حجّة فهو حجّة في المقامين كليهما، و إلاّ فلا يعبأ به في شيء منهما والتّفرقة بينهما بالعمل به في أحدهما دون الآخر شطط من الكلام.

قلت : الاجماع المنقول إنّما هو معتبر لأجل إفادته الظن ، و هو لايكافؤ القطع الحاصل من الأخبار المتواترة الدّالة على النّقيصة ،ولكن لما كان الظن الحاصل منه أقوى من الظن الحاصل من أدلة الزّيادة لاجرم رجّحناه عليها .

هذا تمام الكلام في المقام ، و قد تكلّمنا فيه بمقتضى أفهامنا ، و الله العالم بحقايق الامور .

التذييل الثالث

اعلم أنّه قد تواترت الأخبار عن العترة الزّاكية و أجمعت الأصحاب من الفرقة النّاجية الاماميّة على أنّ قيم القرآن بعد النّبي صلّى الله عليه و آله أى العالم بتفسير محكماته و تأويل متشابهاته ، والحافظ لأسراره و آياته و أنوار بيّناته، هو عليّ والطيّبون من أولاده عليهم السلام ، و قد طابق العقل في ذلك النّقل فكلاهما متطابقان في علمهم بالقرآن .

أمّا العقل فلأنه قد علمت عند شرح قوله عليه السلام : ولم يخل الله خلقه من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجّة لازمة ، أنّ الأرض لاتبقى بلا حجّة من بعد النبي صلّى الله عليه و آله ، إذ الحاجة من الخلق ماسّة دائما إلى وجود من يقرّبهم إلى الله و يهديهم

إلى سبيل ربّهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلابدّ أن يكون ذلك الحجة عالماً بجميع القرآن ، إذالقرآن لايكون بنفسه حجّة من دون قيّم ، ضرورة أن القرآن ليس كتاباً يقوم بعلمه عامة أهل النّظر من الفضلاء ، فضلا عن غيرهم كيف ؛ وأكثر أرباب النظر عاجزون عن مطالعة كتب الحكماء و فهمها ، ككتب أفلاطن وأرسطو فكيف يمكنهم أن يعلموا القرآن و يفهموه ، و هو كتاب الهيّ و كلام ربّاني نسبته إلى ساير الكتب كنسبة الرّب تعالى إلى مصنّفي تلك الكتب ، و هو مشتمل على رموز و بطون و أسرار و نكات ، فلا يهتدي إلى نوره إلاّ بتأييد إلهيّ و إلهام رباني و تعليم نبويّ ، ولم نجد أحداً يقال : إنّه علم القرآن كله ، و إنّه قيمه إلاّ عليّا و أولاده المعصومين سلام الله عليهم اجمعين فهم قيّم القرآن و عارفوه.

و في رواية الكافي عن منصور بن حازم ، قال : قلت : لأبي عبدالله عليه السلام إلى أن قال : و قلت للنّاس : تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله على خلقه ، قالوا : بلى ، قلت : فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجة على خلقه ؟ فقالوا : القرآن ، فنظرت فاذا هو يخاصم فيه المرجئي والقدري والزّنديق الذي لايؤمن به حتّى يغلب الرّجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لايكون حجة إلاّ بقيم، فما قال فيه من شيء كان حقّا ، فقلت لهم : من قيم القرآن ؟ فقالوا : ابن مسعودقد كان يعلم ، و عمريعلم، و حذيفة يعلم ، قلت: كله ؟ قالوا: لافلم أجد أحداً يقال: إنه يعرف ذلك كله إلاّ علياً صلوات الله عليه ، و إذا كان الشيء بين القوم ، فقال هذا : لا ادري ، و قال هذا: لا أدري ، و قال هذا : لأدري وقال هذا : أنا أدري فاشهد أنّ عليا عليه السلام كان قيّم القرآن ، و كانت طاعته مفروضة ، و كان الحجة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ ما قال في القرآن فهو حقّ فقال عليه السلام (١) رحمك الله .

واما النّقل فقد روي عن ابن عباس أنّه كان ليلة من الليالي عندأمير المؤمنين عليه السلام و هو يفسّر فاتحة الكتاب ، فرأى نفسه عنده كجرّة عند بحر عظيم ، و هو عليه السلام قال لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب.

١ـ اى قال ابوعبدالله «ع» لمنصور، منه

و في غاية المرام عن محمد بن الحسن الصفّار باسناده عن الأصبغ بن نباتة، قال قال أمير المؤمنين عليه السلام : لو كسرت لي و سادة فقعدت عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم ، و أهل الانجيل بانجيلهم و أهل الفرقان بفرقانهم بقضآء يصعد إلى الله يزهر والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار إلاّ وقد علمت فيمن انزل ، ولا أحد مرّ على رأسه الموسى إلاّ وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوق إلى الجنة أو إلى النار ، فقام إليه رجل ، فقال يا امير المؤمنين عليه السلام: ما الآية التي نزلت فيك ؟ قال عليه السلام له: أما سمعت الله يقول :

«أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ»

فرسول الله صلى الله عليه وآله على بينة من ربّه ، و أنا شاهد له فيه و أتلوه معه.

و في غاية المرام أيضاً عن الشّيخ في أماليه باسناده عن عليّ عليه السلام ، قال: سلوني عن كتاب الله ، فوالله ما انزلت آية من كتاب الله عزّ وجلّ في ليل أو نهار ولا مسير ولا مقام إلاّ و قد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله و علّمني تأويلها ، فقام ابن الكوّا ، فقال يا أمير المؤمنين : فما كان ينزل عليه و أنت غائب عنه ؟ قال: كان يحفظ عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان ينزل عليه من القرآن و أنا عنه غائب حتّى اقدم عليه فيقرئنيه و يقول لي ياعليّ أنزل الله عليّ بعدك كذا و كذا ، وتأويله كذا و كذا فيعلّمني تأويله وتنزيله.

و في البحار عن بصائر الدّرجات باسناده عن إبراهيم بن عبدالحميد عن أبيه عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام ، قال : قلت له جعلت فداك : النبي صلى الله عليه وآله ورث علم النّبيين كلهم ؟ قال لي: نعم قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه ، قال : نعم، قلت ورثهم النّبوة و ما كان في آبائهم من النّبوة والعلم ، قال : ما بعث الله نبيّا إلاّ وقد كان محمد صلى الله عليه وآله أعلم منه ، قال : قلت : إنّ عيسى بن مريم كان يحيي الموتى باذن الله، قال: صدقت ، و سليمان بن داود كان يفهم كلام الطير ، قال : و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل ، فقال : إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره :

« ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين»

و كانت المردة والرّيح والنمل والنّاس و الجنّ و الشّياطين له طائعين ، و غضب عليه ، فقال :

« لأعذّبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتيني بسلطان مبين »

و إنّما غضب عليه لأنّه كان يدله على المآء فهذا و هو طير قد أعطى ما لم يعط سليمان ، و إنّما أراد ليدله على المآء فهذا لم يعط سليمان و كانت المردة له طائعين و لم يكن يعرف المآء تحت الهـوآء و كانت الطير تعرفه ، إنّ الله يقول في كتابه :

« ولو(١) أنّ قرآناً سيّرت به الجبـال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى »

فقد ورثنا نحن هذا القرآن فعندنا ما تسير به الجبال و تقطع به البلدان و يحيى به الموتى باذن الله ، و نحن نعرف ما تحت الهوآء وإن كان في كتاب الله لآيات لا يراد بها أمر من الامور التي اعطاها الله الماضين النّبيين والمرسلين إلاّ وقد جعله الله ذلك كله لنا في امّ الكتاب ، إنّ الله تبارك و تعالى يقول :

« وما من غائبة في السّماء والأرض إلاّ في كتاب مبـين » ثمّ قال عزّ وجلّ : « ثمّ أورثنا الكتاب الّذين اصطفيناه من عبادنا »

فنحن الذين اصطفانا الله ، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كلّ شيء.

و في الكافي باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال :

١ـ شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان قرانا زعزعت به الجبال عن مقارها لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار، تفسير بيضاوى

«قالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ»

قال : ففرّج أبوعبدالله عليه السلام بين أصابعه فوضعها في صدره ، ثم قال و عندنا والله علم الكتاب كله .

و في تفسير عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة عن أبي عبدالله عليه السلام أيضاً قال: الذي عنده علم الكتاب ، هو أمير المؤمنين عليه السلام و سئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب ؟ فقال عليه السلام ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلّا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر.

و في غاية المرام عن محمّد بن الحسن الصّفار باسناده عن عبدالأعلى بن أعين قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله و أنا أعلم كتاب الله ، و فيه بدؤ الخلق و ما هو كائن إلى يوم القيامة و فيه خبر السّماء و خبر الأرض و خبر الجنّة و خبر النّار و خبر ما كان و خبر ما هو كائن ، أعلم ذلك كأنّما أنظر إلى كفّي إنّ الله يقول:

«فيهِ تِبيانُ كُلِّ شَيْءٍ»

و قريب منه ما في الكافي باسناده عن عبدالأعلى مولى آل سام ، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : والله إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفي، فيه خبر السّماء و خبر الأرض و خبر ما كان و خبر ماهو كائن ، قال الله عزّ وجل فيه تبيان كلّ شيء .

قال بعض المحقّقين : قوله عليه السلام : كأنّه في كفّي تنبيه على أنّ علمه بما في الكتاب شهودي بسيط و احد بالذّات متعلّق بالجميع ، كما أن رؤية ما في الكفّ رؤية واحدة متعلقة بجميع أجزائه ، و التّعدد إنّما هو بحسب الاعتبار .

و قوله عليه السلام : فيه خبر السّمآء يعنى من أحوال الأفلاك و حركاتها و احوال الملائكة و درجاتها و حركات الكواكب و مداراتها و منافع تلك الحركات و تاثيراتها إلى غير ذلك من الامور الكاينة في العلويات والمنافع المتعلقة بالفلكيات.

و قوله عليه السلام : وخبر الأرض يعنى من جوهرها و انتهائها و ما فى جوفها و أرجائها و ما في تحتها و أهوائها و ما فيها من المعدنيات و ما تحت الفلك من البسايط والمركبات التي يتحير في إدراك نبذ منها عقول البشر، ويتحيّر دون بلوغ أدنى مراتبها ظاهر الفكر والنّظر.

وقوله عليه السلام :وخبر ما كان وخبر ما هو كائن أى من أخبار السّابقين وأخبار اللاّحقين كلياتها و جزئيّتها و أحوال الجنّة و مقاماتها و تفاوت مراتبها و درجاتها و أخبار المثاب فيها بالانقياد والطاعة والمأجور فيها بالعبادة والزّهادة وأهوال النّار ودركاتها و أحوال مراتب العقوبة و مصيباتها ، و تفاوت مراتب البرزخ في النّور و الظلمة ، و تفاوت أحوال الخلق فيه بالرّاحة والشّدة ، كلّ ذلك بدليل قوله : فيه تبيان كل شيء ، أى كشفه وايضاحه فلا سبيل إلى إنكاره .

التذييل الرابع

اعلم أنّه قد ورد الأخبار المتظافرة في النّهى عن تفسير القرآن بالرّأى

منها ما في مجمع البيان ، قال : اعلم أنّ الخبر قد صحّ عن النبيّ و الأئمة القائمين مقامه أنّ تفسير القرآن لايجوز إلاّ بالأثر الصّحيح والنّص الصّريح ، قال : و روى العامّة أنّه صلّى الله عليه وآله قال: من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحقّ فقد أخطأ

و منها ما عن تفسير العيّاشي عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال من فسّر القرآن إن أصاب لم يوجر ، و إن أخطأ سقط أبعد من السّمآء.

و منها ما عن الرّضا عن أبيه عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليهم السّلام ، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ «قال ظ » الله عزّ وجلّ في الحديث القدسي ما آمن بي من فسّر كلامى برأيه ، و ما عرفني من شبّهني بخلقى ، و ما على دينى من استعمل القياس في دينى .

و منها ما رواه في الكافي عن زيد الشحام في حديث قتادة مع أبي جعفر عليه السلام قال: فقال أبوجعفر عليه السلام: و يحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت ، و إن كنت إنما أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت إلى أن قال: فقال أبوجعفر عليه السلام و يحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به.

إذا عرفت ذلك فنقول: إن طائفة من متأخري أصحابنا وهم الأخباريون قالوا: بعدم جواز استنباط حكم من الأحكام من القرآن و عدم جواز الاستدلال به على شيء من المسائل إلا بعد صدور بيانه من الأئمة عليهم السلام، متمسكا بالأخبار المذكورة، و بأدلة أخرى استدلوا بها على مذهبهم في محالها، وقد خالفوا في ذلك جميع المجتهدين، لاتفاقهم على جواز العمل بمحكمات الكتاب نصا كان أو ظاهراً و استدلوا عليه بأدلة وافية و براهين شافية تعرضوا لها في علم الاصول، ولا حاجة لنا في المقام إلى إشباع الكلام في هذه المسألة، و إنما مقصودنا تحقيق معنى الأخبار المذكورة ليتضح المراد بها و يظهر أيضاً عدم دلالتها على ما رامه الأخبارية

فنقول: إن التفسير مأخوذ من الفسر وهو كشف الستر عن المستور، يقال: فسر الشيء فسراً إذا كشف عن غطائه، وقد يقال: إنه كشف المراد عن اللفظ المشكل، و في الاوقيانوس انه في عرف المفسرين مرادف للتأويل و في المصباح فسرت الشيء فسراً من باب ضرب بينته و او ضحته، و عن الصحاح الفسر البيان، وقد فسرت الشيء افسره بالكسر فسراً والتفسير مثله.

اذا عرفت هذا فاعلم انه إن اريد بالتفسير المذكور في الأخبار المعنيان الأولان، فلايكون فيها دلالة على المنع عن العمل بالظواهر و بالنصوص بطريق اولى، لظهور ان التفسير على المعنيين المذكورين إنما يكون في الألفاظ التي معانيها خفية مستورة، والألفاظ التي معانيها مشكلة كالمجملات والمتشابهات، ولاريب ان المعاني الظاهرة من الألفاظ بنفسها لاسترة عليها حتى يحتاج إلى الكشف، ولا إشكال فيها حتى يحتاج إلى الفسر.

و امّا على القول بكونه مرادفاً للتّاويل فكذلك ، إذ نحن لاننكر عدم جواز تأويل مايحتاج إلى التّأويل من تلقآء النّفس ونعترف بانحصار علم المتشابهات المحتاجة إليه في الأئمة عليهم السلام ، لقوله تعالى:

« وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاّ اللهُ وَالرّاسِخُونَ في العِلْمِ »

ولكن اين ذلك، من اتّباع المحكمات من العمل بالظواهر ، نعم على القول بأنّ معناه البيان والايضاح كما حكيناه عن المصباح والصّحاح،يكون للاستدلال بالأخبار المذكورة وجه ، لعدم اختصاص التّفسير على ذلك المعنى بالالفاظ المجملة والمتشابهة إلاّ أن يقال : إنّ المراد بالرّأى في الأخبار المذكورة هو الاعتبار العقلي الظني الرّاجع إلى الاستحسان، فالمراد من التّفسير بالرّأى حمل اللفظ على خلاف ظاهره أو أحد احتماليه ، لرجحان ذلك في نظره القاصر ، فلا يشمل حمل ظواهر الكتاب على معانيها اللغوية والعرفية الظاهرة ، فالمقصود بهذه الرّوايات ذمّ المخالفين وطردهم من حيث استغنائهم بآرائهم الفاسدة عن مراجعة أهل البيت عليهم السلام ، ويشعر بذلك ما قاله سبحانه . في الحديث القدسي السّالف : و ما على ديني من استعمل القياس في ديني ، و يرشد إليه ما روي عن الصّادق عليه السلام ، قال في حديث طويل : هلك النّاس في المتشابه ، لأنّهم لم يقفوا على معناه ولم يعرفوا حقيقته فوضعوا له تأويلا من عند أنفسهم بآرائهم فاستغنوا بذلك عن مسألة الأوصيآء ، و يمكن أن يراد بالرّأى الهوى و ميل الطبع

توضيحه ما ذكره الغزالي في إحيآء العلوم و هو أن يكون له في الشيّ رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأوّل القرآن على وفق رايه وهواه ليحتجّ على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرّأى والهوى فكان لايلوح له من القرآن ذلك المعنى ، وهذا تارة يكون مع العلم ، كالذي يحتجّ ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته و هو يعلم أنّه ليس المراد بالاية ذلك ، ولكن يلبس به على خصمه و تارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن و يستدل عليه بما يعلم أنّه ما اريد به كالذي يدعو

إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله عز وجل :

« إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ »

و يشير إلى قلبه و يؤمي إلى أنه المراد بفرعون ، و هذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع ، وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم و مذهبهم على امور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة به انتهى ملخصاً.

وقد ظهر و اتضح مما ذكرنا كله أن الأخبار المأثورة لاتنهض دليلا على المنع من استنباط الأحكام من الظواهر و محكمات الكتاب ، ولاعلى المنع من العمل بها إلا بعد السماع والنقل كيف وقد مدح الله سبحانه المستنبطين بقوله : لعلمه الذين يستنبطونه، و ورد الأخبار المتواترة بعرض الأخبار المتعارضة على كتاب الله و أخذ الموافق له و طرح المخالف ، فتدل على أن الكتاب حجة و معروض عليه ، ولولم يصح فهم معناه إلا بالنص كيف يمكن العرض عليه و هو غير مفهوم المعنى ، و تمام الكلام في ذلك موكول إلى حواشينا على قوانين الاصول هذا.

و قد بقي في المقام بعض أبحاث قرآنية من تواتره و تواتر قراءات السبع و فضائله و فضائل قرائته و سماعه والنظر فيه و غير ذلك من المباحث الشريفة النفيسة ، إلا أنا طوينا عنها كشحا لخوف الاطالة والاطناب ، و لعلنا نشير إلى بعضها في المقام المناسب ، والله الموفق والمعين.

الترجمة

پس اختيار كرد و بر گزيد خداوند سبحانه و تعالى بجهة محمد خاتم الأنبياء صلوات الله عليه و آله ملاقات روحانى او را و پسنديد از براى او آن چيزى راكه نزد اوست ، پس اكرام فرمود و عزيز شمرد او را از ماندن دار دنياى فانى وصرف فرمود و بگردانيد ميل او را از اقامت مقام بلاد محنت ، پس قبض فرمود روح شريف او را بسوى خود درحالتيكه عزيز وشريف بود وخليفه گذاشت آنحضرت بعداز خود

در میان شما مثل آن چیزیکه خلیفه گذاشتند پیغمبران در میان امتان خود،زیرا که ترک نکردند ایشان امتان را سر خود و واگذاشته بی‌راه روشن وبدون علامت ونشانه ثابت که عبارتست آن خلیفه گذاشته شده از کتاب پروردگار شما درحالتی که بیان کننده بود آنحضرت حلال آنرا وحرام آن را وفضیلتهای آن راکه‌مندوبات است و فریضه‌های آن را که واجباتست و نسخ کننده آنرا و نسخ کرده شده آن را و رخصتهای آن را که در حال ضرورت اذن داده شده و عزیمتهای آن راکه‌در هیچ حال‌اذن‌مخالفت آنها داده نشده ، و خاصهای آنرا وعامهای آن راوعبرت‌های آنرا ومثل‌های آنرا ومطلقات آنراومقیدات آن را ومحکمات آنرا که واضح الدلالة هستند و متشابهات آنرا که غیر واضح‌الدلالة می باشنددر حالتیکه آنحضرت‌تفسیر کننده بود مجمل های آن را ، و بیان کننده بود مشکل های آنرا ، در حالتیکه آنکتاب میان چیزی استکه اخذ کرده شده‌است پیمان دانستن آن، ومیان‌چیزیست که وسعت داده‌شده بر بندگان‌درجهالت آن، ودیگرمیان آن‌چیزیستکه‌ثبت‌شده‌است در کتاب‌فرض‌ووجوب آن، ودانسته شده‌است درسنت نبوی نسخ آن ، ودیگر میان آنچیزیستکه‌واجبست‌درسنت‌اخذ وفراگرفتن آن‌واذن ورخصت داده‌شده‌است‌در آن کتاب‌ترک‌نمودن آن ، ودیگرمسائل آنچیزیستکه واجبست‌دروقت خود وزایل‌است درزمان استقبال خود ، ودیگرمیان حکمی‌است که‌جدا شده‌است میان‌محرمات‌خود با شدت و ضعف ، که آنمحرمات عبارتست از کبیریکه وعده داده است بر آن آتش سوزان خود را ، و از صغیریکه آماده و مهیا فرموده است بجهة آن رحمت وغفران خود را ، و دیگر میان چیزیستکه مقبول است درمرتبه ادنای خودوموسع است یعنی وسعت داده شده درمرتبه اعلای خود

الفصل الثامن عشر

ومنها وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ ٱلْحَرامِ ٱلَّذي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنعامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيهِ وُلُوهَ الْحَمامِ، جَعَلَهُ سُبْحانَهُ عَلامَةً

لِتَواضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمّاعاً أجابُوا لَهُ دَعْوَتَهُ وَصَدَّقُوا لَهُ كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَواقِفَ أنْبِيآئِهِ، وَتَشَبَّهُوا مَلآئِكَتَهُ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْباحَ في مَتْجَرِ عِبادَتِهِ، وَيَتَبادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحانَهُ لِلْإسْلامِ عَلَماً، وَلِلْعائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفادَتَهُ، فَقالَ سُبْحانَهُ: وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً، وَمَنْ كَفَرَ فَإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ.

اللغة

(الحجّ) بالفتح والكسر هو القصد وفي لسان الشرع أو المتشرعة قصد بيت الله الحرام تقرّباً إليه سبحانه بأفعال مخصوصة في زمان مخصوص في مواطن مخصوصة، وفي المصباح حجّ حجّاً من باب قتل قصد والاسم الحجّ بالكسر و(الورود) هو الدّخول في الماء للشّرب منه (يألهون) إليه من وله (١) يوله من باب ضرب ومنع وحسب اذا ذهب عقله من فرح أو حزن، ومعنى يألهون إليه يشتدّ شوقهم إليه حتّى يكاد يذهب عقولهم من شدّة الاشتياق و (الولوه) بالضّم مصدر وله يوله من الباب الرّابع مثل الولوغ من ولغ يولغ، أو مصدر وله يوله من الباب السّادس مثل الولوغ أيضاً من ولغ يولغ أو مصدر وله يوله من الباب الثّاني مثل الرجوع من رجع يرجع أو بالفتح مصدر وله يوله (٢) من الباب الرّابع أيضاً مثل الولوع من ولع يولع. وعلى جميع الاحتمالات فالهمزة في يألهون مقلوبة من الواو.

١ــ الوله محركة الحزن اوذهاب العقل حزنا والحيرة والخوف وله كورث ووجل ووعد، قاموس.

٢ــ وله يوله ولها من باب تعب وفى لغة قليلة وله يله من باب وعد فالذكروالانثى واله ويجوز فى الانثى والهة اذا ذهب عقله من فرح وحزن، مصباح

و بما ذكرنا ظهر فساد ما توهّمه الشّارح المعتزلي حيث إنّه بعد ضبطه في المتن يولهون إليه وله الحمام اه قال: الوله شدّة الوجد حتّى يكاد العقل يذهب، وله الرّجل يوله ولها ، و من روى يألهون إليه ولوه الحمام فسّره بشيء آخر ، و هو يعكفون عليه عكوف الحمام ، وأصل أله عبد ، و منه الاله أى المعبود ، و لما كان العكوف على الشّيء كالعبادة الملازمة له والانقطاع إليه ، يقال : أله فلان إلى كذا أى عكف عليه كأنّه يعبده .

ثمّ قال : ولايجوز أن يقال : يألهون إليه في هذا الموضع بمعنى يولهون، وأن أصل الهمزة الواو كما فسّره الراوندي لأنّ فعولا لايجوز أن يكون مصدراً من فعلت بالكسر ولو كان يألهون هو يولهون كان أصله أله بالكسر فلم يجز أن يقول: ولوه الحمام ، و أمّا على ما فسّرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الولوه مصدراً، لأنّ الأله مفتوح ، فصار كقولك: دخل دخولا ، انتهى.

وجه ظهور الفساد أوّلا أنّ المضبوط من كلامه عليه السلام في النّسخ المتعدّدة يألهون إليه ولوه الحمام ولم نعثر بعد على ما ضبطه الشّارح أعني يولهون إليه وله الحمام في شيء من النّسخ ، ولعله غير كلامه لما زعم من عدم مطابقته للقواعد الصّرفيّة مع أنّ ذلك الزّعم فاسد حسبما تعرفه بعيد هذا.

وثانياً أنّ ماذكره من عدم مجيء فعول مصدراً من فعل بالكسر لايعرف وجه له بل اللغة يشهد بخلافه على ما يظهر من الكتب المدوّنة فيها ، حيث إنّ المتحصّل منها أنّ فعولا بضمّ الفاء قد يجيء مصدراً من فعل مفتوح العين ، سواء كان مضارعه يفعل بالفتح أيضاً كالرّكوع والرّنوع(١) والولوغ(٢) والهبوغ(٣) بالغين المعجمة في الأخيرين ، أو يفعل بالضّم كالسّجود والبلوغ والقعود والدّخول ، أو يفعل بالكسر

---

١ ــ رنع لونه كمنع تغير وزبل وضمر والدابة طردت الذباب براسها و فلان لعت قاموس اللغة

٢ــ ولغ الكلب فى الانا، و فى الشراب ومنه وبه يلغ كيهب ويالغ وولغ كورث و وجل ولغا و يضم وولوغا يشرب مافيه باطراف لسانه ، ق. (٣) هبغ كمنع هبوغا نام ، ق

كالرّجوع، وقد يكون مصدراً من فعل مكسور العين سواء كان مضارعه يفعل بالكسر كالولوع أيضاً أو بالفتح كالولوغ أيضاً، و قد ذكروا أنّ الفعول أيضاً بفتح الفآء قد يكون مصدراً من فعل بكسر العين كالولوع (١) بالعين المهملة.

و ثالثاً أن ما ذكره أخيراً من قوله: و أمّا على ما فسّرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الولوه مصدراً لأنّ أله مفتوح فصار كقولك دخل دخولا.

فيه أوّلا أنّه لم يسبق منه تفسير في ذلك، و إنّما روى تفسيراً من غيره بقوله و من روى يألهون اه فسّره هكذا، فقوله: و أمّا على ما فسّرناه نحن غير خال عن السّماجة.

و ثانياً بعد الاغماض والحمل على التّسامح اللّفظي أنّ التّفسير المذكور لايصحّح ما ذكره، إذ الهمزة في أله بمعنى عبد أصليّة وليست مقلوبة من الواو، فكيف يكون الولوه مصدراً له، و إنّما مصدره إلاهة (٢) والوهة حسبما مرّ في تفسير لفظ الجلالة في صدر الخطبة.

و ثالثا أنّ ظاهر تمثيله بقوله: دخل دخولا، يشعر بكون أله من هذا الباب أيضاً أى من باب فعل يفعل بفتح عين الماضي حسبما صرّح به نفسه أيضاً و ضمّ عين المضارع مع أنّ اللّغويّين صرّحوا بأنّ أله بمعنى عبد من باب فعل يفعل كفرح يفرح و (السّماع) لم أجده في كتب اللّغة ولعلّه بضمّ السّين و تشديد الميم جمع سامع كسّمار (٣) جمع سامر و هكذا ضبطه الشّارح البحراني و (يحرزون الأرباح) من

---

١ ـ ولع به كوجل ولعا محركة وولوعا بالفتح استخف و كذب وبجه وهب و الوالع الكذاب، قاموس.

٢ ـ اله الاهة والوهة والوهية عبد عبادة و منه لفظ الجلالة وأله كفرح تحير، قاموس اللغة

٢ مكرر ـ اله ياله من باب تعب الاهة بمعنى عبد عبادة وأله ياله من باب تعب اذا تحير واصله وله يوله، مصباح اللغة.

٣ ـ يقال سمر فلان سمراً و سموراً من الباب الاول اذا لم ينم و تحدث ليلا وهم السمار بضم السين وتشديد الميم يقال باتوا سماراً، اقيانوس.

قولهم أحرزت الشّيء إحرازاً ضممته، و منه قولهم: أحرز قصب السّبق إذا سبق إليها فضمّها دون غيره و (التّبادر) هو التّسارع، و يتعدّى بالى كما أن التّسارع كذلك يقال: سارعوا إليه و تسارعوا و (العائذين) جمع عائذ بالياء المثنّاة والذّال المعجمة و هو المستجير المعتصم الملتجي، و في بعض النّسخ: العابدين بالباء الموحّدة والدّال المهملة والأوّل أقرب و (الوفادة) كالافادة بقلب الواو همزة والوفد والوفود مصدر وفد كضرب يقال: وفد إلى الأمير و عليه وفداً ووفوداًووفادة و إفادة إذا قدم و ورد، و في الحديث حقّ الصّلاة أن تعلم أنّها وفادة إلى الله، أى قدوم إليه طلباً لفضله.

الاعراب

جملة يردونه في محلّ النّصب على الحاليّة، والورودوالولوه منتصبان على المصدريّة مجازاً، اى وروداً مثل ورود الأنعام، و ولوهاً مثل ورود «ولوه الحمام» ومواقف مفعول فيه، وموعد منصوب بنزع الخافض أى إلى موعد مغفرته ويحتمل الانتصاب على المفعول فيكون المعنى أنّهم يتسارعون عند الحجّ لوعد المغفرة، و من استطاع في محلّ الجرّ بدل من النّاس بدل بعض من الكلّ والربط في الجملة الخبريّة أعني قوله: فانّ الله غني عن العالمين، العموم فيها الشّامل للمبتداء إذ العالمين شامل لمن كفر و غيره و مثله قوله:

«وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ»

المعنى

قال الرّضي (ره) (و منها ذكر الحجّ) اعلم أنّ فاتحة كلامه عليه السلام في هذا الفصل كخاتمته مشتملة على ذكر وجوب الحجّ و فرضه، و تالي الفاتحه و متلوّ الخاتمة متطابقان في وصف البيت الحرام والواسطة بينهما واردة في أوصاف الحاج الكرام و مدايحهم والثّناء لهم، فهو من أبلغ الكلام على أحسن نظام.

قال عليه السلام: (وفرض عليكم حجّ بيته الحرام) أمّا فرض الحجّ و وجوبه فقد

ثبت بالكتاب والسنّة و إجماع المسلمين بل الضّرورة من دين الاسلام حسبما يأتي في آخر الفصل إنشاءالله.

و أمّا البيت الحرام فهو أوّل بيت وضع للنّاس مباركاً و هدى للعالمين ، وموضعه أوّل بقعة خلقت من الأرض خلقها الله سبحانه من زبد الماء ودحى الأرض من تحتها و اختارها على أجزائها و جعلها مطاف الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين والعباد الصّالحين ، كيف لا وقد بناه الخليل بأمر الجليل والمهندس جبرائيل والتلميذ اسماعيل كما قال :

« وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ »

وينبغي التّعرض في المقام لأصل بناء البيت ومبناه و لبعض المشاعر والمناسك والاشارة إلى جهة توصيف البيت بالحرام فالبحث في مقاصد ثلاثة .

المقصد الاول

اعلم أنّ موضع البيت حسبما اشير إليه هو أوّل جزء من أجزاء الأرض في عالم الخلق كما روي في الفقيه عن أبي جعفر عليه السلام لما أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرّياح الأربع فضربن بهن الماء حتّى صار موجاً ، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً ، فجمعه في موضع البيت ، ثمّ جعله جبلا من زبد ، ثمّ دحى الأرض (١) من تحته ، و هو قول الله :

« إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا »

فأوّل بقعة خلقت من الأرض الكعبة ثمّ بدت الأرض منها .

١ـ وفي حديث أبي عبدالله «ع» المروى في الفقيه خلقه الله قبل دحو الارض بالفي عام اقول: دحو الارض عبارة عن بسطها وفرشها وقد كان في الليلة الخامسة والعشرين من ذي قعدة ولذلك استحب الصوم في يومها قال الرضا عليه السلام فيما رواه في الفقيه فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستين شهرا ،منه

وأمّا البناء الأصلي ففي رواية الفقيه عن علي بن موسى بن جعفر عليهم السلام انّه قال في خمسة و عشرين من ذي القعدة أنزل الله عزّ وجلّ الكعبة البيت الحرام ، فمن صام ذلك اليوم كان كفّارة سبعين سنة ، و هو أوّل يوم انزل فيه الرّحمة من السّماء على آدم عليه السلام

وفي رواية اخرى فيه أيضاً عن أبي خديجة ، عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّ الله عزّ وجلّ أنزله لآدم من الجنّة وكان درّة بيضاء فرفعه الله عزّ وجلّ إلى السّماء و بقي اسه(١) وهو بحيال هذا البيت يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ولا يرجعون إليه أبداً ، فأمر الله عزّ وجلّ إبراهيم و اسماعيل عليهما السّلام ببنيان البيت على القواعد.

و في تفسير عليّ بن إبراهيم عن الصّادق عليه السلام في رواية طويلة ، قال عليه السلام : فلمّا بلغ يعني اسماعيل مبلغ الرّجال أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت ، فقال : يا ربّ في أيّ بقعة ؟ فقال : في البقعة التي انزلت على آدم القبة ، فأضاء لها الحرم، فلم تزل القبة التي أنزلها الله على آدم قائمة حتّى كان أيّام الطوفان أيام نوح عليه السلام فلمّا غرقت الدّنيا رفع الله تلك القبّة وغرقت الدّنيا إلاّ موضع البيت فسمّيت البيت العتيق لأنّه اعتق من الغرق ، فلما أمر الله إبراهيم أن يبني البيت لم يدر في أيّ مكان يبنيه ،بعث الله جبرئيل فخطّ له موضع البيت فأنزل الله عليها القواعد من الجنّة، ولما كان الحجر الذي أنزله الله على آدم أشدّ بياضاً من الثّلج ، فلما مسّته أيدي الكفّار اسودّ فبنى ابراهيم البيت و نقل إسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه الى السّماء تسعة أذرع ثمّ دلّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم و وضعه في موضعه الحديث.

اقول : المستفاد من هاتين الرّوايتين و من بعض الرّوايات(٢) الآتية في المقصد الثّاني أنّ أصل البناء كان في زمن آدم ، و يطابقهما بعض الرّوايات الدّالة على أنّ أوّل البناء كان من آدم ، ثمّ انطمس في زمان نوح فبناه إبراهيم ، ثمّ بناه العمالقة،

١– من الاساس

٢– كرواية العلل وغيرها منه

ثمّ قريش ، ثمّ الحجّاج اللّعين.

وفي رواية أبي بصير المرويّة في الفقيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن آدم هو الذي بنى البنية ووضع أساسه و أوّل من كساه الشعر و أوّل من حجّ إليه الحديث.

إلاّ أنّ المستفاد من بعض الرّوايات الأخر أنّه كان قبل آدم هناك بيت يسمّى بيت الضّراح كان يطوف به الملائكة، فلمّا اهبط آدم إلى الأرض اُمر بطوافه.

و يؤيده ما رواه الصّدوق عن بكير بن أعين عن أخيه زرارة ، قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلني الله فداك أسألك في الحجّ منذ أربعين عاماً فتفتيني فقال : يا زرارة بيت يحجّ قبل آدم بألفي عام تريد أن يفتى مسائله في أربعين عاماً ، و سيأتي إنشاءالله عند شرح قوله : ووقفوا مواقف أنبيائه في حديث حجّ آدم (١) ما يفيد ذلك أيضاً .

و وجه الجمع بين هذه الرّوايات و الرّوايات الاُولة غير خفيّ على أهل المعرفة .

المقصد الثاني

في الاشارة إلى بعض المشاعر العظام كالحجر والمقام ، وهما من الآيات التي اُشير إليها في قوله تعالى : فيه آيات بيّنات.

اما الحجر فقد أودع الله فيه مواثيق الخلق ، قال الصّدوق في الفقيه: وإنّما يقبّل الحجر و يستلم ليؤدّي إلى الله العهد الذي أخذ عليهم في الميثاق، وإنّما وضع الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضعه في غيره ، لأنّه تعالى حين أخذ الميثاق أخذه في ذلك المكان ، و جرت السّنة بالتكبير و استقبال الرّكن الذي فيه الحجر من الصّفا، لأنّه لمّا نظر آدم وقد وضع الحجر في الرّكن كبّر الله و هلّله و مجّده ، و إنّما جعل الميثاق في الحجر لأنّ الله لمّا أخذ الميثاق له بالرّبوبية و لمحمد صلى الله عليه وآله بالنّبوة و لعليّ عليه السلام بالوصيّة ، اصطكّت فرايص الملائكة ، و أوّل من أسرع إلى

١- وهو آخر الحديث المذكور حيث قال فلما قضى آدم حجه لقته الملائكة بالابطح فقالوا يا آدم بر حجك اما انا قدحججنا قبلك هذا البيت بالفي عام، منه

الاقرار بذلك الحجر ، فلذلك اختاره الله و ألقمه الميثاق وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق و عين ناظرة يشهد لكلّ من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق ، و إنّما اخرج الحجر من الجنّة ليذكر آدم ما نسي من العهد والميثاق انتهى .

و تفصيل ما ذكره هنا و سنده ما رواه في علل الشّرايع باسناده عن بكير بن أعين، قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : هل تدري ما كان الحجر؟ قال : قلت: لا قال: كان ملكاً عظيماً من عظماء الملائكة عندالله عزّ وجلّ ، فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق، كان أوّل من آمن به وأقرّ لذلك ذلك الملك فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه فألقمه الميثاق و أودعه عنده و استعبد الخلق أن يجدّدوا عنده في كلّ سنة الاقرار بالميثاق والعهد الذي أخذه الله عليهم، ثمّ جعله الله مع آدم في الجنّة يذكر الميثاق و يجدّد عند الاقرار في كلّ سنة.

فلما عصى آدم فأُخرج من الجنّة أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه و على ولده لمحمّد و وصيه صلوات الله و سلامه عليهما و جعله باهتا حيراناً، فلما تاب على آدم حوّل ذلك الملك في صورة دُرّة بيضاء ، فرماه من الجنّة إلى آدم و هو بأرض الهند ، فلمّا رآه آنس إليه و هو لا يعرفه بأكثر من أنّه جوهرة، فأنطقه الله عزّ وجلّ، فقال: يا آدم أتعرفني ؟ قال : لا قال: أجل استحوذ عليك الشّيطان فأنساك ذكر ربّك ، و تحوّل إلى الصّورة التي كان بها في الجنّة مع آدم.

فقال لآدم: أين العهد والميثاق؟ فوثب إليه آدم و بكى ذكر الميثاق و بكى و خضع له و قبّله وجدّد الاقرار بالعهد والميثاق ، ثم حوّل الله عزّ وجلّ جوهر الحجر درّة بيضاء يضيء ، فحمله آدم على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً ، فكان إذا اعيا حمله جبرئيل عليه السلام حتى وافى به مكّة ، فما زال يأنس به بمكة و يجدّد الاقرار له كلّ يوم و ليلة ، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أهبط جبرئيل إلى أرضه و بنى الكعبة هبط إلى ذلك المكان بين الرّكن والمقام والباب، و في ذلك المكان تراءى لآدم حين أخذ الميثاق، و في ذلك الموضع القم الملك الميثاق ، فبتلك العلّة وضع في ذلك الرّكن و نحى آدم من مكان البيت إلى الصّفا و حوّا إلى المروة ، و جعل الحجر في الرّكن

فكبّر الله و هلّله و مجّده ، فلذلك جرت السّنة بالتكبير في استقبال الرّكن الذي فيه الحجر من الصّفا .

و انّ الله عزّ وجلّ أودعه العهد والميثاق وألقمه إيّاه دون غيره من الملائكة لأنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخذ الميثاق له بالرّبوبية ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعليّ عليه السلام بالوصية اصطكت فرايص الملائكة، وأوّل من أسرع إلى الاقرار بذلك ذلك الملك، ولم يكن فيهم أشدّ حبّا لمحمّد و آل محمد عليهم السلام منه، فلذلك اختاره الله عزوجل من بينهم وألقمه الميثاق فهو يجيء يوم القيامة و له لسان ناطق و عين ناظرة يشهد لكل من وافاه الى ذلك المكان وحفظ الميثاق .

أقول : من كان علمه مقتبساً من نور النّبوة والوحي الا لهي يعلم سرّ استلام الحجر و تقبيله و أنّ أداء الامانة عنده من جهة اختصاصه بالتّقدم إلى الولاية من بين الملائكة ، ويعرف أنّه يؤدّي الموافاة يوم القيامة و أمّا من أضلّ الله وأعمى قلبه فلا يظنه إلاّ حجراً لا يضرّ ولاينفع.

كما روى الفخر الرّازي عن عمر بن الخطاب انّه انتهى إلى الحجر الأسود فقال إنّي لأُقبّلك و انّي لأعلم أنّك حجر لاتضرّ ولاتنفع و أنّ الله ربّي و لولا أنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّلك ما قبلتك .

و زاد الغزالي قال : ثمّ بكى حتّى علا نشيجه فالتفت إلى و رائه فرأى عليّا كرم الله وجهه و رضي عنه ، فقال : يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات و تستجاب الدّعوات ، فقال عليّ : بل هو يضرّ و ينفع ، قال : و كيف ؟ قال إنّ الله تعالى لمّا أخذ الميثاق على الذّريّة كتب عليهم كتاباً ثمّ ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفا و يشهد على الكافر بالجحود انتهى.

أقول: كما يمكن أن يكون قوله : إنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، من باب الجهالة ولا غرو فيها ، لما ستطلع عليه إنشاء الله في تضاعيف ذلك الكتاب بجهالاته التي أعظم من هذه ، كذلك يمكن أن يكون من باب التّجاهل باقتضاء خبثه الباطني و نفاقه

الغريزي هذا .

و في بعض الأخبار أنّ الحجر لا يستقر مكانه إلاّ أن يضعه نبيّ أو إمام كما مرّ أنّ أوّل وضعه في موضعه كان من آدم ، ثمّ من إبراهيم ، حيث إنّه لما بنى البيت و انتهى إلى موضع الحجر ناداه أبوقبيس يا إبراهيم إنّ لك عندي وديعة، فأعطاه الحجر فوضعه موضعه ، رواه في الفقيه .

و عند ما هدمت قريش الكعبة من جهة السّيل الذي كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها و انصدعت . وضعه النّبي صلّى الله عليه و آله موضعه.

و عند ما هدمها الحجّاج على ابن الزبير ثمّ بناها و فرغ من بناها سأل عليّ ابن الحسين عليهما السّلام أن يضعها في موضعه فأخذه ووضعه موضعه.

و في زمن القرامطة الاسماعيليّة خذ لهم الله و لعنهم حيثما نقلوا الحجر الى مسجد الكوفة ثمّ ردّ إلى مكة فوضعه الامام صاحب العصر عجل الله فرجه موضعه، و كان ذلك في الغيبة الكبرى ، كلّ ذلك رويناه عن الأخبار الصحيحة.

و في الفقيه و كان أشد بياضاً من اللّبن فاسود من خطا يا بني آدم ، ولولا ما مسّه من أرجاس الجاهليّة ما مسّه ذوعاهة إلا برء ، و في رواية عليّ بن إبراهيم القمي و كان الحجر الذي أنزله الله على آدم أشدّ بياضا من الثّلج فلمّا مسّته أيدى الكفّار اسودّ .

و أما المقام فهو من أعظم الأعلام، قال في الفقيه: قال زرارة بن أعين لأبي جعفر عليه السلام : قد أدركت الحسين عليه السلام قال : نعم ، أذكرو أنا معه في المسجد الحرام وقد دخل فيه السّيل والنّاس يقومون على المقام يخرج الخارج و يقول : قد ذهب به السّيل ويدخل الدّاخل ويقول : مكانه، قال :فقال يافلان مايصنع هؤلاء ؟فقلت أصلحك الله يخافون أن يكون قد ذهب بالمقام ، قال: انّ الله عزّ وجلّ جعله علماً لم يكن ليذهب به فاستقرّوا و كان موضع المقام (١) الذي وضعه إبراهيم عند جدار البيت ،فلم يزل

١- ورواه في الكافي ايضاً عن الباقر عليه السلام ، منه

هناك حتّى حوّله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم، فلما فتح النّبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة ردّه إلى الموضع الذي وضعه إبراهيم عليه السلام فلم يزل هناك إلى أن ولي عمر، قال للنّاس: من فيكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام؟ فقال له رجل: أنا كنت قد أخذت مقداره بنسع (١) فهو عندي قال: ايتني به، فأتاه فقاسه ثمّ ردّه إلى ذلك المكان هذا.

ولكون المقام من المشاعر العظام وأعظم البيّنات والأعلام خصّ بالذكر في القرآن وطوى ذكر غيره، قال تعالى:

«فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ»

وفيه أثر قدم إبراهيم، وسبب هذا الأثر أنّه لمّا ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة، فغاصت فيه قدماه.

وقيل: إنّه لمّا جاء زائراً من الشّام إلى مكّة وكان قد عهد لامرأته أن لاينزل بمكّة حتّى يرجع، فلمّا وصل إلى مكّة قالت له امّ إسماعيل أو امرأة إسماعيل: انزل حتّى نغسل رأسك، فلم ينزل فجائته بهذا الحجر فوضعته على الجانب الأيمن فوضع قدمه عليه حتّى غسلت أحد جانبي رأسه، ثمّ حوّلته إلى الجانب الأيسر حتّى غسلت الجانب الآخر.

وغير خفي أنّ تأثّر الصّخرة الصّمّاء وغوص قدمه فيها إلى الكعبين وبقائها في ألوف من السّنين مع كثرة الأعداء من اليهود والنّصارى والملحدين، من أعظم آيات التّوحيد وأظهر براهين التّفريد.

المقصد الثالث

في علّة وصف البيت بالحرام والاشارة إلى بعض أسمائه:

أمّا الأوّل فلما قال في الفقيه من أنّه حرم على المشركين ان يدخلوه، ويحتمل أن يكون ذلك من جهة أنّه حرام فيه ما هو حلال في غيره من البيوت كالجماع والملابسة لشيء من الأقذار، أو أنّه حرام دخوله من غير احرام قال في

١ـ النسع بالكسر سير ينسج عريضا يشد به الرحال، مجمع البحرين

الفقيه : و حرم المسجد لعلّة الكعبة ، و حرم الحرام لعلّة المسجد ، ووجب الاحرام لعلّة الحرم ، و قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكّة : إن الله حرم مكّة يوم خلق السّماوات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم السّاعة لم تحلّ لأحد قبلي ولا تحلّ لأحد من بعدي ولم تحلّ لي إلاّ ساعة من النّهار.

و أمّا وصفه بالعتيق في قوله:

« وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ »

فإمّا من جهة أنّه عتيق من النّاس لم يملكه أحد غيره تعالى ، و إمّا أنّه عتيق وقديم وقد بيّنا في المقصد الأوّل أنّه كان قبل آدم ، وإمّا أنّه عتيق من الغرق والطوفان حيث رفع إلى السّماء في طوفان نوح ، و إمّا أنّه من عتق الطاير إذا قوى في وكره فلما بلغ في القوّة الى حيث ان قصد قاصد تخريبه أهلكه الله سمّى عتيقا.

و أمّا الثّاني ففي الصافي عن الخصال عن الصّادق عليه السلام أسماء مكّة خمسة : امّ القرى، ومكّة ، و بكّة، والبساسة(١) إذا ظلموا بها بستهم اى أخرجتهم واهلكتهم و امّ رحم كانوا إذا الزموها رحموا .

ثمّ إنّه عليه السلام بعد وصفه البيت بالحرام وصفه بأنّه (الذي جعله قبلة للأنام) و هذه العبارة صريحة في أنّ القبلة هي نفس البيت لجميع الخلق ، ولما لم يتمكن النّائي من تحصيل التّوجه إلى العين اكتفى في حقّه بمراعاة الجهة ، و هو مذهب المتأخرين من أصحابنا ، خلافا للمتقدّمين حيث ذهبوا إلى أنّ البيت قبلة للمسجد والمسجد لأهل الحرم والحرم لمن في الدنيا، والتّفصيل في الفقه و كونه قبلة للأنام صريح الكتاب مضافا إلى السّنة والاجماع ، قال تعالى:

« قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضيها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ »

١ــ البس بالوحدة الحطم وبالنون الطرد ويروى بهما، م

قال الصدوق في الفقيه : و صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشرة سنة ، و تسعة عشر شهراً بالمدينة ثمّ عيرته اليهود ، فقالوا له: إنك تابع لقبلتنا ، فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً فلما كان في بعض الليل خرج عليه السلام يقلّب وجهه في آفاق السمآء، فلما أصبح صلّى الغداة، فلما صلى من الظهر ركعتين جاءه جبرئيل فقال له : قد نرى تقلّب وجهك في السمآء الآية، ثمّ أخذ بيد النبيّ عليه السلام فحوّل وجهه إلى الكعبة و حوّل من خلفه وجوههم حتّى قام الرّجال مقام النسآء، والنسآء مقام الرّجال ، فكان أوّل صلاته إلى بيت المقدّس و آخرها إلى الكعبة و بلغ الخبر مسجداً بالمدينة وقد صلّى أهله من العصر ركعتين ، فحوّلوا نحو الكعبة فكان أول صلاتهم إلى بيت المقدّس و آخرها إلى الكعبة، فسمّى ذلك المسجد مسجد القبلتين ، فقال المسلمون صلاتنا إلى بيت المقدّس أتضيع يا رسول الله ؟ فأنزل الله تعالى:

« وَما كانَ اللهُ لِيُضيعَ إيمانَكُمْ »

أى صلاتكم الى بيت المقدّس ، قال الصّدوق وقد اخرجت الخبر في ذلك على وجهه في كتاب النّبوة.

و في الاحتجاج للطبرسي قال أبو محمد الحسن العسكرى صلوات الله عليه :لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة أمره الله عزّ وجل أن يتوجه نحو البيت المقدّس في صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن وإذا لم يمكن استقبل بيت المقدّس كيف كان، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشرة سنة ، فلما كان بالمدينة و كان متعبّداً باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً(١) او ستة عشر شهراً و جعل قوم من مردة اليهود يقولون : والله ما يدري كيف محمد يصلي حتّى صار يتوجه إلى قبلتنا و يأخذ في صلاته بهدينا ، (٢)فاشتدّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله لما اتّصل به عنهم و كره قبلتهم و أحبّ الكعبة ، فجاءه جبرئيل فقال له رسول الله : يا

١- الظاهر ان الترديد من الراوى و عن تفسير الامام الاول مروى، منه

٢- الهدى السيرة والهيئة والطريقة، منه

جبرئيل لوددت لوصرفني الله عن بيت المقدّس إلى الكعبة، فقد تأذّيت بما اتّصل إليّ من قبل اليهود من قبلتهم فقال جبرئيل: فاسأل ربّك أن يحوّلك إليها فانّه لايردّك عن طلبتك ولايخيبك عن بغيتك(١)، فلمااستتم(٢) دعاءه صعدجبرئيل ثمّ عادمن ساعته فقال اقرء يا محمّد:

« قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ »

الآية، فقال اليهود عند ذلك: « مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي (٣) كَانُوا عَلَيْهَا »

فأجابهم الله بأحسن جواب، فقال يامحمّد: « قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ »

و هو يملكها و تكليفه التّحول إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر:

« يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ »

و هوأعلم بمصلحتهم و تؤدّيهم طاعتهم إلى جنّات النّعيم، و هو مصلحهم و مؤدّيهم الى جنات النعيم، هكذا في تفسير الامام عليه السلام و قال أبو محمّد عليه السلام: و جاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا يا محمّد، هذه القبلة بيت المقدّس قد صليت إليها أربع عشرة سنة ثم تركته الآن أفحقّا كان ما كنت عليه؟ فقد تركته إلى باطل، فان ما يخالف الحقّ باطل، أو كان باطلا فقد كنت عليه طول هذه المدّة فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ذلك كان حقّا وهذا حقّ يقول الله عز وجل:

« قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ »

إذا عرف صلاحكم يا أيّها العباد في استقبال المشرق أمركم به، و إذاعرف صلاحكم

١ـ البغية ماابتغى، ق

٢ـ استتمه وتم به وعليه جعله تاما، قاموس

٣ـ اى عن بيت المقدس، منه

في استقبال المغرب أمركم به ، وإذا عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلاتنكروا تدبيرالله في عباده وقصده إلى مصالحهم .

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد تركتم العمل يوم السّبت ثمّ عملتم بعده سايرالأيام ثمّ تركتموه في السّبت ثمّ عملتم بعده أفتركتم الحقّ إلى الباطل أو الباطل إلى حقّ أوالباطل إلى الباطل أوالحقّ إلى الحقّ ؟ قولوا كيف شئتم فهوقول محمد وجوابه لكم، قالوا بل ترك العمل يوم السّبت حقّ والعمل بعده حقّ ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق ثمّ قبلة الكعبة في وقته حقّ ، فقالوا له يا محمد : أفبدا لربّك فيما أمرك به بزعمك من الصّلاة إلى بيت المقدس حتّى نقلك إلى الكعبة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما بدا له عن ذلك ، فانّه العالم بالعواقب والقادر على المصالح، لايستدرك على نفسه غلطاً ولا يستحدث رأياً يخالف المقدم جلّ عن ذلك ، ولايقع عليه أيضاً مانع يمنعه من مراده و ليس يبدو« إلا خ» لمن كان هذا وصفه ، وهو جل و عزّ متعال عن هذه الصّفات علوّاً كبيراً ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيّها اليهود أخبروني عن الله عزّ وجلّ أليس يمرض (١) ثمّ يصحّ و يصحّ ثمّ يمرض أبدا له في ذلك شيء؟ ليس يحيي و يميت أبدا له فيكل واحد من ذلك ؟ قالوا : لا، قال : كذلك عزّ وجل تعبّد نبيه محمداً بالصّلاة إلى الكعبة بعد أن كان تعبّده بالصّلاة إلى بيت المقدس ، و مابداله «لله خ» في الأوّل.

ثمّ قال : أليس الله عزّ وجلّ تأتي بالشّتاء في أثر الصّيف والصّيف في أثر الشّتاء أبدا له في كلّ واحد من ذلك؟ قالوا : لا، قال : فكذلك لم يبدو له في القبلة ،

قال : ثمّ قال صلى الله عليه وآله : أليس قد ألزمكم في الشّتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة وألزمكم في الصّيف أن تحترزوا من الحرّ فبداله في الصّيف حين أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشّتاء ؟ قالوا : لا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فكذلكم الله تعبّدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء ثمّ بعده في وقت آخر لصلاح يعلمه بشيء آخر ،

١ـ امرضه اذاجعله مريضا، ق

فاذا أطعتم الله عزّ وجل في الحالتين استحققتم ثوابه ، فأنزل الله تعالى:

«وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»

يعنى إذا توجهتم بأمره فثمّ الوجه الذي تقصدون منه الله و تأملون ثوابه.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا عباد الله أنتم كالمرضى والله عزّ وجلّ كالطبيب فصلاح المرضى فيما يعلمه «يعمله خ» الطبيب ويدبّره به ، لافيما يشتهيه المريض ويقترحه الا فسلّموا لله أمره تكونوا من الفائزين ، فقيل يا رسول الله : فلم أمر بالقبلة الأُولى؟ قال : لما قال الله عزّ وجلّ :

« وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا » وهي بيت المقدّس « إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ »

الاّ لنعلم ذلك وجوداً بعد أن علمناه سيوجد وذلك انّ هوى أهل مكّة كان في الكعبة فأراد الله أن يبين متبع محمد صلى الله عليه وآله ممّن خالف « متّبعي محمد من مخالفيه خ » باتباع القبلة التي كرهها ، ومحمد صلى الله عليه وآله يأمر بها ، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتّوجه إلى الكعبة ليبيّن من يوافق محمداً فيما يكرهه فهو مصدّقه و موافقه ثم قال :

« وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ »

و إن كان التّوجه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت كبيرة إلاّ على من يهدي الله ، فعرف أنّ لله عزّ وجلّ أن يتعبد بخلاف ما يريده المرء ليبتلي طاعته في مخالفة هواه.

قوله عليه السلام (يردونه ورود الأنعام) شبّه عليه السلام ورود الحاج على البيت الحرام بورود الأنعام على المآء للشّرب و وجه الشّبه الاجتماع والتزاحم ، و من ذلك سمّي ببكة لأنّه من البكّ الذي هو عبارة عن دفع البعض بعضاً ، يقال : بكه يبكه بكاً إذا دفعه و زاحمه.

كما قال الصّادق عليه السلام في رواية العلل: إنّما سمّيت بكّة بكّة، لأنّ النّاس يباكون فيها أي يزدحمون.

و روى عطا قال: صلّى رجل في المسجد الحرام فمرّت به امرأة بين يديه فزجرها و كان الباقر عليه السلام حاضراً، فمنع الرّجل و قال: لاتزجرها هذه بكة يبكّ بعضه بعضاً أي يدقّ.

و في الفقيه روى أنّ الكعبة شكت إلى الله عزّوجلّ في الفترة بين عيسى و محمّد عليهما السلام فقالت يا ربّ مالي قلّ زوّاري مالي قلّ عوّادي، فأوحى الله إليها انّي منزل نوراً جديداً على قوم يحنّون إليك كما تحنّ الأنعام إلى أولادها، و يزفون إليك كما تزفّ النسوان إلى أزواجها، يعني اُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، أي يشتاقون إليك كما تشتاق الأنعام، و يسرعون إليك كما تسرع النّسوان و هو معنى قوله عليه السلام (يألهون) أي يسرعون (إليه ولوه الحمام) و كلّ ذلك كناية عن شدّة اشتياق الحجاج و فرط ميلهم إلى البيت الحرام (جعله سبحانه) أي الحجّ (علامةلتواضعهم لعظمته و) امارة (إذعانهم لعزته) إذ به يعرف المتواضع من المتكبر و يتميز المذعن من المتجبر، لما فيه من التواضع والخضوع ما ليس في ساير العبادات،ومن هجر البلدان و قطع العلاقات، و تعب الأبدان و ترك الشّهوات، و تحمل الأخطار بقطع الأسفار و ركوب الضّوامر في الجبال والقفار، و كشف الرأس ونزع اللباس و عدم التمكن من البلوغ إلا بشقّ الأنفس، وغير ذلك من النّسك العظام التي حادت الأفهام عن إدراك أسرارها، و قصرت الأوهام عن اقتباس أنوارها، إلا من أتى الله بقلب سليم، فهداه إلى صراط مستقيم، و أمّا من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور، و من لم يعط هدى و دليلا فاولئك هم كالأنعام بل أضل سبيلا.

كما روى في الفقيه أنّ ابن أبي العوجاء دخل تمرّداً و انكاراً على من يحجّ و كان يكره العلماء مسائلته إيّاهم ومجالسته لهم، لخبث لسانه و فساد ضميره، فأتى جعفربن محمّد الصادق عليهما السلام، فجلس إليه في جماعة من نظرائه، ثمّ قال له: إنّ المجالس أمانات ولابدّ لمن به سؤال أن يسأل أفتأذن لي في الكلام؟ فقال

تكلّم، فقال: الى كم تدوسون (١) هذا البيدر، و تلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، و تهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر، من فكر هذا أو قدر علم أنّ هذا فعل أسّسه غير حكيم ولاذي نظر، فقل فانّك رأس هذا الأمر و سنامه، و أُسّه و نظامه.

فقال أبوعبدالله عليه السلام: إنّ من أضلّه الله و أعمى قلبه استوخم (٢) الحقّ فلم يستعذبه (٣) و صار الشّيطان وليّه يورده مناهل الهلكة ثمّ لايصدره، و هذا بيت استعبدالله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه و زيارته، و جعله محل أنبيآئه و قبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، و طريق يؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، و مجتمع العظمة والجلال، خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفي عام، و أحق (٤) من اطيع فيما امر و انتهى عمّا نهى عنه و زجرالله المنشيء للأرواح والصّور الحديث.

ثمّ أشار عليه السلام إلى وصف الحجّاج بقوله: (و اختار من خلقه سمّاعا) أى السّامعين الذين (أجابوالله دعوته) لهم إلى الحجّ (و صدّقوا كلمته) الجارية عن لسان ابراهيم عليه السلام و هوالأذان به والأمر باتيانه، والمراد بتصديقهم كلمته إتيانهم ما امروا به وقد اشير إلى ذلك في قوله سبحانه مخاطباً لابراهيم عليه السلام:

« وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ »

قال: عليّ بن إبراهيم: ولمّا فرغ إبراهيم من بنآء البيت أمره الله أن يؤذّن

---

١ ــ شبه طوافهم بدواس الدواب بيدرالطعام ليتميز الحب من التبن، منه

٢ ــ استوخم الحق اى استثقله ولايجده موافقا لطبعه يقال طعام وخم اى ثقيل غير موافق للطبع منه.

٣ــ استعذب استقى عذبا، ق

٤ــ مبتداء خبره قوله الله م

في النّاس بالحجّ ، فقال : يا ربّ و ما يبلغ صوتي ، فقال : أذّن عليك الأذان و عليّ البلاغ ، و ارتفع على المقام و هو يومئذ ملصق بالبيت ، فارتفع به المقام حتّى كان أطول من الجبال ، فنادى و أدخل اصبعيه في اذنيه و أقبل بوجهه شرقا و غربا يقول: أيّها النّاس كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فأجيبوا ربّكم ، فأجابوه من تحت البحور السّبعة و من بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلها من أصلاب الرّجال و من أرحام النّسآء بالتّلبية : لبّيك اللهم لبّيك، أولا ترونهم يأتون يلبّون ، فمن حجّ يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممّن استجاب الله و ذلك قوله :

« فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ »

يعني بذلك نداء إبراهيم على المقام بالحجّ .

و عن الكافي والعلل عن الصّادق عليه السلام قال : لمّا امر ابراهيم و إسماعيل ببنآء البيت و تمّ بناؤه قعد إبراهيم على كلّ ركن ثمّ نادى هلمّ الحجَّ، فلو(١) نادى هلمّوا إلى الحجّ لم يحجّ إلاّ من كان يومئذ إنسيا مخلوقا ، ولكن نادى هلمّ هلمّ الحج الحج، فلبّى النّاس في أصلاب الرّجال،لبّيك داعي الله لبيك داعي الله،فمن لبّى عشراً حجّ عشراً،و من لبّى خمساً حجّ خمساً، ومن لبّى أكثر فبعدد ذلك،ومن لبّى واحدة حجّ واحدة ، و من لم يلبّ لم يحجّ ، و نحو ذلك في الفقيه (و وقفوا مواقفا أنبيائـه)

١ـ قوله فلو نادى هلموا الى الحج لم يحج قال السيد الجزايرى ره فى زهر الربيع قال استادنا المحقق القاسانى قدس سره ان حقيقة الانسان موجودة بوجود فرد ما ويشتمل جميع الافراد وجدت اولم توجد واما الفرد الخاص منه فلا يصير فرداً خاصاً جزئيا منه مالم يوجد وهذا من لطايف المعانى نطق به الامام «ع» لمن وفق بفهمه انتهى ووجه آخر وهو ان المقام ظاهراً يقتضى صيغة الجمع فالعدول عنه الى الافراد لابد له من نكتة وعلة يناسبه وليس هى الا ارادة استغراق جميع الافراد من شهد و من غاب على ان اهل البلاغة ذكروا ان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ونص عليه العلامة الزمخشرى فى مواضع من الكشاف اه انتهى كلامه «ره» أقول اما ما نقله عن المحقق القاسانى فلا باس به واما الوجه الذى قاله ففيه ان اشملية استغراق المفرد عند اهل البلاغة انما هو فى النفى دون الاثبات ودلالة المفرد على الاستغراق فى الاثبات اول الكلام فافهم جيدا منه .

هذه الفقرة كالتّالية لها تحريض و ترغيب للحجاج على إتيان المناسك و تحملهم الأذى عند ذلك، لأنّهم لو تفكروا و تدبّروا فيماهم عليه من متابعة الأنبياء، وتشبّههم بملائكة السّماء، لاستسهلوا احتمال الأذى في تحمل الضّيم القماء (١) ،بل يجدون الأذى لذّة والذلّ عزّة .

و أما الأنبياء الواقفون في تلك المواقف.

فأوّلهم آدم عليه السلام ، و يدل عليه ما رواه عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : إنّ آدم بقي على الصّفا أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة و على خروجه منها من جوار الله عزّ وجلّ ، فنزل جبرئيل فقال يا آدم مالك تبكي ؟ فقال : يا جبرئيل مالي لا أبكي و قد أخرجني الله من جواره و أهبطني إلى الدّنيا ، فقال يا آدم : تب إليه ؟ قال : كيف أتوب ؟ فأنزل الله تعالى عليه قبّة من نور فيه موضع البيت فسطع نورها في جبال مكّة فهو الحرم ، فأمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، قال: ثمّ يا آدم، فخرج به يوم التّروية وأمره أن يغتسل و يحرم و اخرج من الجنّة أول يوم من ذي القعدة فلما كان يوم الثّامن من ذي الحجّة أخرجه جبرئيل إلى منى فبات بها فلمّا أصبح أخرجه إلى عرفات ، و قد كان علّمه حين أخرجه من مكّة: الاحرام ، و علّمه التّلبية ، فلمازالت الشّمس يوم عرفة فقطع التّلبية و أمره أن يغتسل ، فلما صلّى العصر أوقفه بعرفات و علّمه الكلمات التي تلقّى بها ربّه وهي:

« سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ عَمِلْتُ سُوءً وَ ظَلَمْتُ نَفْسي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبي فَاغْفِرْ لي إِنَّكَ أَنْتَ خَيْرُ الْغافِرينَ ، سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ عَمِلْتُ سُوءً وَظَلَمْتُ نَفْسي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبي فَاغْفِرْ لي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ »

١ـ القماء بالمد الذل والحقارة ، منه

فبقي إلى أن غابت الشّمس، ردّه إلى المشعر فبات بها، فلما أصبح قام على المشعر الحرام فدعا الله بكلمات و تاب إليه ثمّ أفاض إلى منى و أمره جبرئيل أن يحلق الشعر الذي عليه، فحلقه (١) ثمّ ردّه إلى مكة فأتى به إلى عند الجمرة الأولى فعرض إبليس عندها فقال يا آدم أين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصيات و أن يكبر مع كلّ حصاة تكبيرة، ففعل، ثمّ ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثّانية فأمره أن يرميه بسبع حصيات، فرمى و كبر مع كل حصاة تكبيرة ثمّ مضى به، فعرض له إبليس عند الجمرة الثّالثة، فأمره أن يرميه بسبع حصيات فرمى و كبّر مع كلّ حصاة تكبيرة، ثمّ مضى به فذهب إبليس لعنه الله فقال له جبرئيل: انّك لن تراه بعد هذا اليوم أبداً، فانطلق به إلى البيت الحرام و أمره أن يطوف به سبع مرّات، ففعل فقال له: إنّ الله قد قبل توبتك و حلل لك زوجتك، قال: فلما قضى آدم عليه السلام حجته لقته الملائكة بالأبطح، فقالوا: يا آدم برّ حجك، أمّا انّا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفي عام.

و في الفقيه قال أبو جعفر عليه السلام أتى آدم هذا البيت ألف آتية (٢) على قدميه منها سبعمأة حجّة وثلاثمأة عمرة وكان يأتيه من ناحية الشّام، و كان يحجّ على ثور (٣) والمكان الذي بنيت فيه الحطيم و هو ما بين باب البيت و الحجر الأسود وطاف آدم قبل أن ينظر إلى حواء مأة عام، و قال له جبرئيل حيّاك الله و بيّاك (٤) يعني أصلحك الله.

و فيه أيضاً باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: موضع الكعبة ربوة (٥) من

١- في الفقيه و نزل جبرئيل بمهاة «المهاة بالفتح البلورة، ق» من الجنة وروى بياقوته حمرآء فادارها على رأس آدم وحلقه بها منه.

٢- اتيته اتيا، واتيا ناجئته لغة

٣- يحتمل ان يكون مروره كان على جبل ثور ويحتمل انه كان يحج على ثور أيضاً سوى الالف محمد تقي المجلسي

٤- بياك معناه بوأك الله منزلا الا انها لما جائت مع حياك تركت همزتها وحولت واوها ياء، قال سلمة ابن عاصم حكيت للفراء قول خلف فقال ما احسن ما قال وفي الحديث ان آدم لما قتل ابنه مكث مأة سنة لا يضحك ثم قيل له حياك الله و بياك فقال و ما بياك قال اضحكك منه

٥- ربوة ما ارتفع من الارض

الأرض بيضاء تضيء كضوء الشمس والقمر حتّى قتل ابنا آدم أحدهما صاحبه فاسودّت فلمّا نزل آدم رفع الله تعالى له الأرض كلّها حتّى رآها، ثمّ قال هذه لك كلها، قال يا ربّ ما هذه الأرض البيضاء المنيرة؟ قال: هي حرمي في أرضي و قد جعلت عليك أن تطوف بها كلّ يوم سبعمأة طواف.

ومنهم نوح النبي عليه السلام قال الصّدوق في الفقيه: و روي انّه كان طول سفينة نوح ألفاً و مأتي ذراع ، وعرضها ماة ذراع، وطولها في السّماء ثمانين ذراعاً، فركب فيها فطافت بالبيت سبعة أشواط، وسعت بين الصّفا والمروة سبعاً ثمّ استوت على الجودي

ومنهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام واختصاص البيت بهما كاختصاصهما به من جهة تجديد البناء ووقوفهما فيها غني عن البيان.

ومنهم موسى عليه السلام قال الصّدوق وروى أنّ موسى عليه السلام أحرم من زملة(١) و انه مرّ في سبعين نبيّا على صفايح (٢) الرّوحاء عليهم العباء القطوانية (٣)، يقول لبّيك عبدك وابن عبديك لبّيك

و روى في خبر آخر أنّ موسى عليه السلام مرّ بصفايح الرّوحاء على جمل أحمر خطامه من ليف عليه عبائتان قطوانيّتان، و هو يقول: لبّيك يا كريم لبيك.

وقال الصّادق عليه السلام: لما حجّ موسى عليه السلام نزل جبرئيل عليه السلام فقال له موسى: يا جبرئيل مالمن حجّ هذا البيت بلانيّة صادقة ولانفقة طيّبة؟ قال لاأدري حتّى أرجع إلى ربي، فلما رجع قال الله يا جبرئيل ماقال لك موسى؟ وهو أعلم بما قال قال يا ربّ قال لي مالمن حجّ هذا البيت بلانيّة صادقة ونفقة طيبة؟ قال الله: ارجع إليه و قل عليه أهب له حقّي وأرضى عنه خلقي، قال فقال يا جبرئيل: ما لمن حجّ هذا البيت بنيّة صادقة و نفقة طيبة؟

١ـ الزملة بالضم الرفقة والجماعة و بالكسر ما التف من الغمار والصور من الــودي قاموس منه.

٢ـ الصفيحة اللوح و كل شي، عريض والروحاء موضع بين الحرمين على ثلاثين اواربعين ميلا من المدينة، لغة

٣ـ قطوان محركة موضع بالكوفة ومنه الاكسية القطوانية ق

قال : فرجع إلى الله فأوحى الله إليه ، قل له يجعله في الرفيق (١) الأعلى مع النّبيين والصّديقين والشّهداء والصّالحين و حسن اولئك رفيقا.

ومنهم يونس بن متى كما في الفقيه فقد مرّ بصفايح الرّوحاء و هو يقول: لبيك كشاف الكرب العظام لبّيك.

ومنهم عيسى بن مريم فقد مرّ بصفايح الرّوحاء و هو يقول : لبّيك ابن امتك لبّيك كما رواه الصّدوق أيضاً .

ومنهم سليمان بن داود ، فقد روى الصّدوق أيضاً عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ سليمان بن داود عليهما السلام قد حجّ البيت في الجنّ والانس و الطير والرّياح ، و كسا البيت القباطي (٢) وروى عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام ،قال: إنّ آدم هو الذي بنى البنية و وضع أساسه و أول من كساه الشّعر و أوّل من حجّ إليه ، ثمّ كساه تبع بعد آدم الانطاع (٣) ، ثمّ كساه إبراهيم الخصف ، و أوّل من كساه الثياب سليمان كساه القباطي.

ومنهم النبي صلّى الله عليه وآله ، فقد حجّ عشرين حجّة ، و كذلك أولاده المعصومون سلام الله عليهم أجمعين فهنيئاً للحجّاج الواقفين مواقف الأنبيآء والمرسلين ، و السّالكين مسالك الأولياء المرضيّين ، و طوبى لهم و حسن مآب و أنا أسأل الله سبحانه أن يوفقني ثانياً للعكوف عليه بعد ما منحني في غابر الزمان الوقوف عليه بحقّ محمّد نبي الرحمة و آله أهل الصلاة والطهارة .

(و تشبّهوا ملائكته المطيفين بعرشه) قد عرفت في الفصل التّاسع عند شرح قوله عليه السلام : ومنهم الثّابتة في الأرضين السّفلى أقدامهم اه ، عدد الملائكة المطيفين بالعرش ، و أما صفوفهم فقد قال الشّارح البحراني : جاء في الخبر أن حول العرش سبعين ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتّهليل والتكبير،

---

١ ـ في الحديث الحقني بالرفيق الا على الرفيق جماعة الانبيآء الذين يسكنون اعلى عليين و منه قوله و حسن اولئك رفيقا و قيل هو الله تعالى لان الله رفيق لعباده من الرفق والرافة، نهاية

٢ ـ القبطية ثوب ينسب الى مصر والجمع القباطى،ق

٣ ـ النطع بالكسر و بالفتح و بالتحريك و كعنب بساط من الاديم والجمع انطاع و نطوع الخصفة بالتحريك الحلة من الخوص يعمل للتمر والثوب الغليظ جدا والجمع خصف وخصاف ق

و من ورائهم مأة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا و هو يسبّح .

و في رواية طويلة لعليّ بن إبراهيم باسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي عبدالله عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام المسوقة لابتداء خلق آدم ﷺ بعد ما ذكر ﷺ قوله سبحانه للملائكة : إنّي جاعل في الأرض خليفة ، و قولهم له أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدّماء ، و قوله لهم : إنّي أعلم مالا تعلمون

قال ﷺ فقالت يا ربّنا افعل ما شئت لاعلم لنا إلّا ماعلّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم ، قال ﷺ : فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسمأة عام ، قال عليه السلام: فلاذوا بالعرش و أشاروا بالأصابع ، فنظر الرّبّ جلّ جلاله إليهم و نزلت الرحمة، فوضع لهم بيت المعمور ، فقال طوفوا به و دعوا العرش ، فانّه لي رضى فطافوا به وهو البيت الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون إليه، فوضع الله البيت المعمور توبة لأهل السّماء ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض الحديث.

قال الغزالي في إحياء العلوم : و أمّا الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف و الرّجاء والمحبة و اعلم أنّك بالطواف متشبّه بالملائكة المقرّبين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف قلبك ربّ البيت حتّى لاتبتدء بالذكر إلّامنه، ولاتختم إلّابه كما تبدء بالبيت و تختم به .

قال: و اعلم أنّ الطواف الشّريف هو طواف القلب بحضرة الرّبوبيّة ، و انّ البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لاتشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أنّ البدن مثال ظاهر في عالم الشّهادة للقلب الذي لايشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب و أن عالم الملك والشّهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب، وإلى هذه الموازنة وقعت الاشارة بأن البيت المعمور في السّماوات بازاء الكعبة ، فانّ طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ، ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبّه بهم بحسب الامكان ، و وعدوا بأنّ من تشبّه بقوم

فهو منهم ، والذي يقدر على مثل ذلك الطواف يقال : إنّ الكعبة تزوره و تطوف به انتهى .

أقول: هذا الطواف الحقيقي مختصّ بأولياء الله سلام الله عليهم ، و في عالم المعنى الكعبة طائفة بهم و كاسبة من فيوضاتهم، وإلى هذا المعنى أشار الفرزدق في قصيدته الميميّة التي قالها في مدح عليّ بن الحسين عليهما السّلام على رغم هشام بن عبدالملك ابن مروان عليهم اللعنة والنيران، بقوله:

هذا الذي يعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه و الحلّ و الحرم

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

لو يعلم الركن من قدجاء يلثمه لخرّ يلثم منه ما و طى القدم

ثمّ لما كان طباع الخلق مايلة إلى حبّ الأرباح و طلب المنافع في المكاسب شوّقهم بقوله عليه السلام : (يحرزون الأرباح في متجر عبادته) تنبيهاً على أنّ قيامهم بالعبادة في هذه المواقف الشّريفة تجارة للآخرة ولامحالة مشتملة على الرّبح والمنفعة، فلا ينبغي للعاقل أن يفوتها على نفسه.

قال أبوجعفر الباقر عليه السلام في مرويّ الفقيه : الحجّ والعمرة سوقان من أسواق الآخرة اللازم لهما من أضياف الله إن أبقاه ابقاه ولا ذنب له و إن اماته ادخله الجنّة ، ولايخفى مافي هذه العبارة من حسن الاستعارة ، حيث شبّه الحجاج بالتّجار و شبّه عبادتهم ببضاعة التّجارة ، و ذكر المتجر استعارة تخييلية ، و ذكر الأرباح ترشيح، والمراد بالأرباح هو الثواب الجميل والأجر الجزيل المبذول للحجاج والمعتمرين والوفاد والطائفين.

قال الصّادق عليه السلام إنّ لله تعالى حول الكعبة عشرين و مأة رحمة منها ستون للطائفين و أربعون للمصلين وعشرون للنّاظرين.

و قال عليه السلام أيضاً من نظر إلى الكعبة و عرف من حقّنا و حرمتنا مثل الذي عرف من حقّها و حرمتها غفر الله له ذنوبه كلها و كفاه همّ الدّنيا والآخرة.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما من مهلّ يهلّ في التّلبية إلاّ أهلّ من عن يمينه من شيء إلى مقطع التراب و من عن يساره إلى مقطع التراب و قال له الملكان : ابشر يا عبدالله و ما يبشّر الله عبداً إلاّ بالجنّة ، و من لبى في إحرامه سبعين مرّة ايمانا واحتسابا اشهدالله له الف ملائكة ببرائة من النّار و برائة من النّفاق ، و من انتهى إلى الحرم فنزل و اغتسل واخذ نعليه بيده ثم دخل الحرم حافياً تواضعاً لله محا الله عنه ماة الف سيئة و كتب الله له ماة الف حسنة و بنى له ماة الف درجة و قضى له ماة الف حاجة ، و من دخل مكة بسكينة غفرالله له ذنبه ، و هو ان يدخلها غير متكبّر ولا متجبّر ، و من دخل المسجد حافياً بسكينة ووقار و خشوع غفرالله له ، و من نظر الكعبة عار فأبحقها غفرالله له ذنوبه وكفى ماأهمّه.

و روى الحسن بن محبوب عن عليّ بن رئاب عن محمّد بن قيس قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدّث النّاس بمكة ، قال عليه السلام : صلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه الفجر ، ثمّ جلس معهم يحدّثهم حتّى طلعت الشّمس فجعل يقوم الرّجل بعد الرّجل حتى لم يبق معه إلاّ رجلان : أنصاريّ و ثقيف، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله :قدعلمت أنّ لكما حاجة تريدان أن تسألاني عنها ، فان شئتما أخبر تكما بحاجتكما قبل أن تسألاني ، و إن شئتما فاسألاني، فقالا ، بل تخبرنا أنت يا رسول الله فانّ ذلك أجلى للعمى و أبعد من الارتياب و أثبت للايمان فقال النبيّ صلى الله عليه وآله:

اما أنت يا أخا الانصار فانك من قوم يؤثرون على انفسهم وانت قرويّ و هذا الثقفيّ بدويّ أفتؤثره بالمسألة؟ قال: نعم قال عليه السلام:

أماأنت يا أخاثقيف جئتني تسألني عن وضوئك وصلاتك ومالك فيهما، فاعلم انك إذا ضربت يدك في المآء و قلت : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، تناثرت الذّنوب التي اكتسبتهايداك.

فاذا غسلت وجهك تناثرت الذّنوب التي اكتسبتهاعيناك بنظرهما وفوك بلفظه

فاذا غسلت ذراعيك تناثرت الذّنوب عن يمينك وشمالك

فاذا مسحت رأسك و قدميك تناثرت الذّنوب التي مشيت إليها على قدميك ، فهذا لك في وضوئك .

فاذا قمت إلى الصّلاة و توجّهت و قرأت أمّ الكتاب وما تيسّر لك من السّور ثمّ ركعت فأتممت ركوعها و سجودها و تشهّدت و سلّمت غفرلك كلّ ذنب فيما بينك و بين الصّلاة قدّمتها إلى الصّلاة المؤخّرة ، فهذا لك في صلاتك ووضوئك.

و أمّا أنت يا أخا الأنصار فانّك جئت تسألني عن حجّك و عمرتك ومالك فيهما من الثّواب ، فاعلم أنّك إذا توجّهت إلى سبيل الحجّ ثمّ ركبت راحلتك لم تضع راحلتك خفّا ولم ترفع خفّا إلاّ كتب الله لك حسنة و محا عنك سيّئة.

فاذا أحرمت و لبّيت كتب الله لك بكلّ تلبية عشر حسنات و محا عنك عشر سيئآت .

فاذا طفت بالبيت أسبوعاً كان لك بذلك عندالله عهد و ذكر يستحيي منك ربك أن يعذّبك بعده.

فاذا صلّيت عند المقام ركعتين كتب الله لك بهما ألفي ركعة مقبولة.

و إذا سعيت بين الصّفا والمروة سبعة أشواط كان لك بذلك عندالله مثل أجر من حجّ ماشياً من بلاده و مثل أجر من اعتق سبعين نسمة (رقبة خ) .

و اذا وقفت بعرفات إلى غروب الشّمس فلو كان عليك من الذّنوب مثل رمل عالج و زبدالبحر ليغفرالله لك .

فاذا رميت الجمار كتب الله لك لكلّ حصاة عشر حسنات فيما تستقبل من عمرك .

فاذا حلقت رأسك كان لك بكلّ شعرة حسنة يكتب لك فيما يستقبل من عمرك .

فاذا طفت بالبيت اسبوعاً للزّيارة وصلّيت عند المقام ركعتين ضرب ملك كريم على كتفيك ، فقال أمّا ما مضى فقد غفرلك فاستأنف العمل فيما بينك وبين عشرين

و مأة يوم(١) هذا .

والأخبار في فضائل الحجّ كثيرة وقد جمع الصّدوق فيها بابا في الفقيه و أخرجت هذه الأخبار منه و فيها كفاية للمهتدى إنشآء الله .

(و يتبادرون عنده موعد مغفرته) أى يتسارعون و يستبق كل منهم الآخر عند الحجّ إلى وعدة المغفرة من الله سبحانه لهم ، و يحتمل أن يكون اسم مكان (جعله سبحانه للاسلام علما) أى جعل البيت علامة للدّين والاسلام الذين هما طريقان إلى الرّضوان ، كما أنّ السّالكين والمسافرين يهتدون إلى مطالبهم ومآربهم بالأعلام المنصوبة والمناور (٢) المرفوعة (و للعائذين حرماً) يعني جعله حرماً للمعتصمين به والملتجئين إليه لايجوز ايذاؤهم فيه و إخراجهم منه.

قال في الفقيه : و روي أنّ من جنى جناية ثمّ لجأ إلى الحرم لم يقم عليه الحدّ ولايطعم ولايسقى ولايؤذى حتّى يخرج من الحرم فيقام عليه الحدّ ، فان أتى ما يوجب الحدّ في الحرم أُخذ به في الحرم لأنّه لم ير للحرم حرمة.

و فيه أيضاً و سأل عبدالله بن سنان أباعبدالله عليه السلام عن قول الله:

« وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً »

قال من دخل الحرم مستجيراً به فهو آمن من سخط الله وما دخل من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم الحديث.

و مثله في الكافي عن العياشي عنه عليه السلام

و عنه عليه السلام أيضاً قال : إذا أحدث العبد في غير الحرم جناية ثمّ فرّ إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه في الحرم ولكن يمنع من السّوق ولايبايع ولايطعم ولا

١ـ قال فى الفقيه و انما صار الحاج لايكتب عليه ذنب اربعة اشهر من حين يحلق راسه لان الله اباح للمشركين الاشهر الحرم اربعة اشهرا ويقول فسيحوا في الارض اربعة اشهر فمن ثم يهب لمن يحج من المؤمنين البيت مسك الذنوب اربعة اشهرا نتهى،منه

٢ـ جمع منارة،منه

يسقى ولايكلم فانّه إذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ ، وإذا جنى في الحرم جناية اقيم عليه الحدّ في الحرم ، و زاد في الكافي أنّه لم يدع للحرم حرمة.

و في الكافي عنه عليه السلام أيضاً و قد سأله سماعة عن رجل لي عليه مال فغاب عنّي بزمان فرأيته يطوف حول الكعبة أفأتقاضاه مالي ؟ قال : لاتسلم عليه ، ولاتردعه حتّى يخرج من الحرم هذا

و من أجل كونه حرم الله سبحانه لم يقصده جبّار بسوء إلاّ ابتلاه الله بشاغل أو رماه بقاتل .

وقد قصده أصحاب الفيل فأرسل سبحانه إليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل فجعلهم كعصف مأكول على مانطق به التّنزيل.

و قصده تبّع الملك(١) وأراد قتل مقاتلته و سبي ذراريهم وهدمه بعد ذلك فسالت عيناه حتّى وقعتا على خدّيه فسأل عن ذلك ، فقالوا : ما نرى الذي أصابك إلاّ بما نويت في هذا البيت ، لأنّ البلد حرم الله والبيت بيت الله و سكان مكة ذرّية إبراهيم خليل الرّحمن ، فقال : صدقتم فما مخرجي ممّا وقعت فيه؟ قالوا : تحدث نفسك بغير ذلك ، فحدث نفسه بخير فرجعت حدقتاه حتّى ثبتتا في مكانهما، فدعا القوم الذين أشاروا اليه بهدمها ،فقتلهم ثمّ أتى البيت فكساه الأنطاع و أطعم الطعام ثلاثين يوماً كلّ يوم مأة جزور ، حتّى حملت الجفان إلى السّباع في رؤس الجبال، و نثرت الأعلاف للوحش ، ثمّ انصرف من مكة إلى المدينة فأنزل بها قوماً من أهل اليمن من غسان وهم الأنصار.

فان قيل: كيف لم يجر على الحجاج اللعين ما جرى على تبّع وأصحاب الفيل مع هدمه البيت؟

قلنا : إنّ الحجاج لم يكن قصده إلى هدم البيت و إنّما كان قصده إلى ابن الزّبير و كان ضدّاً للحقّ ، فلما استجار بالكعبة أراد الله أن يبيّن للنّاس أنّه لم يجره ، فأمهل من هدمها عليه وبذلك صرّح في الفقيه.

ثمّ أكد عليه السلام وجوب الحجّ بقوله (فرض حجّه و أوجب) معرفة (حقه)

١- التبابعة ملوك اليمن،منه

و ملاحظة حرمته (وكتب عليكم) أى ألزم عليكم (وفادته) والقدوم إليه لكسب الفيوضات و تحصيل الكمالات .

روى الصّدوق بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : الحجاج والمعتمر وفدالله إن سألوه أعطاهم ، و إن دعوه أجابهم و إن شفعوا شفعهم ، و إن سكتوا ابتدئهم ويعوضون بالدّرهم ألف درهم (فقال ولله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاومن كفرفانّ الله غنيّ عن العالمين) .

قال الطبرسي معناه ولله على من استطاع إلى حجّ البيت سبيلا من النّاس حجّ البيت ، أى من وجد إليه طريقاً بنفسه وماله.

و اختلف في الاستطاعة ، قيل : هي الزّاد والرّاحلة عن ابن عبّاس وابن عمر، وقيل: مايمكنه معه بلوغ مكة بأيّ وجه يمكن عن الحسن ومعناه القدرة على الوصول إليه، والمرويّ عن أئمتنا عليهم السلام أنّه وجود الزّاد والرّاحلة ونفقة من يلزمه نفقته والرّجوع إلى كفاية إمّا من مال أوضياع أو حرفة مع الصّحة في النّفس و تخلية السّرب من الموانع و إمكان السّير.

أقول : أمّا اشتراط الزّاد والرّاحلة في تحقّق الاستطاعة للبعيد فممّا أجمع عليه الأصحاب

و أمّا القريب الغير المحتاج إلى قطع المسافة كأهل مكة و ما قاربها ممّن يمكنه السّعى من غير راحلة بحيث لا يشقّ عليه عادة فان الرّاحلة حينئذ غير شرط .

و أمّا البعيد المتمكن من المشي فهل هي شرط للوجوب في حقّه أم لا الظاهر من المنتهى الأوّل حيث قال: اتفق علمائنا على أنّ الزّاد والرّاحلة شرطان في الوجوب فمن فقدهما أو أحدهما مع بعد مسافته لم يجب عليه الحجّ و إن تمكن من المشي و استشكل فيه بعض متأخري المتأخّرين كصاحب المدارك ونحوه من أجل قيام بعض الأخبار على الثّاني.

و أمّا الرّجوع إلى الكفاية فقد اشترطه الشّيخان وأبوالصّلاح وابن‌البراج و ابن حمزة ، و رواه الصّدوق في الفقيه عن أبي‌الرّبيع الشّامي قال سئل أبوعبدالله عليه‌السلام عن قول‌الله عزّ وجل : ولله على النّاس حج البيت من استطاع اليه سبيلا، فقال : ما يقول النّاس فيها ؟ فقيل له : الزّاد والرّاحلة ، فقال عليه‌السلام : قدسئل أبوجعفر عليه‌السلام عن هذا فقال : هلك‌النّاس إذاًلئن كان‌من كان‌له زادوراحلة قدرمايقوت‌عياله‌و استغنى به عن الناس ينطلق إليه فيسلبهم إياه لقد هلكوا إذاً ، فقيل له : فما السّبيل ؟ فقال : السّعة في المال إذا كان يحجّ ببعض و يبقى بعض لقوت عياله ، أليس قدفرض الله عزّ وجل الزكاة فلم يجعلها إلاّ على من‌يملك مأتي درهم .

و ذهب الأكثر و منهم المرتضى و ابن ادريس و ابن أبي عقيل و ابن الجنيد إلى عدم الاشتراط، استدلالا بعموم الاية والأخبار الصّحيحة، و استضعافا لسندرواية أبي الرّبيع ، و طعناً فيه بجهالة الرّاوي و بأنّ من جملة رجاله خالدبن جرير ولم يرد فيه توثيق بل‌ولامدح‌يعتدبه‌هذا.

و أمّا قوله تعالى : و من كفر، فقد قال الطبرسي: معناه، ومن جحدفرض الحج ولم يره واجباً ، عن ابن عباس و الحسن:

« فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ »

لم يتعبّدهم بالعبادة لحاجته إليها وإنّما تعبدهم بها لما علم فيها من مصالحهم.

و قيل : إنّ المعني به اليهود فانّه لما نزل‌قوله:

« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ »

قالوا نحن مسلمون ، فامروا بالحجّ فلم يحجّوا ، و على هذا يكون معنى من كفرمن ترك الحج سن هؤلاءفهو كافرانتهى.

اقول : إطلاق الكافر على تارك الحجّ كما في‌الآية قد وقع في الأخبارالكثيرة و تفسيره بالجاحد بوجوبه حسبما فعله الطبرسي و تبعه غيره لاداعي إليه ، و إنّما

هو ناش عن حسبان أنّ الكفر له معنى واحد وهو المعنى المعروف بين الفقهآء، وهو ما يوجب نجاسة المتّصف به وخلوده في النّار، وليس كذلك بل له معان متعددة.

بيان ذلك أنّ الكفر في اللّغةهوالسّتر ، و منه سمّي الليل كافراً لأنّه يسترما أظهره نور النّهار ، و اطلاقه على الكافر من جهة ستره ما أنعم الله به عليه من المعارف الحقّةوالأنوار الالهية والنعم الجليّةوالخفيّة، وفي لسان الفقهآء يطلق الكافر على جاحد الرّب و منكره، و على منكر ما علم ثبوته ضرورة من دين الاسلام.

و امّا في القرآن والأخبار ، فربّما اطلق على تارك بعض الواجبات و لو لم يكن عن جحود كما يطلق على فاعل بعض المحرمات ، و يدلّ على عدم انحصار معناه في المعروف مارواه الكليني عن عليّ بن ابراهيم عن أبيه عن بكر بن صالح عن القاسم ابن يزيد عن أبي عمرو الزّبيري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الكفر في كتاب الله عزوجل على خمسة أوجه : فمنها كفر الجحود والجحود على وجهين والكفر بترك ماأمر الله وكفر البرائة و كفر النعم:

فامّا كفر الجحود فهو الجحود بالرّبوبيّة ، وهو قول من يقول: لاربّ ولاجنةولا نار، و هو قول صنفين من الزنادقة لعنهم الله يقال لهم : الدّهريّة وهم الذين يقولون : و ما يهلكنا إلاّ الدّهر الى أن قال و أمّا الوجه الآخر من الجحود على معرفته فهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنّه حقّ قداستيقن عنده، وقد قال الله عزّوجل.

« وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً » وقال الله تعالى :

« وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرِينَ »

فهذا تفسير وجهي الجحود ، والوجه الثّالث من الكفر كفر النعم،وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان :

« هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما

يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم » وقال : « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » وقال : فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »

والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمرالله به و هو قول‌الله تعالى:

« وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم »

فكفرهم بترك ما أمرالله به ونسبهم إلى الايمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال :

« فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون »

والوجه الخامس من الكفر كفر البرائة ، و ذلك قوله تعالى يحكي قول ابراهيم :

« كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده »

يعني تبرّأنا منكم الحديث ، فقد ظهر منه أنّ إطلاق الكفر على ترك بعض الفرائض و إتيان بعض المناهي ليس من أجل اشتماله على الجحود والانكار ، حيث إنه عليه السلام جعل الكفر الجحودي قسيماً للكفر بترك ما أمر الله به.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ تارك الحجّ مع وجود الاستطاعة كافر حقيقة، وإن لم يحكم بنجاسته، لأنّ الحكم بالنجاسة من خواصّ الكفر على وجه الجحود، و يدل على ذلك مضافاً إلى ظهور الآية الشّريفة، مارواه الصّدوق في آخر الفقيه في باب النّوادر في وصيّة رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام يا علي، تارك الحجّ و هو مستطيع كافر قال الله تبارك و تعالى:

« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ » الآية.

يا عليّ من سوّف الحج حتّى يموت بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً، وفي ذلك الباب أيضاً يا علي كفر بالله العظيم من هذه الأُمة عشرة: القتاة والسّاحر والديوث و ناكح المرأة حراماً في دبرها وناكح البهيمة و من نكح ذات محرم والسّاعي في الفتنة و بايع السّلاح من أهل الحرب و مانع الزّكاة و من وجد سعة فمات و لم يحج هذا.

والأخبار في عقوبة تارك الحجّ و مسوّفه و كونه كبيرة موبقة كثيرة، و من الآيات الدّالة على ذلك مضافة إلى الآية السّابقة قوله تعالى:

« وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا »

قال الصدوق روى محمد بن الفضيل، قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن هذه الآية فقال: نزلت فيمن سوّف الحجّ حجة الاسلام وعنده ما يحجّ به فقال: العام أحجّ العام أحجّ حتى يموت قبل أن يحجّ و روى عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل لم يحجّ قط وله مال فقال هو ممّن قال الله عز وجلّ:

« وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ »

فقلت سبحان الله أعمى، فقال: أعماه الله عن طريق الخير.

تكميل

قد عرفت فضل البيت الحرام و فضائل المشاعر العظام و كونه حرم الله و أمنه و اختياره سبحانه على جميع أقطار أرضه من سهله و حزنه إلّا أنّه قد وردت

أخبار مستفيضة دالة على تفضيل أرض كربلا عليه و كونه حرم‌الله سبحانه من قبله.

مثل مارواه جعفربن محمدبن قولويه في المزار باسناده عن‌ابن‌أبي‌يعفور عن‌أبي عبدالله عليه السلام في حديث ثواب زيارة الحسين عليه السلام قال: والله لواني حدّثتكم في فضل زيارته لتركتم الحجّ رأساً و ما حجّ أحد ويحك أما علمت أنّ‌الله اتخذ كربلاحرماً آمناً مباركاً قبل أن يتخذ مكة حرماً قال ابن أبي يعفور: قد فرض‌الله على النّاس حجّ البيت ولم يذكر زيارة قبر الحسين عليه السلام، قال: و إن كان كذلك فانّ هذا شيء جعله‌الله هكذا أما سمعت قول أميرالمؤمنين عليه السلام إنّ باطن القدم أحقّ بالمسح من ظاهر القدم ولكن الله فرض هذا على العباد، أما علمت أنّ‌الاحرام لو كان في‌الحرم كان أفضل لأجل الحرم ولكنّ‌الله صنع ذلك في غيرالحرم.

وروى أيضاًباسناده عن عمربن يزيد عن أبي‌عبدالله عليه السلام أن أرض الكعبةقالت من مثلي وقد بني بيت‌الله على ظهري يأتيني النّاس من كلّ فجّ عميق، وجعلت حرم الله وأمنه، فأوحى‌الله إليها كفي وقري مافضل مافضلت به فيما أعطيت أرض كربلاإلاّ بمنزلة الابرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر ولولاتربة كربلا ما فضلتك‌ولولا من ضمنه كربلا لماخلقتك‌ولا خلقت‌الذي افتخرت‌به،فقرّي‌و استقرّي‌وكوني‌ذنباً(١) متواضعاً ذليلا مهيناً غيرمستنكف ولامستكبر لأرض كربلا وإلاّ مسختك و هويت بك‌في نار جهنم.

و باسناده عن أبي الجارود عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: اتخذالله أرض كربلا حرماً قبل أن‌يتخذمكة حرماً بأربعة وعشرين‌ألف عام.

و باسناده عن صفوان الجمال قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ الله فضل الأرضين والمياه بعضها على بعض، فمنها ما تفاخرت و منها ما بغت، فمامن أرض ولاماء إلا عوقبت لترك التّواضع لله حتى سلّط الله على الكعبة المشركين و أرسل إلى زمزم ماء مالحا فأفسد طعمه، و ان كربلا و مآء الفرات أول أرض و أول ماء

١ــ اى تاليا يقال ذنبه يذنبه اى تلاه، منه

قدس‌الله و بارك عليه ، فقال لها تكلّمي ما فضلك الله ، فقالت : أنا أرض الله المقدسة المباركة ، الشفآء في تربتي و مائي ولافخر بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك ولا فخر على من دونى بل شكراً لله ،فأكرمها و زادهابتواضعها وشكرهالله بالحسين عليه السلام و أصحابه ، ثم قال أبوعبدالله عليه السلام : من تواضع لله رفعه‌الله ومن تكبّر وضعهُ الله.

والحمدلله على حسن توفيقه لشرح الخطبة الاولى ومنه أسأل التّوفيق لشرح الخطبة الآتية بحقّ محمّد و عترته الطاهرة .

الترجمة

و واجب گردانيد حق تعالى بر شما حج خانه خود را كه حرام است بر مشركين داخل شدن او،چنان خانهٔ كه گردانيده است آنرا قبلهٔ خلقان درحالتيكه وارد ميشوند بر آن با ازدحام مثل وارد شدن حيوانات بر آب در وقت تشنگى، و شايق ميشوند بسوى آن مثل اشتياق كبوتران حرم بآشيان خودشان ، گردانيد خداوند آن خانه را علامت و نشانه بجهت فروتني و تواضع آنها مربزرگوارى و عظمت خود را ، و بجهة اعتقاد و يقين آنها مرعزّت و سلطنت او را ، و پسنديد از خلق خود شنوندكان كه اجابت كردند بجهة او دعوت او را ، و تصديق نمودند از براى او كلمهٔ تامهٔ او را ، و بايستادند ايشان در جاى ايستادن انبيآء مرسلين ، و متشبه‌شدند بملائكه مقرّبين كه‌طواف كنند كانند برعرش رب العالمين درحالتيكه جمع آورى ميكنند ايشان سودها و منفعتها در تجارتكاه پرستش او ، و ميشتابند وسرعت‌ميكنند بر وعدكاه آمرزش او گردانيد آنخانه را خداوند نشانه و علامت از براى دين اسلام ، و حرم و مأمن بجهه پناه برندكان ، واجب نمود حج آنرا ولازم‌گردانيدحقّ آن را و متحتم فرمود آمدن آن را بجهة كسب فيض وسعادت پس فرمود، مرخداى راست بر بندكان حج بيت الحرام هر كسى كه تمكن داشته باشد بسوى او از حيثيت راه ، و هر كس كافر باشد يعنى ترك حج نمايد پس به تحقيق خداوند ملك منّان غني و.بى نياز است از همه عالميان يعنى امر فرمودن خداوند ايشانرا بعبادت نيست بجهة افتقار و حاجت بلكه بجهة وجود مصلحتست

در طاعات و عبادات .

و من خطبة له عليه السلام
و هي الثانية من المختار في باب الخطب خطب بها بعد انصرافه من صفين و شرحها في ضمن فصول

الفصل الاول

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلاماً لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ فاقَةً إِلَى كِفايَتِهِ، إِنَّهُ لا يَضِلُّ مَنْ هَداهُ، وَلا يَئِلُ مَنْ عاداهُ، وَلا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفاهُ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ ما وُزِنَ، وَأَفْضَلُ ما خُزِنَ.

اللغة

(صفين) بكسر الصّاد و تشديد الفاء كسجّين اسم موضع قرب الرّقه بشاطيء الفرات من الجانب الغربي كانت به الوقعة العظمى بين عليّ عليه السلام و معاوية لعنه الله و وزنه إمّا فعّيل كظلّيم و ضلّيل فالنّون أصليّة و يدلّ عليه ضبط الجوهري والفيروز آبادي له في باب النّون، و هو الأشهر، و إمّا فعلين بزيادة الياء والنّون كغسلين و يدلّ عليه ضبط الفيومي كبعض اللّغويّين له في باب الصّاد مع الفاء، قال في المصباح و هو فعلين من الصّف، أو فعّيل من الصّفون، فالنّون أصليّة على الثّاني.

أقول : على تقدير كونه مأخوذاً من الصّف بكسر الصّاد فاصله الصّف بفتحها و زيادة الياء والنّون للمبالغة، كما أنّ غسلين من الغسل و هو ما يغتسل به كالماء والصّابون والخطمي، فزيدت الياء والنّون مبالغة و استعمل فيما يسيل من جلود أهل النّار قال سبحانه :

« وَلا طَعامٌ إِلاّ مِنْ غِسْلِينٍ »

و تسميته على هذا التّقدير يحتمل أن يكون لكثرة الصّفوف في الوقعة الواقعة فيه،

و على تقدير كونه مأخوذاً من الصّفون فهو من صفن الفرس صفونا قام على ثلاث قوائم و طرف حافر الرّابعة، و صفن الرّجل إذا صفّ قدميه، و صفن به الأرض ضربه و على كلّ التّقدير فاللازم أن يكون التّسمية به متأخرة عن وقوع الوقعة نظير ما قالوه في إطلاق المسلخ على الميقات المعروف الذي هو أوّل وادي العقيق من أنّه لاجل سلخ الثياب و نزع اللّباس فيهفيكون التّسمية متأخرة عن كونهميقاتا و (الاستسلام) الانقياد والخضوع و (العزّة)من عزّه يعزّه عزّا من باب ضرب إذاغلبه والاسم العزة و هي القوّة والغلبة، والعزيز من أسمائه سبحانه هو الغالب الذي لايغلب و (الفاقة) الفقر والحاجة و (الكفاية) مصدر يقال: كفى الشيء يكفى كفاية إذا حصل بهالاستغناء عن غيره قال تعالى:

« كَفَى اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ »

اى أغناهم عنه و وئل(يئل) من باب ضرب وئلاوؤولا إذا طلب النّجاةفنجى،والموئل الملجاء والمنجى .

الاعراب

قال الشّارح المعتزلي : صفّين اسم غير منصرف للتّأنيث والتّعريف و استدل بقول الشّاعر :

انّي ادين بما دان الوصيّ به | يوم الخريبة (١) من قتل المحلّينا
و بالذي دان يوم النّهر دنت به | و شاركت كفّه كفّي بصفّينا
تلك الدّماء معاً يارب في عنقي | ثمّ اسقني مثلها آمين آمينا

أقول: أمّا التّعريف فيه فمسلم، وأمّا التّأنيث فغيرلازم إذ كما يجوزتفسيره بالأرض والبقعة كذلك يجوز تفسيره بالمكان والموضع والشّعر لادلالة فيه على ما رامه، لأنّ دلالته إنّما يتمّ لوكان أصليّة النّون فيه مسلمة لظهور كون محلّ الاعراب فيه حينئذ هو آخر الكلمة، و أمّا على تقدير كونها زايدة كما اختاره

١- خريبة كجهينةموضع بالبصرة يسمى البصرة الصغرى، قاموس

الفيومي في المصباح حسبما اشير إليه فالنّون مفتوحة دائما ، و يظهر أثر الاعراب حينئذ فيما قبل النّون ، فيقال : صفيّن و صفون نظير عالمين و أرضين ، وقد صرّح بما ذكرناه أخيرا في الاوقيانوس أيضاًفافهم جيّداً.

و استتماماً و استسلاماً و استعصاماً منصوبات على أنّها مفاعيل لفاعل الفعل المعلل بها و هو أحمد و انتصاب فاقة على ذلك أيضاً والضّمير في قوله ﷺ : فانّه أرجح ماوزن إمّا راجع الى الحمد المستفاد من قوله : أحمد ، أو راجع إلى الله سبحانه و ستعرف تحقيقه .

المعنى

(أحمده استتماما لنعمته) أى طلبا لتمام النّعمة و في إفرادها إشارة إلى أنّ نعمه سبحانه غيرمتناهية و فيوضاته تعالى غير منتهية من الكمّ والكيفيّة، فهى أعظم من أن تتمّ في حقّ عبد فيكون طلب تمامها حينئذ عبثا و إنّما يتفضل منها على العباد بحسب استعدادهم و قابليّتهم (و استسلاماً لعزّته) أي انقياداً لقهره وغلبته وخضوعا لجلاله وعظمته (و استعصاماً من معصيته) أى طلباً للعصمة من معصيته الحاصلة بكفران النّعمة .

ولايخفى ما في كلامه من النكتة اللطيفة حيث إنّه علّل الحمد أولاً بطلب تمام نعمة الله سبحانه إشارة إلى أنّ العلة الدّاعية إلى الحمد هو طلب تمام النّعمة من حيث إنّ الحمد يوجب تمامها و كمالها بمقتضي الوعد الذي ورد في كلامه تعالي (١) من قوله :

١ـ لايخفى ان ما ذكرناه من جعل قوله استتماما لنعمته ناظراً الى قوله لئن شكرتم لازيدنكم و قوله و استعصاما من معصيته ناظراً الى قوله و لئن كفرتم ان عذابي لشديد انسب واقرب مما صنعه البحراني من جعل قوله استسلاما لعزته ناظرا الى الاية الاخيرة و أيضاً ما ذكرناه من كون المراد بالمعصية في قوله و استعصاما من معصيته هو المعصية الحاصلة بكفران النعمة اظهر من جعل المراد بها جميع المعاصي، اما اولا فلان المصدر المضاف لايفيد العموم، واما ثانيا فلظهور ان الحمد لايوجب العصمة من جميع المعاصي و انما يوجب العصمة من المعصية الحاصلة التي ذكرناه و هي العصيان بالكفران و بالجملة كلام البحراني في شرح هذا المقام غيرخال عن المسامحة فانظرماذا ترى،منه

«لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»

ثمّ علّله بعلّة ثانية منشعبة من العلّة الأولى من حيث إنّ طلب تمام نعمته موقوف على معرفته سبحانه من حيث إنّه منعم و معرفة النّعمة من حيث إنّها نعمة ولاتتمّ تلك المعرفة إلاّ بأن تعرف أنّ النّعم كلها جليّها و خفيّها منه سبحانه و أنّه المنعم الحقيقي، والأوساط كلها منقادة لحكمه و مسخرة لأمره، و ثمرة تلك المعرفة هي الخضوع والاستسلام والتذلل لعزّته و قدرته.

و أمّا العلّة الثّالثة ففيها إشارة إلى أنّ بالحمد يحصل العصمة من المعصية إذ في تركه كفران النّعمة وقد أوعد عليه سبحانه:

«وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» هذا

و غير خفيّ على الفطن الدّقيق أنّ ما ذكرناه في شرح كلامه ﷺ أولى ممّا صنعه الشّارح البحراني من جعل الاستتمام والاستسلام والاستعصام غايات للحمد(١) مترتبة عليه، لظهور أنّ طلب التّمام ليس من غايات الحمد، بل هو علة باعثة له و إنّما غايته و فايدته المترتبة عليه هو التّمام والزّيادة، و هكذا الكلام في الاستسلام والاستعصام، و بالجملة المفاعيل الثلاثة في كلامه ﷺ على حدّ قولهم، قعدت عن الحرب جبناً، لاعلى نحو قولهم: جئتك زيارة لك، فافهم جيّداً.

ثمّ إنّ الظاهر أنّ المراد بالحمد في كلامه ﷺ هو الشكر، و في قوله: استتماماً لنعمته تلويح لذلك، لأنّ الثّناء على المنعم من حيث النّعمة و من حيث تمامها و زيادتها هو الشكر، و في قوله سبحانه: لئن شكرتم اه إشارة إلى ذلك.

قال المحقّق النّصير الطوسي (ره) في محكي كلامه: اعلم أنّ الشّكر مقابلة النّعمة بالقول والفعل والنيّة وله أركان ثلاثة.

الأوّل معرفة المنعم وصفاته اللاّيقة به ومعرفة النّعمة، من حيث إنها نعمة ولاتتمّ تلك المعرفة إلاّ بأن تعرف أنّ النعم كلها جليها وخفيّها من الله سبحانه، وأنّه المنعم الحقيقي

١ـ ومثله الشهيد الثاني (ره) في شرح ديباجة اللمعة الدمشقية منه

و أنّ الأوساط كلها منقادة لحكمه مسخرة لأمره.

الثّاني الحالة التي هي ثمرة تلك المعرفة و هي الخضوع والتّواضع والسرور بالنعم لامن حيث إنّها موافقة لغرض النّفس ، فانّ في ذلك متابعة لهواها و قصر الهمة على رضاها ، بل من حيث إنّها هدية دالة على عناية المنعم بك، وعلامة ذلك أن لاتفرح من نعم الدّنيا إلاّ بمايوجب القرب منه.

الثّالث العمل الذي هو ثمرة تلك الحال ، فان تلك الحال إذاحصلت في القلب حصل فيه نشاط للعمل الموجب للقرب منه تعالى ، و هذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح .

أمّا القلب فالقصد إلى تعظيم المنعم و تمجيده و تحميده والتفكر في صنايعه و أفعاله و آثار لطفه والعزم على ايصال الخير والاحسان إلى عامة الخلق.

و أمّا عمل اللسان فاظهار ما قصدته و نويته من التمجيد و التّعظيم بتهليله و تحميده و تسبيحه والثّناء عليه وإرشاد الخلق بالأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر إلى غير ذلك.

و أمّا عمل الجوارح فاستعمال نعمه الظاهرة والباطنة في طاعته وعبادته وعدم استعمالها في معصيته و مخالفة أمره كأعمال العين في النّظر إلى عجيب مصنوعاته و آياته ، والنظر في كتابه، و استعمال السّمع في استماع دلايله وبراهينه والانصات لقرائة كتابه، وقس على ذلك ساير الجوارح، و من هنا ظهر أنّ الشكر أشرف معارج السّالكين و أعلى مدارج العارفين، ولايبلغ حقيقته إلاّ من ترك الدّنيا ورآء ظهره، وهم قليلون و لذلك قال عزّ من قائل: وقليل من عبادي الشكور. انتهى كلامه قده

(و أستعينه فاقة إلى كفايته) الكلام في هذه الفقرة كالكلام في سابقتها إذالفاقة إلى كفايته سبحانه علة داعية إلى الاستعانة ، و معناها طلب الاعانة منه تعالى للحاجة إلى غناه واستغناء به عن غيره سبحانه كما قال تعالى :

« أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ ».

و ذلك من جهة أنّ أزمّة الأمور كلّها بيده جلّ شانه، فلايقع شيء منها إلّا بايجاده و إذنه و كلّ من سواه مفتقر إليه، و من ذلك صحّ الاستغناء به عن غيره في جميع الامور و كلّ الأحوال، و استحال الاستغناء عنه في شيء منها قال تعالى:

« يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ »

والمراد بغناه هو الغنى المطلق الذي هوسلب مطلق الحاجة، لاالغنى بالمعنى المعروف كما أنّ المراد بالفقر مطلق الحاجة إذ حقيقة الغنى هو استقلال الشيء بذاته في كلّ ما له من غير تعلق له بالغير أصلا، و هو بهذا المعنى لايكون إلّا لله، و حقيقة الفاقة والفقر عدم استقلال الشّيء بذاته و تعلّقه بالغير ولو في شيء ما، و هو بهذا المعنى صفة لكلّ ممكن، فثبت أنّه تعالى غني عن خلقه من كلّ الوجوه وتحقّق فقرهم إليه من كلّ وجه، لما تقرّر من أنّ فقيراً بالذّات من وجه ما فهوفقير بالذّات من جميع الوجوه (إنّه لايضلّ من هداه ولايئل من عاداه) تعليل لطلبه المعونة على تحصيل الكفاية فكأنّه قال: و استعينه على أن يرزقني الكفاية المستلزمة للهداية التي هي الغنى الحقيقي والملك الأبدي، فانّه لايضلّ من هداه ولايطاب النّجاة من عذابه من عاداه، لعدم وجود منجي وموئل غيره حتّى يلتجأ منه إليه، إذ كلّ من سواه مقهور تحت قدرته ومضمحل في جنب ذاته، لارادّ لحكمه ولادافع لقضائه، فكيف يمكن الفرار من حكومته أو يلتجأ إلى من سواه، و المراد بمعاداته سبحانه للعبد إعراضه عنه و إضلاله له فيكون كلامه عليه السلام في قوّة أن يقال: إنّه لايضلّ من هداه ولايهتدى من أضله، تصديقا لقوله سبحانه:

« وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ وَ مَنْ يَهْدِي اللهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذي انْتِقامٍ» و لقوله: « مَنْ يَهْدِي اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً »

(ولا يفتقر من كفاه) إذ بيده سبحانه خزائن الأرض والسّماوات و عنده نيل الطلبات وله القدرة التّامة التي لايعجزها شيء والجود الذي لايعتريه بخل والغنى الذي ليس معه فقر، فاذا كان كافياً لعبده حصل له الاستغناء عمّن سواه وانقطعت حاجته عمّن عداه (فانّه أرجع ماوزن و أفضل ما خزن) الضّمير يحتمل رجوعه إلى الحمد المدلول عليه بقوله أحمده من قبيل:

« اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى ».

فيكون المراد به أنّه أرجح ماوزن بميزان الأعمال، و أفضل ماخزن و ادّخر ليوم الجزاء، و ذلك لعظم فوائده و كثرة ثمراته حسبما ستعرفه بعيدذلك ، و يحتمل أن يرجع إلى الله سبحانه فيكون المعنى أنّه أرجح ماوزن بميزان العقول وأفضل ماخزن في خزانة القلوب ، و هذا أقرب لفظا جريا على سياق الضّماير السّابقة ، والأوّل أقرب معنى للحاجة إلى التّأويل على الثّاني إذالوزن والخزن من صفات الأجسام، وذاته تعالى مقدسة عن ذلك،فلابدّ أن يجعل المراد رجحان عرفانه في ميزان العقل إذ لايوازن عرفانه عرفان ماعداه ، بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتّى يصدق هناك مو ازنته يقال فيها أرجح وقد مرّ تحقيقه في الفصل الرّابع من فصول الخطبة الاولى عند شرح قوله ﷺ : و كمال الاخلاص له نفى الصّفات عنه، فتذكر.

تنبيه و تحقيق

اعلم أنّه قد تطابق النّقل و العقل على وجوب شكر المنعم و حسنه و قبح كفران نعمه سبحانه.

أمّا النّقل فمن الكتاب قوله تعالى في سورة ابراهيم عليه السلام:

« وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ » وفي سورة النّمل « وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ».

الى غير هذه من الآيات الكثيرة .

و من السّنة أخبار كثيرة ، مثل ما رواه عبدالله بن اسحاق الجعفري عن أبي عبدالله عليه السلام قال مكتوب في التّوراة اشكر من أنعم عليك و انعم من شكرك فانه لازوال للنعماء إذا شكرت، ولابقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير.

و ما رواه معاوية بن وهب عنه عليه السلام قال : من اعطى الشكر اعطى الزّيادة يقول الله عزّ وجلّ : لئن شكرتم لازيدنكم

و روى عبدالله بن الوليد قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ثلاث لايضرّ معهنّ شيء : الدّعاء عند الكرب والاستغفار عند الذّنب والشكر عند النعمة.

وروى معمر بن خلّاد عن أبي الحسن صلوات الله عليه قال : سمعته يقول : من حمدالله على النعمة فقد شكره وكان الحمد أفضل من تلك النعمة .

و روى سفيان بن عيينة عن عمّار الدّهني قال :سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول : إنّ الله يحب كلّ قلب حزين و يحب كلّ عبد شكور ، ويقول الله تعالى لعبد من عبيده يوم القيامة : أشكرت فلانا ؟ فيقول : بل شكرتك يا ربّ فيقول : لم تشكرني إذ لم تشكره ، ثمّ قال: أشكركم لله أشكركم للنّاس إلى غيرهذه من الأخبار المتظافرة المستفيضة وقد عقد في الكافي باباً في الشكر و أخرجت هذه الأخبار منه من أراد زيادة البصيرة فليرجع إليه.

وأمّا العقل فهومستقل في وجوب الشكر وحاكم بحسنه،واتّفق على ذلك الاماميّة والمعتزلة ، و خالف فيه الأشاعرة بعد تنزّلهم عن أصلهم الذي أسّسوه في مسألة الحسن والقبح ، وذهبوا إلى عدم حكم للعقل بوجوب شكر المنعم على تقدير تسليم حكمه مطلقا و إدراكه الحسن والقبح في الجملة والمسألة معنونة في الاّصول، وأدلة الطرفين مفصّلة فيها .

و عمدة ما تمسّك به المخالف دليلان ، أحدهما نقليّ والآخر عقليّ

أمّا النّقلي فهو قوله تعالى :

« وَما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولاً ».

وجه الاستدلال أنّ وجوب شيء عبارة عن ترتب العقاب على مخالفته، وحيث انتفى العقاب قبل الشّرع بحكم الآية انتفى الوجوب.

و أُجيب عنه أوّلا بالتّخصيص بالمستقلاّت العقليّة فيختصّ حكم الآية بغير المستقلاّت و يكون المراد، و ما كنّا معذّبين في الأعمال التي لاسبيل إلى معرفتها إلاّ بالشّرع إلاّ بعد مجيء الشّرع، والتخصيص و إن كان خلاف الظاهر إلاّ أنّه يجب ارتكابه عند قيام الدّليل عليه، و قد قام الدّليل على حكم العقل في الجملة حسبما تعرفه (١).

و ثانيا بجعل الرّسول أعمّ من الظاهر والباطن، أمّا الظاهر فهو الأنبياء، وأما الباطن فهو العقل بل هو الرّسول الذي لولاه لما تقرّر رسالة أحد من الأنبياء، ولزم إفحامهم، و ذلك لأنّه إذا جاء المشرّع و ادّعى كونه نبيّا من عندالله تعالى وأظهر المعجزة على طبق دعواه، فامّا أن يجب على المستمع استماع قوله والنّظر إلى معجزته أولا، و على الثّاني فقد بطل القول بالنبوة و لزم الافحام، و على الأوّل فامّا أن يكون وجوبه بالعقل أو بالشّرع، فان وجب بالعقل فقد ثبت المدّعى وهو كون العقل حاكما، و إن وجب بالشّرع فهو باطل لأنّ الشّرع إمّا أن يكون هو ذلك المدّعي أو غيره، والأوّل باطل، لانّه يرجع حاصل الكلام إلى أن ذلك المدّعي يقول: الدّليل على وجوب قبول قولي هو قولي إنّه يجب قبول قولي وهذا إثبات للشيء بنفسه و بعبارة اخرى وجوب النّظر إلى معجزته و استماع قوله يتوقف على حجية قوله مع أنّ حجّيته موقوفة على النّظر، والثّاني أيضاً باطل، لأنّ الكلام فيه كالكلام في الأوّل، و لزم إمّا الدّور أو التسلسل، وهما محالان.

و ثالثاً أنّ نفي التعذيب لايلازم عدم الوجوب إذ الواجب ما يستحقّ فاعله العقاب لا ما يترتّب عليه العقاب فعلا، لجواز سقوطه بعفو أو شفاعة، وربّما اورد عليه بأنّ العفو عن ترك جميع الواجبات وفعل المحرّمات إلى زمان البعث و كون الآية إخباراً عن ذلك مستلزم لالغاء الايجاب والتّحريم، إذ المقصود منهما فعل الواجب و ترك

١ــ في الجواب الثاني، منه

الحرام وهما لايتحصلان في حقّ عموم المكلفين إلاّ المخلصين إلاّ بالخوف عن العقاب، فاذا انتفى الخوف بسبب الاخبار عن العفو و حصل الاطمينان للنّفس بعدم التعذيب، لايتحصّل الغرض من التكليف فيكون التكليف لغواً و عبثاً.

و رابعاً بمنع عدم تحقّق الوجوب بدون العقاب، فانّه يكفي فيه استحقاق المدح بفعله والذم بتركه، ونلتزم في حسن العقاب على الواجبات بوجوب اللطف وتأكيد العقل بالنّقل فمع عدم وجود النقل لايجوز العقاب وإن حسن الذمّ، وهو يكفي في تحقق الوجوب وكيف كان فقد تحصّل ممّا ذكرناه عدم نهوض الآية للدّلالة على نفي حكومة العقل مطلقا و في وجوب شكر المنعم بخصوصه كما ظهر ثبوت حكومته أيضاً في الجملة ممّا ذكرناه في الجواب الثّاني.

و أمّا العقلي فتقريره ما ذكره الحاجبي في المختصر، قال: شكر المنعم ليس بواجب عقلا، لأنّه لو وجب لوجب لفايدة و إلاّ لكان عبثا وهو قبيح لافايدة لله تعالى: لتعاليه عنها، ولا للعبد في الدّنيا لأنّه مشقة ولا حظّ للنّفس فيه، ولا في الآخرة إذ لامحلّ للعقل في ذلك.

و توضيحه ما ذكره العضدي في شرحه حيث قال: لنا لو وجب لوجب لفايدة واللاّزم باطل، أمّا الأولى فلأنّه لولا الفايدة لكان عبثا و هو قبيح فلايجب عقلا إذ كان ايجابه عبثا و هو قبيح فلايجوز على الله، و أمّا الثّانية فلأنّ الفايدة إمّا لله و إمّا للعبد والثّاني، إمّا في الدّنيا وإمّا في الآخرة، والثلاث منتفية، أمّا لله فلتعاليه عن الفايدة، و أمّا للعبد في الدّنيا فلأنّ منه (١) فعل الواجبات و ترك المحرّمات العقليّة و أنّه مشقّة وتعب ناجز ولاحظ للنّفس فيه، و هو كذلك لايكون له فايدة دنيوية، و أمّا للعبد في الآخرة فلأنّ أمور الآخرة من الغيب الذي لامجال للعقل فيه.

والجواب أولاً بمنع كون وجوبه لفائدة، لجواز كون وجوبه لنفسه لا لشيء

١ــ اى من حكم العقل، منه

آخر ، فانّه لايلزم ثبوت الغايات لكلّ شيء وإلاّ لزم التسلسل ، بل لابدّ و أن ينتهي إلى مايكون واجباً لذاته ولا غاية له سوى ذاته كما أنّ دفع الضّرر واجب لذاته لالغاية أخرى ، ولهذا يعلّل العقلاء وجوبه بكونه شكر النّعمة لالشيء آخر، و إن لم يعلموا شيئاً آخر من جهات الوجوب.

و ثانياً سلّمنا أنّ الوجوب لايكون إلاّ لفايدة ، إلاّ أنّا نمنع انتفاء الفائدة الدّنيوية للعبد لأنّ أداء الشكر و إن كان فيه ضرر عاجل وتعب ناجز إلاّ أنّ دفع الخوف من النّفس الحاصل في العاجل بسبب تجويز الضّرر الآجل بتركه أمر مطلوب وهو راجح على ضرر الشكر العاجل وهو كاف في الوجوب.

و ثالثاً سلمنا انتفاء الفائدة الدّنيوية إلاّ أنّا نمنع انتفاء الفائدة الأُخروية وهو النّجاة من العقاب المترتب على عدم الشكر .

لايقال إن أردت بالعقاب المترتب على عدم الشكر العقاب القطعي فممنوع، لأنّ القطع بثبوته عند عدمه إنّما يحصل لو كان الشكر يسرّ المشكور والكفر يسوئه، أمّا المنزّه عن ذلك فلا ، و إن أردت العقاب المحتمل فلاينفع لأنّ احتمال العقاب كما هو موجود عند الكفر كذلك موجود عند الشكر أيضاً أمّا أوّلا فلأنه تصرّف في ملك الغير بدون إذن المالك ، فانّ مايتصرّف فيه العبد من نفسه و غيرها ملك الله تعالى، وأمّا ثانيا فلأنه كالاستهزاء .

بيان ذلك أنا لوفرضنا سلطاناً عظيما و ملكا كريما بسط لأهل مملكته من الخاص والعام بساط مائدة عظيمة لامقطوعة ولاممنوعة على توالى الأيام وتواتر السّنين والأعوام ، مشتملة على أنواع المأكولات والمطاعم و أقسام المشروبات والفواكه ، يجلس عليها الدّاني والقاصي و يأكل منها المطيع والعاصي ، و فرضنا أنّه حضر فيها فقير لم يحضرها قبل الآن ، و دفع إليه الملك من تلك المائدة لقمة خبز لاغير ، فتنا و لها الفقير ، ثمّ شرع في الثناء والمدح على ذلك الملك الكبير ، وجعل يمدحه بجليل الانعام والاحسان ، و يحمده على جزيل البرّ والامتنان ، و لم يزل يصف تلك اللّقمة و يذكرها و يعظم شأنها و يشكرها ، فتارة يحرّك أنملته شاكراً ، و أُخرى

يهن رأسه ذاكر(١) لانتظم شكره ذلك عند العقلاء في سلك التهكم والاستهزآء ، ولاريب أن نعم الله سبحانه علينا بالنسبة الى عظيم سلطانه وعميم إحسانه أحقر من تلك اللّقمة بالنّسبة إلى ذلك بمراتب لاتحصى و درجات لا يحوم حولها الاستقصآء .

لانّا نقول : أولاً إنّ العقاب المترتّب على الكفران قطعي ، و قوله إنّ القطع بثبوته إنّما يتصور في حقّ من يسرّه الشكر و يسوئه الكفر ممنوع ، لأنّ ترك الواجب علة في استحقاق العقاب بتركه ، و ثانياً سلّمنا ولكن نمنع احتمال العقاب على الشكر ، و ما علّله به أوّلا من أنّه تصرّف في ملك الغير من دون إذنه فضعيف بأنا نعلم قطعا أنّ الاشتغال بوظايف الخدمة والقيام بالشكر والمواظبة عليه أسلم من تركه والاعراض عن الخدمة والتغافل عن الشكر كضعف ما علله به ثانيا من كونه كالاستهزاء .

و تمثيل النّعمة باللقمة باطل ، فانّ نعم الله على العبد بالايجاد و الاحيآء والاقدار و ما منحه من العقل والسّلامة والملاذ والنّعم أعظم من الدّنيا بأجمعها.

والمثال المطابق للممثل أنّه إذا كان مسكين مغفول ، و فقير في زاوية الخمول أخرس اللسان ، مؤف الأركان ، أشل اليدين ، أعرج الرّجلين ، أعمى العينين ، أصمّ الاذنين ، عاجزاً عن الحركات ، مبتلي بالبليّات ، فأخرجه الملك من تلك الزّاوية ، و هذه الهاوية ، و أكرمه بمعالجة أسقامه و مداواة أمراضه ، فانطلق لسانه و سلم أركانه ، و قدر على الحركات والسّكنات ، و بره من الأسقام والآفات ، و اعطى السّمع والبصر ، و ميّز بين النّفع والضّرر ، و قويت يداه و استقامت رجلاه ، ثمّ أكرمه الملك بعد تمام العلاج و كمال المزاج ، بمزيد الاحسان والاكرام ، وبذل له غاية المعروف والانعام ، فأعطاه المساكن والملابس ، و منحه المطاعم والمشارب ، و أتمّ له العيش الرغيد والعمر السّعيد ، فلو فرض أنّ هذا الشّخص بعد حصول هذا المنن الجسام ، و تلك النّعم العظام في حقّه ، أعرض عن شكر الملك و رغب عن ثنائه ، ولم يظهر منه ما يدلّ على الاعتنآء بنعمائه ، والالتفات بآلائه ، بل كان حاله بعد حصولها كحاله قبل وصولها ، لذمّه العقلاء وطعنه الألبآء ، كما يشهد به العقول

١ـ جواب لوفرضنا . منه

السّلمية، والطباع المستقيمة، و هذا المثال هو الأوفق بالتمثيل، والله الهادي إلى قصد السبيل والحمدلله على ما عرفنا من حمده، وألهمنا من شكره

الترجمة

حمد سپاس می‌کنم پروردگار را بجهت طلب تمامی نعمت او، و بجهت انقیاد و فرمانبرداری عزت آن، و بجهت طلب عصمت و محفوظی از معصیت آن، و طلب یاری می‌کنم از او بجهت فقر و حاجت بر غنا و کفایت آن بدرستیکه گمراه نمی شود هر کسیکه خداوند هدایت فرمود آن را، و نجات نمی‌یابد هر کسیکه عداوت فرمود با آن، ومحتاج نمیگردد هر کسیکه کفایت فرمود آن را، پس بدرستیکه خداوند راجح ترین چیزیست که سنجیده می‌شود با میزان عقول کامله، و فاضل ترین چیزی است که مخزون گردد درخزانهٔ قلوب صافیه، یا اینکه حمد خداوند ارجح چیزی است که موزون میشود در میزان اعمال، و أفضل چیزیستکه مذخور و مخزون می‌باشد بجهت لقاء حضرت متعال.

الفصل الثانی

وَأشْهَدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَهادَةً مُمْتَحَناً إخلاصُها، مُعْتَقَداً مُصاصُها، نَتَمَسَّكُ بِها أبداً ما أبْقانا، وَنَدَّخِرُها لِأهاوِيلِ ما يَلْقانا، فَإنَّها عَزِيمَةُ الإيمانِ، وَفاتِحَةُ الإحسانِ، وَمَرْضاتُ الرَّحْمٰنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطانِ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأثُورِ، وَالْكِتابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السّاطِعِ، وَالضِّياءِ اللّامِعِ، وَالْأمْرِ الصّادِعِ، إزاحَةً لِلشُّبُهاتِ، وَاحْتِجاجاً بِالْبَيِّناتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآياتِ، وَتَخْوِيفاً لِلْمَثُلاتِ.

اللغة

(المصاص) بضمّ الميم والصّادين المهملتين الخالص من كلّ شيء و في الحديث ليس لمصاص شيعتنا في دولة الباطل إلاّ القوت و(الادّخار) افتعال من الدّخر وهو إعداد الشّيء و اختياره لوقت الحاجة ، و ادّخر يدّخر أصله اذ تخر قلبت التّاء دالا مهملة و ادغمت ، و قد يعكس فتصير ذالا معجمة ، وهو الاقل و هذه قاعدة كلية في كلما اجتمع التّاء والذّال في كلمة واحدة كادّكر و نحوه و (أهاويل) جمع أهوال و هو جمع هول كأقاويل و أقوال و قول ، يقال : هالني الشّيء يهول هولا من باب قال أفزعنى و (العزيمة) العقيدة يقال: عزم على الشيء و عزمه عزماً وعزماً بالضم و عزيمة إذا عقد ضميره على فعله ، و يحتمل أن يكون من العزم الذي هو الجدّ في الأمر يقال : عزم عزيمة و عزمة اجتهد وجدّ في أمره و منه قوله تعالى.

« إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ »

أى معزومات الامور التي يجب أن يجدّ فيها ، و أُولوا العزم أُولوا الجدّ والثبات و (المرضات) كالرّضا والرّضوان مصدر من رضى عنه ضدّ سخط قال تعالى:

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ » .

(والمدحرة) اسم فاعل من ادحره أى أبعده ومنه أدحر عنّي الشّيطان أى أبعده عني و (العلم) ما يهتدى به و (المأثور) المنقول يقال ، آثرت الحديث أثراً نقلته والأثر بفتحتين اسم منه ، و حديث مأثور ينقله خلف عن سلف و (السّاطع) و (اللاّمع) بمعنى واحد و (الصّادع) الظاهر أو الفاصل أو الحاكم بالحقّ قال الفيروز آبادي : قوله تعالى :

« فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ »

أى شقّ جماعتهم بالتّوحيد أو اجهر بالقرآن أو اظهر أو احكم بالحقّ و افصل بالأمر أو اقصد بما تؤمر أو افرق به بين الحقّ والباطل و (الازاحة) الازالة يقال :

أزاح الشيء عن موضعه أزاله و نحاه و (المثلات) بفتح الميم و ضم الثاء كالمثولات جمع المثلة بفتح الميم و ضم الثاء هي العقوبة التي يعتبر بها ، من مثل بفلان مثلا نكل ، و مثّل تمثيلا بالتشديد للمبالغة ، و من قال في الواحد مثلة بضم و سكون الثاء قال في الجمع مثلات نحو غرفة و غرفات ، و قيل: في جمعها مثلات كركبات بفتح الكاف قال في الكشاف في تفسير قوله تعالى :

« وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ».

أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها، والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة:

« وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ».

يقال أمثلت الرجل من صاحبه أقطعته عنه، والمثال القصاص ، وقرء المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة و ركبات انتهى.

الاعراب

كلمة لا في قوله : أشهد أن لا إله اه نافية للجنس ، و يسمى تبرية ، و إله إسمها مبنيّ على الفتح ، و اختلف في خبرها ، فقيل : إنه محذوف جريا على ماهو الغالب من حذف خبرها إذا كان معلوماً ، نحو لا فوت ولاضير أى لافوت لهم، ولاضير علينا ، و يلزمه أى حذف الخبر المعلوم التميميون والطائيون.

و اختلف هؤلاء في المحذوف ، فقيل إنه موجود و يضعف بأنه لاينفي امكان إله معبود بالحقّ غيره تعالى ، لأنّ الامكان أعمّ من الوجود ، وقيل : ممكن و فيه أنه لايقتضي وجوده بالفعل ، و قيل مستحقّ للعبادة ، و فيه أنه لايدلّ على نفي التعدّد مطلقا وقال أبوحيان لنا أو في الوجود أو نحو ذلك ، ويتوجّه عليه مايتوجّه على ما تقدّمه ، و قال الزمخشري في جزء لطيف له على كلمة الشهادة : هكذا قالوا : والصّواب أنه كلام تامّ ولا حذف و أنّ الأصل الله إله مبتدء و خبر كما يقول : زيد منطلق ، ثمّ جيء بأداة الحصر ، وقدّم الخبر على الاسم وركب مع لا كما ركب المبتداء

معها في لارجل في الدّار ، و يكون الله مبتدءاً مؤخراً و إله خبراً مقدّماً ، وعلى هذا يخرج نظائره نحو لاسيف إلاّ ذوالفقار ولافتى إلاّ عليّ انتهى ، و نسبه الشّهيد في الرّوضة إلى المحقّقين ، و قال الموضح بعد نقله ذلك ، قلت : و قد يرجّح قوله بأنّ فيه سلامة من دعوى الحذف ، ودعوى إبدال مالايحلّ محلّ المبدل منه ، و ذلك على قول الجمهور و من الاخبار عن النكرة بالمعرفة ، و عن العام بالخاص و ذلك على قول من يجعل المرفوع خبراً انتهى.

أقول: انّ العقول بعد ما غرقت في تيار بحار معرفته سبحانه ، والافهام عجزت عن إدراك هوية حقيقته ، و كذلك بعدما تقاصرت الألبّاء و تحيرت الأدبآء في تحقيق لفظة الجلالة الموضوعة لذاته المقدّسة الجامعة لصفاته الكماليّة و نعوته الجمالية، فلاغرو أن يختلفوا بهذا الاختلاف في هذه الكلمة الطيبة المباركة ، و يعجزوا عن ادراك معناها و نيل مغزاها، كيف والمقصود بها توحيد من لايناله غوس الفطن ولا يدركه بعد الهمم.

والذي يخطر بالخاطر القاصر في هذاالمقام أن يقال : إنّه لاخفاء في إفادتها التّوحيد و التّفريد.

أمّا عند العوام الذين أذهانهم خالصة عن الكدر، و غرايزهم صافية عن مزاج الشّبه ، فلظهور أنّ هذه الكلمة لوعرضت عليهم لما فهموا منها ولايتبادر إلى أذهانهم إلاّ أنّه ليس إله سوى الله سبحانه من دون أن يخطر ببالهم أن يكون هناك إله ممكن غير موجود أو إله غيرمستحق للعبوديّة ، نظير أنّه لوقيل لهم : لا سيف إلاّذوالفقار لايفهمون منه إلاّ انحصار السّيف فيه من دون أن يحتملوا أن يكون هناك سيف ممكن في دايرة العدم يصدق عليه أنّه سيف أيضاً ، و سرّ ذلك ما أشرنا إليه من صفاء خواطرهم عن التّشكيكات و الاحتمالات .

و أمّا عند من كان خاطره غير نقيّ عن الخطرات والبدوات و مألوفا بالبراهين الحكمية والشكوكات العقليّة البدويّة ، فلأنّ له أن يقدّر الخبر ممكن ، و يجيب عن الاشكال الذي اورد عليه من أنّه لايقتضي وجوده سبحانه بالفعل بأنّ هذه الكلمة

كلمة توحيد، والمقصود بها ليس إثبات الوجود بل إثبات التّوحيد و نفى الشريك، و ذلك إنّما هو بعد الفراغ عن ثبوت وجوب وجوده بدليل آخر و رآء هذه مسبوقة به، و يشهد به كلامه عليه السلام في الخطبة الأولى: أوّل الدين معرفته و كمال معرفته التّصديق به، و كمال التصديق به توحيده، حيث جعل التّوحيد تالياً للتّصديق، ولازمه أن يكون التّوحيد بعد الفراغ عن التّصديق، وقد بيّنا هناك أنّ المراد بالتّصديق هو الاذعان بوجوب الوجود، بل أقول: إنّ لفظة الجلالة على ما اتفق الكلّ عليه من وضعها للذات المستجمعة لجميع الصّفات الكماليّة يكون مؤدّاها على ذلك الذّات بوصف الاستجماع، فيكون المعنى لا إلّه ممكن موجوداً كان أو معدوماً إلّا الذات المستجمعة، و من الواضح أنّ الاستجماع لصفات الكمال فرع وجود المتّصف بها بنفسه إذ لا يعقل أن يكون المعدوم متّصفا بأمر موجود فضلاً عن كونه جامعاً لجميع الصّفات الوجودية، نعم يبقى هنا شيء، و هو أنّ الاستثناء على هذا التّوجيه يشبه أن يكون منقطعاً، إذا المستثنى منه هو الآله الممكن، والمستثنى هو الله الواجب والانقطاع في الاستثناء و إن كان خلاف الأصل إلاّ أنه لا ضير في المصير إليه بعد اقتضاء الداعى له هذا.

و يمكن أن يقدّر الخبر موجود، ويجاب عن الاشكال السّابق من أنّه لا ينفي إمكان إلّه غيره تعالى، بأنّ نفى الوجود يستلزم نفى الامكان إذ لو اتّصف فرد آخر بوجوب الوجود لوجد ضرورة، فاذا لم يوجد علم عدم اتّصافه بـه و ما لم يتّصف بوجوب الوجود لم يمكن أن يتصف به لاستحالة الانقلاب بالضرورة.

و هذا الجواب ذكره جمال الدين الخوانسارى في حواشي الرّوضة و ظاهره كما ترى يفيد أن المراد بالموجود الذي جعل خبراً هو الموجود بوجوب الوجود فيتوجه عليه حينئذ أنّـه لا ينفى الآله الموجود بالوجود الامكاني و إن أراد الأعمّ من الموجود بالوجوب والموجود بالامكان فيعود الاشكال بأنّه لا ينفي إمكان إلّه غيره و لا يتمشى الجواب بأنّ نفى الوجود يستلزم نفى الامكان إذ لا انقلاب على هذا التقدير حتى يستحيل كما هو واضح، فتأمل في هذا المقام جيّداً فانّه من مزالّ الأقدام.

و وحده منصوب على الحالية ولا يضرّ كونه معرفة لتأويله بالنكرة أى متوحداً فالصّورة و إن كانت معرفة فهي في التّقدير نكرة على نحو و أرسلها العراك ، أى معتركة ، و قال : بعض النحويين إنّه منصوب على المفعولية و الفعل محذوف والجملة حال ، أى ينفرد وحده ، و كيف كان فهي حال مؤكّدة لمضمون الجملة على حدّ زيد أبوك عطوفا ، و يحتمل التّأسيس بأن يكون المراد بالجملة التّوحيد في الذات ، وبالحال التّوحيد في الصّفات، وجملة لاشريك له حال بعد حال، وهي تأكيد بعد تأكيد، ويحتمل التّأسيس : بأن يراد بها التّوحيد في الافعال، وممتحنا و معتقدا صفتان جاريتان لغير من هماله ، و جملة تتمسّك صفة أيضاً ، و جملة أرسله تحتمل الحالية والوصفية ، و إزاحة ، و احتجاجاً ، و تحذيراً ،وتخويفامنصوبات على المفعول لأجله.

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام قرن حمدالله سبحانه بالشّهادة بتوحيده ، فقال (وأشهد أن لا إلّه إلاّالله وحده لاشريك له) وهذه الكلمة أشرف كلمة نطق بها في التّوحيد ، و لذلك قال صلى الله عليه وآله في مروي أبي سعيد الخدري : ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا إلّه إلاّ الله.

وقد ورد لهذه الكلمة الطيبة فضائل كثيرة في أخبار أهل العصمة عليهم السلام فقد روى الصّدوق في كتاب التّوحيد باسناده عن أبي حمزة قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: مامن شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إلّه إلاّ الله ،لأنّ الله عز وجل لايعد له شيء ولا يشركه في الأمر أحد،وفي الكافي، وثواب الأعمال مثله.

و عن السّكوني عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله خير العبادة قول لا إلّه إلاّالله.

و عن أبي الطفيل عن علي عليه السلام قال: ما من عبد مسلم يقول: لا إلّه إلاّالله ، إلاّ صعدت تخرق كلّ سقف ولا تمرّ بشيء من سيّئاته إلاّ طلستها (١) حتّى ينتهى إلى

١ــ الطلس المحو ، م.

مثلها من الحسنات فيقف،

و عن الشيباني عن الرّضا عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ لله عزّ وجلّ عموداً من ياقوتة حمراء، رأسه تحت العرش و أسفله على ظهر الحوت في الأرض السّابعة السّفلى فاذا قال العبد: لا إله إلاّ الله اهتزّ العرش و تحرك العمود و تحرك الحوت، فيقول الله تبارك وتعالى: اسكن يا عرشي فيقول: لا أسكن و أنت لم تغفر لقائلها، فيقول الله تبارك و تعالى: اشهد واسكان سمواتي اني قدغفرت لقائلها.

و عن عبدالسلام بن صالح أبي الصّلت الهروي قال: كنت مع عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام حين رحل من نيشابور وهوراكب بغلة شهباء(١) وإذا محمد بن رافع وأحمد بن حرب و يحيى بن يحيى واسحاق بن راهويه وعدّة من أهل العلم قد تعلّقوا بلجام بغلته في المربعة فقالوا: بحق آبائك الطاهرين حدّثنا بحديث قد سمعته من أبيك، فأخرج رأسه من العمارية و عليه مطرف خزّ ذو وجهين، و قال: حدّثني أبي عبد الصّالح موسى بن جعفر قال: حدّثني أبي الصّادق جعفر بن محمد، قال: حدّثني أبي أبوجعفر محمد بن عليّ باقر علم الأنبياء، قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين سيد العابدين، قال: حدّثني أبي سيّد شباب أهل الجنّة الحسين، قال: حدّثني أبي عليّ بن أبيطالب عليهم السّلام، قال: قال سمعت النبيّ ﷺ يقول قال الله جلّ جلاله: إني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدوني، من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلاّ الله بالاخلاص دخل حصني و من دخل حصني أمن من عذابي، و في رواية أخرى نحوه وفي آخرها فلما مرّت الرّاحلة نادانا بشروطها و أنا من شروطها.

قال الصّدوق (ره) من شروطها الاقرار للرّضا عليه السلام بأنّه إمام من قبل الله عزّ وجلّ على العباد مفترض الطاعة عليهم.

و في ثواب الأعمال عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ قال: قال الله جلّ

١- والبغلة الشهباء هي البيضاء، لغة

جلاله لموسى بن عمران عليه السلام : يا موسى لو أنّ السّماوات و عامريهنّ عندي والأرضين السّبع في كفة ولا إلَه إلاّ الله في كفّة مالت بهن لا إلَه إلاّ الله، ومثله في التّوحيد .

و عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله : لقنوا موتاكم لا إلَه إلاّ الله فانّها تهدم الذّنوب ، فقالوا يا رسول‌الله : فمن قال في صحّته ، فقال صلى الله عليه وآله ذلك أهدم و أهدم ، إنّ لا إلَه إلاّ الله أنس للمؤمن في حياته و عند موته وحين يبعث ، و قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله : قال جبرئيل : يا محمد لو تراهم حين يبعثون هذا مبيض وجهه ينادي لا إله إلاّ الله والله أكبر و هذا مسودّ وجهه ينادي يا ويلاه يا ثبوراه.

و عن عبدالله بن الوليد رفعه قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من قال لا إلَه إلاّالله غرست له شجرة في الجنّة من ياقوتة حمرآء،منبتها في مسك أبيض أحلى من العسل وأشدّ بياضاً من الثّلج و أطيب ريحاً ، فيها أمثال أثدآء الأبكار تفلق (١) عن سبعين حلّة و في الكافي مثله.

والأخبار في هذاالباب كثيرة ، و في الاستقصآء إطالة ، و فيما رويناها كفاية إنشآءالله (شهادة ممتحنا إخلاصها) أى مختبراً كونها مخلصاً ، يعني أنّه عليه السلام اختبر قلبه في إخلاص هذه الشّهادة فوجده عرياً عن شبهة الباطل و خالصاً عن شوائب الشّرك (معتقداً مصاصها) أى خالصها ، يعنى أنّ هذه الشّهادة صادرة عن صميم القلب ، والقلب مطابق فيهاللّسان و مذعن بخلوصها ، و بالجملة ففي توصيف الشّهادة بهذين الوصفين إشارة إلى كونها في مرتبة الكمال و أنّها خالصة مخلّصة ، و هذه المرتبة هي المطلوبة في باب التّوحيد ، و إلاّ فالشّهادة الصّادرة عن محض اللّسان إنّما تطهر جلد الانسان ولايترتّب عليها ثمرة في الآخرة وأمّا الصّادرة بالاخلاص فهي الشّهادة في الحقيقة .

و لذلك قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله فيما رواه في التّوحيد عنه صلى الله عليه وآله : رأيت أشهد أن لا إلَه إلاّ الله كلمة عظيمة كريمة على الله عزّ وجلّ ، من قالها مخلصاً استوجب

١ـ الفلق الشق من باب ضرب ، منه

الجنّة و من قالها كاذبا عصمت ماله و دمه و كان مصيره إلى النّار .

وفيه أيضاً عن زيد بن أرقم عن النبيّ صلى الله عليه وآله من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنة و إخلاصه بها أن حجزه لا إله إلاّ الله عمّا حرّم الله ، و رواه في ثواب الأعمال أيضاً مثله .

و فيهما عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله . أتاني جبرئيل بين الصّفا والمروة فقال يا محمد : طوبى لمن قال من امّتك لا إله إلاّ الله وحده مخلصاً .

وفي الكافي عن أبان بن تغلب عن أبيعبدالله عليه السلام قال: يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث ، من شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً وجبت له الجنّة ، قال : قلت له: إنّه يأتيني من كلّ صنف من الأصناف أفأ روي هذا الحديث ؟ قال : نعم يا أبان إنه إذا كان يوم القيامة و جمع الله الأوّلين والآخرين فتسلب لا إله إلاّ الله منهم إلاّ من كان على هذا الأمر والمراد بسلبها منهم عدم نفعها لهم ، لكون الولاية شرطا في التّوحيد كما مرّ في رواية الرّضا عليه السلام من قوله : بشروطها و أنا من شروطها (نتمسك بها أبداً ما أبقانا و ندّخرها لأهاويل ما يلقانا) لأنّها انس للمؤمن في حياته وفي مماته و حين يبعث كما مرّ في رواية ثواب الأعمال .فهي أعظم ذخيرة لأهوال الآخرة و شدايدها .

وقد مرّ في رواية ثواب الأعمال والتّوحيد : قوله تعالى لموسى بن عمران : لو أن السّماوات و عامريهنّ عندي والأرضين السّبع في كفّة ولا إله إلاّ الله في كفّة مالت بهنّ لا إله إلاّ الله ، فأيّ ذخيرة تكون أعظم منها ثمّ علّل عليه السلام التّمسك والادّخار بامور أربعة

أولها ما أشار إليه بقوله عليه السلام : (فانّها عزيمة الايمان) أى عقيدتها و ممّا يجب للمؤمن أن يعقد قلبه عليها ، أو أنّها معزومة الايمان بمعنى أنّها ممّا ينبغى أن يجدّ فيها و يجتهد حسبما اشير إليه في بيان لغتها.

الثّاني قوله ﷺ : (و فاتحة الاحسان) أى ابتداء الاحسان وأوّله، و إضافته إليه من قبيل اضافة الجزئي إلى الكلّ، مثل فاتحة الكتاب، فيكون مصدراً بمعنى الفتح كالكاذبة بمعنى الكذب، و على هذا فالمراد بالاحسان هو التّوحيد واصول الشريعة و يدلّ على صحّة إطلاقه بذلك مارواه في التّوحيد عن موسى بن اسماعيل بن موسى ابن جعفر قال: حدّثني أبي عن جدّه جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليهم السلام في قول الله عزّ وجلّ:

«هَلْ جَزآءُ الْإِحسانِ إِلاَّ الْإِحسانُ»

قال: عليّ عليه السلام : ما جزآء من أنعمت عليه بالتّوحيد إلاّ الجنّة هذا، و يحتمل أن يكون الفاتحة وصفاً من الفتح ضدّ الغلق فالاضافة لاميّة، و هذا هو الأظهر والمعنى أنّ الشّهادة باعثة لفتح أبواب الاحسان والانعام وأنّها مفتاح لها، إذ بها يستحقّ العبد للفيوضات الأبدية والنّعم السر مديّة.

و يدلّ عليه مضافاً إلى الأخبار السّالفة ما رواه في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرّق الأبيض، فاذا قال ثانية لا إله إلاّ الله مخلصاً خرق أبواب السّمآء وصفوف الملائكة حتى يقول الملائكة بعضها لبعض اخشعوا لعظمة أمر الله، فاذا قال ثالثة مخلصاً لا إله إلاّ الله لم تنته دون العرش فيقول الجليل: اسكتي فوعزّتي وجلالي لأغفرنّ لقائلك بما كان فيه، ثمّ تلا هذه الآية:

«إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ».

يعنى إذا كان عمله خالصاً ارتفع قوله و كلامه هذا، وظهر لي معنى ثالث و هو أن يكون المصدر بمعنى الفاعل و يكون المراد أنّها ابتداء كون الرّجل محسناً مقابل كونه مسيئاً.

الثّالث قوله ﷺ : (و مرضات الرّحمن) وذلك واضح لأنّها محصّلة لمرضاته

تعالى و رضائه و رضوانه و معدّة للخلد في جنانه.

الرّابع قوله ﷺ: (و مدحرة الشّيطان) وذلك أيضاً واضح لأنّ مقصوداللّعين هو الاضلال والاغواء والكفر، والشّهادة بالاخلاص زاجرة له وكاسرة« قاصمة خل» لظهره و رافعة لكيده و مكره، ولذلك أنّ اللّعين بعد ماقال:

«فَوَعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ».

عقّبه بالاستثناء بقوله:

«إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ».

و في عدّة الدّاعي لأحمدبن فهد الحلّي قال: و قد روي عن النبيّ ﷺ على كلّ قلب جاثم (١) من الشّيطان، فاذا ذكر اسم الله خنس (٢) الشّيطان و ذاب و إذا ترك الذاكر التقمه فجذبه وأغواه و استزلّه وأطغاه.

وفي حديث آخر أنه قال الشّيطان على قلب ابن آدم له خرطوم مثل خرطوم الخنزير يوسوس لابن آدم ان أقبل على الدّنيا و مالا يحلّ الله فاذا ذكر الله خنس: اى ذهب واستتر (و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله) عقّب ﷺ الشّهادة بالتّوحيد بالشّهادة بالرّسالة أمّا أوّلا فلأنّ مرتبة الرّسالة تالية لمرتبة التّوحيد كما أنّ النبيّ ﷺ ثاني الموجودات في الموجودية و إن كان الأوّل تعالى لاثاني له في الوجود فينبغي أن يكون الشهادة برسالته عقيب الشّهادة بالتّوحيد طباقاً لماهو الواقع.

و أمّا ثانياً فلانّ المقصود من الخلق هو العرفان و إخلاص التّوحيد والسّلوك إلى الله ولابدّ للسالك من دليل يدلّ عليه وهاد يستهدى به و مبلّغ يصدّق بقوله ويقرّ برسالته، فلابدّ من اقتران التّصديق بالرّسالة بالتّصديق بالوحدانيّة كي يتوصل به إليه ويسلك به مسالكه، إذ النبيّ ﷺ موصل إليه وباب له وفاتح لمغلقات مراتب

١ـ جثم يجثم لزم مكانه فلم يبرح وفي المصباح جثم الطائر والارنب يجثم جثوما و هو كالبروك من البعير مجمع البحرين

٢ـ اى تراجع و تاخر، اللغة

التّوحيد، و بوجوده صلى الله عليه وآله يحصل المعرفة التّامّة و يكمل الاخلاص التّام.

و أمّا ثالثاً فلأنّه سبحانه قدقارن بين كلمتي التّوحيدوالرّسالة وكتب لاإله إلاّ الله و محمد رسول‌الله بخطوط النّور على ساق العرش و طبقات السّماوات و أقطار الأرضين و صفحتي الشّمس والقمر، كما يستفاد من الأخبار، فينبغي المقارنة في شهادتيهما اقتفاء لما قدجرى عليه القلم الرّباني و سطور النّور،

و أمّا فضل الجمع بينهمافقد روى في الكافي عن أبيعبيدة الحذّاء عن أبي جعفر عليه السلام، قال: من قال: أشهد أن لاإلَه إلاّ الله وحده لاشريك له و أشهد أنّ محمداًعبده و رسوله كتب‌الله له ألف حسنة.

و في ثواب الأعمال عن بشر الأوزاعي عن جعفربن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: من شهد أن لا إلَه إلاالله ولم يشهد أنّ محمداً رسول‌الله كتبت‌له عشرحسنات،فان شهد أنّ محمداً رسول‌الله كتبت له ألفي ألفي حسنة.

و عن سهل بن سعد الأنصاري قال سألت رسول‌الله صلى الله عليه وآله عن قول‌الله عزّ وجلّ:

«وَما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْنادَيْنا».

قال كتب الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس أنبته ثمّ وضعها على العرش، ثمّ نادى يا امّة محمد إنّ رحمتي سبقت‌غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن‌تستغفروني فمن يلقني «لقيني خ‌ل» منكم يشهد أن لا إلَه إلاّ أنا و أنّ محمداً عبدي و رسولي أدخلته الجنّة برحمتي.

و في عدة الدّاعي لأحمدبن فهدالحلّي عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله من سرّه أن يلقى الله يوم‌القيامة و في صحيفته‌شهادة ان لا إلَه إلاّ الله و أنّ محمداًرسول الله و يفتح‌له‌ثمانية‌أبواب الجنّة فيقال له يا وليّ‌الله‌ادخل الجنّة من أيّها شئت فليقل إذا أصبح و إذا أمسى:

«أَكْتُبا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ

لا شَرِيكَ لَهُ، وأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وأَشهَدُ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا، وأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ عَلَى ذٰلِكَ أَحيىٰ وَعَلَى ذٰلِكَ أَمُوتُ وَعَلَى ذٰلِكَ أُبعَثُ حَيّاً إِنْشاءَ اللهُ، إِقرَءا مُحَمَّداً مِنّي السَّلامُ، أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذهَبَ اللَّيْلَ مُظْلِماً بِقُدْرَتِهِ، وَجاءَ بِالنَّهارِ مُبْصِراً بِرَحْمَتِهِ، خَلقاً جَدِيداً مَرْحَباً بِالْحافِظَيْنِ» ويلتفت عن يمينه «وَحَيّاكُما اللهُ مِنْ كاتِبَيْنِ» ويلتفت عن شماله هٰذا.

وأمّا تسمية النبيّ صلى الله عليه وآله بمحمد فأوّل من سمّاه بذلك الاسم هوالله سبحانه كما يدلّ عليه حديث عرض الاشباح لآدم عليه السلام حيث قال سبحانه له: هذا محمد و أنا الحميد المحمود في فعالى شققت له اسماً من اسمي، وقد مرّ بتمامه في ثاني تنبيهات الفصل الحاد يعشر من فصول الخطبة الاولى، ثمّ سمّاه عبدالمطلب بذلك يوم سابع ولادته إلهاماً منه سبحانه و تفألا بكثرة حمد الخلق له، لكثرة خصاله الحميدة، وقد قيل لم سمّيت ابنك محمداً وليس من أسماء آبائك ولاقومك؟ فقال: رجوت أن يحمد في السّماء والأرض،وقد حقّق الله رجائه،

و في الوسائل عن كشف الغمة عن جعفربن محمد عن آبائه عليهم السّلام عن ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادألا ليقم كلّ من كان اسمه محمد فليدخل الجنّة بكرامة سميّه محمد صلى الله عليه وآله.

و في الكافي عن أبيعبدالله عليه السلام قال: لا يولدلنا ولد إلاّ سمّيناه محمداً، فاذامضى سبعة أيام فان شئنا غيّرنا وإلاّ تركنا هذا.

وقد ورد الأخبار المتظافرة بل المستفيضة في استحباب التّسمية بذلك الاسم المبارك، و روي له خواص كثيرة من أراد الاطلاع عليها فليراجع إلى أبواب أحكام الأولاد في كتب الأخبار.

و أمّا تقديم وصف العبودية على الوصف بالرّسالة في كلمة الشّهادة، فلأن مقام العبوديّة متقدّم على مرتبة الرّسالة كما يشهد به ما رواه في الكافي عن زيد الشحام، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبياً وإن الله اتخذه نبيا قبل أن يتخذه رسولا، وإنّ الله اتّخذه رسولا قبل أن يتّخذه خليلا، وإنّ الله اتخذه خليلا قبل أن يجعله إماماً فلما جمع له الأشيآء.

« قالَ إِنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً »

قال فمن عظمها في عين ابراهيم:

« قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمينَ »

قال لايكون السّفيه إمام التّقى، و مثله أخبار اخر و يأتي تحقيق الكلام فيها عند الكلام على مسألة الامامة في مواضعها اللاّيقة إنشآءالله.

ثمّ أشار عليه السلام إلى تعظيم الرّسول صلى الله عليه وآله بماجاءبه فقال (أرسله بالدين المشهور) أى بين الامم الماضية والقرون الخالية (والعلم المأثور) توكيد للفقرة الأولى وأشار به إلى كون ذلك الدين علماً يهتدى إلى حظيرة القدس التي يطلب السّلوك إليها، و كونه مأثوراً إشارة إلى كون ذلك الدين مختاراً على ساير الأديان، أوأنّه مأثور منقول من قرن الى قرن ويهتدى به قوم بعدقوم (والكتاب المسطور) بقلم النّور على اللّوح المحفوظ قبل وجود الأنفس والآفاق، والمكتوب على الأوراق والصّفحات بعد تلبّسه بلباس الحروف و جلباب الأصوات (والنّور السّاطع والضيآء اللاّمع) يحتمل أن يكون المراد بهما الكتاب فيكون العطف للتوكيد قال تعالى:

« قَدْ جآئَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ يَهْدي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ »

فهو نور عقلي ينكشف به أحوال المبدء والمعاد و يترائى منه حقايق الأشيآء، وضيآء يهتدى به في ظلمات برّ الأجسام و بحر النّفوس، و يظهر به للسّالكين إلى الدار

الاخرى طريق الجنّة والنّور، و يحتمل أن يكون المراد علم النبوة فانّه نور مقتبس من الوحى الالهى يتنوّر به في ظلمات الجهالة، و ضياء يستضاء به في مفاوز الضّلالة (والأمر الصّادع) أى الظاهر أو الفارق بين الحقّ والباطل أو الحاكم بالحقّ و فيه تلميح إلى قوله تعالى:

« فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ »

ثمّ أشار ﷺ إلى دواعى البعثة و ما هو المقصود بالرّسالة فقال ﷺ : (ازاحة للشبهات) أى أرسله ﷺ إزالة للشبهات الباطلة والشكوكات الفاسدة (واحتجاجا بالبيّنات) أى بالمعجزات القاهرة و البراهين السّاطعة (و تحذيراً بالآيات) أى إنذاراً بالآيات القرآنية و الخطابات الشّرعية و يحتمل أن يكون المراد بالآيات العقوبات النّازلة بالعصاة التى هي علامة القهر و القدرة و فيها عبرة للمعتبرين كما قال تعالى:

« وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ، إِنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ»

و قال: « فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً و إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ »

و على هذا الاحتمال فيكون عطف قوله : (و تخويفا للمثلات) عليه من قبيل العطف للتوكيد، أى تخويفا بالعقوبات الواقعة بأهل الجنايات، هكذا فسّر الشّارحان البحراني والمعتزلي هذه الفقرة، الأوّل تصريحا والثّاني تلويحاً، و لكنه خلاف الظاهر، لأنّه قال ﷺ : للمثلات ولم يقل : بالمثلات، والأظهر عندي هو أنّ المراد بها التمثيل والتّنكيل بجدع الأنف و قطع الأذن و نحوهما ممّا كان شعاراً في الجاهليّة، وقد نهى رسول الله ﷺ عنه و خوف له، كما يدلّ عليه وصيّته الآتية في الكتاب للحسن والحسين عليهما السّلام لما ضربه ابن ملجم : يا بني عبد المطلب لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون : قتل أمير المؤمنين ألا لا تقتلنّ

لى إلاّ قاتلي : انظروا إذا أنامت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثـل بالرّجل فاني سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

و في الكافي باسناده عن إسحــاق بن عمّار قال قلت لأبيعبدالله عليه السلام إنّ الله يقول في كتابه:

«وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ»

ما هذا الاسراف الذي نهى الله عنه ؟ قال : نهى أن يقتل غير القاتل أو يمثّل بالقاتل الحديث ، والأخبار في هذا الباب كثيرة ، و لعلّنا نشير إلى بعضها عند شرح الوصية الآتية إن ساعدنا التّوفيق إن‌شاءالله.

الترجمة

و شهادت می‌دهم باینکه نیست هیچ معبودی بجز ذاتی که مستجمع است جمیع صفات کمالیه را در حالتیکه منفرد است در صفات و در حالتیکه شریک نباشد او را در افعال و مصنوعات ، شهادتیکه آزموده شده باشد اخلاص او واعتقاد کرده باشد خاص و خالص او ، هم چنان شهادتیکه تمسك می کنیم به آن همیشه مادامی که باقی گذاشته است خداوند سبحانه ما را دردار دنیا ذخیره می سازیم آنرا بجهت هولهائی که ملاقات میکند مارادر دار اخری ، پس بتحقیق آن شهادت عقیدهٔ ایمان است که باید مؤمن عقد قلب به آن نماید و جدّ و جهد در آن بجا آورد

و اوّل احسان است و یا اینکه گشاینده نعمت‌های ابدی و فیوضات سرمدی است و خشنود کننده خداوند رحیم است و طرد کنندهٔ شیطان رجیم،و شهادت‌می دهم به‌اینکه محمّدبن عبدالله صلوات‌الله و سلامه علیه و آله بندهٔ پسندیدهٔ خدا ست وپیغمبر فرستادهٔ او، ودر حالتی که فرستاده اورا با دین وشریعتی که مشهور است و بـا علم نبوتی که مأثور است یعنی اختیار شده بر سایر دین‌ها یا اینکه نقل میشود از قرنها بقرنها ، و با کتابی که نوشته شده است بر صحایف و اوراق و بر

لوح محفوظ پیش از وجود انفس و آفاق و با نور درخشنده و با روشنی تابنده و با امری که ظاهر است ، یا اینکه فاصل است میان حق و باطل فرستادن آن بجهت زائل کردن و محو نمودن شبهه‌های باطله است و شکوکات فاسده ، و از جهت حجة آوردن بر مردمان با معجزات قاهره و براهین ظاهرة و ازبرای ترسانیدن به آیه های قرآنی و خطابات فرقانی و بجهت ترسانیدن از برای تمثیل‌ها وتنکیلها که از شعار جاهلیت بود، و آن عبارتست از اینکه جنایت بزنند بر مرد با چیزی فظیع از بریدن گوش یا دماغ و مثل آنکه باعث شهرت و جاری مجرای مثل بوده باشد چنانکه درحق حمزهٔ سیدالشهدآء نمودند.

الفصل الثالث

وَالنّاسُ في فِتَنٍ انْجَذَمَ فيها حَبْلُ الدّينِ ، وَتَزَعْزَعَتْ سَواري اَلْيَقينِ ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ ، وتَشَتَّتَ الْأَمْرُ ، وضاقَ الْمَخْرَجُ ، وعَمِيَ الْمَصْدَرُ ، فَالْهُدى خامِلٌ ، وَالْعَمى شامِلٌ ، عُصِيَ الرَّحْمنُ ، ونُصِرَ الشَّيْطانُ ، وخُذِلَ الْإيمانُ ، فَانْهارَتْ دَعائِمُهُ ، وتَنَكَّرَتْ مَعالِمُهُ ، ودَرَسَتْ سُبُلُهُ ، وعَفَتْ شُرُكُهُ ، أطاعُوا الشَّيْطانَ فَسَلَكُوا مَسالِكَهُ ، ووَرَدُوا مَناهِلَهُ ، بِهِمْ سارَتْ أعْلامُهُ ، وقامَ لِواؤُهُ ، في فِتَنٍ داسَتْهُمْ بِأَخْفافِها ، ووَطِئَتْهُمْ بِأَظْلافِها ، وقامَتْ عَلى سَنابِكِها ، فَهُمْ فيها تائِهُونَ ، حائِرُونَ ، جاهِلُونَ ، مَفْتُونُونَ ، في خَيْرِ دارٍ وَشَرِّ جيرانٍ ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ ، وكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ ، بِأَرْضٍ عالِمُها مُلْجَمٌ ، وجاهِلُها مُكْرَمٌ .

اللغة

(الفتن) جمع الفتنة وهي الحيرة و منه بأيكم المفتون و إعجابك بالشيء

والضّلال والاثم والكفر والفضيحة والعذاب ، و إذابة الذّهب والفضّة . والاضلال والجنون والمحنة والمال و اختلاف النّاس في الآرآء و أكثر المعاني مناسب للمقام و (انجذم) انقطع و (الزّعزعة) تحريك الرّيح الشّجرة. و تزعزع تحرّك و (السواري) جمع السّارية وهي الاسطوانة و (النجر) بفتح النّون كالنّجار و النّجار بالكسر والضمّ الأصل و (الخامل) السّاقط يقال خمل الرّجل خمولاً من باب قعد فهو خامل أى ساقط لانباهة له مأخوذ من خمل المنزل إذا عفا و درس و (انهارت) اى سقطت و (الدّعائم) جمع الدعامة بالكسر ما يستند إليه الحائط و نحوه إذا مال و يمنعه من السّقوط و (التّنكر) التغير عن حال تسرك إلى حال تكرهها و (المعالم) جمع معلم كمقعد مظنة الشّيء و ما يستدلّ به عليه و (الشّرك) من الطريق بضمّتين جواده أو الطرق التي لاتخفى عليك ولا تستجمع لك مفردها شركة و (المناهل) جمع المنهل و هو المشرب و (الدّوس) الوطيء بالرّجل و (السّنابك) جمع السنبك طرف الحافر و (التّايهون) جمع التّايه و هو الضّال و(السّهود) كالسّهد الأرق.

الاعراب

قوله عليه السلام : والنّاس في فتن ، يحتمل أن يكون الجملة حالية و العامل أرسله و هو الأظهر و يحتمل أن يكون استينافيّة والنّاس مرفوع بالابتداء ، وفي فتن متعلّق بمقدر خبر له ، و قوله عليه السلام في فتن داستهم ، يحتمل أن يكون متعلّقا بقوله : سارت أعلامه و قام لواؤه ، و يحتمل أن يكون خبرا بعد خبر للنّاس ، و قوله : فهم الفاء تفريعية ، و قوله : في خير دار يحتمل أن يكون الجار متعلّقا بقوله: مفتونون أو ما قبله من الأوصاف ، و يحتمل أن يكون خبرا ثالثا للنّاس ، و قوله : بأرض عالمها ملجم يحتمل أن يكون متعلّقا بما تعلّق به قوله في خير دار ، و يحتمل أن يكون خبراً رابعاً .

المعنى

اعلم أنك قدعرفت أنّ الجملة أعني قوله عليه السلام (والنّاس في فتن) يحتمل أن يكون حالية و على ذلك فالمراد بالنّاس هو أهل زمان البعثة والمراد بالفتن فتن

العرب في الجاهلية ، و يحتمل أن يكون مستأنفة و عليه فالجملة مسوقة لذمّ أحوال أهل زمانه ﷺ فيكون المراد بالفتن فتن بني اميّة و معاوية عليه الهاوية و على الاحتمال الأوّل فمعناه أنّه سبحانه أرسل النبيّ ﷺ و بعثه و الحال أنّ النّاس يومئذ كانوا في ضلالات و تشتت آراء ، و اختلاف أهوآء (انجذم) أى انقطع(فيها) أى في تلك الفتن (حبل الدّين) و انفصمت عروة الشّرع المبين و تشبيهه الدّين بالحبل من جهة أنّ المعتصم به مأمون إذ هو حبل الله سبحانه وقد أمر الله بالاعتصام به حيث قال :

« يا أيُّها ٱلّذينَ آمَنُوا اتّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاّ وَأنتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا»

أى تمسكوا بدين الله أو بالقرآن أو بأهل البيت عليهم السّلام كما في الأخبار الكثيرة ، قال في الكشّاف عند تفسير الآية قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلات لاستظهاره به و وثوقه بحمايته بامساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه ، و أن يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحاً لاستعارة الحبل بما يناسبه ، والمعنى و اجتمعوا على استعانتكم بالله و وثوقكم به ولاتفرّقوا عنه أو و اجتمعوا على التّمسك بعهده إلى عباده و هو الايمان والطاعة أو بكتابه لقوله ﷺ : القرآن حبل الله المتين لاتنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرّد من قال به صدق و من عمل به رشد و من اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم انتهى .

و بالجملة الدّين هو حبل الله المتين ، و ذكر الانجذام من قبيل ترشيه التشبيه والمراد بذلك الانجذام هو انحراف الخلق عن الحقّ و عدم تمسكهم به و عدولهم عن سوآء السّبيل (و تزعزعت) أى تحرّكت و اضطربت (سوارى اليقين) أى دعائمه و اسطواناته ، والمراد باليقين هو الحق والعقايد اليقينية واضطراب دعائمه كناية عن عدم استقامة النّاس عليه و تزلزل عقايدهم ، أو كناية عن موت أهل الدّين الذين كان

بهم قوامه و انقراض العاملين الذين لم يأخذهم في الله لومة لائم (و اختلف النّجر) أى الاصل الجامع للخلق وهي الفطرة التي فطر النّاس عليها(و تشتت الأمر)أى تفرق أمر الدين بتفرق الأهوآء و تشتت الآراء (و ضاق) للخلق بعد تورّطهم في فتن الشّبهات و اقتحامهم في الهلكات (المخرج) منها (وعمى) عليهم (المصدر) أى طريق الصّدور عنها والخلاص منها.

و إسناد العمى إلى المصدر من باب المجاز العقلي والاسناد إلى المحلّ إذ العمى في الحقيقة صفة البصر والمراد به هنا فقد البصيرة تشبيهاً للمعقول بالمحسوس فكما أنّ فاقد البصر لايهتدى إلى مقاصده المدركة بحسّ البصر فكذلك انتفآء البصيرة يوجب الضّلالة عن طريق الحقّ والعجز عن الوصول إلى الواقع (فالهدى خامل) أى أعلام الهداية بينهم حال عماهم عن المصدر ساقطة و مندرسة و أنوار الدراية منكسفة و منطمسة (و) رين (العمى شامل) عليهم أى غشاوة الضّلالة محيطة بقلوبهم فهم مشتركون في تورّط الشّبهات مغتمرون في ظلم الجهالات (عصي الرّحمن) بخمول الهدى (و نصر الشيطان) بشمول العمى و اتّباع الهوى (و خذل الايمان) بانفصام عروته الوثقى.

(ف) لأجل خذلانه و اضطراب قواعده و أركانه (انهارت دعائمه) وسقطت سواريه (وتنكرت معالمه) و تغيرت آثاره و دعائم الايمان ومعالمه كنايتان عن حملة الدين و دعاة الحقّ، وانهيارهم كناية عن عدمهم أو عدم قبول قولهم، و تنكرهم إشارة إلى عدم معرفة الخلق لهم لقلتهم (و درست سبله) و طرقه (وعفت شركه) و جوادة فلم يبق له سبيل يوصل اليه ولا جادّة سالكة اليه ، و هذا كله مبالغة في ضعف الايمان و وهن الدّين(أطاعوا الشيطان) بمخالفة الاوامر والنّواهي و إتيان المعاصي والمناهي (فسلكوا مسالكه) و اتّبعوا آثاره (و وردوا مناهله) و شربوا من عيون ضلالته (بهم سارت أعلامه وقام لواؤه) و قوى شوكته واستحكم خبائله حيث كانوا من جنوده معاونين له شركآء معه ساعين في إطفآء نور الهداية و إعلاء لواء الضلالة

(في فتن) والظاهر أنّ المراد بهذه الفتن غير ماسبق أوّلا (١) إذالنكرة إذا اعيدت كانت غير الأولى ، و على تقدير تعلقه بقوله سارت فالمغايرة أظهر ، و شبّه ﷺ هذه الفتن بأنواع الحيوان فاستعارلها أخفافا و أظلافا و حوافر و قال (داستهم) أى وطأتهم (بأخفافها ، و وطأتهم بأظلافها ، و قامت على سنابكها) أى أطراف حوافرها .

قال الشّارح البحراني و يحتمل أن يكون هناك إضمار ، أى داستهم بأخفاف إبلها و وطأتهم بأظلاف بقرها و قامت على سنابك خيلها ، فحذف المضاف و اقيم المضاف إليه مقامه وحينئذ يكون التّجوز في نسبة الوطى والدّوس والقيام إليها فقط و هو المجاز في الاسناد .

و كيف كان (فهم فيها) أى في هذه الفتن (تائهون) ضالون عن القصد(حايرن) متحيرون في أن الصّواب في أىّ جهة مالهم (٢) قبلة ولادبرة (جاهلون) غير عالمين بالحقّ ، مفتونون بالفتن العمياء الصّماء(٣)(في خيردار) و هو مكّة زادهاالله شرفا (وشرّ جيران) يعنى قريشاً.

قال الشّارح المعتزلي و هذا لفظ النبيّ ﷺ حين حكى بالمدينة حالة كانت في مبدء البعثة ، فقال : كنت في خير دار و شرّ جيران (نومهم سهود ، و كحلهم دموع) صفتان للجيران ، قال المعتزلي : هو مثل أن يقول جودهم بخل و أمنهم خوف ، أى لو امتنّهم محمد ﷺ النّوم لجادوا عليه بالسّهود عوضا عنه ، و لو استجداهم الكحل لكان كحلهم الذي يصلونه به الدّموع (بأرض عالمها) أى العارف بصدق محمد ﷺ والمؤمن به (ملجم) بلجام الخوف والتّقية (وجاهلها) أى الجاحد لنبوّته والمنكر له (مكرم) بكرامة العزّ والمكنة.

١- من قوله والناس فى فتن،منه

٢- يقال ماله قبله ولادبرة اى لايهتد الى جهةامره قاموس،

٣- يقال فتنة عمياء صمآء اى لايرى منهامخرجا او المراد بهاصاحبها يقع فيها على غير بصيرة فيعمون فيها ويصمون عن تامل الحق واستماع النصح، مجمع البحرين

استدراك

كلّ ما ذكرناه في معنى هذا الفصل قد أشرنا سابقا إلى أنّه مبنيّ على كون قوله: والنّاس في فتن جملة حاليّة مسوقة لبيان حال ابتداء البعثة، و أمّا على الاحتمال الآخر، و هو كونه جملة استينافية مسوقة لبيان حال أهل زمانه حسبما استظهره جمع من الشّراح و منهم الشّارح البحراني حيث قال: و اعلم أنّ الذي يتبادر إلى الذّهن أنّ هذا القدر الذي أورده السّيد من هذه الخطبة فصول ملفقة ليست على نظامها التي خرجت عليه مع ما يفهم من ساير عباراته أيضاً فيكون المراد بالفتن الفتن الحادثة بعد زمن النبيّ صلّى الله عليه و آله وهي فتن معاوية و أصحاب الجمل و غيرها.

و على هذا الاحتمال فالمراد بالدّين في قوله حبل الدّين دين النبيّ صلّى الله عليه و آله، و بالنّجر هو الفطرة الاصليّة التي كانت متّفقا عليها بوجود الرّسول و اختلفت بعده فسلك كلّ فرقة مسلكا غير مسلك الفرقة الأخرى، و بقوله: أطاعوا الشّيطان الاطاعة له بعده لهم عن الحقّ و بغيهم عليه عليه السّلام و خروجهم إلى حربه و قتالهم معه عليه السّلام، و بقوله: تائهون حايرون، أنّهم متردّدون في أنّ الحقّ مع عليّ عليه السّلام أم مع غيره.

و قوله: في خير دار و شرّ جيران اختلف فيه الشّارحون، فقال الرّاوندي على ما حكاه عنه في شرح المعتزلي: إنّ خير دار الكوفة وقيل الشّام لأنّها الأرض المقدّسة و أهلها شرّ جيران يعني أصحاب معاوية و على التفسير الأوّل يعني أصحابه قال: و قوله: نومهم سهود يعني أصحاب معاوية لا ينامون طول اللّيل بل يرتبون أمره و إن كان وصفا لاصحابه بالكوفة و هو الأقرب، فالمعنى أنّهم خائفون يسهرون و يبكون لقلّة موافقتهم إيّاه و هذا شكاية منه عليه السّلام لهم، وكحلهم دموع: أى نفاقا فانّه إذا تمّ نفاق المرء ملك عينيه. و الأقوال الأخر مفصّلة في شرح البحراني فلتطلب منه.

الترجمة

حق سبحانه و تعالى ارسال فرمود حضرت رسالت پناه صلوات الله عليه و آله را

و حال آنکه مردمان افتاده بودند در فتنه های جاهلیت از کفر و ضلالت و تفرق رأی ها و اختلاف خواهشات، چنان فتنه هائی که بریده شده بود در آن فتنه‌ها ریسمان متین دین مبین، و مضطرب شده بود ستون های یقین، و مختلف شده بود اصل دین ایشان؛ و متفرق گشته بود کار اسلام و ایمان، و تنگ شده بود برایشان محل خارج شدن از آن فتنه‌ها، و کور شده بود بر آنها محل مراجعت از آنها، پس نور هدایت در میان ایشان خاموش است، و کوری بر همهٔ ایشان عام و شامل است، معصیت کرده شده است خداوند ودود، و یاری داده شده است ابلیس مطرود، و خوار گذاشته شده است ایمان و طاعت حضرت معبود، پس سرنگون شد ستونهای ایمان، و تغییر یافت آثار آن، پس محو شد راه های آن، و زایل گشت جاده‌های آن، اطاعت و فرمانبرداری کردند شیطانرا، پس رفتند درراههاي ضلالت آن و آشامیدند از چشمه‌های شقاوت آن، به اعانهٔ ایشان سیر نمود علم های آن و راست ایستاد رایت کفر آیت آن؛ در فتنه هائی که پایمال کرد ایشانرا با پاپوش های خود همچو شتران، و لگدکوب کرد ایشانرا با ناخن های خود مثل گاوها، و راست ایستاد بر آنها بر طرف سم های خود مثل اسبها، پس ایشان در آنفتنه‌ها سرگردانند متحیرانند نا دانانند فریفته گانند، در بهترین سرا که مکه معظمه است و بدترین همسایه‌ها که کفار قریش است، همچنان همسایه‌هائی که خواب ایشان بیخوابی است، و سرمهٔ ایشان اشکهاي جاریست، در زمینی که داناي آن لجام کرده شده است با لجام خوف و خشیت، و نادان آن اکرام کرده شده است به انواع عزت و کرامت.

الفصل الرابع منها و يعنى آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم

وَهُمْ مَوضِعُ سِرِّهِ، و لَجاءُ أمرِهِ، و عَيْبَةُ عِلْمِهِ، ومَوْئِلُ حُكْمِهِ، وكُهُوفُ كُتُبِهِ،وجِبالُ دِينِهِ، بِهِم أقامَ انحِناءَ ظَهرِهِ، وأذهَبَ ارتِعادَ فرائِصِهِ.

اللغة

(اللّجاء) محرّكة كالملجاء الملاذ من لجأ إليه كمنع و فرح لاذ و (العيبة) ما يجعل فيه الثّياب و من الرّجل موضع سرّه و (الموئل) المنجأ من وئل إليه يئل وئلا ووؤلا و وئيلا و وائل موائلة ووئالا لجأ و خلص و (الكهف) غار واسع في الجبل فان كان صغيراً قيل له الغار والبيت المنقور في الجبل، و فلان كهف لأنّه يلجأ إليه كالبيت على الاستعارةو (الانحناء) الاعوجاج و (الارتعاد) الاضطراب و(الفرايص)جمع الفريصة وهي اللحمة بين الجنب والكتف لاتزال ترتعد.

الاعراب

الضمائر الثمانية راجعة إلى محمد صلى الله عليه و آله كما مرّ ذكره في أوايل الخطبة، و هذا هو الأظهر بقرينةالمقام والاوفق بنسق أجزآءالكلام، و استبعاده في كتبهلاوجه له بعد امكان التّأويل القريبحسبما نشير إليه.

وقيل: برجوع الجميع إليهإلاّ الأخيرين فانّهما راجعان إلى الدّين و هوغير بعيد بل أنسب معنى.

و قيل: إنّ الجميع راجع إليه إلاّ في كتبه،

و قيل: برجوع الجميع إلى الله إلاّ الأخيرين فانّهما للنبيّ صلى الله عليه و آله، وهذان و إن كانا سالمين عن التّأويل إلاّ أنّ فيهما خروج الكلام عن النّسق كمافيالسابق عليهما وهو ظاهر.

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام قد وصف آل محمد عليهم السّلام بثمانية أوصاف إشارة إلىعلوّ مقامهم و سموّ مكانهم و رفعة درجاتهم وعظمة شئوناتهم، و المراد بآله صلى الله عليه و آله هم

الأئمة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين حسبما تعرفه مفصّلا إن شآء الله في موقعه المناسب.

و من العجب العجاب أن الشّارح البحراني (ره) جعل الأمور المذكورة أوصافاً لأهل النبيّ صلى الله عليه وآله الأدنين من بني هاشم كالعبّاس و حمزة و جعفر وعليّ ابن أبيطالب عليهم السلام

أقول: أمّا عليّ عليه السلام فمسلّم و أمّا العبّاس و حمزة و جعفر و نظراؤهم من ساير بني هاشم فأين لهم قابليّة لحفظ سرّ الله أم أنّى لهم استعداد لأن يكونوا لجآء أمر الله أم كيف لهم الاحاطة بكتب الله بل القابل لها و لساير الأوصاف المذكورة إنّما هو آل الله و آل رسوله سلام الله عليه و عليهم الذين هم العروة الوثقى و منار الهدى وأعلام التقى و كهف الورى ،وهم الملجأ والمنجى.

و بالجملة فاول الاوصاف المذكورة

ما أشار عليه السلام إليه بقوله: (هم موضع سرّه) والمراد بالسرّ علم لايجوز إظهاره للعموم، والأئمة عليهم السلام موضعه و مأواه و مستقرّه و مقامه و خزّانه و حفّاظه لايظهرونه أو لايظهرون منه إلا ما يحتمل على من يتحمل إذ العموم لايقدر على تحمل أسرار الله سبحانه ، و لذلك قال عليّ بن الحسين عليهما السّلام : لوعلم أبوذر مافي قلب سلمان لقتله .

و في البحار من كتاب السّيد حسن بن كبش باسناده عن أبي بصير قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : يا أبا محمد انّا «إنّ ظ» عندنا سرّاً من سرّ الله وعلماً من علم الله لايحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان والله ما كلّف الله أحداً ذلك الحمل غيرنا ، ولا استبعد بذلك أحداً غيرنا و إنّ عندنا سرّاً من سرّ الله وعلما من علم الله أمرنا الله بتبليغه فبلغنا عن الله عزّ وجلّ ما أمرنا بتبليغه ما «فلم خ ل» نجد له موضعاً ولا أهلا ولا حمّالة (١) يحملونه حتى خلق

١ـ الظاهر ان الحمالة بتشديد الميم من صيغ المبالغة والتاء للمبالغة كعلامة او للتا نيث بتقدير موصوف مؤنث اى طايفة حملة ثم القابل لذلك العلم باعتبار انه يوضع فيه يسمى موضعا و باعتبار انه مستعد لقبوله يسمى اهلا و باعتبار انه يتحمله يسمى حمالة فهي بالذات واحد و بالاعتبار مختلف، صالح المازندراني

الله لذلك أقواماً خلقوا من طينة خلق منها محمد صلى الله عليه وآله و ذريته و من نور خلق الله منه محمداً و ذريته و صنعهم بفضل صنع رحمته التي منها محمداً و ذريته ، وآله خل، فبلغناهم عن الله عز وجلّ ما أمرنا بتبليغه فقبلوه و احتملوا ذلك عنّا فقبلوه واحتملوه و بلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا و حديثنا فلولا أنّهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك ولاوالله ما احتملوه .

ثمّ قال عليه السلام إنّ الله خلق قوماً «أقواماً خل» لجهنم والنّار ، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم فاشمأزّوا من ذلك و نفرت قلوبهم و ردّوه علينا ولم يحتملوه وكذّبوا به وقالوا : ساحر كذّاب فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك ، ثمّ أطلق الله لسانهم ببعض الحقّ فهم ينطقون به و قلوبهم منكرة ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه و أهل طاعته ولولا ذلك ما عبدالله في أرضه فأمرنا الله بالكفّ عنهم والكتمان منهم فاكتموا ممّن أمرالله بالكفّ عنهم و استروا عمّن أمرالله بالسّتر والكتمان منهم .

قال : ثمّ رفع عليه السلام يده و بكى ، و قال: اللّهم إنّ هؤلاء لشر ذمة قليلون فاجعل محياهم محيانا و مماتهم مما تنا، ولا تسلّط عليهم عدوّاً لك فتفجعنابهم ، فانّك إن فجعتنابهم لم تعبدأبداً في أرضك، و رواه في الكافي عن أبي بصير مثله.

أقول : و بهذه الرّواية يحصل الجمع بين قولهم عليهم السلام: إنّ حديثنا صعب مستصعب لايحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، و بين الخبر الخالي عن الاستثناء، فانّ الثّاني محمول على السّر المختصّ بهم عليهم السلام الذي لايحتمله أحد غيرهم ، والأوّل محمول على السّر الذي هو أدنى من ذلك . و هو السّر الذي تقدّم إليهم النّص من الله سبحانه لاظهاره لبعض خواصهم على مراتب استعدادهم ، و هو الذي أشار إليه الصّادق عليه السلام بقوله : لو علم أبوذر ما في قلب سلمان اه ، فانّ أباذر لا استعداد له على احتمال السّر الذي احتمله سلمان، وكذلك كميل بن زياد مع كونه من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام لايحتمل ما احتمله أبوذر (ره) ، فهو و إن كان صاحب سرّه عليه السلام لكن بالنّسبة إلى غيره من ساير

النّاس، و لذلك أنّه بعد ما سئل عنه ﷺ عن الحقيقة و أجاب عليه السلام بقوله: مالك والحقيقة، قال: أولست صاحب سرّك؟ فلم يقرّره ﷺ على عموم ما ادّعاه، بل أجاب بقوله ﷺ: بلى ولكن (١) يترشح عليك ما يطفح منّي، فانّ استدراكه عليه السلام بقوله: ولكن اه، إشارة إلى أنّ مايظهره من السّر عليه من قبيل نداوة الطفحان(٢) و رشحته الفايضة من جوانبه، و أنّه ليس صاحب السّر على نحو العموم.

و بالجملة فقد وضح و ظهر ممّا ذكرنا أنّ أسرار الله سبحانه هي علوم لايجوز إظهار ما جاز إظهارها منها إلاّ للكمّل على اقتضاء مراتب الاستعداد.

وقد روى في الخرايج باسناده عن عبدالرّحمان بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أتى الحسين عليه السلام ناس فقالوا له: يا أباعبدالله حدّثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنكم لاتحتملونه ولا تطيقونه، قالوا: بلى نحتمل، قال: إن كنتم صادقين فليتنحّ اثنان و أحدّث واحداً فان احتمله حدّثتكم، فتنحّى اثنان وحدّث واحداً فقام طاير العقل ومرّ على وجهه و ذهب، و كلّمه صاحباه فلم يردّ عليهما شيئاً و انصرفوا.

و فيه بالاسناد المذكور قال أتى رجل الحسين بن عليّ عليهما السّلام فقال: حدّثني بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنّك لن تطيق حمله، قال: بل حدّثني يابن رسول الله إنّي أحتمله، فحدّثه بحديث فما فرغ الحسين ﷺ من حديثه حتّى ابيضّ رأس الرّجل و لحيته و أنسى الحديث، فقال الحسين عليه السلام أدركته رحمة الله حيث أنسى الحديث.

و في البحار من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من كتاب ابن شريفة الواسطي يرفعه إلى ميثم التّمار، قال: بينما أنا في السّوق إذ أتى أصبغ بن نباتة فقال:

١- گفت صاحب سر من هستى ولكن چون ديك سينه من بجوش آيد آنچه از سر مى ريزد ترا معلوم شود، مجالس

٢- طفح الانا، كمنع طفحا وطفوحا امتلا، وارتفع وطفحه وطفحه واطفحه ومنه سكران طافح والمطفحة مغرفة تاخذ طفاحة القدر اى زبدها وقد اطفح القدر كافعل وانا طفحان يفيض من جوانبه قاموس منه.

و يحك يا ميثم لقد سمعت من أميرالمؤمنين عليه السلام حديثا صعباً شديداً ، قلت : وماهو؟ قال : سمعته يقول : إنّ حديث أهل البيت صعب مستصعب لايحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أوعبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، فقمت من فورتي فأتيت عليّاً عليه السلام فقلت : يا أميرالمؤمنين حديث أخبرني به أصبغ عنك قدضقت به ذرعاً ، فقال عليه السلام : ما هو ؟ فأخبرته به ، فتبسّم ثمّ قال : اجلس يا ميثم ، أو كلّ علم يحتمله عالم؟ إنّ الله تعالى قال للملائكة :

«إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ»

فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم ؟ قال : قلت : و إنّ هذا أعظم من ذلك ، قال : والاخرى إنّ موسى بن عمران أنزل الله عليه التّوراة فظنّ أن لا أحد أعلم منه فأخبره أنّ في خلقه أعلم منه ، و ذلك إذ خاف على نبيّه العجب ؟ قال : فدعا ربّه أن يرشده إلى العالم ، قال : فجمع الله بينه وبين الخضر عليهما السّلام، فخرق السفينة فلم يحتمل ذلك موسى، وقتل الغلام فلم يحتمله، و أقام الجدار فلم يحتمله.

و أمّا النبيّون فانّ نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم أخذ يوم غدير خم بيدي فقال : اللّهمّ من كنت مولاه فعليّ مولاه ، فهل رأيت أحداً احتمل ذلك إلاّ من عصم الله منهم، فابشروا ثمّ ابشروا فقد خصّكم بما لم يخصّ به الملائكة والنبيّين والمرسلين فما احتملتم ذلك في أمر رسول الله وعلمه فحدّثوا عن فضلنا ولا حرج ولاعظيم أمرنا ولا اثم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : امرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب النّاس على قدر عقولهم.

قال المحدّث المجلسي (ره) بعد ذكر الحديث : لعلّ المراد بآخر الخبر أنّ كلّما رويتم في فضلنا دون درجتنا ، لأنّا نكلم النّاس على قدر عقولهم، أوالمعنى أنّا كلّفنا بذلك ولم تكلّفوا بذلك فقولوا في فضلنا ما شئتم وهو بعيد.

الثاني

ما نبّه عليه بقوله : (ولجأ أمره) قال البحراني وأشار بكونهم عليهم السلام ملجأ

أمره إلى أنّهم النّاصرون له والقائمون بأوامر الله والذابّون عن الدّين فاليهم يلتجى و بهم يقوم سلطانه.

أقول : المستفاد من ظاهر كلامه أنّ المراد بالأمر هو الامور الدّينيّة وأنّهم ملجاء لنفس الأوامر ، والأظهر الأقوى عندي أن المراد أنّهم لجاء للعباد في الأوامر الدّينيّة بمعنى أنّ الخلق إذا تنازعوا في شيء منها و عجزوا فيها عن النّيل إلى الواقع فهم الملجأ والملاذ، لأنّهم اولوا الأمر قال تعالى:

« يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و الرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً »

قال عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره : حدّثني أبي عن حمّاد عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام قال : نزل فان تنازعتم في شيء فارجعوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى اولي الأمر منكم.

و هو يدلّ على أن المنزل فارجعوه مكان فردّوه، و يحتمل أن يكون تفسيراً له و يدلّ أيضاً على أنّ الموجود في مصحفهم قول و إلى أُولي الأمر منكم، و على ذلك فالآية صريحة في الدّلالة على المطلوب من ردّ الامور الدّينيّة التي اختلف فيها إلى كتاب الله وإلى رسوله والأئمة عليهم السّلام

و أمّا على ما هو الموجود في هذه المصاحف التي بأيدينا فالدّلالة أيضاً غير خفيّة على مذهبنا لأنّ الرّد إلى الأئمة القائمين مقام رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته هو مثل الرّد إلى الرّسول في حياته، لأنهم الحافظون لشريعته والخلفآء في امّته فجروا مجراه فيه ، و مثلها قوله تعالى :

« و لو ردّوه إلى الرّسول و إلى أولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم »

روى في البحار من تفسير العياشي عن عبدالله بن عجلان عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الآية، قال: هم الأئمة عليهم السلام.

وعن عبدالله بن جندب قال كتب إليّ أبوالحسن الرّضا عليه السلام : ذكرت رحمك الله هؤلاء القوم الذين وصفت انهم كانوا بالأمس لكم إخواناً والذي صاروا إليه من الخلاف لكم والعداوة لكم والبرائة منكم والذي تأفكوا(١) به من حيات أبي صلوات الله عليه و رحمته ، و ذكر في آخر الكتاب انّ هؤلاء القوم سنح لهم شيطان اغترّهم بالشّبهة و لبّس عليهم أمر دينهم ، و ذلك لماظهرت فرينهم واتّفقت كلمتهم ونقموا على عالمهم و أرادوا الهدى من تلقآء أنفسهم فقالوا : لم (٢) و من و كيف، فأتاهم الهلاك من مأمن احتياطهم، و ذلك بماكسبت أيديهم و ما ربك بظلاّم للعبيد ، ولم يكن ذلك لهم ولا عليهم ، بل كان الفرض عليهم و الواجب لهم من ذلك الوقوف عند التحيّر ورد ما جهلوا من ذلك الى عالمه و مستنبطه ، لأنّ الله يقول في محكم كتابه:

« وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ ».

يعني آل محمد عليهم السّلام ، وهم الذين يستنبطون من القرآن و يعرفون الحلال والحرام وهم الحجّة لله على خلقه هذا.

وقد ظهر ممّا ذكر أنّ الأئمة عليهم السّلام هم ولاة الأمر و أنّهم المقصودون بأولي الأمر في الآيتين ، أمّا الآية الثّانية فلما ذكرنا ، و أمّا الآية الأولى فللأخبار المستفيضة .

أمّا الأخبار فمنها ما رواه في البحار عن تفسير فرات بن ابراهيم عن عبيد

١ـ اى تكلفوا الافك والكذب بسببه ، منه

٢ـ اى لم حكمتم بموت الكاظم (ع) و من الامام بعده و كيف حكمتم بكون الرضا (ع) اماما بعده، بحارالانوار

ابن كثير معنعناً أنّه سأل جعفر بن محمد عليهما السّلام عن قول الله :

« أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم »

قال : اولى الفقه والعلم ، قلنا : أخاصّ أم عامّ ؟ قال عليه السلام : بل خاصّ لنا .

و في الكافي عن جابر الجعفي قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية ، قال : الأوصياء ،

و فيه أيضاً عن بريد العجلي قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عزّ ذكره:

« إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل ».

فقال عليه السلام : إيّانا عنى أن يؤدّ الأوّل إلى الامام الّذي بعده الكتب و العلم و السّلاح ، و إذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل الذي في أيديكم ، ثمّ قال للنّاس :

« يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم ».

ايّانا عنى خاصّة أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا فان خفتم تنازعاً في أمر فردّوه إلى الله وإلى الرسول و إلى أولي الأمر منكم، كذا نزلت وكيف يأمرهم الله عزّ وجلّ بطاعة ولاة الأمر و يرخص منازعتهم إنّما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم : أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و أولي الأمر منكم ، و الأخبار في هذا الباب كثيرة لاتحصى.

و أمّا دليل العقل فلأنّه سبحانه أمر بوجوب طاعة أولي الأمر على نحو العموم (١) فلابدّ من كونه معصوماً وإلاّ لزم أن يكون تعالى قد أمر بالقبيح لانّ من

١ــ و ذلك لانه سبحانه أطلق الامر بطاعتهم ولم يخص شيئا من شيء، اذلو اراد خاصا لبينه و في فقد البيان منه تعالى دليل على ارادة العموم كما هو واضح،منه

ليس بمعصوم لايؤمن صدور القبيح عنه ، فاذا وقع كان الاقتداء به قبيحاً والمعصوم بعد الرسول ﷺ منحصر باجماع الامة في الأئمة ، و سيأتي تمام الكلام في هذا المقام في مقدمات الخطبة الشقشقية إنشاء الله هذا .

و يحتمل أن يكون المراد بالأمر في قوله ﷺ : و لجاء أمره ، الأعم من الأمور الدينية، و ربما فسر به فى الآيتين أيضاً، فالمراد به على ذلك جميع الأمور المقدرة المشار إليها في قوله سبحانه :

« تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » وفي قوله: « فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » .

وقد مضى في الفصل التاسع من فصول الخطبة الأولى في شرح قوله ﷺ : ومختلفون بقضائه و أمره ، مايوجب زيادة البصيرة في المقام ، وقد مضى هناك في رواية الكافي عن الباقر ﷺ أنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأمور سنة سنة يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا و كذا وفي أمر الناس بكذا و كذا، إلى آخر مامر هناك ، وهذا الاحتمال أقرب بالنظر إلى عموم وظيفتهم عليهم السلام

الثالث

ما أشار عليه السلام اليه بقوله: (وعيبة علمه) يعني أن علمه مودع عندهم كالثياب النفيسة المودعة في العيبة ، و تشبيههم بالعيبة من حيث إنهم كانوا حافظين وصائنين له عن الضياعة والاندراس حسن الاستعارة بالعيبة الحافظة للباس عن الأدناس.

قال البحراني و كونهم عيبة علمه مرادف لكونهم موضع سره ، إذ يقال في العرف فلان عيبة العلم إذا كان موضع أسراره.

وأقول أما تراد فهما في اللغة والعرف فقد صرح به بعض اللغويين أيضاً،ولكن الظاهر أن السر أخص من العلم، لما قد عرفت سابقا من أن السر هو العلم الذي يكتم وقد صرح به غير واحد من اللغويين و هو المتبادر منه أيضاً ، فيكون حقيقة فيه وعلى

هذا فيكون العلم أعمّ منه وهو الأنسب بالمقام أيضاً من حيث أنّ التأسيس أولى من التأكيد.

و كيف كان فلاغبار على أنّ علم الله وعلم رسوله المتلقّى منه سبحانه مودع عندهم وهم الحافظون له، ويدل عليه الأخبار المتواترة القطعية.

منها مارواه في الكافي باسناده عن يونس بن رباط قال: دخلت أنا و كامل التمار على أبيعبدالله عليه السلام، فقال له كامل: جعلت فداك حديث رواه فلان، فقال: اذكره، فقال: حدّثني أن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم حدث علياً عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ باب يفتح له ألف باب فذلك ألف ألف باب، فقال لقد كان ذلك، قلت جعلت فداك فظهر ذلك لشيعتكم ومواليكم؟ فقال عليه السلام: يا كامل باب أو بابان، فقلت له جعلت فداك فمايروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا باب أو بابان؟ قال: فقال: وما عسيتم أن ترووا من فضلنا ماتروون من فضلنا إلا ألفاً غير معطوفة.

وفي البحار من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من نوادر الحكمة يرفعه إلى أبي بصير قال: كنت عند أبيعبدالله عليه السلام فدخل عليه المفضّل بن عمر فقال: مسألة يابن رسول الله، فقال عليه السلام: سل يا مفضّل، قال: ما منتهى علم العالم؟ قال عليه السلام: قد سألت جسيما ولقد سألت عظيماً ماالسّماء الدّنيا في السّماء الثّانية إلّا كحلقة درع ملقاة في أرض فلاة، وكذلك كلّ سماء عند سماء أخرى، وكذلك السّماء السّابعة عند الظلمة، ولاالظلمة عند النّور ولاذلك كله في الهواء، و كذلك الأرضين بعضها في بعض ولامثل ذلك كلّه في علم العالم يعني الامام إلّا مثل مدّ من خردل دققته دقّاً ثمّ ضربته بالماء «ثم خ» حتّى إذا اختلط ورغا(١) اظهر اخذت منه لعقة (٢) باصبعك، ولا علم العالم في علم الله إلّا مثل حبة من خردل دققته دقا ثمّ ضربته بالماء حتّى إذا اختلط ورغا انتهزت منه(٣) برأس ابرة نهزة ثمّ قال عليه السلام: يكفيك من هذا البيان بأقلّه و أنت

١ــ رغوة اللبن زبده ورغا وارغاورغاورغاصارت له رغوة، قاموس اللغة

٢ــ لعقته لعقة من باب تعب لعقا مثل فلس اكلته باصبع واللعقة بالفتح المرة و بالضم اسم لمايلعق بالاصبع، مصباح اللغة

٣ــ تناولت منه

بأخبار الموت تصيب.

و من كتاب المحتضر أيضاً نقلا من كتاب الأربعين رواية سعد الأوبلي عن عمار ابن خالد عن اسحاق الأزرق عن عبدالملك بن سليمان قال: وجد في ذخيرة أحد حواري المسيح رقّ مكتوب بالقلم السّرياني منقولا من التّوراة و ذلك لما تشاجر موسى والخضر عليهما السّلام في قضيّة السّفينة و الغلام و الجدار و رجع موسى إلى قومه سأل أخوه هارون عمّا استعمله من الخضر وشاهد من عجايب البحر.

قال بينما أنا والخضر على شاطئ البحر اذ سقط بين أيدينا طائر أخذ في منقاره قطرة من مآء البحر ورمى بها نحو المشرق، ثمّ أخذ ثانية ورمى بها نحو المغرب، ثمّ أخذ ثالثة ورمى بها نحو السّمآء، ثمّ أخذ رابعة ورمى بها نحو الأرض، ثمّ أخذ خامسة و ألقاها في البحر فبهت الخضر و أنا، قال موسى: فسألت الخضر عن ذلك فلم يجب، و إذا نحن بصيّاد يصطاد فنظر إلينا و قال: ما أريكما في فكر وتعجّب، فقلنا: في أمر الطائر، فقال: أنا رجل صيّاد وقد علمت إشارته و أنتما نبيّان لا تعلمان، قلنا: ما نعلم إلاّ ما علّمنا الله عزّ وجلّ، قال: هذا طاير في البحر يسمّى مسلم، لأنّه إذا صاح يقول في صياحه مسلم، و أشار بذلك إلى انّه يأتي في آخر الزّمان نبيّ يكون علم أهل المشرق والمغرب و أهل السّمآء والأرض عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في البحر، و يرث علمه ابن عمّه ووصيّه، فسكن ما كنا فيه من المشاجرة واستقلّ كلّ واحد منّا علمه، بعد ان كنا به معجبين ومشينا ثمّ غاب الصياد فعلمنا انّه ملك بعثه الله إلينا يعرّفنا بنقصنا حيث ادّعينا الكمال.

أقول: وبهذه الأخبار يعرف المعيار إجمالا لعلومهم عليهم السلام، وفيها كفاية لمن ألقى السّمع و هو شهيد، و أمّا تحقيق كيفيّة هذا العلم وأنّه هل هو على نحو الاحاطة الفعليّة أو الاراديّة فلعلّنا نشير إليه في الموقع المناسب إن شاء الله تعالى.

الرابع

ما أشار ﷺ إليه بقوله: (و موئل حكمه) والمراد بالحكم إمّا الأحكام الشرعية أي خطاب الله المتعلّق بأفعال المكلفين من حيث الاقتضآء أو التّخيير وإمّا

القضاء الرّافع للخصومات ، و على أيّ تقدير فهم موئله و منجاه ، اليهم يلتجى فيه وبهم يحصل الخلاص والنّجاة لأنّ ما عندهم هوالحكم المتلقى من الوحى الا لهي الذيهو مطابق للواقع والواقع مطابق له، و هو كلّه صواب لاريب فيه وهم المرشدون إليه والأدلاّء عليه.

و يشهد به ما في البحار من مجالس المفيد باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : أما أنّه ليس عند أحد من النّاس حقّ ولاصواب إلاّ شيء أخذوه منا أهل البيت، ولا أحد من النّاس يقضي بحقّ وعدل إلاّ و مفتاح ذلك القضاء و بابه و أوّله و سنّته أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فاذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطاء من قبلهم إذا اختطأوا و الصّواب من قبل عليّ بن أبيطالب عليه السلام .

و في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : قال الله عزّ وجلّ في ليلة القدر:

« فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ »

يقول : ينزّل فيها كلّ أمر حكيم والمحكم ليس بشيئين إنّما هو شيء واحد فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ وجلّ ، و من حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت ، و قد مضى بتمامه في الفصل التّاسع من فصول الخطبة الأولى عند شرح قوله و مختلفون بقضائه و أمره فتذكر .

وفي البحار من بصائر الدّرجات عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: اعطيت خصالا ماسبقني إليها أحد ، علمت المنايا والبلايا والانساب و فصل الخطاب.

و عن أبي بصير عن أبيعبدالله عليه السلام قال : يا أبا بصير إنّا أهل بيت اوتينا علم المنايا والبلايا و فصل الخطاب و عرفنا شيعتنا كعرفان الرّجل أهل بيته.

والمراد بفصل الخطاب الحكم الفاصل بين الحقّ والباطل ، أوالمفصول الواضح الدلالة على المقصود ، أو ما كان من خصايصهم من الحكم المخصوص في كلّ واقعة والجوابات المسكتة للخصوم في كلّ مسألة و سيأتي شطر من قضاياه أعني أمير المؤمنين عليه السلام في شرح الخطبة الآتية عند قوله: ويكثر العثار فيها والاعتذار منها.

إذا عرفت ما ذكرناه فنقول : إنّ اللاّزم حينئذ أخذ الأحكام منهم والرّجوع إليهم ولايجوز الاستبداد بالعقول النّاقصة والآراء الفاسدة في الأحكام الشّرعيّة والاعتماد فيها على الاقيسة و الاستحسانات كما حقّقناه في شرح الفصل الحاديعشر من فصول الخطبة الأولى.

وقد قال أبوالحسن عليه السلام فيما رواه في بصائر الدّرجات عن محمّدبن حكيم عنه عليه السلام : إنّما هلك من كان قبلكم بالقياس وإنّ الله تبارك و تعالى لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتّى أكمل له جميع دينه في حلاله وحرامه ، فجائكم بما تحتاجون إليه في حياته و تستغنون به و بأهل بيته بعد موته و أنّها مخبيّة عند أهل بيته حتّى أنّ فيه لأرش الخدش ، ثمّ قال عليه السلام : إنّ أباحنيفة ممّن يقول : قال عليّ عليه السلام وقلت أنا.

و كذلك لايجوز الرّجوع في المرافعات إلى القضاة السّوء فمن رجع اليهم كان بمنزلة الّذين قال الله عزّوجلّ :

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ» الآية.

و يأتي تفصيل حالات هؤلاء القضاة و مايترتّب على الرّجوع إليهم في الكلام السابع عشر والثّامن عشر وشرحهما إن ساعدنا التّوفيق إن شاء الله.

الخامس

ما أشار عليه السلام إليه بقوله : (وكهف كتبه) تشبيههم بالكهف باعتبار أنّهم يلتجى اليهم فيها ، أو أنّهم المأوى لها والحاوون لما فيها كالكهف الذي يحوي من يأوي إليه ، والمراد بالكتب إمّا كتب الله وهو على تقدير رجوع الضّمير فيه إليه سبحانه ،فالمراد بها القرآن و ما انزل قبلها من الصّحف والكتب السّماوية.

أمّا كونهم كهف القرآن و مأويه والحافظين له والعالمين به تأويله و تنزيله

و ظهره و بطنه و بطن بطنه و هكذا إلى سبعة أبطن و كذلك ساير أوصافه من العموم والخصوص والاطلاق والتّقييد والأحكام والتّشابه إلى غير ذلك ، فواضح وقد مضى شطر من الكلام على هذا الباب في التّذييل الثّالث من تذييلات الفصل السّابع عشر من فصول الخطبة الأولى.

و أمّا ساير الكتب السّماوية ففي حديث أبي ذر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قلت : كم كتاباً أنزل ؟ قال صلى الله عليه وآله : مأة كتب و أربعة كتب أُنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى اخنوخ ثلاثين صحيفة ، و على إبراهيم عشر صحايف، وأنزل على موسى قبل التّوراة عشرة صحايف وأُنزلت التوراة والانجيل والزّبور والفرقان و كانت صحف إبراهيم كلها أمثالاً.

و روى في البحار من إرشاد القلوب بالاسناد إلى المفيد يرفعه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام . يا سلمان الويل كلّ الويل لمن لايعرف لنا حقّ معرفتنا و أنكر فضلنا ، يا سلمان إيّما أفضل محمد صلى الله عليه وآله أم سليمان ابن داود عليه السلام ؟ قال سلمان قلت: بلى محمد صلى الله عليه وآله أفضل، فقال : ياسلمان فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس إلى سبا في طرفة عين و عنده علم من الكتاب ولا أفعل أنا ذلك و عندي ألف كتاب الله ، انزل الله على شيث بن آدم خمسين صحيفة ، و علي ادريس ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم الخليل عشرين صحيفة والتوراة والانجيل والزّبور والفرقان ، فقلت: صدقت يا سيّدي، قال الامام عليه السلام : إنّ الشّاك في أمورنا و علومنا كالمستهزىء في معرفتنا أو حقوقنا ، وقد فرض الله ولايتنا في كتابه في غير موضع و بيّن ما أوجب العمل به و هو مكشوف.

و من كتاب التّوحيد عن هشام بن الحكم في خبر طويل قال جاء بريهة جاثليق النّصارى فقال لأبي الحسن عليه السلام : جعلت فداك أنّى لكم التّوراة والانجيل و كتب الأنبيآء ، قال : هي عندنا وراثة من عندهم نقرئها كماقرؤوها ونقولها كما قالوها إنّ الله لايجعل حجّة في أرضه يسأل من شيء يقول : لا أدري الخبر.

و من بصائر الدّرجات باسناده عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا محمد عندنا الصّحف التي قال الله صحف إبراهيم و موسى ، قلت الصّحف هي

الألواح؟ قال: نعم.

هذا كله على احتمال أن يكون المراد بالكتب الكتب المنزلة من الله سبحانه و أمّا على تقدير رجوع الضّمير في كتبه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فالمراد بالكتب القرآن وغيره ممّا اشير إليه في الأخبار.

مثل ما رواه في البحار من البصائر باسناده عن أبي الصّباح الكناني عن أبي جعفر عليه السلام قال: حدّثني أبي عمّن ذكره، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفي يده اليمنى كتاب وفي يده اليسرى كتاب فنشر الكتاب الذي في يده اليمنى فقرء بسم الله الرّحمن الرّحيم كتاب لأهل الجنّة بأسمائهم و أسماء آبائهم لايزاد فيهم واحد ولاينقص منهم واحد، قال: ثمّ نشر الذي بيده اليسرى فقرء: كتاب من الله الرّحمن الرّحيم لأهل النّار بأسمائهم و أسماء آبائهم و قبائلهم لايزادفيهم واحد ولاينقص منهم واحد.

و من البصائر أيضاً باسناده عن الأعمش قال: قال الكلبي: يا أعمش أيّ شيء أشدّ ما سمعت من مناقب عليّ عليه السلام؟ قال: فقال حدّثني موسى بن طريف عن عباية قال: سمعت علياً عليه السلام و هو يقول أنا قسيم النّار فمن تبعني فهو منّي و من عصاني فهو من أهل النّار، فقال الكلبي عندي أعظم مما عندك، أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام كتابا فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء أهل النّار، فوضعه عند أمّ سلمة فلما ولى أبوبكر طلبه فقالت: ليس لك، فلما ولى عمر طلبه، فقالت: ليس لك، فلما ولى عليّ عليه السلام دفعته إليه.

و منه أيضاً باسناده عن أبي بصير قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: يا أبا محمّد إنّ عندنا الجامعة و ما يدريهم ما الجامعة قال: قلت: جعلت فداك و ما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله أملاه من فلق(١) فيه و خطه عليّ عليه السلام بيمينه فيها كلّ حلال و حرام وكلّ شيء يحتاج إليه النّاس حتّى الأرش في الخدش.

و في الاحتجاج في حديث طويل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: وكان عليه السلام يقول: علمنا غابر و مزبور و نكت في القلوب و نقر في الأسماع و إنّ عندنا الجفر

١ـ كلمتى من فلق فيه بالكسر و بفتح اى من شفته ، صحاح.
١ مكرر ـ بالاضافة الى فيه ، منه.

الأحمر، والجفر الأبيض، و مصحف فاطمة عليها السلام، و عندنا الجامعة فيها جميع مايحتاج النّاس إليه فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال عليه السلام: أمّا الغابر فالعلم بما يكون، و أمّا المزبور فالعلم بما كان، و أمّا النكت في القلوب فهو الالهام و امّا النّقر في الاسماع فحديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم، و أمّا الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ولن يخرج حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، وأما الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى و انجيل عيسى و زبور داود و كتب الله الأولى، و أمّا مصحف فاطمة ففيه مايكون من حادث و أسماء من يملك و من لايملك إلى أن يقوم الساعة وليس فيه قرآن، وأمّا الجامعة فهو كتاب طوله سبعون ذراعا إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله من فلق فيه و خط عليّ بن أبيطالب عليه السلام بيده فيه والله جميع مايحتاج النّاس إليه إلى يوم القيامة حتّى أنّ فيه أرش الخدش والجلدة و نصف الجلدة، الحديث.

و في البحار من بصائر الدّرجات عن أحمدبن محمد عن الحسين بن سعيد عن أحمدبن عمر عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، قال: فقلت له: إنّي أسألك جعلت فداك عن مسألة ليس هيهنا احد يسمع كلامي، قال: فرفع أبوعبدالله عليه السلام ستراً (۱) بيني و بين بيت آخر فاطلع فيه، ثمّ قال: ياابا محمد سل عمّا بدالك قال قلت: جعلت فداك: إنّ الشّيعة يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّم عليّا عليه السلام باباً يفتح منه ألف باب، قال: فقال أبوعبدالله عليه السلام: ياأبا محمد علّم والله رسول الله صلى الله عليه وآله عليّا ألف باب يفتح له من كلّ باب ألف باب، قال: قلت: له هذا والله العلم فنكت (۲) ساعة في الأرض ثمّ قال: إنّه لعلم وما هو بذاك.

قال: ثمّ قال: يا أبا محمد و إنّ عندنا الجامعة و ما يدريهم ما الجامعة، قال: قلت جعلت فداك: و ما الجامعة، قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله و إملاه من فلق فيه و خطه عليّ عليه السلام بيمينه، فيها كلّ حلال و حرام و كلّ شيء يحتاج النّاس إليه حتّى الأرش في الخدش و ضرب بيده إليّ فقال تأذن (۳)

۱ـ لعل رفع الستر للمصلحة اويكون تلك الحالة من الاحوال التى لايحضرهم فيها علم بعض الاشيا، بحار

۲ـ النكت ان تضرب فى الارض بقضيب فتؤثر فيها، بحار

۳ـ يدل على ان ابرا مالم يجب نافع، بحار

لي يا أبا محمد ؟ قال: قلت جعلت فداك : إن «أنا» لك اصنع ماشئت ، قال : فغمزني بيده فقال حتى أرش هذا فكأنه مغضب (١) قال: قلت جعلت فداك : هذا والله العلم ، قال : إنه لعلم وليس بذاك ، ثم سكت ساعة .

ثم قال : إن عندنا الجفر و ما يدريهم (٢) ما الجفر مسك (٣) شاة أو جلد بعير ، قال : قلت جعلت فداك : ما الجفر ؟ قال: وعاء أحمر و أديم أحمر فيه علم النبيين والوصيين ، قلت : هذا والله هو العلم ، قال : إنه لعلم و ما هو بذاك ، ثم سكت ساعة .

ثم قال : و إن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام و ما يدريهم ما مصحف فاطمة ، قال عليه السلام فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إنما هو شيء أملاه الله عليها أو أوحى إليها ، قال : قلت : هذا والله هو العلم ، قال : إنه لعلم وليس بذاك ، قال ثم سكت ساعة.

ثم قال : إن عندنا لعلم (٤) ما كان و ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ،قال : قلت : جعلت فداك : هذا والله هو العلم ، قال : إنه لعلم و ما هو بذاك ، قال : قلت جعلت فداك فأي شيء هو العلم ، قال : ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة.

قال في البحار : قوله عليه السلام والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد أي فيه علم ما كان و مايكون.

فان قلت : في القرآن أيضاً بعض الأخبار ، قلت : لعله لم يذكر فيه ما في القرآن .

فان قلت: يظهر من بعض الأخبار اشتمال مصحف فاطمة عليها السلام أيضاً على الأحكام،

١- اى غمز غمزاً شديداً كانه مغضب ، بحار

٢- اى لايدرون ان الجفر صغير بقدر مسك شاة او كبير على خلاف العادة بقدر مايسك بعير و كانه اشارة الى انه كبير، بحار .

٣- المسك الجلد او خاص بالسخلة ، منه

٤- اى من غير جهة مصحف فاطمة أيضاً ، بحار

قلت : لعلّ فيه ماليس في القرآن.

فان قلت : قد ورد في كثيرمن الأخبار اشتمال القرآن على جميع الأحكام والأخبار ممّا كان أو يكون ، قلت . لعلّ المراد به مانفهم من القرآن لا ما يفهمون منه ، ولذا قال : قرآنكم على أنّه يحتمل أن يكون المراد لفظ القرآن ،ثمّ الظاهر من أكثر الأخبار اشتمال مصحفها عليها السلام على الأخبارفقط فيحتمل أن يكون المراد عدم اشتماله على أحكام القرآن انتهى هذا.

و في المقام إشكال قويّ : و هو أنّ المستفاد من قوله عليه السلام : إنّ عندنا لعلم ما كان و ماهو كائن إلى أن تقوم السّاعة ، أنّهم عليهم السّلام يعلمون جميع الشّرايع والأحكام و ما كان و ما يكون ، و مثله ورد في الأخبار الكثيرة و على ذلك فأيّ شيء يبقي حتّى يحدث لهم بالليل والنّهار كما يدلّ عليه آخر الحديث و يستفاد من الأخبار الأُخر أيضاً.

وقد اُجيب عنه بوجوه الأوّل أنّ العلم ليس ما يحصل بالسّماع و قرائة الكتب و حفظها ، فان ذلك تقليد وإنّما العلم يفيض من عندالله سبحانه على قلب المؤمن يوماً فيوماً و ساعة فساعة فيكشف به من الحقايق ما تطمئنّ به النّفس و ينشرح له الصّدر و يتنوّر به القلب ، والحاصل أنّ ذلك مؤكد و مقرّر لما علم سابقاً يوجب مزيد الايمان واليقين والكرامة و الشّرف بافاضة العلم عليهم بغير واسطة المرسلين.

الثّاني أن يفيض عليهم عليهم السّلام تفاصيل عندهم مجملاتها و إن أمكنهم استخراج التّفاصيل ممّا عندهم من اصول العلم وموادّه.

الثّالث أنّهم عليهم السّلام في النّشأتين سابقاً على الحياة البدني ولاحقا بعد وفاتهم يعرجون في المعارف الرّبانية الغير المتناهية على مدارج الكمال إذ لا غاية لعرفانه تعالى وقربه.

قال العلاّمة المجلسى بعد تقويته هذا الوجه : و يظهر ذلك من كثيرمن الأخبار و ظاهر أنّهم إذا تعلموا في بدء إمامتهم علماً لايقفون في تلك المرتبة و يحصل لهم

بسبب مزيد القرب والطاعات زوايد العلم والحكم والترقيات في معرفة الربّ تعالى، و كيف لايحصل لهم ويحصل ذلك لساير الخلق مع نقص قابليتهم و استعدادهم، فهم عليهم السلام أولى بذلك و أحرى.

ثمّ قال «قده» ولعل هذا أحد وجوه استغفارهم وتوبتهم فيكل يوم سبعين مرة وأكثر، إذ عند عروجهم الى كلّ درجة رفيعة من درجات العرفان يرون أنّهم كانوافي المرتبة السابقة في النّقصان فيستغفرون فيها و يتوبون إليه تعالى.

السادس

ما أشار عليه السلام إليه بقوله (و جبال دينه) قال الشّارح المعتزلي: لايتحلحلون(١) عن الدّين أو أنّ الدّين ثابت بوجودهم كما أنّ الأرض ثابتة بالجبال لولاالجبال لمادت بأهلها وقال البحراني و أشار بكونهم جبال دينه إلى أنّ دين الله سبحانه بهم يعتصم عن وصمات الشّياطين و تبديلهم و تحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممّن يؤذيه.

أقول: والمعنيان متقاربان والمقصود واحد وهو أنّ وجودهم سبب لبقاء الدّين و انتظام أمر المسلمين، و بهم ينفى عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين.

كما روى في البحار من كتاب قرب الاسناد عن هارون عن ابن صدقة عن جعفربن محمد عن آبائه عليهم السّلام أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: في كلّ خلف من أمتي عدل من أهل بيتي ينفى عن الدّين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجهال، و إنّ أئمتكم و فدكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم و صلواتكم

ومن علل الشّرايع باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله لم يدع الأرض إلاّ و فيها عالم يعلم الزّيادة والنّقصان من دين الله عزّ وجلّ، فاذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، و إذا نقصوا أكمله لهم ولولا ذلك لا لتبس على المسلمين أمرهم و عن أبي حمزة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لن تبقى الأرض إلاّ و فيها من

١ـ حلحلهم اى ازالهم عن مواضعهم ق.

يعرف الحقّ فاذا زاد النّاس فيه قال: قدذادوا ، وإذانقصوا منه قال:قدنقصوا،وإذاجاؤوا بهصدّقهم ولو لم يكن كذلك لم يعرف الحقّ من الباطل، والأخبار في هذاالمعنى كثيرة.

السابع والثامن

ما أشار عليه السلام إليه بقوله : (بهم أقام انحناء ظهره ، و أذهب ارتعاد فرايصه) والمراد بذلك على تقدير رجوع الضّمير في ظهره و فرايصه إلى الدّين واضح ،وهو أنّهم أسباب لقوام الدّين و رافعون لاضطرابه حسبما عرفت آنفا ، و أمّا على تقدير رجوعهما إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فهو إشارة إلى أنّ الله سبحانه جعلهم اعضاداً يشدّون ازره ويقوّمون ظهره ، وانحناء ظهره كناية عن ضعفه في بدء الاسلام ، و ارتعاد الفرايص كناية عن الشيء ببعض لوازمه إذ كان ارتعاد الفرايص من لوازم شدّة الخوف يعني أنّ الله ازال عنه صلى الله عليه وآله بمعونتهم خوفه الذي كان يتوقّعه من المشركين على حوزة الدين ، و اتصافهم عليهم السّلام بهذين الوصفين ظاهر لاريب فيه لأنّهم لم يألوا جهدهم في نصرة النّبيّ صلى الله عليه وآله و تقوية دينه قولا أو فعلا ، وقد قال تعالى :

« وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ »

وقد روى العامة والخاصّة عن أبي هريرة قال: مكتوب على العرش لا إله إلاّ أنا وحدي لاشريك لي و محمد عبدي و رسولي أيدته بعلي عليه السلام ، فأنزل الله عزّ وجلّ :

« هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ »

فكان النّصر عليّا عليه السلام و دخل مع المؤمنين فدخل فى الوجهين جميعاً، وبمضمونه أخبار اخر من الطريقين ، و قال سبحانه أيضاً:

« يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »

قال أبوهريرة . نزلت هذه الآية فى عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، وهوالمعنيّ بقوله: المؤمنين وبالجملة فانتصار النّبيّ صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين عليه السلام وحمايته له باليد واللسان وجدّه في

إعلاء كلمة الاسلام ممّا هو غنيّ عن البيان:

بدر له شاهدوالشّعب من أُحد والخندقان و يوم الفتح إن علموا

و كفى بذلك شهيداً مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى باهى الله سبحانه بذلك على ملائكته وأنزل:

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ »

وبرازه (١) يوم الخندق لعمرو بن عبدود حتّى أنزل فيه:

« وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ »

بعليّ بن أبيطالب، و قتله عمرواً على ماورد في الرّوايات الكثيرة، وفي ذلك اليوم قال صلى الله عليه وآله: ضربة عليّ أفضل من عبادة الثّقلين.

و أمّا ساير الأئمة عليهم السّلام فقد كان هممهم مقصورة على حماية حمى الدّين و إحياء أحكام سيّد المرسلين، بعضهم بالقتال والجدال كالحسين عليه السلام، وبعضهم باللسان والبيان كساير المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، و ذلك مع ماهم عليه من التّقية والخوف، ولذلك انّ الصّادقين عليهما السلام لمّا تمكّنا من إظهار الأحكام و نشر الشّرايع و زالت عنهم التّقية التى كانت على غيرهم قصروا اوقاتهم فى إحياء الشّريعة و إقامة السّنة على ماهو معروف، وقد كان أربعة آلاف نفر من اهل العلم متلمذاً عنده وقد صنّفوا من أجوبته فى المسائل اربعمأة كتاب، هى معروفة بكتب الاصول، فبوجودهم استقام امر الدين و استحكم شريعة خاتم النّبيين، و بقائمهم يملأ الله الارض قسطاً وعدلا بعد ما ملئت ظلماً و جوراً.

الترجمة

آل حضرت رسالت مآب صلوات الله عليه و عليهم موضع اسرار خفيّهٔ آن جنابند و پناهگاه امور دينيهٔ اويند و صندوق علم اويند و محل نجات و خلاصى احكام اويند كه بجهت التجاء ايشان خلاصى مى‌يابند مردم از باديه عجزوسر گردانى و مخزن كتاب هاى اويند و كوه‌هاى دين اويند كه نگاه ميدارند دينرا از اضطراب

---

(١) عطف على مبيته

و از تحريف و تبديل همچنان كه كوهها نكاه مى‌دارند زمينرا از تموج و تزلزل ، بسبب وجود ايشان راست كرد خمى و كجى پشت او را كه در بدو اسلام ضعيف بود و بواسطهٔ ايشان زايل فرمود لرزيدن گوشت پاره‌هاى ميان پهلو و شانه آنرا كه حاصل بود به جهت خوف بر دين و از ترس بر حوزهٔ شرع مبين.

الفصل الخامس منها يعني قوماً آخرين (منها في المنافقين خ ل)

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ، لاَ يُقاسُ بآلِ مُحَمَّدٍ « صلى الله عليه وآله » أَحَدٌ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ، وَلاَ يُسَوّىٰ بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً، هُمْ أَساسُ الدِّينِ، وَعِمادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغالِي، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التّالِي، وَلَهُمْ خَصايِصُ حَقِّ الْوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِراثَةُ، أَلْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلىٰ أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلىٰ مُنْتَقَلِهِ.

اللغة

(حصدت) الزّرع و غيره حصداً من بابي ضرب و قتل فهو محصود و حصيد و (الثبور) الهلاك والخسران و (أساس) الشّيء أصله و (الغلوّ) التّجاوز عن الحدّ قال تعالى: لا تغلوا في دينكم، إى لاتجاوزوا الحدّ و (تلوت) الرّجل أتلوه تلوا تبعته والمراد بالتّالي هنا المرتاد الذي يريد الخير ليوجر عليه.

الاعراب

قال الجوهري: الآن اسم للوقت الذي أنت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة ولم يدخله الالف واللاّم للتّعريف لأنّه ليس له ما يشركه انتهى، و هو في محلّ الرّفع على الابتداء ، و كلمة إذ مرفوع المحلّ على الخبريّة و مضافة إلى الجملة بعدها أى الآن وقت رجوع الحقّ إلى أهله فاذ في المقام نظير إذا في قولك: أخطب مايكون الأمير إذا كان قائماً؛ على ما ذهب إليه في الكشّاف من كون إذا

فيه خبراً ، و يمكن أن يكون الآن خبراً مقدّما و إذ مبتدء مثل إذ في قوله تعالى على قرائة بعضهم لمن

« مَنّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ ».

أى من منّ الله على المؤمنين وقت بعثه ، ذكره الزّمخشرى أيضاً هذا ، و يحتمل أن يكون إذ بمعنى قد للتّحقيق و هو أقرب معنى و إليه ذهب بعضهم في قوله تعالى :

« وَ لَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ ».

أو يكون للتّوكيد والزّيادة حكاه ابن هشام عن أبيعبيدة و ابن قتيبة في قوله تعالى:

« وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ».

المعنى

قيل: الاشارة بمفتتح كلامه عليه السلام فى هذا الفصل إلى الخوارج و قيل : إلى المنافقين كماورد مصرّحا به في بعض النسخ

و قال البحراني : يحتمل أن يكون متناولا لكلّ من نابذه و خرج عن طاعته زاعماً أنّه بذلك متعصّب الدّين و ناصر له و يدخل في ذلك القاسطون وهم أصحاب معاوية والمارقون وهم الخوارج ومن في معناهم إذ زعم الكل أنّهم لقتاله طالبون للحقّ ناصرون له.

و قال الشّارح المعتزلي: و إشارته هذا ليست إلى المنافقين كما ذكره الرضيّ (ره) و إنّما هي إشارة إلى من تغلّب عليه و جحد حقّه كمعاوية و غيره ، و لعلّ الرّضيّ (ره) عرف ذلك و كنّى عنه .

و كيف كان فقد استعار فجور هؤلاء و عدولهم عن الحقّ للحبّ الذي يبرز وقرنه بما يلايم المشبّه به ترشيحاً للاستعارة ، فقال عليه السلام : (زرعوا الفجور) فان الزّرع لما كان عبارة عن إلقاء الحبّ في الأرض حسن استعارته لبذر الفجور في أراضى قلوبهم ، و لأنّ انتشاره عنهم و نموّه فيهم يشبه نموّ الزرع و انتشاره في الأرض ، هكذا قيل والأظهر أنّه استعارة مكنيّة تخيّلية حيث شبه الفجور بالحبّ المزروع و أثبت الزّرع تخيّلا .

ثمّ لما كان استمرارهم على الفجور والغيّ إنّما نشأ من غرورهم و من تماديهم في الغفلة قرنه بقوله ﷺ : (و سقوه الغرور) أى سقوه بماء الغرور و تشبيهه بالمآء من حيث إنّ المآء كما أنّه سبب حياة الزّرع و نموّه ومادّةزيادته،فكذلك الغرور منشأ فجورهم و مادّة زيادة طغيانهم ، ولأجل ذلك حسن استعارة لفظ السّقى الذي هو من خصائص الماء له و نسبته إليهم.

ثمّ لما كانت غاية ذلك الفجور هو الهلاك والعطب في الدّنيا بسيف الأولياء و في الآخرة بالنّار الحامية حسن اتباعه بقوله : (و حصدوا الثبور) و جعله (۱) الثبور الذي هو الهلاك نتيجة لزراعة الفجور و ثمرة لها أى كانت نتيجة ذلك الزرع والسّقى حصاداً هوالهلاك.

ثمّ لما ذكر ﷺ مثالب الأعدآء أشار إلى مناقب الأوليآء و قال : (لايقاس بآل محمد) ﷺ (من هذه الأمة أحد) ولا يوازنهم غيرهم ، ولايقاسون بمن عداهم؛ كما صرّح ﷺ به ايضاً فيما رواه في البحار من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من كتاب الخصايص لابن البطريق رفعه إلى الحرث ، قال: قال علي ﷺ : نحن أهل بيت لانقاس بالناس ، فقام رجل فأتى عبدالله بن العبّاس فأخبره بذلك، فقال : صدق عليّ ﷺ ، أوليس كان النبيّ ﷺ لايقاس بالنّاس ثمّ قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في عليّ ﷺ :

« إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيرُ الْبَرِيَّةِ » .

و من كتاب المحتضر أيضاً من كتاب الخطب لعبد العزيز بن يحيى الجلودي قال : خطب أمير المؤمنين ﷺ : فقال : سلوني قبل أن تفقدوني فأنا عيبة رسول‌الله ﷺ فاذا «فأنا خل» فقأت (۲) عين الفتنة بباطنهاوظاهرها،سلوا من عنده علم المنايا والبلاياوالوصايا وفصل الخطاب ، سلوني فأنا يعسوب المؤمنين حقاً، و ما من فئة

۱- عطف على الاتباع منه

۲- فقأ العين كمنع قلعها ق

تهوى مأة أو تضلّ مأة إلاّ وقد أتيت بقائدها و سايقها ، والذي نفسي بيده لو طوى لي الوسادة فأجلس عليها لقضيت بين أهل التّوراة بتوراتهم و لأهل الانجيل بانجيلهم و لأهل الزّبور بزبورهم و لأهل الفرقان بفرقانهم ، قال : فقام ابن الكوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام و هو يخطب النّاس، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن نفسك ، فقال : و يلك أتريد أن أزكي نفسي وقد نهى الله عن ذلك مع أنّي كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني و إذا سكتّ ابتدأني و بين الجوانح منّي علم جمّ و نحن أهل بيت لانقاس بأحد.

و بالجملة فهم عليهم السّلام لايقاسون بأحد ولايقاس أحد بهم ولايستحقّ أحد بلوغ مراتبهم و نيل مقاماتهم (ولايسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً) هذا العطف بمنزلة التّعليل لابطال قياس المساواة بينهم و بين غيرهم ، و في هذه الجملة على وجازتها إشارة إلى مطالب نفيسة كلّ واحد منها خير من الدّنيا وما فيها.

الاول أنّهم أولياء النّعم شاهدها و غائبها و ظاهرها و باطنها.

الثاني أنّ نعمتهم جارية على العباد أبد الدّهر لايختصّ بآن دون آن، وفيوضاتهم متواترة لاتنحصر بوقت دون وقت.

الثالث ما هو كالنّتيجة لسابقيه ، و هو أنّ التّسوية بينهم وبين غيرهم حينئذ باطلة ضرورة أنّ المنعم أفضل من المنعم عليه.

اما الاول فلأنّهم اصول نعم الله سبحانه و خزاين كرمه و لوجودهم خلقت الدّنيا و ما فيها و بوجودهم ثبتت الأرض والسّمآء كما قال الصّادق عليه السلام فيما رواه في الكافي عن مروان بن ميّاح عنه عليه السلام ، قال : إنّ الله خلقنا فأحسن خلقنا وصوّرنا فأحسن صورنا و جعلنا عينه في عباده ، ولسانه النّاطق في خلقه ،ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرّحمة ، و وجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدلّ عليه ، وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار و أينعت الثّمار و جرت الأنهار ، و بنا ينزل غيث السّمآء ونبت عشب الأرض ، و بعبادتنا عبد الله و لولا نحن ما عبد الله.

فقد ظهر منه أنّهم عليهم السّلام و سايط الفيوضات النّازلة والنّعم الواصلة، و أنّهم يدالله المبسوطة، كما ظهر أنّ ايجادات الخلق و ما تضمّنت من العبادات والشّرعيات و تكاليف المكلّفين و ما تضمّنت من الوجودات كلّها آثارهم ومن شئونات ولايتهم

لهم خلق الله العوالم كلّها و حكمهم فيها بها من خليقة

فهم علّة الايجاد والله موجد بهم قال للاشياء كونى فكانت

و إلى هذه النّعمة اشيرت في آيات كثيرة.

منها قوله تعالى: « وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً ».

قال الباقر عليه السلام: النّعمة الظاهرة النّبيّ صلى الله عليه وآله وما جاء به من معرفته وتوحيده. وأمّا النعمة الباطنة فولايتنا أهل البيت وعقد مودّتنا.

ومنها قوله تعالى: « ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ».

روى في البحار عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على محمد بن عليّ عليهما السّلام فقدم لي طعاماً لم آكل أطيب منه، فقال لي يا أباخالد كيف رأيت طعامنا؟ فقلت جعلت فداك ما أطيبه غير أنّي ذكرت آية في كتاب الله فنغّصته (١)، قال عليه السلام و ما هي؟ قلت: ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النّعيم، فقال عليه السلام والله لاتسأل عن هذا الطعام أبداً، ثمّ ضحك حتّى افترّ (٢) ضاحكا و بدت أضراسه، و قال أتدرى ما النّعيم؟ قلت: لا، قال: نحن النّعيم الذي تسألون عنه.

ومنها قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً»

روى في تفسير العيّاشي عن الأصبغ بن نباتة في هذه الآية، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: نحن نعمة الله التي أنعم على العباد.

١ـ على بناء المفعول اى تكدر التذاذى به يقال نغصت معيشته أى تكدرت، منه

٢ـ افتر بالتشديد ضحك ضحكا حسنا، لغة

ومنها قوله تعالي: « وَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ »

روى في الكافي عن أبي يوسف البزاز ، قال : تلا أبوعبدالله عليه السلام هذه الآية ، قال عليه السلام أتدرى ما آلاء الله ؟ قلت : لا قال : هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا.

ومنها قوله تعالى: « فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ».

قال أبوعبدالله عليه السلام في مروي داود الرّقي: أي بأيّ نعمتي تكذّبان ، بمحمّد صلّى الله عليه وآله أم بعلي عليه السلام فبهما أنعمت على العباد إلى غير ذلك من الآيات التي يطول ذكرها.

و بالجملة فوجود الأئمة سلام الله عليهم نعمة و ولايتهم نعمة.

و ما نعمة الاّ وهم أولياؤها   فهم نعمة منها أتت كلّ نعمة

واما الثاني و هو عدم اختصاص فيوضاتهم بوقت دون وقت و جريان نعمتهم أبد الدّهر فقد ظهر وجهه اجمالا من رواية الكافي السابقة عن مروان بن مياح عن الصّادق عليه السلام .

و تفصيله أنّ النّعم على كثرتها إمّا دنيويّة أو اُخرويّة.

أمّا الدنيوية فقد ظهر من الرّواية السّابقة أنّهم سبب إبداع الموجودات وإيجاد المبدعات، وأنّهم عين الله الناظرة و يده الباسطة و خزّان الله في الأرض و السّمآء و بابه الذي منه يؤتى ، كما ظهر في الفصل الخامس عشر من فصول الخطبة الاُولى عند شرح قوله عليه السلام أو حجّة لازمة ، أنّ نظام العباد و انتظام البلاد إلى يوم التّناد إنّما هو بوجود الامام ، و أنّ الأرض لو تبقى بغير حجّة لساخت وانخسفت

و يدلّ على ذلك مضافا إلى ماسبق ، ما رواه في البحار من كتاب إكمال الدين و أمالى الصّدوق بالاسناد عن الأعمش عن الصّادق عن أبيه عن عليّ بن الحسين عليهم السّلام ، قال : نحن أئمة المسلمين و حجج الله على العالمين و سادة المومنين وقادة الغرّ المحجلين و موالي المؤمنين، و نحن أمان أهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان أهل السّمآء ، و نحن الذين بنا يمسك الله السّمآء أن تقع على الارض إلاّ باذنه و بنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها و بنا ينزل الغيث و بنا ينشر الرّحمة

و يخرج بركات الأرض ، ثمّ قال ﷺ : ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غايب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم السّاعة من حجّة الله ، فيها ولولا ذلك لم يعبدالله ، قال سليمان : فقلت للصّادق ﷺ : فكيف ينتفع النّاس بالحجة الغائب المستور ؟ قال ﷺ : كما ينتفعون بالشّمس إذا سترها السّحاب ، و مثله في الاحتجاج إلى قوله لم يعبدالله.

و أمّا النّعم الأخرويّة فانّما هي كلها متفرّعة على معرفةالله سبحانه وعبادته، وهم اصول تلك المعرفة إذبهم عرف الله وبهم عبدالله و لولاهم ما عبدالله ، كما دلت عليه رواية الكافي السّالفة و غيرها من الأخبار المتواترة ، مضافا إلى ما مرّ في ثالث تذنيبات الفصل الرّابع من فصول الخطبة الأولى أنّ ولايتهم عليهم السّلام شرط صحّة الأعمال و قبولها ، و بها يترتّب عليها ثمراتها الأخروية ، و بدونها لا ينتفع بشيء منها .

هم العروة الوثقى التي كلّ من بها تمسّك لم يسأل غداً عن خطيئة

فبولايتهم ينال السّعادة العظمى و تدرك الشّفاعة الكبرى ويكتسب الجنان ويحصل الرّضوان الذي هو أعظم الثّمرات و أشرف اللّذات ، كما قال سبحانه:

« وَعَدَاللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَمَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم ».

واماالثالث و هو أفضليّة المنعم من المنعم عليه فضروريّ مستغن عن البيان خصوصاً إذا كان الانعام بمثل هذه النعم الجليلة التي أشرنا إليها ، و أعظمها الهداية إلى الله والدّلالة على الله والارشاد إلى رضوان الله.

و يرشد إلى ما ذكرناه ما رواه في الاحتجاج عن أبي محمد الحسن العسكري ﷺ ، قال : إنّ رجلا جاء إلى عليّ بن الحسين ﷺ برجل يزعم أنّه قاتل أبيه ،

فاعترف فأوجب عليه القصاص و سأله أن يعفو عنه ليعظم الله ثوابه فكان نفسه لم تطب بذلك ، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام لمدّعى الدّم الذي هو الولي المستحق للقصاص إن كنت تذكر لهذا الرّجل عليك فضلا فهب له هذه الجناية و اغفر له هذا الذّنب ، قال له يابن رسول الله . له عليّ حقّ ولكن لم يبلغ به إلى أن أعفو له عن قتل والدي، قال ﷺ فتريد ماذا؟ قال: أُريد القود فان أراد بحقّه على أن اصالحه على الدّية لصالحته وعفوت عنه، قال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: فما ذا حقّه عليك؟ قال يابن رسول الله : لقّاني توحيد الله و نبوّة رسول الله و إمامة عليّ و الأئمة عليهم السّلام ، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام : فهذا لايفي بدم أبيك بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلّهم من الأولين والآخرين سوى الأنبياء والأئمة عليهم السّلام إن قتلوا فانّه لايفي بدمائهم شيء الخبر .

(هم أساس الدّين) وبهم قوامه ودوامه كما أنّ قوام البناء على الأساس ، وقد ظهر وجهه في شرح قوله ﷺ بهم أقام انحناء ظهره اه فتذكر (وعماد اليقين) ودعامته وعليهم اعتماده و بهم ثباته ، إذ بهم يرتفع الشّبهاب و يدفع الشكوكات ، و يحتمل أن يكون المراد باليقين خصوص المعارف الحقّة والعقايد اليقينيّة، ولعلّه الأنسب بقوله : اساس الدين (اليهم يفيء) أى يرجع (الغالي و بهم يلحق التّالي) قال البحراني أشار بقوله : إليهم يفيء الغالي إلى أنّ المتجاوز للفضائل الانسانية التي مدارها على الحكمة والعفة والشّجاعة والعدالة ، إلى طرف الافراط منها يرجع اليهم و يهتدى بهم في تحصيل هذه الفضايل ، لكونهم عليها ، و بقوله ﷺ : و بهم يلحق التّالي إلى أنّ المقصر عن بلوغ هذه الفضايل المرتكب لطرف التّفريط في تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها ومعاونة الله له بالهداية إلى ذلك انتهى.

أقول : و ما ذكره (ره) ممّا لاغبار عليه إلاّ انّ الاظهر بملاحظة السّياق وسبق قوله : هم أساس الدين : إنّ المراد بالغالى هو المفرط في الدّين، و بالتّالي المقصر فيه بخصوصه ، و ان كان وظيفتهم عليهم السلام العدل في كلّ الامور وهم الأئمة الوسط

والنمط (١) الأوسط ، كمافي الحديث: نحن النمط الأوسط ولايدركنا الغالي ولايسبقنا التّالي ، وفي حديث آخر نحن النّمرقة (٢) الوسطى ، بنا يلحق التّالي وإلينا يرجع الغالي .

قال بعض شارحي الحديث: استعار عليه السلام لفظ النّمرقة بصفة الوسطى لهم عليهم السلام باعتبار كونهم أئمة العدل يستند الخلق إليهم في تدبير معاشهم و معادهم ، ومن حقّ الامام العادل أن يلحق به التّالي المفرط والمقصر في الدّين ، و يرجع إليه الغالي المتجاوز في طلبه حدّ العدل كما يستند الى النّمرقة المتوسطة من على جانبيها.

وفي البحار من أمالي الشيخ باسناده عن فضل بن يسار ، قال: قال الصّادق عليه السلام : احذروا على شبابكم الغلاة لايفسدوهم ، فانّ الغلاة شرّ خلق الله يصغرون عظمة الله و يدّعون الرّبوبيّة لعبادالله ، والله إنّ الغلاة لشرّ من اليهود و النّصارى والمجوس والذين أشركوا، ثم قال عليه السلام : إلينا يرجع الغالي فلانقبله وبنا يلحق المقصر فنقبله ، فقيل له كيف ذلك يابن رسول الله ؟ قال عليه السلام : لأنّ الغالي قد اعتاد ترك الصّلاة والصّيام والزكاة والحجّ فلايقدر على ترك عادته و على الرّجوع إلى طاعة الله عزّ وجل، و أنّ المقصر إذا عرف عمل و أطاع (ولهم خصايص حقّ الولاية) العظمى والخلافة الكبرى وهي الرّياسة الكلّية والسّلطنة الالٓهية.

١- النمط في حديث اهل البيت نحن النمط الاوسط ولايدركنا الغالى ولايسبقنا التالى النمط بالتحريك الجماعة من الناس امرهم واحد ومثله حديث على(ع) خير هذه الامة النمط الاوسط قال في بة كره الغلو والتقصير في الدين والنمط الطريقة من الطرايق والضرب من الضروب يقال هذاليس من ذلك النمط اى ليس من ذلك الضرب مجمع البحرين

٢- قوله تعالى ونمارق مصفوفة واحدتها النمرقة بكسر النون وفتحها وهي الوسادة وفى الدعاء اللهم لاتجعلنا من الذين تقدموا فمرقوا ولامن الذين تاخروا فمحقوا واجعلنا من النمرقة الاوسط . وفى حديث الشيعة كونوا النمرقة الوسطى يرجع اليكم الغالى ويلحق بكم التالى فالغالى من يقول فى اهل البيت (ع) مالايقولون به فى انفسهم والتالى المرتاد يريد الخير ليبلغه ليوجر عليه.

وفي هذه الجملة تنبيه على أنّ للولاية خصايص بها يتأهل لها، وشروطا بها يحصل استحقاقها وأنّ تلك الخصايص والشرايط موجودة فيهم و مختصة بهم لايوجد في غيرهم، و ذلك بملاحظة كون اللاّم حقيقة في الاختصاص الحقيقي مضافا إلى دلالة تقديم الخبر الذي حقّه التأخير على المبتداء على انحصار هذه الخصايص فيهم.

و بالجملة فهذه الجملة دالة بمنطوقها على أنّ هؤلاء هم المستحقون للولاية والرّياسة العامة من أجل وجود خواصّها فيهم ، و بمفهومها على عدم استحقاق من سواهم لها لخلوّهم عن هذه الخواصّ.

و أمّا ما ذكره الشّارح المعتزلي في تفسير كلامه عليه السلام : من أنّ لهم خصايص حقّ ولاية الرّسول على الخلق فتأويل بعيد مخالف لظاهر كلامه عليه السلام كما لايخفى ، و من العجب أنّه فسّر الولاية قبل كلامه ذلك بالامارة ، فيكون حاصل معنى الكلام على ما ذكره أنّ لهم خصايص حقّ امارة الرّسول على الخلق.

و أنت خبير بمافيه أمّا أولا فلانّه إن أراد بامارة الرّسول على الخلق الرّياسة العامة والسلطنة الكلية التي هي معنى الأولى بالتّصرف ، فتفسير الولاية بها حينئذ صحيح إلاّ أنّه لاداعي إلى ذلك التفسير إذ دلالة لفظ الولاية على ذلك المعنى أظهر من دلالة الامارة عليه، و إن أراد بها الامارة على الخلق فى الامور السّياسية ومصالح الحروب فقط فهو كماترى خلاف ظاهر كلامه عليه السلام خصوصاً بملاحظة سابقه ولاحقه الوارد فى مقام التمدح و إظهار الفضايل والمناصب الالهية ، و من المعلوم أنّ منصب امارة الحرب و نحوه ليس ممّا يعبأ به و يتمدح عند منصب النّبوة والرّسالة

و أمّا ثانيا فلانّا لم نر إلى الآن توصيف النّبيّ صلّى الله عليه وآله فى كلام أحد من الامة ولا إطلاق الأمير عليه صلّى الله عليه وآله فى آية ولا سنة ، فأىّ داع إلى تمحل هذا التّأويل المشتمل على السّماجة ؟ و الأولى الاعراض عن ذلك و التّصدّى لبيان خصايص الولاية .

وقد اشير اليها فى أخبار كثيرة أكثرها جمعاً لها ما رواه فى الكافى عن

أبى محمد القاسم بن علا رفعه عن عبدالعزيز بن مسلم ، و فى العيون والبحار من كتاب إكمال الدين و معانى الأخبار و أمالى الصدوق جميعاً عن الطالقانى عن القاسم بن محمد بن عليّ الهارونى عن عمران بن موسى عن القاسم بن مسلم عن أخيه عبدالعزيز ابن مسلم ، قال : كنا مع الرّضا عليه السلام «فى أيام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام خ» بمرو فاجتمعنا فى الجامع يوم الجمعة فى «بدو خ» بدء مقدمنا فأدا روا « فأدار الناس خ» امر الامامة و ذكرو اكثرة اختلاف الناس فيها ، فدخلت على سيدي و مولاى عليه السلام فاعلمته خوض «ما خاض خ» النّاس فيه ، فتبسم عليه السلام ثمّ قال ياعبدالعزيز جهلوا القوم و خدعوا عن آرائهم «أديانهم خ» (١) ان الله لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتّى أكمل له الدّين و أنزل عليه القرآن فيه تبيان «تفصيل خ» كلّ شيء بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام ، و جميع مايحتاج إليه النّاس كملا، فقال عزّ وجلّ:

«ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ» وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله وسلم : «أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً».

و أمر الامامة من تمام الدين ولم يمض حتّى بيّن لامته معالم دينهم «دينه خ» وأوضح لهم سبيلهم «سبله خ» و تركهم على قصد سبيل الحقّ و أقام لهم عليّاً عليه السلام علماً و إماماً و ما ترك شيئاً يحتاج إليه الامّة إلاّ بينه . فمن زعم أن الله عزّ وجلّ لم يكمل

١ - «بيان» **قوله** وخدعوا عن اديانهم اى خدعهم الشيطان صارفالهم عن اديانهم وفى الكافى عن آرائهم فعن تعليلية **قوله** تعالى مافرطنا الاستشهاد بالآية على وجهين الاول ان الامامة اعظم الاشياء فيجب ان يكون مبينا فيه الثانى انه تعالى اخبر ببيان كل شىء فى القرآن ولاخلاف ان غير الامام لايعرف كل شىء من القرآن فلابد من وجود الامام المنصوص وعلى التقديرين مبنى الاستدلال على كون المراد بالكتاب القرآن كماهو الظاهر وقيل اللوح المحفوظ. **قوله** من تمام الدين اى لاشك انه من امور الدين بل اعظمها كيف لاوقد قدموه على تجهيز الرسول(ص) الذى كان من اوجب الامور فلابدان يكون داخلا فيما بلغه(ص) **والقصد** الطريق الوسط والاضافة بيانية **الابينه** بعلى (ع) اوللناس بالنص عليه **قوله**

دينه فقد ردّ كتاب الله ، و من ردّ كتاب الله فهو كافر ، هل يعرفون قدر الامامة و محلّها من الامة فيجوز فيها اختيارهم ؟ إنّ الامامة أجلّ قدراً و أعظم شأناً وأعلى مكاناً و أمنع جانباً و أبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أويقيموا إماماً باختيارهم : إنّ الامامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النّبوة والخلّة مرتبة ثالثة و فضيلة شرّفه بها ، و أشاد بها جلّ ذكره فقال:

« إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً » فقال الخليل عليه السلام سروراً بها « وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » قال الله تبارك وتعالى : « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ».

فابطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة و صارت في الصّفوة ثمّ اكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيته أهل الصّفوة والطهارة فقال:

« وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلٰوةِ وَإِيتَاءَ الزَّكٰوةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ »

فلم تزل في ذرّيته يرثها بعض عن بعض قرناً عن قرن « فقرناً خ » حتّى ورثها الله عزّ وجلّ النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال جلّ وتعالى :

« إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ »

هل يعرفون الغرض ان نصب الامام موقوف على العلم بصفاته وشرايط الامامة وهم جاهلون بها فكيف يتيسر لهم نصبه وتعيينه **قوله** وامنع جانبا اى جانبه اشد منعاً من ان يصل اليه يد احد **والاشادة** رفع الصوت بالشيء يقال اشاده واشاد به اذا اشاعه ورفع ذكره **و صارت في الصفوة** مثلثة اى اهل الطهارة والعصمة واهل الاصطفاء والاختيار **والنافلة** العطية الزايدة اوولد الولد **يهدون بامرنا** اى لابتعيين الخلق **قرنا فقرنا** منصوبان على الظرفية **قوله تعالى** ان اولى الناس بابراهيم اى اخصهم و اقربهم من الولى بمعنى القرب او احقهم بمقامه الاستدلال بالآية مبنى على ان المراد بالمؤمنين فيها الائمة عليهم السلام اوعلى

فكانت له خاصّة ، فقلّدها عليّاً عليه السلام بأمر الله عزّ وجلّ على رسم ما فرض «فرضها خ» الله فصارت في ذرّيته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمان بقوله جلّ و علا:

« وَقالَ ٱلذينَ أُوتوا ٱلعِلْمَ وَٱلإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ في كِتابِ ٱللهِ إِلىٰ يَوْمِ ٱلبَعْثِ »

فهي في ولد عليّ عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لانبيّ بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال ؟

إنّ الامامة هي منزلة الأنبيآء وارث الأوصيآء.

إنّ الامامة خلافة الله و خلافة الرّسول صلى الله عليه وآله و مقام أمير المؤمنين و ميراث الحسن والحسين عليهم السلام ، إنّ الامامة «الامام خ» زمام الدين و نظام المسلمين وصلاح الدنيا و عزّ المؤمنين.

إنّ الامامة اسّ الاسلام النّامي و فرعه السّامي.

بالامام تمام الصّلاة والزكاة والصّيام والحجّ والجهاد و توفير الفيء والصدقات و إمضآء الحدود والأحكام و منع الثّغور والأطراف.

ان تلك الامامة انتهت الى النبى(ص) وهو لم يستخلف غير على(ع) بالاتفاق **قوله وقال الذين اوتوا العلم** ، اقول قبل هذه الآية ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون، فالظاهر ان هذا جواب قول المجرمين والقائل هم الذين اوتوا العلم والايمان ومصداقهم الاكمل النبى(ص) والائمة «ع» انهم المقصودون لاغيرهم، وربما يوهم ظاهر الخبر ان المخاطب هم الائمة «ع» والمراد لبثهم فى علم الكتاب لكن لا يساعده سابقه لاحقه نعم قال على بن ابراهيم هذه الاية مقدمة ومؤخرة وانما هو وقال الذين اوتوا العلم والايمان فى كتاب الله لقد لبثتم الى يوم البعث وهو لاينا فى ماذكرنا **قوله اذلانبى** اما تعليل لكون الخلافة فيهم والتقريب انه لانبى بعد محمد «ص» حتى يجعل الامامة فى غيرهم بعد جعل النبى فيهم اولكونهم ائمة الانبياء اولامتداد ذلك الى يوم القيامة والتقريب ظاهر هو قريب من الاول **منزلة الانبيآء** اى منزلة لهم ولمن هو مثلهم اوكانت لهم فيجب ان ينتقل الى من هو مثلهم **والزمام** الخيط الذى يشد فى طرفه المقود و قد يطلق على المقود **والاس** اصل البناء **والسامى** العالى **والثغور** حدود بلاد الاسلام المتصلة ببلاد

الامام يحلّل حلال الله و يحرّم حرام الله و يقيم حدود الله و يذبّ عن دين الله ويدعوالى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة .

الامام كالشّمس الطاعة المجللة بنورها للعالم وهي في الافق بحيث لاتنالها الأيدي والأبصار .

الامام البدر المنير والسّراج الظاهر والنّور السّاطع والنجم الهادي في غياهب الدّجى و أجواز البلدان والقفار «و البيد القفار خ » ولجج البحار .

الامام المآء العذب على الظماء و الدّال على الهدى والمنجي من الرّدى.

الامام النّار على البقاع الحارّ لمن اصطلى به والدّليل في المهالك من فارقه فهالك .

الامام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشّمس المضيئة و السّمآء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والرّوضة.

الامام الأنيس الرّفيق والوالد الشفيق « الأمين الرفيق والوالد الرقيق خ » والأخ الشفيق والأم البرة بالولد الصّغير ومفزع العباد في الدّاهية «وخ» النّاد.

الكفر **والذب** المنع والدفع والفعل كنصر **قوله لاتناله الايدى** اى ايدى الاوهام والعقول **والساطع** المرتفع **والغيهب** الظلمة وشدة السواد **والدجى** بضم الدال الظلمة والاضافة للمبالغة واستعير لظلمات الفتن والشكوك والشبه وفى الكافى **واجواز البلدان** والقفار جوز كل شيء وسطه والقفار جمع القفر وهومفازة لانبات فيها ولاماء وفى الاحتجاج **والبيد القفار** جمع البيداء وهواظهر **واللجة** بالضم معظم الماء **والظماء** بالتحريك شدة العطش **والردى** الهلاك **والبقاع** ماارتفع من الارض **والاصطلاء** افتعال من الصلى بالنار وهو التسخن بها **والهطل** بالسكون والتحريك تتابع المطر وسيلانه الغزيرة الكثيرة **قوله والاخ الشقيق** انما وصف الاخ بالشقيق لانه شق نسبه من نسبه **والداهية الناد** يقال ندا اى شرد ونفر والاظهر انه مهموز كسحاب او كحبالى فى القاموس ناد الداهية فلانادهية والناد كسحاب والنادى كحبالى الداهية

الامام أمين الله في خلقه و حجّته على عباده و خليفته في بلاده والدّاعي إلى الله والذّابّ عن حرم الله

الامام المطهر من الذّنوب والمبرّى من العيوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظام الدّين وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين و بوار الكافرين

الامام واحد دهره ولا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام او يمكنه اختياره هيهات هيهات، ضلّت العقول و تاهت الحلوم ، و حارت الألباب، و حسرت «خسئت خ» العيون ، و تصاغرت العظمآء و تحيرت الحكمآء ، و تقاصرت الحلمآء ، و حصرت الخطبآء ، و جهلت الألبآء ، و كلّت الشعرآء ، وعجزت الأدبآء ، و عييت البلغآء عن وصف شأن من شأنه، او فضيلة من فضايله فأقرّت «واقرت خ» بالعجز والتّقصير،

و كيف يوصف بكلّه أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم «يقوم أحد خ» مقامه و يغني غناه ، لاكيف و أنّى وهو بحيث النّجم من أيدي «يدخ»

حرم بضم الحا. وفتح الرا. جمع الحرمة وهى مالاتحل انتهاكه و تضييعه اى تدفع الضر والفساد عن حرمات الله وهى ماعظمها و امر بتعظيمها من بيته و كتابه و خلفائه و فرايضه و اوامره و نواهيه

قوله تاهت الحلوم الحلوم العقول كالالباب **وضلت وتاهت و حارت** متقاربة المعانى **وحسر بصره** كضرب اى كل وانقطع نظره من طول مدى وما اشبه ذلك و فى الكافى خسئت كمنعت بمعناه و يقال **تصاغرت** الى نفسه اى صغرت **والتقاصر** مبالغة فى القصر او اظهاره كالتطاول **وحصر كعلم** عيى فى المنطق **ويقال** مايغنى عنك هذا اى ما ينفعك ويجديك **والغنا** بالفتح النفع **لاتصريح** بالانكار المفهوم من الاستفهام حذفت الجملة لدلالة ما قبلها على المراد اى لايوصف الى آخر الجمل **كيف** تكرار للاستفهام الانكارى تاكيداً **وانى** مبالغة اخرى بالاستفهام الانكارى عن امكان الوصف و ما بعده **وهو بحيث** النجم الواو للحال والباء بمعنى فى والخبر محذوف اى مرئى لان حيث لا يضاف الا الى الجمل **من ايدى المتناولين** متعلق بحيث

المتناولين و وصف الواصفين فأين الاختيار من هذا و اين العقول عن هذا و اين يوجد مثل هذا ظنوا «أيظنون خ» أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول «محمّد خ» عليهم السلام كذبتهم والله أنفسهم و منتهم الأباطيل «الباطل خ» فارتقوا مرتقا صعباً دحضاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم ، راموا إقامة الامام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلّة ، فلم يزدادوا منه إلاّ بعداً قاتلهم الله أنّى يؤفكون «وخ» لقد راموا صعباً و قالوا إفكاً و ضلوا ضلالا بعيداً و وقعوا في الحيرة اذ تركوا الامام عن بصيرة

« وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ »

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله إلى اختيارهم والقرآن يناديهم:

« وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ » وقال عزّ وجلّ: « وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » الآية.

وقال عزّ وجلّ: « ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ ، أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ ، سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذٰلِكَ زَعِيمٌ ، أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ » وقال عزّ وجلّ: « أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفالُها ، أَمْ طَبَعَ اللهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ، أَمْ قالُوا سَمِعْنا

قوله كذبتهم اى قال لهم كذبا او بالتشديد اى اذا رجعوا الى انفسهم شهدت انفسهم بكذب مقالتهم **قوله ومنتهم الباطل** وفى الكافى و غيره الاباطيل اى القت فى انفسهم الامانى ويقال منه السير اى اضعفه واعياه ويقال مكان **دحض** ودحض بالتحريك اى زلق **وفى** القاموس رجل حائر بلئراى لم يتجه لشئ، ولا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً **قوله(ع)** ام طبع الله على قلوبهم هذا من كلامه «ع» اقتبسه من القرآن وليس فى القرآن بهذه

وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، بَلْ هُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »

فكيف لهم باختيار الامام والامام عالم لايجهل و راع «داع خ» لاينكل معدن القدس والطهارة والنّسك والزهادة والعلم والعبادة ، مخصوص بدعوة الرسول و نسل المطهرة البتول ، لا مغمز فيه في «من خ» نسب ولايدانيه ذو حسب فالبيت من قريش والذروة من هاشم ، والعترة من الرسول صلى الله عليه وآله ، والرضا من الله «عزوجل خ» شرف الاشراف ، والفرع من عبد مناف ، نامي العلم كامل الحلم مضطلع بالامامة ، عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله ، إنّ الأنبياء

اللفظة و كذا قوله قالوا اسمعنا وفى القرآن هكذا ولاتكونوا كالذين قالوا و كذا قوله وقالوا اسمعنا وعصينا و ان كان موافقا للفظ الآية كما لايخفى وكذا قوله بل هو فضل الله لعدم الموافقة ووجه الاستدلال بالآيات ظاهر و تفسيرها موكول الى مظانه **واما قوله تعالى ولو** اسمعهم لتولوا فلم يرد به العموم بان يكون المراد لواسمعهم على اى وجه كان لتولوا حتى ينتج لوعلم الله فيهم خيرا لتولوا بل المراد انه لواسمعهم وهم على تلك الحال التى لايعلم الله فيهم خيرا لتولوا فهو كالتعليل والتاكيد للسابق وقداجيب عنه بوجوه لايسمن ولايغنى من جوع ولانطيل الكلام بايرادها **قوله** لاينكل بالضم اى لايجبن **والنسك** بالضم العبادة والجمع بضمتين **قوله** بدعوة الرسول «ص» اى بدعوة الخلق نيابة عن الرسول صلى الله عليه وآله كما قال النبى صلى الله عليه و آله لايبلغه الا انا اورجل منى و كما قال تعالى ادعو الى الله على بصيرة انا و من اتبعنى او بدعاء الرسول اياه للامامة او بدعاء الرسول له فى قوله اللهم وال من والاهم و من قوله صلى الله عليه و آله اللهم اذهب عنهم الرجس و قوله صلى الله عليه وآله اللهم ارزقهم فهمى و علمى و غيرها **قوله** لامغمز فيه اى لامطعن ويقال فلان مضطلع بهذا الامر اى قوى عليه **قوله** قائم بامر

والأئمة «صلوات الله عليهم خ» يوفقهم الله و يؤتيهم من مخزون علمه و حكمه مالايؤتيه غيرهم فيكون «علمهم خ» فوق كلّ علم أهل زمانهم في قوله تبارك وتعالى :

« أَفَمَنْ يَهدي إِلى الْحَقِّ أَحقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » .

وقوله عزّوجلّ: « وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيراً كَثيراً » .

وقوله عزّ وجلّ في طالوت: « إِنَّ اللهَ اصْطَفَيهُ عَلَيْكُمْ وَزادَهُ بَسْطَةً في الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَليمٌ » .

وقال عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ : « أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظيماً » .

و قال عزّ وجلّ في الأئمة من أهل بيته و عترته و ذريته «صلوات الله عليهم خ» :

« أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيم الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظيماً ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفى بِجَهَنَّمَ سَعيراً »

وانّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لامور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة

الله اى لا باختيار الامة او باجراء امر الله **قوله في قوله** تعالى متعلق بمقدر اى ذلك مذكور في قوله تعالى و يحتمل ان يكون تعليلية **قوله** وقال عزوجل لنبيه صلى الله عليه و آله في الكافي بعد ذلك انزل عليك الكتاب والحكمة و علمك مالم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما والغرض من ايراد هذه الآية ان الله تعالى امتن على نبيه صلى الله عليه وآله بانزال الكتاب والحكمة و ايتاء نهاية العلم وعد ذلك فضلا عظيما و اثبت ذلك الفضل لجماعة من تلك الامة بانهم المحسودون على ما آتيهم الله من فضله ثم بين أنهم من آل ابراهيم فهم الائمة عليهم السلام **والفضل** العلم والحكمة والخلافة مع انه يظهر من الآيتين ان الفضل والشرف بالعلم والحكمة ولاريب انهم عليهم السلام اعلم من غيرهم

وألهمه العلم إلهاماً فلم يعي بعده بجواب ، ولا تحيّر فيه عن الصّواب و هو « فهوخ» معصوم مؤيد موفق مسدّد «مسدّد من الخطأ، خ» وقد أمن الخطايا والزلل والعثار يخصّه الله عزّ وجل بذلك ليكون حجته «حجة خ» على عباده و شاهده على خلقه :

« وَذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

فهل يقدرون مثل هذا فيختاروه «نه خ» أو يكون مختارهم بهذه الصّفة فيقدموه «نه خ» بعدد «تعدخ» «تعدواظ» و بيت الله الحقّ و نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لايعلمون، وفي كتاب الله الهدى و الشفاء فنبذوه و اتّبعوا أهواهم فذمّهم الله ومقتهم وأتعسهم، فقال عزّ وجلّ:

« وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ » .

وقال عزّوجلّ: « فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمالَهُمْ » .

وقال عزّوجلّ : « كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَاللهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ » . وَ صَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ و آله وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً

(و فيهم الوصيّة والوراثة) قال الشّارح المعتزلي ، أمّا الوصيّة فلاريب عندنا أنّ عليّاً عليه السلام كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله و إن خالف في ذلك من هومنسوب إلى العناد ، و لسنا نعني بالوصيّة النّصّ والخلافة ولكن اموراً اُخرى لعلّها إذالمحت اشرف و أجلّ و أمّا الوراثة فالاماميّة يحملونها على ميراث المال والخلافة و نحن نحملها على وراثة العلم انتهى،

أقول : وأنت خبير بمافيه أمّا اوّلا فلأنّه قد تقرّر في مقامه أنّ حذف المتعلّق يفيد العموم ، و على ذلك فحيث لم يذكر عليه السلام للوصيّة متعلّقا و لم يقيّد

من المدعين للخلافة ومنه يظهروجه الاستشهاد بقوله تعالى ومن يؤت الحكمة والتعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط. من المجلد السابع من بحارالانوار

الوراثة بشيء مخصوص فلابدّ أن يكون المراد منه كلّ ما كان صالحاً للوصيّة وقابلا للتّوريث من المال والعلم والامامة والخلافة ، فكلامه عليه السلام بنفسه مع قطع النّظر عن الأدلة الخارجة العقليّة والنقليّة العاميّة و الخاصيّة كماستأتى في مقدّمة الخطبة الآتية دالّ على ثبوت الوصيّة لهم في جميع ما ذكر ووراثتهم لها كذلك ، فيكون استحقاقهم لهامن جهتي الوصية والوراثة معاً.

و أمّا ثانياً فلأنّا لاندري أىّ أمر أشرف و أجلّ من الرّياسة العامة والخلافة الالهية حتّى يحمل الوصيّة في كلامه عليه السلام عليه ، بل كلّ ما يتصوّر حملها عليه فهو دون مرتبة الخلافة التّالية لمرتبة النّبوة ، و من كان له نظر بصيرة ودقّة يعرف تدليس الشّارح و أنّه يزخرف كلامه و يورّي مرامه هذا، و من لطايف الأشعار المقولة في صدر الاسلام المتضمّنة لوصايته عليه السلام قول عبدالرّحمن بن خعيل «خثيل ظ»:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة | على الدّين معروف العفاف موفقاً
عليّاً وصيّ المصطفى وابن عمه | و أوّل من صلّى أخا الدين والتّقى

و قال الفضل بن عبّاس :

و كان وليّ الامر بعد محمّد | عليّ و فيكلّ المواطن صاحبه
وصيّ رسول الله حقاً و صهره | و أوّل من صلّى و ماذمّ جانبه

و قال عقبة بن أبي لهب مخاطباً لعايشة :

أعايش خلّي عن عليّ و عتبه | بما ليس فيه انّما أنت والدة
وصيّ رسول الله من دون اهله | فأنت على ما كان من ذاك شاهدة

و قال أبوالهيثم بن التيّهان :

قل للزبير و قل لطلحة إننا | نحن الذين شعارنا الانصار
نحن الذين رأت قريش فعلنا | يوم القليب اولئك الكفّار
كنا شعار نبيّنا و دثاره | يفديه منّا الرّوح والابصار
إنّ الوصيّ إمامنا و وليّنا | برح الخفآء و باحت الاسرار

وقال عبدالله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب :

و منّا عليّ ذاك صاحب خيبر | و صاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصيّ النّبيّ المصطفى وابن عمّه | فمن ذايد انيه و من ذايقاربه

و من أحسن ما قاله المتأخرون قول القاضي التّنوخي :

وزير النّبي المصطفى و وصيّه | و مشبهه في شيمة و ضراب
و من قال في يوم الغدير محمّد | وقد خاف من غدر العداة النواصب
اما انّني أولى بكم من نفوسكم | فقالوا بلى ريب المريب الموارب
فقال لهم من كنت مولاه منكم | فهذا اخي مولاه بعدي و صاحبي
اطيعوه طراً فهو منّي بمنزل | كهارون من موسى الكليم المخاطب

(الان اذرجع الحقّ الى اهله و نقل الى منتقله) اى موضع انتقاله و المراد بالحقّ هو حقّ الولاية الذي سبق ذكره، فاللاّم للعهد وهذه الجملة كالنّص في أنّ الخلافة كانت فيما قبل في غير أهلها وأنّه عليه السلام هو أهل لها دون من تقدّمه.

قال الشّارح المعتزلي بعد ماقال : إنّ هذا يقتضي أن يكون فيما قبل في غير أهله ونحن نتأول ذلك على غير ما تذكره الامامية و نقول : إنّه عليه السلام كان أولى بالأمر و أحقّ لاعلى وجه النّصّ بل على وجه الأفضليّة، فانّه أفضل البشر بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله و أحقّ بالخلافة من جميع المسلمين ، لكنّه ترك حقّه لما علمه من المصلحة و ما تفرّس فيه هو والمسلمون من اضطراب الاسلام و انتشار الكلمة لحسد العرب له وضغنهم عليه ، و جايز لمن كان أولى بشيء فتركه ثمّ استرجعه أن يقول : قد رجع إلى أهله.

أقول : فيه أوّلا إنّ التّأويل خلاف الأصل لايصار إليه الاّ بدليل.

و ثانياً إنّ إنكار كونه عليه السلام أحقّ بالأمر من جهة النّص لاوجه له بل النّص على ذلك كتاباً و سنّة فوق حد الاحصاء.

و ثالثا إنّه عليه السلام إذا كان أفضل البشر بعد الرّسول والأحقّ بالخلافة من الجميع فلابدّ على ذلك أن يكون هو الخليفة دون غيره ، إذ تفضيل المفضول على

الفاضل و تقديم المحتاج إلى التكميل على الكامل قبيح عقلا و نقلا حسبما ستعرفه في مقدمات الخطبة الآتية إنشاء الله، و من العجب أن الشارح مع كونه عدلي المذهب نسب ذلك القبح إلى الله سبحانه في خطبة الشرح حيث قال: و قدم المفضول على الفاضل لمصلحة اقتضاها التكليف.

و رابعاً إن تركه عليه السلام لحقه عن طوع و اختيار لم يدل عليه دليل يعول عليه إلا الأخبار العامية الموضوعة. «المختلقة خل» و الأخبار المتواترة من طرق الخاصة بل والمستفيضة من طريق العامة ناصة على خلافه وكفى بذلك شاهداً الخطبة الآتية المعروفة التي هي صريحة في أن تركه عليه السلام للأمر لم يكن عن رضاء واختيار، وتأويلات الشارح هناك مثل ساير ما تكلفه في تضاعيف الشرح أوهن من بيوت العنكبوت نظير احتجاجاته على حقية الجبت والطاغوت، كما ستطلع عليه حيثما بلغ الكلام محله إنشاء الله، ولنعم ماقيل:

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

الترجمة

بعض ديگر از اينخطبه در شأن منافقين است ميفرمايد، كاشته اند منافقين تخم فسق و فجور را در قلب خودشان و آب داده‌اند آنرابا آب غفلت‌ودرويده‌اند هلاكت را در دنيا و آخرت كه ثمرهٔ آن فجور و غرور است، قياس كرده نميشودبه آل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ازاين امت هيچ أحد، و برابر كرده نميشود بايشان آنكسى كه جارى شده نعمتهاى ايشان بر او هميشه، ايشان اصل دين‌اند و ستون يقين‌اند، بسوى ايشان باز مى گردد افراط كنندكان، و بايشان لاحق ميشودتفريط نمايندكان، و ايشان راست خاصه‌هاى حق‌ولايت و خلافت، و در ايشانست‌وصيت حضرت رسالت و وراثت از خاتم نبوت، اينهنكام وقت آنستكه راجع شود حق ولايت باهل خود، و زمان آنستكه نقل شود رتبهٔ خلافت بمحل انتقال خود، يا آنكه اينهنكام بتحقيق رجوع نمود حق باهلش و منتقل گرديد بموضع انتقالش، والله العالم بحقايق كلام وليه عليه السلام.

و من خطبة له عليه السلام و هى الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية

نسبة لها إلى ما عبربه عنها و هو لفظة الشّقشقية ، حيث قال عليه السلام : تلك شقشقة هدرت اه ، و ربّما تعرف بالمقمصة أيضاً من حيث اشتمالها على لفظ التقمّص الوارد في أوّلها ، و هو نظير التّعبير عن السّور بأشهر ألفاظها كالبقرة و آل عمران و الرّحمن و الواقعة و غيرذلك، ولابدّ قبل الشروع في المقصود من تمهيد مقدّمات

الاولى

إنّه قدوقع الخلاف بين علمآء الخاصة و كثير من علمآء العامة في أنّ هذه الخطبة من كلام الامام عليه السلام أو من كلام الرّضيّ رضي الله عنه.

أمّا الخاصّة فالظاهر اتّفاقهم على الأوّل ، ولم يظهر لى إلى الآن من ينكر كونها منه عليه السلام ، وقد نقلها جمع كثيرمن المحققين من الفقهآء والمتكلّمين والمحدّثين و غيرهم في مؤلفاتهم من دون إشارة إلى خلاف فيها منهم.

و أمّا العامة فكثير منهم ذهبوا إلى الثّاني و أنكروا كونها من كلامه عليه السلام نظراً إلى ما اشتملت عليه من التّظلم والشكاية في أمر الامامة و دلالتها على اغتصاب الخلافة ، وقد أفرط بعضهم و قال : إنّه عليه السلام لم يصدر منه شكاية قط ولا كلام في هذا الأمر أصلا .

و منهم من أذعن بكونها منه عليه السلام إلاّ أنّه على زعمه الفاسد أوّل المطاعن المشتملة عليها على وجه لايوجب القدح في سلفهم ، و من هؤلاء الفرقة القاضي عبد الجبار البغدادي و الشّارح المعتزلي حسبما تعرفه في كلامه الذي نحكيه.

أقول : والحقّ أنّه لاغبار على كونها منه عليه السلام ولا معنى لانكار ذلك.

أمّا أولا فلشهادة فصاحتها و حسن اسلوبها و بديع نظمها على أنّها كلام فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق ، فهي بنفسها شاهد صدق على أنّها صادرة

من مصدر الامامة ومعدن الولاية.

و أمّا ثانياً فلضعف مستند المنكر إذالألفاظ المشتملة على التّظلم والشكاية قد صدرت منه عليه السلام فوق حدالاحصآء، كما يشهد به ملاحظة أخبار السقيفةوغيرها، والمناقشة بينه عليه السلام وبين المتخلّفين في أمر الخلافة ممّاصارت من الضروريات لاينكره إلاّ جاهل أومتجاهل.

و أمّا ثالثاً فلأنّ هذه الخطبة قد وجدت في كتب جماعة من العامةوالخاصة صنّفت قبل زمن الرضي.

قال الشّارح البحراني : قد وجدتها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرّضيّ بمدّة **أحدهما** أنّها مضمنة كتاب الانصاف لأبي جعفربن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة و كانت وفاته قبل مولد الرضيّ **الثاني** أني وجدتها بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن عليّ بن محمدبن الفرات، و كان وزير المقتدر بالله و ذلك قبل مولد الرّضيّ بنيف و ستين سنة، والذي يغلب على ظني أنّ تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة انتهى.

و قال الشّارح المعتزلي حدّثني شيخي أبوالخير مصدّق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث و ستماة، قال : قرأت على الشّيخ أبي محمد عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة ، فقلت له : أتقول إنّها منحولة ؟ فقال : لاوالله، و إني لأعلم أنّه كلامه كما أعلم أنّك مصدّق ، قال : فقلت : له إنّ كثيراً من النّاس يقولون: إنّها من كلام الرّضيّ، فقال : أنى للرضيّ و لغير الرّضيّ هذا النّفس و هذا الاسلوب، قد وقفنا على رسايل الرّضيّ و عرفنا طريقته و فنّه في المنثور وما يقع مع هذا الكلام في خلّ ولاخمر، قال: واللهلقدوقفت على هذه الخطبة في كتب صنّفت قبل أن يخلق الرضيّ بمأتي سنة ، ولقدوجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هي من العلمآء و أهل الأدب قبل أن يخلق النّقيب أبومحمد والد الرّضيّ.

قال الشّارح : قلت : وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة فى تصانيف شيخنا أبى القاسم البلخى إمام البغداديين من المعتزلة و كان فى دولةالمقتدرقبل أن يخلق

الرضيّ بمدة طويلة ، و وجدت أيضاً كثيراً منها فى كتاب أبيجعفر بن قبة أحدمتكلّمي الاماميّة و هو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الانصاف، و كان أبوجعفر هذا من تلامذة الشيخ أبى القاسم البلخى و مات فى ذلك العصر قبل أن يكون الرضيّ (ره) موجوداً،انتهى.

و قال المحدّث العلامة المجلسى (ره) فى البحار و من الشواهد على بطلان تلك الدعوى الواهية الفاسدة أنّ القاضى عبدالجبار الذي هو من متعصبي المعتزلة قدتصدّى فى كتابه المغنى لتأويل بعض كلمات الخطبة و منع دلالتها على الطعن فى خلافة من تقدّم عليه ولم ينكر استناد الخطبة إليه ، و ذكر السّيد المرتضى رضي الله عنه كلامه فى الشّافى و زيّفه و هو أكبر من أخيه الرضيّ (ره) و قاضى القضاة متقدّم عليهما ، ولو كان يجد للقدح فى استناد الخطبة إليه مساغاًلماتمسك بالتّأويلات الرّكيكة فى مقام الاعتذار و قدح كما فعل فى كثير من الروايات المشهورة،وكفى للمنصف وجودهافي تصانيف الصّدوق (ره)و كانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلاثمأة، و كان مولد الرضيّ سنة تسع و خمسين وثلاثمأة ، انتهى كلامه (ره).

و يشهد به أيضاً رواية المفيد لها في كتاب الارشاد ، و هو (ره) شيخ الرّضيّ و استاده .

فقد ظهر واستبان ممّا ذكرنا كله أنّه لاوجه لانكار كون الخطبة منه عليه السلام ، و ظني أنّ من أنكر ذلك إنّما أنكره من حيث إنّه رأى صراحتها في الطعن على المنتحلين للخلافة لاجرم بادر إلى الانكار كي لايلتزم بمقتضاها كما هو دأبهم وديدنهم في أكثر النّصوص المفيدة لانحصار الخلافة فيه عليه السلام ، أو للطعن في غيره وكفى بذلك إنكار بعضهم حديث الغدير المتواتر الذي قاله النّبيّ صلّى الله عليه و آله بمحضر سبعين ألفاً من المهاجر والأنصار والحاضر والباد. وليت الشّارح المعتزلي أنكرها أيضاًمن أصلها كي يستريح من تكلّفاته الفاسدة و تأويلاته الباردة التي ارتكبها لرفع العار والشّناعة عن الثلاثة ولن يصلح العطار ما أفسد الدّهر.

الثانية

اعلم أنّه قدطال التّشاجر بين الخاصّة والعامة في مسألة الامامة فاختلفوا تارة في أنّ نصب الامام بعد انقراض زمن النّبوة هل هو واجب علىالله أم علينا عقلا أو سمعاً وثانية في أنّ العصمة هل هي لازمة للامام أملا وثالثة في أنّ الامام هل يجب أن يكون أفضل من رعيّته و رابعة في أنّ الامام بعد الرّسول صلى الله عليه وآله من هو إلى غير ذلك من المسائل التي صارت معركة للارآء بين علماء الاسلام، و تفصيلها موكول إلى علم الكلام ولاحاجة لنا إلىإشباع الكلام فيها.

و إنّما المقصود بالبحث في هذه المقدّمةهو ان الشّارح المعتزلي معقوله بأفضليّة أميرالمؤمنين عليه السلام و اختياره تفضيله على المتخلّفين الثلاثة بأىّ معنىحمل الأفضل أعنىالأكثرثواباً أمالاجمع لمزاياالفضل والخلال الحميدةومع مبالغتهومزيد اصراره في ديباجة الشّرح في تشييد مبانى هذا الأصل و تاسيس اساسه أنكر فرع ذلك الأصل كشيوخه البغداديّين، و ضاعت منه ثمرة هذه الشّجرة والتزم بترجيح المرجوح على الرّاجح، و تقديم المفضول على الأفضل مع كونه قبيحاً عقلا ونقلا. و أسند ذلك القبيح تارة إلىالله سبحانه و تعالى كما قال في خطبة الشّرح: و قدّم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف، و أسنده اخرى إلى أنّ الامام عليه السلام بنفسهقدّمغيرهعلى نفسهلماتفرّس من اضطراب دعائم الاسلام مع عدم التّقديم لهمن حيث ضغن العرب و حقدهم له ووجود السخايم في صدورهم.

وقد كرّر ذلك الكلامفي تضاعيف الشّرح و بالغ فيه شدّة المبالغة كمبالغته في إنكار النّصّ الجليّ على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام و ذهابه إلى أنّ استحقاقه عليه السلام الخلافة إنّما كان من أجل الأفضلية لا من جهة التّنصيص و وجود النّص به من الله أو من النّبي صلى الله عليه وآله من حيث قصور النّصوص عن الدّلالة على رأيه الفاسد ونظره الكاسد أو التزامه بتأويلها مع تسليمه صراحتها نظراً إلى قيام الدّليل القطعي على زعمه على خلافها و هو الاجماع المنعقد علىخلافة الأوّل و كون بيعته بيعةصحيحة شرعيّة إلى غير ذلك من المزخرفات التي طرس منها شرحه و شيّد بها مذهبه.

وقد ذكر منها شطرا يسيراً في ذيل الخطبة السابقة حسبما عرفت هناك ولفّق منها كثيراً في شرح هذه الخطبة و غيرها من الخطب الآتية ، وقد التزمنا في شرحنا ذلك أن ننبّه على هفواته و نكشف عن خطاياه و زلّاته بقدر الامكان على حسبما يقتضيه المقام .

ولما كان بسط الكلام في كلّ ما زلّ فيه قدمه أو طغى فيه قلمه يوجب الاطالة والاطناب أحببنا أن نذكر في هذه المقدّمة أصلا كافياً يُرجع إليه ، و دليلا وافيا يعتمد عليه في إبطال جميع ما ذهب إليه ينتفع به في شرح هذه الخطبة و سابقتها ، ويسهل الحوالة إليه في شرح الخطبة التالية ممّا احتيجت إلى الاحالة فيها ، فالمقصود في هذه المقدّمة هو إثبات خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وإقامة الدّليل على انحصار الخلافة بالنّقل والعقل كليهما. فأقول و بالله التكلان وهو المستعان : إنّ هنا مقصدين.

المقصد الاول

في الأدلة النّقلية والنّصوص اللّفظية وهي على قسمين.

القسم الاول

الآيات القرآنية ، و هي كثيرة لاتحصى ونحن نذكر منها طايفة ممّا هي اقوى دلالة و أثبت حجة.

«منها قوله تعالى: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

تقريب الاستدلال أنّ الوليّ قد جاء في اللّغة تارة بمعنى النّاصر و المعين ، كقوله تعالى :

« أَلْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » .

و اخرى بمعنى المتصرف والأحقّ به والأولى بذلك ، و من ذلك السلطان وليّ من لاوليّ له و قوله صلى الله عليه وآله وسلم : أيّما امرأة نكحت بغير إذن وليها ، ولايجوز أن يراد به في الآية

المعنى الأول ، إذالولاية بذلك المعنى عامة لجميع المؤمنين كما يشهد به الآية السابقة ، فلابد أن يكون المراد به المعنى الثاني كي يستقيم الحصر المستفاد من كلمة إنما ، فاذا ثبت أن المراد به الأولى بالتصرف فالمراد به أمير المؤمنين عليه السلام لاغير .

أما أولا فللاجماع المركب . إذ كل من قال: إن المراد بالآية هو الشخص الخاص بمقتضى كلمة الحصر فقدقال : إن المراد به هو علي عليه السلام.

و أما ثانياً فللاجماع على أن ايتاء الزكاة في حال الركوع لم يكن إلا في حق علي عليه السلام ، فتكون الآية مخصوصة به ودالةعلى إمامته.

و أما ثالثا فلاتفاق المفسرين على ماحكاه شارح التجريد القوشجي على أنها نزلت في حقه عليه السلام حين أعطى السائل خاتمه وهو راكع في صلاته، ومثله ابن شهر آشوب في كتاب الفضائل حيث قال في محكي كلامه :اجتمعت الأمة على أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام انتهى ،

و أما رابعاً فلدلالة الأخبار المتظافرة بل المتواترة من العامة والخاصة على نزولها فيه عليه السلام ، وقد نقل السيد المحدث العلامة السيد هاشم البحراني في كتاب غاية المرام من طرق العامة أربعة و عشرين حديثا في نزولها فيه عليه السلام ، ومن طريق الخاصة تسعة عشر حديثا ، من أراد الاطلاع فليرجع إليه و في ذلك قال حسان بن ثابت :

أبا حسن تفديك نفسي و مهجتي و كل بطيء في الهوآء و مسارع
أيذهب مدحي والمخبر ضايع وما المدح فى جنب الاله بضايع
فأنت الذي اعطيت اذكنت راكعاً فدتك نفوس القوم يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية و بينها فى محكمات الشرايع

هذا ، و أورد الناصب الفخر الرازي في التفسير الكبير على الاستدلال بالآية تارة بعدم إمكان أن يكون المراد بها علي عليه السلام ، و أخرى بأنها على تقدير أن يكون المراد بها هو ذلك لادلالة فيها على ولايته عليه السلام ، لأنه إنما يتم إذا كان المراد

بلفظ الولي هو المتصرف لا النّاصر و المحبّ ، وهو ممنوع بل حمله على الثّاني أولى .

واستدل على الأوّل أعني عدم امكان كون المراد بها أمير المؤمنين سلام الله عليه بوجوه:

الاوّل أنّ الزكاة اسم للواجب لا للمندوب بدليل قوله تعالى : وآتوا الزكاة، فلو أنه أدّى الزكاة الواجبة فى حال كونه فى الرّكوع لكان قد أخّر أداء الزكاة الواجب عن أول أوقات الوجوب، وذلك عند أكثر العلماء معصية وأنّه لا يجوز إسناده الى عليّ عليه السلام ، و حمل الزكاة على الصّدقة النافلة خلاف الأصل لما بينا أنّ قوله: وآتوا الزكاة ، ظاهره يدلّ على أنّ كل ما كان زكاة فهو واجب.

الثانى هو أنّ اللائق بعليّ عليه السلام أن يكون مستغرق القلب بذكر الله حال ما يكون فى الصلاة ، والظاهر أنّ من كان كذلك فانه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير ولفهمه، ولهذا قال تعالى:

«اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ»

ومن كان قلبه مستغرقا في الفكر كيف يتفرّغ لاستماع كلام الغير .

الثّالث أنّ دفع الخاتم في الصّلاة للفقير عمل كثير واللاّيق بحال عليّ عليه السلام أن لا يفعل ذلك .

الرّابع أنّ المشهور أنّه عليه السلام كان فقيراً ولم يكن له مال تجب فيه الزّكاة ، و لذلك فانّهم يقولون : إنّه لما أعطى ثلاثة أقراص نزل فيه سورة هل أتى ، و ذلك لا يمكن إلاّ إذا كان فقيراً ، فأمّا من كان له مال تجب فيه الزّكاة يمتنع أن يستحقّ المدح العظيم المذكور في تلك السّورة على اعطاء ثلاثة أقراص، إذا لم يكن له مال تجب فيه الزّكاة امتنع حمل قوله : و يؤتون الزكاة وهم راكعون، عليه.

أقول: و يتوجه على الأوّل منع كون الزكاة اسماً للواجب فقط ، بل هو كساير أسامي العبادات موضوع للواجب والمندوب كليهما ،و إلاّ لزم أن يكون للمندوبات اسم تختصّ به ورآء أسامي الواجبات ، وهو خلاف ما اتّفق عليه الكلّ إذلم نطلع إلى الآن على أحد يفرّق بين الواجب والمندوب في الاسم ، و لم نجد للمندوبات أسامي مستقلّة غير أسمآء الواجبات في كتبهم الفقهية والأصوليّة ، ولا في شيء من الكتاب والسّنة ، و كون الزكاة في الآية واجبة من حيث تعلّق الأمر بها لا يدل على كون مطلق التّسمية للواجب، إذالتّسمية مقدّمة على الحكم ذاتاً و رتبة فلادلالة فيها على أنّ كلّ ما كان زكاة فهو واجب ولو في غير مقام تعلّق الأمر كما في الآية التي نحن بصددها ، و كما في قولنا الزّكاة عبادة ، و نحو ذلك ، و على فرض التنزل والمماشاة نمنع كون تأخير أدائها عن وقت الوجوب مطلقا معصية إذ ربّما يجوز تأخيرها لعدم وجود المستحقّ ، أو لعذر آخر ولا إثم على ذلك بوجه ، بل يجوز التّأخير مع العزل أيضاً على مذهب البعض ، بل ومع عدم العزل أيضاً إلى شهرين على مذهب أبي حنيفة و غيره من العامة ، و كيف كان فلاخفاء في فساد ماتوهّمه.

و على الثّاني أنّ استغراق القلب بالذكر في الصلاة إنماينافي التّوجه إلى الأمور الدّنيوية الشّاغلة عن الذكر، وأمّا إعطاء الخاتم للفقير المستحقّ ابتغاء لمرضاته سبحانه والتّوجه إلى سؤاله فلاينافي الاستغراق، بل هو عين الذكر.

يعطي و يمنع لاتلهيه سكرته ... عن النّديم ولا يلهو عن الكاس
أطاعه سكره حتّى تمكّن من ... فعل الصّحاة فهذا أفضل النّاس

ولو كان مطلق التوجّه إلى الغير منافياً للاستغراق لم يتصوّر ذلك في حق النّبي ﷺ مع أنّه قد حصل ذلك في حقّه كما يدلّ عليه : ما استدلّ به الشّافعيّ على جواز التّنبيه في الصّلاة على الحاجة بتسبيح و نحوه ، بأنّ عليّاً ؑ قال : كانت لي ساعة أدخل فيها على رسول الله ﷺ ، فان كان في الصّلاة سبّح و ذلك إذنه ،وإن كان في غير الصّلاة ، أذن ، و ما استدلّ به أبوحنيفة على عدم جواز ردّ جواب

السلام في الصلاة بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل مسجد بني عمرو بن عوف يصلي ودخل معه صهيب ، فدخل معه رجال من الأنصار يسلّمون عليه ، فسألت صهيباً كيف كان يصنع إذا سلّم عليه؟ قال: يشير بيده، ولو كان استماع كلام الغير مطلقا منافيا للاستغراق كيف يستمع السلام و يشير بيده على مامرّ أو يردّ الجواب ، على ما رواه الباقر عليه السلام من أن عمّاراً سلّم عليه عليه السلام فردّ عليه السلام ويأتي على ذلك دليل آخر (١) فانتظر

و على الثّالث منع كون ذلك فعلا كثيرا اولا إذ ليس ذلك بأزيد من خلع النّبي صلى الله عليه وآله نعليه في الصّلاة وهما فعلان وليس بأكثر من حمله صلى الله عليه وآله أمامة بنت أبي العاص ، و كان إذا سجد وضعها و إذا قام رفعها ، و قتل عقرباً و هو يصلّي ، و أخذ بأذن ابن عباس و أداره عن يساره إلى يمينه ، و أمر بقتل الأسودين في الصّلاة : الحيّة والعقرب وثانيا على فرض التنزل والمماشاة أنّ الكثرة إنّما يسلم لو كان عليه السلام مباشراً للخلع والاعطاء ، وأمّا إذا كان خلعه بفعل السّائل باشارة منه عليه السلام فلا .

و هو الذي رواه الحمويني من علماء العامة باسناده عن أنس بن مالك أن سائلا أتى المسجد و هو يقول : من يقرض المليّ الوفيّ ، و عليّ صلوات الله عليه راكع يقول بيده خلفه للسّائل أن اخلع الخاتم من يدي ، قال: فقال النّبي صلى الله عليه وآله : ياعمر وجبت قال : بأبي و أمي يارسول الله ماوجبت؟ قال : وجبت له الجنّة ، والله ما خلعه من يده حتّى خلعه من كلّ ذنب و من كل خطيئة ، و قال الزّمخشري في الكشّاف : إنّ الآية نزلت في عليّ عليه السلام حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنّه كان مرجبا «مرخياظ» في خنصره فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته وفي هذا المعنى قال دعبل الخزاعي :

اذا جاءه المسكين حال صلاته — فامتدّ طوعاً بالذّراع و باليد
فتناول المسكين منه خاتماً — هبط الكريم الاجودي الاجود
فاختصّه الرّحمن في تنزيله — من حاز مثل فخاره فليعدد

١ــ وهو ما يأتي بعيد هذا من حمل النبي لامامة و قتله العقرب، منه

انّ الاله وليكم و رسوله والمؤمنين فمن يشأ فليجحد
يكن الاله خصيمه غداً و الله ليس بمخلف فى الموعد

و على الرّابع أنّ المراد بالزكاة فى الاية الصّدقة النّافلة لما عرفت من صحة إطلاقها عليها كصحّة اطلاقها على الواجبة و كونه فقيراً لم يكن له مال يجب فيه الزّكاة فلاينافى إعطاء الزّكاة تطوعاً كما قال الفرزدق :

لايقبض العسر بسطاً من اكفهم سيّان ذلك ان أثروا و ان عدموا
كلتا يديه غياث عمّ نفعهما يستو كفان ولا يعروهما العدم

هذا ، و غير خفيّ أنّ فقره عليه السلام لم يكن من عجزه و عدم تمكنه من جمع المال بل إنّما هو من كثرة الجود والسّخاء ، و كفى بذلك أنّه لم يخلّف ميراثا و كانت الدّنيا كلّها بيده إلاّ ما كان من الشّام ونحوه ، وشاهد صدق على ماذكرنا الخاتم الذي أعطاه للسّائل وقدذكر الغزالى فى محكي كلامه عن كتاب سرّ العالمين أن ذلك الخاتم كان خاتم سليمان بن داود عليه السلام

و فى رواية عمّار بن موسى السّاباطى عن أبيعبدالله عليه السلام أنّ الخاتم الذي تصدّق به أمير المؤمنين عليه السلام وزن أربعة مثاقيل حلقته من فضّة و فصّه خمسة مثاقيل وهو من ياقوتة حمراء و ثمنه خراج الشّام، وخراج الشام ثلاثمائة حمل من فضة وأربعة أحمال من ذهب و كان الخاتم لمرّ ان بن طوق قتله أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الخاتم من اصبعه و أتى به إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله من جملة الغنائم و أمره النبيّ صلّى الله عليه وآله أن يأخذ الخاتم فأخذ الخاتم و أقبل و هو فى اصبعه و تصدّق به على السّائل فى أثناء صلاته خلف النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

و كيف كان فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ عدم وجوب الزّكاة عليه لم يكن من أجل عدم تملكه للنّصاب كما يتوهّم من ظاهر كلام النّاصب بل قد تملّك نصبا كثيرة و بذل نصبا كثيرة و إنّما المانع من تعلّق الوجوب هو أنّه لم يكن حريصاً على جمع المال حتى يحول عليه الحول، يمنعه من الادّخار ملكة الجود و السخاء والزهد ، ولأنّ اللازم على

أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة النّاس كيلا يتبيغ (١) بالفقير فقره، و حاصل الكلام منع كونه فقيراً بالمعنى الذي يتوهّم من كلام الناصب أوّلا، و منع امتناع حمل الآية عليه على تقدير كونه عادماً لمال يجب فيه الزكاة ثانياً فافهم جيّداهذا.

واستدل على الثاني أعني أولوية إرادة الناصر والمحب من لفظ الوليّ بالنسبة إلى المتصرف بوجوه.

الأول أنّ اللايق بما قبل هذه الآية ومابعدها ليس إلاّ هذا المعنى. أمّا ما قبل هذه الآية فلأنه تعالى قال:

« ياأيّها الّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارىٰ أوْلِياءَ ».

وليس المراد لاتتخذوا اليهود والنصارى أئمة متصرّفين فى أرواحكم و أموالكم، لأنّ بطلان هذا كالمعلوم بالضّرورة، بل المراد لاتتخذوا اليهود والنصارى أحباباً و أنصاراً ولاتخالطوهم ولاتعاضدوهم، ثمّ لما بالغ في النّهى عن ذلك قال: إنّما وليكم الله و رسوله والمؤمنون الموصوفون، والظاهر أنّ الولاية المأمور بها هيهنا هي المنهيّ عنها فيما قبل، و لما كانت الولاية المنهيّ عنها فيماقبل هي الولاية بمعنى النّصرة كانت الولاية المأمور بها هي الولاية بمعنى النّصرة، و أمّا ما بعد هذه الآية فهي قوله:

« ياأيّها الّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الّذينَ اتَّخَذُوا دينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفّارَ أوْلِياءَ وَ اتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ ».

فأعاد النّهى عن اتخاذ اليهود والنصارى والكفّار أوليآء، ولاشك أنّ الولاية المنهيّ عنها هي الولاية بمعنى النّصرة فكذلك الولاية في قوله: إنّما وليكم الله، يجب أن يكون هي بمعنى النصرة، و كلّ من أنصف و ترك التعصب و تأمل في مقدمة الآية

١ــ تبيغ عليه الامر و اختلط والدم هاج ق

و في مؤخرها قطع بأنّ الوليّ في قوله : إنّما وليكم الله ، ليس إلاّ بمعنى النّاصر والمحبّ ، ولايمكن أن يكون بمعنى الامام ، لأنّ ذلك يكون القاء الكلام الأجنبي فيما بين كلامين مسوقين لغرض واحد ، و ذلك يكون في غاية الركاكة و السّقوط ويجب تنزيه كلام الله تعالى عنه.

الثّانى أنّا لوحملنا الولاية بمعنى التّصرف والامامة لما كان المؤمنون المذكورون في الآية موصوفين بالولاية حال نزول الآية ، لأنّ عليّ بن أبيطالب كرم الله وجهه ما كان نافذ التّصرف حال حياة الرّسول ، والآية تقتضي كون هؤلاء المؤمنين موصوفين بالولاية في الحال ، أمّا لوحملنا الولاية على المحبة والنصرة كانت الولاية حاصلة فى الحال ، فثبت أنّ حمل الولاية على المحبة أولى من حملها على التّصرف، والذي يؤكدماقلناه أنّه تعالى منع من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، ثم أمرهم بموالاة هؤلاء المؤمنين، فلابدّ و أن تكون موالاة هؤلاء المؤمنين حاصلة فى الحال حتّى يكون النّفى والاثبات متواردين على شيء ، ولما كانت الولاية بمعنى التصرّف غيرحاصلة فى الحال امتنع حمل الآية عليها.

الثّالث أنّه تعالى ذكر المؤمنين الموصوفين في هذه الآية بصيغة الجمع في سبعة مواضع ، وهى قوله : والذين آمنوا الذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون ، و حمل الألفاظ الجمع وإن جاز على الواحد على سبيل التّعظيم لكنّه مجاز لاحقيقة والأصل حمل الكلام على الحقيقة.

الرّابع انّا قدبيّنا بالبراهين البيّن أن الآية المتقدّمة وهي قوله : يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه إلى آخر الآية من أقوى الدّلالة على صحّة إمامة أبي بكر ، فلودلت هذه الآية على صحة إمامة عليّ بعد الرّسول ﷺ لزم التناقض بين الآيتين وذلك باطل، فوجب القطع بأنّ هذه الآية لا دلالة فيها على أنّ عليّا هو الامام بعد الرّسول.

الخامس انّ عليّ بن أبيطالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الرّوافض، فلو كانت هذه الآية دالة على إمامته لاحتجّ بها في محفل من المحافل ، وليس للقوم

أن يقولون إنّه تركه للتقية ، فانّهم ينقلون عنه أنّه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير و خبر المباهلة وجميع فضائله ومناقبه ولم يتمسّك البتة بهذه الآية في إثبات إمامته ، و ذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الرّوافض لعنهم الله.

السّادس هب أنّها دالة على إمامة عليّ لكنّا توافقنا على أنّها عند نزولها دلت على حصول الامامة في الحال ، لأنّ عليّا ما كان نافذ التّصرف في الامة حال حياة الرّسول عليه الصّلاة والسلام ، فلم يبق إلاّ أن تحمل الآية على أنّها تدلّ على أنّ عليّا سيصير إماماً بعد ذلك ، و متى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه و نحمله على إمامته بعد أبي بكر و عمر و عثمان ، إذ ليس في الآية ما يدلّ على تعيين الوقت ، فان قالوا : الامة في هذه الآية على قولين ، منهم من قال : إنّها لاتدلّ على إمامة علي ، و منهم من قال إنّها تدلّ على إمامته و كلّ من قال بذلك قال: إنّها تدلّ على إمامته بعد الرّسول من غير فصل : فالقول بدلالة الآية على إمامة عليّ لا على هذا الوجه قول ثالث ، و هو باطل ، لأنا نجيب عنه ، فنقول : و من الذي أخبركم أنّه ما كان أحد في الامة قال هذا القول، و من المحتمل بل من الظاهر أنّه منذ استدلّ مستدلّ بهذه الآية على إمامة عليّ فانّ السائل يورد على ذلك الاستدلال هذا السؤال، فكان ذكر هذا الاحتمال و هذا السّؤال مقروناً بذكر هذا الاستدلال.

السّابع أنّ قوله : إنّما وليكم الله و رسوله لاشك أنّه خطاب مع الامة، وهم كانوا قاطعين بأنّ المتصرف هو الله ورسوله ، وإنّما ذكر الله هذا الكلام تطييباً لقلوب المؤمنين و تعريفا لهم بأنّه لاحاجة بهم إلى اتخاذ الأحباب والانصار من الكفار ، و ذلك لأنّ من كان الله و رسوله ناصراً له و معينا فأىّ حاجة له إلى طلب النصرة والمحبة من اليهود والنصارى ، و إذا كان كذلك كان المراد بقوله : إنّما وليكم الله و رسوله ، هو الولاية بمعنى النّصرة والمحبة ، ولاشك أنّ لفظ الوليّ مذكور مرّة واحدة، فلما اريد هيهنا معنى النصرة امتنع أن يراد به معنى التصرف ، لما ثبت أنّه لايجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معاً.

الثامن أنّه تعالى مدح المؤمنين في الآية السابقة بقوله:

« يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ » .

فاذا حملنا قوله: إنّما وليكم الله و رسوله ، على معنى المحبّة والنصرة كان قوله: إنما وليكم الله ورسوله، يفيدفايدة قوله: يحبهم و يحبّونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ، و قوله : يجاهدون في سبيل الله ، يفيد فايدة قوله : يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة وهم راكعون ، فكانت هذه الآية مطابقة لما قبلها مؤكدّة لمعناها فكان ذلك أولى ، فثبت بهذه الوجوه أنّ الولاية المذكورة في هذه الآية يجب أن تكون بمعنى النصرة لابمعنى التصرف .

ثم قال الناصب أمّا الوجه الذي عوّلوا عليه و هو أنّ الولاية المذكورة في الآيةغير عامةوالولاية بمعنى النصرة عامة فجوابه من وجهين.

الاوّل أنّا لانسلّم أنّ الولاية المذكورة في الآية غير عامة ولانسلّم أنّ كلمة إنّما ، للحصر والدّليل عليه قوله:

« إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ الدُّنيا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّماءِ »

ولاشك أنّ الحياة الدّنيا لها أمثال اخرى سوىهذا المثل، وقال:

« إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ الدُّنيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ »

ولاشك أنّ اللّعب واللّهو قديحصل في غيرها.

الثانى لانسلّم أنّ الولاية بمعنى النصرة عامة في كلّ المؤمنين و بيانهأنّهتعالى قسم المؤمنين قسمين أحدهما الذين جعلهم موليا عليهم وهم المخاطبون بقوله إنما وليكم الله و الثانى الأولياء ، وهم المؤمنون الذين يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة وهم راكعون ، فاذا فسرنا الولاية هيهنا بمعنى النصرة كان المعنى أنّه تعالى جعل أحد القسمين أنصاراًللقسم الثّاني ، و نصرة القسم الثانىغير حاصلة لجميع المؤمنين ولو كان كذلك لزم في القسم الذي هم المنصورونأن يكونوا ناصرين لأنفسهم ، وذلكمحال ، فثبتأننصرةأحد قسمى الامة غير ثابتة لكلّالامة ، بل مخصوصة بالقسم

الثاني من الامة ، فلم يلزم من كون الولاية المذكورة في هذه الآية خاصّة أن لاتكون بمعنى النصرة ، و هذا جواب حسن دقيق لابدّ من التأمل فيه ، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: والجواب عن الوجه الاوّل أوّلا أنّ كون الولي في الآية السابقة واللاحقة بمعنى الناصر لا دلالة فيه على كون المراد به في هذه الآية ذلك المعنى أيضاً باحدى من الدلالات ، و ما استدلّ به عليه من أنّه لولا ذلك لزم إلقاء الكلام الأجنبيّ بين كلامين مسوقين لغرض واحد و ذلك في غاية الركاكة ، ففيه منع الأجنبيّة أولا إذ الولاية بمعنى النصرة شأن من شؤنات الولاية المطلقة ، فحيث إنه سبحانه نهى عن اتخاذ الكفار أولياء أى أنصاراً أثبت الولاية المطلقة لنفسه و لرسوله و للمؤمنين الموصوفين ، و من المعلوم أنّ الولاية المطلقة أعني التصرف في امور المؤمنين على وجه الاطلاق شاملة على التصرف بالنصرة ، فعلى ذلك يكون في الآية دلالة على كون الله و رسوله والمؤمنين الموصوفين ناصرين لساير المؤمنين على وجه الكمال، فعلى ذلك النئم أجزاء الكلام على أحسن اتساق و انتظام ، و منع كون هذه الاجنبية موجبة للركاكة ثانيا ، إذ المجانبة بينها ليست بأزيد من المجانبة بين الشّرط والجزاء في قوله تعالى :

« وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ »

و على تقدير تسليم الرّكاكة فيكون ذلك اعتراضاً على خليفتهم عثمان ثالثا ، لظهور أنّ هذه الآيات الثلاث لم تنزل دفعة واحدة ، بل قدنزلت تدريجاً و نجوماً ، و قد جمعها عثمان بهذا الوجه و حرّف الكلم عن مواضعها و لم يرتّب الآيات كما هو حقّها .

و ثانياً أنّ توافق الآيات و جريها على نسق واحد و إن كان مقتضياً لحمل الوليّ هيهنا على النّاصر و موجباً لظهوره فيه ، إلاّ أنّه إذا امتنع حمله عليه بمقتضى

كلمة الحصر والجملة الوصفيّة الظاهرتين في المعنى الآخر حسبما عرفت في تقريب الاستدلال و ستعرفه أيضاً ، فلابدّ من رفع اليد عن ذلك الظهور ، و بعبارة اخرى ظهور التّناسق يوجب حمله على النّاصر إلاّ أنّه معارض بظهور الحصر و الوصف في المعنى الآخر ان لم يكونا نصّين فيه ، و الثّاني أقوى من الأوّل فيجب المصير اليه .

و عن الثّاني بأنّه إنّما يتمّ على مذهب من يجعل المشتقّ حقيقة في الحال كما هو الأشهر ، و أمّا على مذهب من يجعله حقيقة في مطلق ما اتّصف بالمبدء سواء كان في الماضي أو في الحال أو الاستقبال إذا كان محكوماً عليه فلا ، فيكون ذلك مثل قوله تعالى :

« ٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا »

حيث إنّهم يستدلّون بهذه الآية على وجوب قطع يد السّارق ، ولو لم يكن سارقا حين نزول الآية إلاّ أنّ هذا القول لما كان غير مرضيّ عندنا على ما حقّقناه في حاشيتنا على القوانين و نبّهنا هناك أيضاً على ضعف الاستدلال بآية السّرقة ، فالأولى الاعراض عنه والجواب على المذهب المختار الموافق للمشهور ، و هو أنا لا ننكر كون المشتقّ حقيقة في الحال أى حال التّلبس ، و لازمه الاتصاف بالولاية حال نزول الآية لظهور الجملات الخبريّة في كون حال التّلبس فيها هو حال النّطق إلا أنّا نقول : إنّ الحقيقة إذا كانت متعذّرة بما ذكره النّاصب من عدم الاتصاف بالولاية بمعنى التصرف حال النّزول ، فلابدّ من المصير إلى المجاز و هو المتلبس به في المستقبل ، وأما ما ذكره من أنّا لو حملنا الولاية على النّصرة كانت الولاية حاصلة في الحال ، ففيه أنّ حصول النصرة حين نزول الآية من المؤمنين الموصوفين بل و من الرّسول أيضاً غير معلوم .

فان قلت : سلّمنا ولكن بين المعنيين فرق واضح ، و هو أن تصرّفهم أعني المؤمنين حال النزول معلوم العدم و نصرتهم غير معلومة .

قلت: اللازم في صحة الاطلاق الحقيقي للمشتق هو العلم بالاتصاف بالمبدء حال الاطلاق، و عدم العلم به غير كاف في صحة الاطلاق، بل هو كالعلم لعدم الاتصاف يوجب مجازية الاطلاق، و بالجملة فقد تحقق بما ذكرنا أن جعل الولي بمعنى النّاصر لايكفي في صحة الاطلاق الحقيقي و أنّ ما اعترض به على جعله بمعنى المتصرف وارد على جعله بمعنى الناصر حرفا(١) بحرف. فاللازم حينئذ حمله على المعنى المجازي و هو المتّصف بالولاية أعمّ من أن يكون في الماضي والحال و الاستقبال جميعاً كما في الله و رسوله، ومن أن يكون في خصوص الاستقبال كما في المؤمنين الموصوفين، و هذا كله مبني على المماشاة مع الخصم، وإلاّ فنقول: إن المراد بالوليّ في الآية هو الأولى بالتّصرف كما هو أحد معانيه اللغويّة وعليه فالاعتراض ساقط من أصله كما لايخفى.

و عن الثّالث أوّلا بالنّقض، فانّه قدقال في تفسير قوله تعالى:

«وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ»

انّ المراد من اولى الفضل أبوبكر و كنى عنه بلفظ الجمع، والواحد إذا كني عنه بلفظ الجمع دلّ على علوّ شأنه كقوله تعالى:

١ـ لايقال سلمنا ورود هذا الايراد على جعله بمعنى الناصر ولكنه لايتوجه على جعله بمعنى المحب اذ المحبة قدكانت موجودة حال نزول الآية لانا نقول اولا انه استدل بالادلة الثمانية على اولوية ارادة الناصر بالنسبة الى المتصرف لاعلى اولوية ارادة المحب كما هو صريح كلامه فى اصل العنوان، وثانيا سلمنا ان غرضه الاستدلال على اولويتهما كليهما بالنسبة اليه حسبما يظهر من كلامه فى اصل العنوان ومن اراداته المحبة بالنصرة والمحب بالناصر فى تضاعيف الادلة لكنا نقول انه ان اراد بالنصرة النصرة الناشئة عن المحبة و بالمحبة المحبة المشتملة على النصرة، وبعبارة اخرى معنى واحداً شاملا عليهما فتوجه عليه الايراد كتوجهه على ارادة النصرة فقط حرفا بحرف و ان اراد بالمحبة مجرد الحب الخالي عن النصرة ففيه حينئذ انه مغاير للنصرة قطعا فلاوجه لعطفه عليه غير مرة فى كلامه لاستلزام ارادتهامعا استعمال اللفظ فى اكثر من معنى واحد وهو غيرمرضى عند المحققين و عنده أيضاً حسبما صرح به فى كلامه و استدل به على عدم جواز ارادة الناصر والمتصرف معاً. فافهم جيداً. منه

«إنّا نحن نزّلنا الذّكر، إنّا أعطيناك الكوثر»

فانظر ان الشخص الذي كناه الله سبحانه مع جلاله بصيغة الجمع كيف يكون علوّ شأنه انتهى.

و ثانيا بالحلّ، و هو أنّ الأصل في الاستعمال و إن كان هو الحقيقة إلّا أنّه مع قيام القراين القطعية من الأخبار العامية والخاصّية على إرادة المعنى المجازي لابدّ من حمل اللفظ عليه، مضافاً إلى ما في حسن التعبير بلفظ الجمع من اشتماله على التعظيم والنكتة اللطيفة التي لاتخفى، و هي ما أشار إليه في الكشّاف، قال: فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعلي عليه السلام واللفظ لفظ الجماعة؛ قلت: جيء به على لفظ الجمع و إن كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب النّاس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه و لينبّه على أنّ سجيّة المؤمنين لابدّ أن يكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والاحسان و تفقد الفقراء، حتّى أن لزمهم أمر لايقبل التأخير وهم في الصّلاة لم يؤخّروه إلى الفراغ منها انتهى.

و عن الرابع بأنّه مما تضحك منه الثكلى، لانّه خلاف ما اتفقت عليه الامة، أما الخاصة فلأنهم اتفقوا على أنّ الآية أعنى قوله: يا أيها الذين آمنوا من يرتد اه، إنما هى إشارة إلى ظهور الدّولة الحقة القاهرة و إلى رجعة آل محمد و سلطنتهم سلام الله عليه و عليهم، و عليه قد دلت الاخبار المتظافرة من طرقهم و من طريق العامة كما رواها فى غاية المرام، أو إلى أنّ المراد بالمرتدّين هم الناكثون والقاسطون والمارقون، و بقوم يحبّهم و يحبّونه، هم أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه كمافى أخبار اخر وأمّا العامة فلاتفاقهم على أنّ خلافة أبي بكر كانت مستندة الى البيعة لا إلى النّص وأيضا لو كان الآية دالّة على صحّة خلافته للاستدلال بها يوم السّقيفة وليس فليس، والعجب كل العجب أنّ النّاصب يقول: إنّ المراد بقوم يحبّهم و يحبّونه هو أبوبكر و أصحابه، والشّيعة يقولون: إنّ هؤلاء داخلون في قوله: من يرتدّ منكم عن دينه و إنّ المراد بالمرتدّين هم الغاصبون لحقّ آل محمد صلى الله عليه وآله فانظر ما ذا ترى من التّفاوت بين القولين و يأتي

إنشاءالله تحقيق ابطال مقال هذا الناصب في هذه الآية بما لامزيد عليه في شرح الفصل الثامن من الخطبة المأة والحادية والتسعين .

وعن الخامس بأنّ عدم تمسّكه سلام الله عليه بهذه الآية ممنوع، بل قد تمسك بها كما تمسك بخبر الغدير والمباهلة و غيرهما، وقوله : ولم يتمسك ألبتة بهذه الآية إن أراد به عدم ورود تمسكه بها في أخبارهم فهو مسلّم إلاّ أنّه لايوجب القطع بعدم التمسّك ؛ إذ جلّ مسائل الحقّة لم يرد به رواية منهم ، و هو لايدلّ على انتفاء تلك المسائل واقعاً و إن أراد به عدم ورود خبر على ذلك من طرق الخاصّة كوروده في تمسّكه بخبر الغدير والمباهلة ، ففيه منع ذلك لورود تمسكه بها في بعض أخبارهم مثل ورود التمسك بغيرها ، و هو ما رواه في كتاب غاية المرام من مجالس الشيخ باسناده إلى أبي ذر في حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام عثمان والزّبير و عبدالرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص يوم الشّورى و احتجاجه عليهم بما فيه من النّصوص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والكلّ منهم يصدّقه فيما يقوله ، فكان فيما ذكره عليه السلام: فهل فيكم أحد آتى الزّكاة وهو راكع فنزلت فيه :

« إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ »

غيرى ؟ قالوا : لا، وفي ذلك الكتاب أيضاً عن ابن بابويه باسناده عن أبي سعيد الوراق عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام في حديث مناشدة علي عليه السلام لأبي بكر حين ولى أبوبكر الخلافة و ذكر عليه السلام فضائله لأبي بكر والنّصوص عليه من رسول الله فكان فيما قال له : فانشدك بالله ألي الولاية من الله مع ولاية رسول الله في آية زكاة الخاتم أم لك ؟ قال : بل لك ، فقد ظهر ممّا ذكرنا غفلة النّاصب اللعين عن أخبار الشّيعة ولاغرو في ذلك فانّه جاهل بما هو أعظم من ذلك وليس ذلك من الظالمين ببعيد .

وعن السّادس أوّلا بمنع عدم ثبوت الولاية له عليه السلام حال نزول الآية ، لما قد

ذكرنا سابقا أنّ المراد بالولي هو الأولى بالتّصرف، و هذا المعنى كان حاصلا له حال النزول، و ثانياً سلّمنا أنّ الآية مفيدة لكونه ولياًفي المستقبل نظراً إلى كون الوليّ بمعنى المتصرف، إلاّ أنّا نمنع قوله. و نحمله على إمامته بعد أبي بكر وعمر وعثمان اه، إذ الآية كما هي مثبتة لامامته ﷺ، كذلك نافية للامامة عن غيره حسبما حققناه في تقريب الاستدلال وسنحقّقه أيضاً بما لامزيد عليه، وعليه فلايبقى للثّلاثة خلافة حتّى يتأخّر عليّ ﷺ عنهم أو يتقدّم عليهم و هو ظاهر، و ثالثا أنّ قوله: فانّ المحتمل اه، واضح الفساد، إذ مجرّد احتمال الخلاف لايوجب القدح في حجّية الاجماع، وإلا لم يسلم شيء من الاجماعات للحجية، والعجب كلّ العجب أنّ الناصب اللّعين يسقط الاجماع عن الحجّية هنا بمجرّد احتمال المخالف، ويحتج له كغيره على خلافة أبي بكر مع وجود الخلاف القطعي المحقق هناك من غير واحد من أعاظم الصّحابة، فكيف يكون الاجماع على البيعة حجة مع وجود الخلاف القطعي ولايكون ذلك دليلا بمجرّد احتمال الخلاف.

و عن السّابع أنّا قد ذكرنا سابقا أنّ التّصرف بالنّصرة شأن من شؤنات الولاية المطلقة و عليه فتطيب قلوب المؤمنين كما يحصل بتعريفهم كون الله ورسوله ناصراً لهم كذلك يحصل بتعريفهم كونه سبحانه و رسوله أولى بالتّصرف في أرواحهم و أبدانهم و متصرفافيهم بالنصرة و بغير النصرةفي جميع حالاتهم و أطوارهم، بل حصول التطيب بالثّاني أقوى وآكد من حصوله بالأوّل كما هو غير خفيّ على العارف الفطن.

و عن الثامن أنّ الآيتين لاربط لاحداهما بالأخرى، ولا داعي إلى تكلف التطبيق بينهما، إذ كلّ منهما مسوقة لمقصود غير ما قصد بالأخرى، مضافا إلى مافي المناسبة التي أبدئها بينهما من سخافة لاتخفى هذا.

وبقى الكلام في الوجهين اللذين أجاب بهما النّاصب اللعين عمّا عوّل عليه أصحابنا من كون الولاية المذكورة في الآية غير عامة، و الولاية بمعنى النّصرة عامة فأقول:

أما الوجه الأوّل ففيه أنّه إن أراد بقوله : لانسلّم أنّ كلمة انّما للحصر عدم إفادتها الحصر في خصوص تلك الآية فيتوجه عليه أنه لايناسب على ذلك الاستدلال له بالآيتين ، لعدم دلالة عدم إفادتها للحصر فيهما على زعمهٔ عدم إفادتها له في هذه الآية بشيء من الدّلالات ، و إن أراد به عدم إفادتهما مطلقا كما هو الظاهر من كلامه، ففيه مضافا إلى أنّه خلاف ما صرّح به نفسه في تفسير قوله:

« قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ »

أوّلا أنّ المتبادر منها هو الحصر فيكون حقيقة فيه ، لأنّ التبادر علامة الحقيقة ، و ثانيا أنّ المشهوربين الاصوليّين واللغويين والنّحويين هو ذلك، و إليه ذهب الجوهري وصاحب القاموس وحكى عن البيضاوي في المنهاج، والسّكاكي في المفتاح ، والقزويني في الايضاح ، و إليه ذهب من أصحابنا رضوان الله عليهم الشيخ والمحقّق والعلامة والطبرسي والطريحي والعميدي و نجم الأئمة الرّضي و غيرهم بل قد ادعى عليه الاتفاق جماعة منّا و منهم ، منهم العلامة في التّهذيب قال : إنّما للحصر بالنقل عن أهل اللغة ، و في النّهاية قال أبوعلي الفارسي : إنّ النحاة أجمعوا عليه وصوّبهم فيه و نقله و قوله حجة ، والطريحي في مجمع البحرين قال : و إنّما المتكرّر في الكتاب والسنة و كلام البلغآء فهي على ما نقل عن المحققين موضوعة للحصر عند أهل اللغة ، ولم نظفر بمخالف لذلك و استعمال العربيّة والشّعراء والفصحآء إيّاها بذلك يؤيّده انتهى .

و عن الأزهري في كتاب الزّهر عن أهل اللغة أنّ إنّما يقتضى ايجاب شيء و نفي غيره ، و في التلخيص تبعاً للمفتاح في مقام الاستدلال لافادتها للحصر قال لتضمّنه معنى ما وإلاّ ، لقول المفسرين :

« إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ »

بالنّصب معناه ما حرّم الله عليكم إلاّ الميتة ، و هو المطابق لقرائة الرّفع و لقول النّحاة : إنّما لاثبات ما يذكر بعده و نفي ما سواه انتهى ، و مع ذلك كلّه لاوجه

لمنع إفادتها الحصر إذ قول اللغوى الواحد معتبر في باب الأوضاع فضلا عن الشهرة المحصّلة والاتفاقات المحكيّة مضافاً إلى الأدلة التي استدلوا بها في كتب الاصول والبيان والنّحو و غيرها.

و امّا الآيتان اللتان استدل بهما ففيهما **أولا** منع عدم إفادتهما الحصر فيهما و لو بالتّأويل القريب يشهد بذلك وقوع كلمة ما و إلاّ عوضها في الآية الأُخرى و هو قوله:

«وَ مَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ».

إذ لاخلاف في افادتها للحصر **وثانيا** سلّمنا ذلك إلاّ أنّهما لاتثبتان الدّعوى لكونهما أخصّ من المدّعى حسبما أشرنا إليه سابقا **وثالثا** أن الاستعمال أعمّ من الحقيقة، والمجاز خير من الاشتراك، فقد تحصّل ممّا ذكرنا كله أنّها حقيقة في الحصر فتكون مجازاً في غيره فبطل القول بكونه حقيقة في الثّاني كماحكى عن الامدى وأبى حيان و غيرهما، والقول بكونها مشتركة بينهما بالاشتراك اللفظى كما هو محتمل كلام الفيومى في المصباح، و تفصيل الكلام زيادة عن ذلك فليطلب من مواضعه.

و أمّا الوجه الثّاني ففيه أنّ جعل المؤمنين على قسمين أحدهما الناصرون والآخر المنصورون لايسمن ولايغنى من جوع بيان ذلك أنّ كلمة إنّما مفيدة للحصر و مقتضية لاثبات الولاية لله و لرسوله و للمؤمنين الموصوفين نافية لها عمّن سواهم، فمقتضى الآية بحكم أداة الحصر هو اختصاص الولاية لهؤلاء الثلاثة و هو إنّما يتمّ لو جعل المراد بالآية الأولى بالتّصرف بخلاف ما لواريد بها النّصرة، ضرورة عدم اختصاص النصرة بهم بل يعمهم و غيرهم من المؤمنين الغير الموصوفين بالصّفة المذكورة لحصولها منهم و من غيرهم و حينئذ فلايكون للحصر فايدة و هذا معنى قولنا: إنّ الولاية بمعنى النصرة عامة من حيث عدم اختصاصها بالمؤمنين المتّصفين بايتاء الزّكاة في حال الرّكوع وليس معناه أنها عامة لجميع المؤمنين حتّى يعترض عليه بجعلهم على قسمين و تخصيصها بأحد القسمين كما توهمه الناصب.

لايقال : إنّ هذا يتمّ لو جعل جملة وهم راكعون حالية ، و أمّا لو جعلت معطوفة فلا .

لانا نقول : لايجوز جعلها عطفا لأنّ الصّلاة قد تقدّمت وهى مشتملة على الرّكوع فيكون إعادة ذكر الرّكوع تكراراً ، فوجب جعلها حالا أى يؤتون الزّكاة حالكونهم راكعين وقد وقع الاجماع على أنّ ايتاء الزّكاة حال الرّكوع لم يكن إلاّ من عليّ عليه السلام ، فقد تحقق ممّا ذكرنا كله أنّ الآية الشريفة من أقوى الدلايل على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام و أنّ اعتراضات الناصب اللعين أوهن من نسج العنكبوت فهو من :

« الْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً أَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً »

و أقول على رغم الناصب :

يا من بخاتمه تصدّق راكعاً　　إنّى ادّخرتك للقيامة شافعاً
الله عرّفنى و بصّرنى به　　فمضيت فى دينى بصيراً سامعاً

ومنها قوله تعالى : « أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ »

تقريب الاستدلال أنّه سبحانه أمر بطاعة اُولى الامر كما أمر بطاعة الرّسول ، و هو يقتضى عموم طاعتهم حيث إنّه سبحانه لم يخصّ طاعتهم بشيء من الاشياء . ففى فقد البيان منه تعالى دلالة على ارادة الكلّ و إذا ثبت ذلك لابدّ و أن يكون وليّ الامر معصوماً عن الخطاء ، إذ مع عدم عصمته عن الخطاء لم يؤمن من وقوع الخطاء منه ، و على تقدير وقوع الخطاء منه يلزم أن يكون قد أمرنا الله بمتابعته فيلزم منه أمره سبحانه بالقبيح وهو محال ، فثبت أن أمره سبحانه بمتابعة اُولى الامر وطاعتهم مستلزم لعصمتهم ، و إذا ثبت دلالة الآية على العصمة وعموم الطاعة ثبت أنّ المراد باُولى الامر فيها الأئمة عليهم السّلام ، إذ لا أحد يجب طاعته على ذلك الوجه بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله

إلاّ هم سلام الله عليهم.

و بهذا التّقرير ظهر ضعف ما ذهب إليه العامة من حمل أولى الأمر على المتخلّفين الثّلاثة كما ذهب إليه منهم طائفة ، و حمله على امراء السّرايا كماذهبت إليه طائفة اخرى ، و على علمآء العامة كما هو مذهب طائفة ثالثة ، ضرورة انتفاء العصمة عنهم جميعاً مضافا إلى عدم وجوب طاعة الامراء كالعلمـآء على نحو العموم باتّفاق منّا و منهم ، و إنّما طاعة الامرآء واجبة فيما تعلّق بأمارتهم ، وطاعةالعلمآء كذلك في الأحكام الشّرعيّة ، على أن الامرآء كالعلمآء ربّما يختلفون في الآراء ، ففي طاعة بعضهم عصيان بعض ، و إذا أطاع المؤمن بعضهم عصى الآخر لامحالةهذا.

و ذهب النّاصب فخر المشكّكين إلى أنّ المراد بأولى الأمر أهل الحلّ والعقد وأنّ الآية دالة على أنّ اجماع الامة حجّة حيث قال بعد ماأثبت دلالةالآية على وجوب عصمة أولى الأمر بمثل ماأثبتناه ما هو صريح عبارته : فثبت قطعاً أنّ أولى الأمر المذكور في هذه الآية لابدّ و أن يكون معصوماً قطعاً ، ثمّ نقول : ذلك المعصوم إمّا مجموع الامة أو بعض الامة لاجايز أن يكون بعض الامة لأنّا بينّاأن الله تعالى أوجب طاعة أولى الأمر في هذه الآية قطعاً ، و ايجاب طاعتهم قطعاً مشروط بكوننا عارفين بهمقادرين على الوصول إليهم والاستفادة منهم ، و نحن نعلمبالضّرورة أنّا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم ، عاجزون عن الوصول إليهم عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم ، و إذا كان الأمر كذلك علمناأنّ المعصوم الذي أمرالله المؤمنين بطاعتهليس بعضا من أبعاض الامة، ولا طائفة من طوايفهم ، ولما بطل هذاوجب أن يكون ذلكالمعصوم الذيهو المراد بقوله و أولى الأمرأهل الحلّ والعقد من الامة و ذلك يوجب القطع بأنّ اجماع الامة حجّة .

ثمّ إنّه بعد طائفة من الكلام في النقض والابرام في ذلك المرامقـال:

و أمّا حمل الآية على ما تقوله الرّوافض ففي غاية البعد لوجوه.

أحدها ما ذكرناه أنّ طاعتهم مشروطة بمعرفتهم و قدرة الوصول إليهم ، فلو أوجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليفمالايطاق ، ولو أوجب علينا طاعتهم

إذا صرنا عارفين بهم و بمذاهبهم صار هذا الايجاب مشروطا ، و ظاهر قوله : أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و اُولى الأمرمنكم ، يقتضى الاطلاق ، و أيضاً ففي الآية مايدفع هذا الاحتمال ، و ذلك لأنّه تعالى أمر بطاعة الرّسول و طاعة اولى الأمر فى لفظة واحدة و هو قوله : و أطيعوا الرّسول و اُولى الأمر منكم، واللّفظة الواحدةلايجوز أن تكون مطلقة و مشروطة ، فلما كانت هذهاللّفظة مطلقة في حقّ الرّسول وجب أن تكون مطلقة في حقّ اُولى الأمر.

الثّاني أنّه تعالى أمر بطاعة اُولى الأمر، و اُولوا الأمر جمع و عندهم لايكون في الزّمان إلاّ إمام واحد و حمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر.

وثالثها أنه قال : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ » .

و لو كان المراد باُولى الأمر الامام المعصوم لوجب أن يقال : فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الامام ،فثبت أنّ الحقّ تفسيرالآية بماذكرناه ،انتهى كلامه هبط مقامه .

أقول : و أنت خبير بما فيما ذهب اليه من الضعف والفساد .

أما اولا فلأنّ ما ذكره من دلالة الآية على حجيّة الاجماع ، إمّا أن يكون مراده به إجماع جميع الامة كما هو المستفاد من صدر كلامه و ذيله أعني قوله : الآية دالة على أنّ إجماع الامة حجّة وقوله:وذلك يوجب القطع بأنّ إجماع الامة حجة ، وإمّاأن يكون مراده بهخصوص إجماع أهل الحلّ والعقد وهم المجتهدون و هو الأظهر بملاحظة قوله : فوجب أن يكون ذلك المعصوم أهل الحلّ والعقد ، فان كان مراده بهالأوّل ،ففيه أنّ إجماع جميع الامة لايمكن انعقاده إلى يوم القيامة فكيف يحمل الآية على غير الممكن ، و ذلك لأنّ امّة محمد صلى الله عليه وآله كلّ من تابعه إلى يوم القيامة وكلّ موجود في عصره فانّه بعض الامة، و إن كان مراده بهالثّاني،ففيه أنّه لم يقم دليل على عصمة أهل الحلّ والعقدفلايمكن حمل المعصوم الذي هو المراد بقوله واولي الامر على ماحققناه وحققه عليهم بل لم يقم دليل على عصمة جميع الامة أيضاً وإن استدلوا عليها بمارووه عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله: لايجتمع امتى على الخطاء أو على خطاء، وقوله صلى الله عليه وآله لايجتمع

امتي على الضلالة ، و قوله : سألت ربي أن لايجمع امتي على الضلالة فأعطانيها إلى غير ذلك من الاخبار التي استدلوا بها في باب حجية الاجماع الغير الناهضة لاثبات الدعوى من حيث ضعف سندها و دلالتها من وجوه عديدة ، على ما حققه أصحابنا رضوان الله عليهم في كتبهم الاصولية .

و أما ثانياً فلان المراد من المؤمنين المخاطبين بقوله : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله الآية : إما المجتهدون خاصة ، أو المقلدون خاصة ، أو الاعم الشامل للجميع ، ولا يمكن إرادة واحد من الاولين لما فيه من التخصيص الذي هو خلاف الاصل ، مضافاً إلى استلزامه اختصاص وجوب طاعة الله و رسوله باحدى الطائفتين، و إلى استلزامه حجية إجماع العوام على تقدير إرادة الثاني ، لان المخاطبين بقوله : فان تنازعتم في شيء ، هم المخاطبون الاولون ، ومفهومه عدم وجوب الرد إلى الله والرسول حين الاتفاق فيلزم حجية إجماع العوام حينئذ ولا يقول به الخصم ، وإذا لم يمكن إرادة أحد الاولين تعين إرادة الثالث أعني جميع المؤمنين الشاملين للمجتهدين والمقلدين ، و عليه فلابد و أن يكون اولوا الامر غير المجتهدين ، لئلا يلزم اتحاد المطيع والمطاع ، مع أن ظاهر اللفظ أيضاً المغايرة فتعين أن المراد باولى الامر الائمة المعصومون و بطل ما توهمه الناصب من حمله على أهل الحل والعقد و هذا تحقيق نفيس فافهمه جيداً هذا .

و أما الوجوه الثلاثة التي استبعد بها حمل اولى الامر في الآية على الائمة، فيتوجه على أولها أولا (١) أنه مشترك الورود ، إذ كما أن طاعة الامام المعصوم موقوف على معرفته و على قدرة الوصول إليه و استفادة الأحكام منه، فكذلك طاعة أهل الحل والعقد موقوفة على معرفتهم و على قدرة الوصول إليهم و استفادة الأحكام منهم و كما أنا عاجزون في زماننا هذا عن الوصول إلى حضرة الامام عليه السلام و عن استفادة الدين والعلم منه فكذلك عاجزون عن الوصول إلى حضرة جميع أهل الحل والعقد و عن استفادة العلم منهم والاطلاع على آرائهم و إن كان عجزنا في

١ـ هذا ايراد نقضي، منه

الأوّل مستنداً إلى غيبته عليه السلام ، وفي الثّاني إلى كثرتهم وانتشارهم في شرق الارض و غربها .

و ثانيا (١) أنّ توقف طاعة اُولى الأمر على معرفتهم و استفادة الأحكام منهم لايوجب كون وجوبها مشروطا بذلك ، و إنّما هي من مقدّمات الوجود، وبالجملة إطاعة اُولى الأمر واجب مطلق ، والواجب المطلق تحصيل مقدّماته على عهدة المكلف ، فيجب تحصيل العلم برأيهم حتّى يطيعهم ، و عجزنا في هذاالزّمان عن الوصول إلى حضرة وليّ الأمر و عن العلم برأيه إنّما هو مستندإلى أنفسنا ، لانّه إذاكنا نحن السّبب في استتاره فكلّ ما يفوتنامن الانتفاع به وبتصرّفه وبماعهءمن الاحكام يكون قدأتينا من قبل نفوسنا فيه ، ولو أزلنا سبب الاستتارلظهروانتفعنا به و أدّى إلينا الحقّ الذيعنده و تمكنّنامن طاعتهوامتثاله ، هذا كلهمضافا إلىعدم تمشى ما ذكره في زمان حضور الائمة فلم يكن مانع يومئذ عن حمل اُولى الامر عليهم ، و إنّما المانع الذي توهّمه النّاصب وهو العجز عن الوصول إلى وليّ الامر مختصّ بزمان الغيبة الكبرى فدليله أخصّ من مدّعاه.

و على الثّاني **أولا** نمنع أنّه لايكونفي الزّمان إلا إمام واحد ، فانّهمتعددفي زمان الرّسول صلى الله عليه وآله و من بعده من الائمة، لوجود أولادهم المعصومين معهم **و ثانياً** أنّ الجمع باعتبارتعدّدهم وانتعدّدت الازمنة،ولا دلالةفي الآيةعلى أنّ طاعتهمجميعاً لابدّ و أن يكون في زمان واحد ، لامكان حصولها تدريجاً كما وجد واحد منهم و **ثالثاً** بعد الاغماض عمّا ذكر أنّحمل الجمع على الفرد و إن كان خلاف الظاهر إلا أنّه مع قيام المقتضي عليه لاضير فيه بل اللاّزم حينئذ المصير إليه والمقتضى في المقام موجود، و هو أنك قدعرفت أنّ وليّ الامر لابدّ و أن يكون معصوماً، وقد عرفت انحصار العصمة فيهم و بطلان ما توهّمه النّاصب كغيره من وجودها في الاجماع ، فلابدّ أن يكون المراد من اولى الامر الامام المعصوم و إن كاناستعمال

١ـ هذا جواب بالحل منه

الجمع في الفرد خلاف الظاهر كما توهمه النّاصب.

و على الثالث أنّه غير مفهوم المراد إذ لا ملازمة بين كون المراد من أولي الامر الامام المعصوم و بين وجوب أن يقال : فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الامام، اللّهمّ إلاّ أن يوجّه بأن مراده أنّه لو كان المراد من أولى الامر الامام المعصوم لوجب أن يقال : فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى أولى الامر منكم، وحيث لم يقل كذلك علم أنّ أولى الامر داخلون في المخاطبين بقوله : فان تنازعتم، فيكون ذلك قرينة على أنّ المراد بأولى الامر في قوله : و أطيعوا الرّسول و أولى الامر منكم ، هو أهل الحلّ والعقد ، و الجواب انّا قد بيّنّا سابقا أنّ الظاهر أنّ المخاطبين بقوله : فان تنازعتم ، هم المخاطبون بقوله : يا أيّها الذين آمنوا ، فكما أنّ أولى الامر خارجة عن الخطاب الأوّل قطعاً حسبما ذكرنا سابقا ، فكذلك خارجة عن ذلك الخطاب أيضاً ، و أمّا عدم ذكر الرّد إليهم هنا فلاغناء ذكر الرّد إلى الرّسول عن الرّد إليهم ، لانّ الرّد إلى الائمة القائمين مقام رسول الله ﷺ بعد وفاته هو مثل الرد إلى الرّسول في حياته لانهم الحافظون لشريعته و الهادون لامّته فجروا مجراه فيه .

لايقال : هذا الكلام جار في الرّد إلى الرّسول أيضاً ، لأنّ الرّد إليه رد إلى الله فلم لم يستغن عنه بذكره ؟

لانّا نقول : إنّ المراد بالرّد إلى الله هو الرّد إلى كتاب الله ، و بالرّدّ إلى الرّسول هو الرد إلى السّنّة، ومن المعلوم عدم وفاء الكتاب بالمتنازعات و عدم كفايته في رفع النّزاع عنها ، إذ الاحكام المشتمل عليها الكتاب أقلّ قليل من الاحكام ، فلا يغني ذكر الرد إليه عن ذكر الرد إلى السّنّة المشتملة على جميع الاحكام الشّرعية الكافية في رفع النزاع عنها إلا قليل منها هذا.

و يؤيّد (١) ما ذكرنا أعني كون الردّ إلى أولي الامر مراداً بالآية أيضاً ما رواه

١ ــ وانما جعلناه مؤيدا لعدم كونه حجة على الناصب اللعين وان كان من اقوى الادلة عندنا منه .

عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره عن أبيعبدالله عليه السلام قال : نزل فان تنازعتم في شيء فارجعوه إلى الله وإلى الرّسول و إلى اُولى الامر منكم، و هو يدلّ على أن في مصحفهم عليهم السّلام كان قول و إلى اُولى الامر منكم ، و إن عدم وجوده في المصاحف التي بأيدينا من اسقاط المحرّفين الذين جعلوا القرآن عضين، واعتاضوا الدّنيا بالدّين ، فقد تحقّق و اتّضح ممّا ذكرنا أنّ الآية الشّريفة نصّ ظاهر جليّ لولا اتّباع الهوى من امثال النّاصب اللّعين.

« أولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا » .

ومنها قوله تعالىٰ : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ »

فقد ذهب الخاصّة ككثير من العامة إلى أنّها نزلت في عليّ عليه السلام ، و رووا في ذلك أخباراً كثيرة ، مثل ما رواه الفخر الرّازي بعد ما ذكر وجوهاً سخيفة في شأن النزول قال : العاشر نزلت الآية في فضل عليٍّ بن أبيطالب عليه السلام ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده ، و قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ و ال من والاه و عاد من عاداه، فلقاه عمر فقال : هنيئاً لك يا ابن أبيطالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمّد بن عليّ.

و في غاية المرام من تفسير الثّعالبي في تفسيره هذه الآية قال : قال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام: معناه بلّغ ما انزل إليك من ربّك في فضل عليّ بن أبيطالب عليه السلام و في نسخة اخرى أنّه عليه السلام قال : يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك في عليّ ،وقال : هكذا نزلت ، رواه جعفر بن محمّد، فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام وقال : من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه.

و في كتاب فصول المهمة للمالكي قال روى الامام أبوالحسن الواحدي في

كتابه المسمّى بأسباب النزول يرفعه بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : نزلت هذه الآية : يا أيّها الرّسول بلغ ما انزل إليك من ربّك يوم غدير خم في عليّ بن أبيطالب ﷺ ، إلى غير ذلك من الاخبار المروية من طرق العامة البالغة حدّ الاستفاضة والمراد من قوله : بلّغ ما انزل ، هو تبليغ ولاية عليّ ﷺ إلى النّاس وقد بلغه و أدّاه حيث نزل بالغدير و أخذ بيده وقال : أيّها النّاس ألست اولى بكم من أنفسكم قالوا : بلى يارسول الله، قال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ و ال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله و ادر الحق معه كيف مادار ، و في ذلك اليوم قال حسان بن ثابت :

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخم و اكرم بالنّبي منادياً
يقول فمن مولاكم و وليكم فقالوا و لم يبدوا هناك التّعاديا
الهك مولانا و أنت وليّنا ولن تجدن منّا لك الدّهر عاصياً
فقال له قم يا عليّ فانّني رضيتك من بعدي اماماً وهادياً
فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له انصار صدق موالياً
هناك دعا اللهمّ و ال وليّه و كن للذي عادى عليّاً معادياً

و قال قيس بن سعد :

قلت لما بغى العدوّ علينا حسبنا ربّنا و نعم الوكيل
حسبنا ربّنا الذي فتق النصرة بالامس و الحديث طويل
و عليّ امامنا و امام لسوانا أتى به التّنزيل
يوم قال النّبي من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل
انّما قاله النّبي على الامة حتماً ما فيه قال و قيل

والمراد من المولى في قوله: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ،هو الاولى بالتّصرف بقرينة قوله ألست أولى اه ، و لعدم صلاحيّة إرادة غير هذا من معانيه السّتّة ، وهو المعتق والمعتق والجار والحليف والنّاصر ،أمّا الاربعة الاول فواضح ، و أمّا الخامس فلعدم احتياجه إلى البيان سيّما وقد قال الله تعالى:

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ».

و يؤيّد إرادة ذلك المعنى اقتران هذه الجملة ببعض القرائن الموجودة في بعض طرق ذلك الحديث.

و هو ما رواه عليّ بن أحمد المالكي من أعيان علمآء العامة قال: روى الحافظ أبوالفتوح سعد بن أبي الفضائل بن خلف العجلي في كتابه الموحد في فضل الخلفآء الاربعة رضى الله عنهم، يرفعه بسنده إلى حذيفة بن أسد الغفاري و عامر بن ليلى بن حمزة، قالا: لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع ولم يحجّ بعد غيرها أقبل حتّى إذا كان بالجحفة (١) و هى عن سمرات (٢) متقاربات بالبطحآء أن لا ينزل تحتهنّ أحد حتّى إذا أخذ القوم منازلهم أرسل فقمّ ما تحتهنّ حتّى نودي بالصّلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلى بالنّاس تحتهن، وذلك يوم غدير خم، ثمّ بعد فراغه من الصّلاة قال: أيّها النّاس إنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه ان يعمر نبيّ إلا نصف عمر النّبيّ الذي كان قبله و إنّى لاظن أنّى ادعى فأجيب. فانّى مسئول وأنتم مسئولون: هل بلّغت فما أنتم قائلون؟ قالوا: نقول: قد بلّغت وجهدت و نصحت و جزاك الله خيراً، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ عبده و رسوله، و أن جنّته حق و أنّ ناره حقّ، والبعث بعد الموت حقّ؟ قالوا: بلى نشهد، قال: اللهمّ اشهد، ثمّ قال: أيها الناس ألا تسمعون ألا فانّ الله مولاى وأنا أولى بكم من أنفسكم ألا و من كنت مولاه فعليّ مولاه، و أخذ بيد عليّ ؑ فرفعها حتّى نظرها

١ـ قال فى القاموس الجحفة كانت قرية جامعة على اثنين و ثمانين ميلا من مكة و كانت تسمى مهيعة و الخم على ثلاثة اميال من الجحفة و قال ابن شهرآشوب فى المناقب الغدير فى وادى الاراك على عشرة فراسخ من المدينة وعلى اربعة اميال من الجحفة عند شجرات خمس دوحات عظام و قوله وهى عن سمرات هكذا فى النسخة والظاهر انه تحريف من النساخ ولعل الاصل و نهى عن سمرات و يكون قوله ان لا ينزل تحتهن تفسيرله والقم بالضم جانبا الفم ولعل المراد هنا جانباهن، منه

أقول: هكذا ذكره المصنف اعلى الله مقامه فى الحاشية لكن الظاهر ان الفاء من قوله: فقم، ليست جزءاً للكلمة، والقم بمعنى الكنس، فمعنى فقم ما تحتهن أى فكنس ما تحتهن «المصحح»

٢ـ واحدتها سمرة شجر معروف، منه

القوم ، ثمّ قال : اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه.

فانّ قراين الدّلالةعلى المعنى المقصود في هذهالرّواية غير خفيّة منهاجمعه صلّى الله عليه وآله وسلّم بين التّنبيه على الولاية وبيناصول العقايدمن التّوحيد والنّبوةوالمعاد،فيعلم منه أنّ المراد بالمولى هو الامام الأولى بالتّصرف ، إذ هو الذي يليق بان يعتقد به بعد الاعتقاد بالتّوحيد والرسالة ومنها تصدير كلامه صلّى الله عليه وآله وسلّم بحرف التّنبيه(١) ثمّ توكيدها بتكرارها تنبيهاً على عظم المقصود ، و من المعلوم أن النّصرة لايليق بأن يبالغ فيها تلك المبالغة و يهتمّ بها ذلك الاهتمام ومنها حثهم على الاستماع بقوله ألاتسمعون، إلى غير هذه من وجوه الدلالة.

و بالجملة فقدتحقّق ممّا ذكرنا كله أنّه لاغبار على دلالة الآيةعلى خلافته عليه السلام ولو بمعاونة الأخبار المفسرة المستفيضة العاميّة والخاصّية كما ظهر دلالة تلك الأخبار و غيرها من أحاديث الغدير المتواترة على المدّعى لولم نقل بكونها صريحة في إثبات الدّعوى .

و أنت بعدالخبرة بما تلوناه عليك تقدر علىدفع ما أورده بعض النّواصب علينا في الاستدلال بهذه الأخبار.

منها ما ذكره الشّارح القوشجي في شرح التّجريد عند شرح قول المحقّق الطوسي : و لحديث الغدير المتواتر ، حيث قال : و أُجيب بأنّه غير متواتر بل هو خبر واحد في مقابلة الاجماع كيف ؟ وقد قدح في صحته كثير من أهل الحديث ، و لم ينقله المحققون منهم كالبخارى و مسلم والواقدي ، و أكثر من رواه لم يرو(٢) المقدمة التي جعلت دليلا على أنّ المراد بالمولى الأولى بالتصرف.

و منها ما ذكره أيضاً كصاحب المواقف . من أنّ قوله : اللّهمّ وال من والاه يشعر بان المراد بالمولى هو النّاصر والمحب، قال القوشجي : بل مجرّد احتمال ذلك كاف في دفع الاستدلال ، و ما ذكر من أن ذلك معلوم ظاهر من قوله:والمؤمنون

١- حيث قال الافان الله مولاى ثم اكدها بقوله الا ومن كنت مولاه، منه

٢- وهو قوله الست اولى بكم من انفسكم، منه

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، لايدفع الاحتمال، لجواز أن يكون الغرض على التّنصيص على موالاته و نصرته ليكون أبعد عن التّخصيص الذي يحتمله أكثر العمومات، و ليكون أوفى بافادة الشّرف حيث قرن بموالاة النبيّ صلى الله عليه وآله .

و منها ما ذكراه أيضاً و هو أنّه و إن سلّم أن المراد بالمولي هو الأولى فأين الدّليل على أنّ المراد الأولى بالتّصرف والتّدبير، بل يجوز أن يراد به الأولى في أمر من الامور كما قال تعالى:

« إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ » .

و أراد الأولوية في الاتباع والاختصاص به والقرب منه لافي التّصرف فيه.

و منها ما ذكره صاحب المواقف و بعض شرّاح التّجريد من أنّ أولى بمعنى أفعل و مولى بمعنى مفعل ولم يرد أحدهما بمعنى الآخر و إلاّ لصحّ أن يقترن لكلّ منهما ما يقترن بالآخر، و ذلك بأن يقال: فلان مولى من فلان كما يقال: فلان أولى من فلان، و فلان أولى فلان كما يقال مولى فلان، و ليس فليس إلى غير ذلك من الوجوه السّخيفة التي لفّقوها وصرف العمر فيها ظلم في حقّه فالتشاغل عنها أولى. ولاباس بأن نشير إلى دفع هذه الاعتراضات لتعرف أنّها أضغاث أحلام من عمل الشيطان وليقاس عليها غيره من الوجوه الضّعيفة البيان فنقول:

أمّا الاعتراض الأول و هو انكار تواتر الحديث، ففيه أنه لم يصدر إلاّ عن التّعنت والتعصب يشهد بذلك مراجعة كتب الأخبار العاميّة و الخاصية.

وقد رواه المحدث العلاّمه السيّد هاشم البحراني في كتاب غاية المرام بتسعة و ثمانين طريقا من طرق العامة و ثلاثة و أربعين طريقا من طرق الخاصّة، قال السّيد في الكتاب المذكور: أقول: خبر غدير خم قد بلغ حدّ التّواتر من طرق العامة والخاصة حتّى أنّ محمّد بن جرير الطبري صاحب التاريخ أخرج خبر غدير خمّ و طرقه من خمسة و سبعين طريقا و أفرد له كتاباً سمّاه كتاب الولاية و هـذا الرّجل عاميّ المذهب .

و ذكر أبوالعباس أحمدبن محمدبن سعيدبن عقدة خبر يوم الغدير و أفرد له كتابا و طرقه من ماة و خمسة طرق و هذا قدتجاوز حدّ التواتر فلا يوجد خبر قط نقل من طرق بقدر هذا الطرق ، والدّليل على ما ذكرناه من أنّه لم يوجد خبر له طرق كخبر غدير خم ماحكاه السّيد العلامة عليّ بن موسى بن طاوس ، و عليّ بن محمّدبن شهرآشوب ذكراً عن شهر آشوب ، قال : سمعت أبا المعالي الجويني يتعجب و يقول شاهدت مجلّداًببغداد في يد صحاف فيه روايات غدير خم مكتوباً عليه المجلّدةالثامنة والعشرون من طرق قوله : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، و يتلوه المجلّد التّاسع والعشرون انتهى.

و قال قاضي نورالله نوّرالله مرقده في كتاب إحقاق الحقّ في ردّ النّاصب اللعين فضل بن روزبهان : أنّه روى الحديث في صحاح القوم كالبخاري و رواه أحمد بن حنبل امامهم في مسنده بطرق متعددة على الوجه الذي ذكره المصنف (١)، و كذا رواه الثعلبي في تفسيره ، و ابن المغازلي الشّافعي في كتابه من طرق شتى ، و ابن عقدة في ماة و خمس طرق ، و ذكر الشيخ ابن الكثير الشّامي الشّافعي عند ذكر أحوال محمّدبن جرير الطبري الشّافعي انى رأيت كتابا جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين و كتاباجمع فيه طرق حديث الطير ، و نقل عن أبي المعالي الجويني أنّه كان يتعجب إلى آخر ماحكاه عنه في غاية المرام ، ثمّ قال : و أثبت الشيخ ابن الجزري الشّافعي في رسالته الموسومة بأسنى المطالب في مناقب عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام تواتر هذا الحديث من طرق كثيرة ، و نسب منكره إلى الجهل والعصبية.

و قال ابن شهر آشوب : العلماء مطبقون على قبول هذا الخبر و إنّما وقع الخلاف في تأويله ، ذكره محمّدبن إسحاق، و أحمد البلادري ، و مسلم بن الحجاج، و أبونعيم الاصفهاني ، و أبوالحسن الدار قطني ، و أبوبكربن مردويه ، و ابن شاهين

١ـ وهو مطابق لما ذكرناه فيماسبق بقولنا حيث نزل بالغدير و اخذ بيده و قال الى آخر ماسبق هناك، منه

و أبوبكر الباقلاني ، وأبوالمعالي الجويني ، و أبواسحاق الثعلبي ، وأبوسعيد الخركوشي و أبوالمظفر السّمجاني ، و أبوبكر بن شيبة ، و عليّ بن الجعد ، و شعبة ، والأعمش و ابن عباس ، و ابن الثلاج ، والشعبي ، والزّهري ، والاقليشي ، و ابن اليسع ، و ابن ماجه ، و ابن عبدربّه ، والاسكافي ، و أبويعلى الموصلي من عدّة طرق ، و أحمد بن حنبل من أربعين طريقا ، و ابن بطة من ثلاث و عشرين طريقا ، و ابن جرير الطبري من نيف و ستّين طريقا ، في كتاب الولاية ، و ابوالعباس بن عقدة عن مأة و خمس طرق ، و أبوبكر الجعاني من مأة و خمس وعشرين طريقا .

وقد صنف عليّ بن هلال المهلبي كتاب الغدير ، و أحمد بن محمد بن سعد كتاب من روى غدير خم ، و مسعود السحري كتابا فيه رواة هذا الخبر و طرقها.

واستخرج منصور اللالي «اللالكائي خ» الرّازي في كتابه أسمآء رواتها على حروف المعجم، وذكر عن الصاحب الكافي أنه قال : روى لنا قصة غدير خم القاضي أبوبكر الجعابي عن أبي بكر ، و عمر ، وعثمان ، و عليّ ، و طلحة ، والزبير ، والحسن ، والحسين ، و عبدالله بن جعفر ، وعباس بن عبدالمطلب ، وعبدالله بن عباس ، و أبوذر ، و سلمان ، و عبدالرّحمن ، و أبوقتادة ، و زيدبن أرقم ، و جرير بن حميد ، و عديّ بن حاتم ، و عبدالله بن أنيس ، والبراء بن عازب ، و أبو أيوب ، و أبوبريدة الأسلمي ، و سهل ابن حنيف ، و سمرة بن جندب ، و أبوالهيثم ، و عبدالله بن ثابت الأنصاري ، وسلمة ابن الأكوع ، والخدري ، و عقبة بن عامر ، و ابورافع ، و كعب بن عجرة ، وحذيفة ابن اليمان ، و أبومسعود البدري ، و حذيفة بن أسيد ، و زيدبن ثابت ، و سعد بن عبادة ، و خزيمة بن ثابت ، و حباب بن عتبة ، و جندبن سفيان ، و عمربن أبي سلمة ، و قيس بن سعد ، و عبادة بن الصامت ، و أبوزينب ، و ابوليلى ، و عبدالله بن ربيعة ، و اسامة بن زيد ، و سعدبن جنادة ، و حباب بن سمرة ، و يعلى بن مرة ، وابن قدامة الأنصاري ، وناجية بن عميرة ، وأبو كاهل ، وخالد بن الوليد ، وحسان بن ثابت ، والنّعمان بن عجلان ، و أبورفاعة ، و عمربن الحمق ، و عبدالله بن يعمر ، و مالك بن الحويرث ، وأبوالحمرآء ، وضمرة بن الحبيب «الحديد خ» ، ووحشي بن حرب ، وعروة ابن أبي الجعد ،

و عامر بن النميري، و بشر بن عبدالمنذر، و رفاعة بن عبدالمنذر، و ثابت بن وديعة و عمرو بن حريث، و قيس بن عاصم، و عبدالأعلى بن عديّ، و عثمان بن حنيف، و ابيّ بن كعب، و من النسآء فاطمة الزهرآء، و عايشة، و امّ سلمة، و امّ هاني، و فاطمة بنت حمزة، انتهى.

و بالجملة فقد بلغ هذا الخبر في الاشتهار إلى حدّ لايوازيه خبر من الأخبار و تلقته محقّقوا الامة بالقبول والاعتبار، فلايردّه إلاّ معاند جاحد، أو من لااطلاع له على كتب الحديث و الآثار.

و أمّا الاعتراض الثّاني و هو اشعار آخر الحديث بارادة النّصرة والمحبة، فهو إنّما يتمّ لوقيل إنّ اللّفظ بعدما اطلق على أحد معانيه لايناسب أن يطلق ما يدانيه و يناسبه في الاشتقاق على معنى آخر، وليس كذلك، بل قد يعدّ ذلك من المحسنات البديعية، فالاشعار بذلك خصوصاً مع المقدمة المتواترة ممنوع، على أنّ مؤخر الخبر جملة دعائية مستأنفة ليس ارتباطه بوسط الحديث كارتباط المقدّمة به، فاشعاره بذلك لايكافؤ إشعار المقدمة بخلافه.

هذا كله مضافاً إلى أنّ من تأمّل في الآية بعين البصيرة والاعتبار يعلم أنّ سياقها يقتضي أنّ المأمور بتبليغه أمر عظيم يفوت بفوات تبليغه ركن من أركان الشريعة على ما يقتضيه قوله: و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته، خصوصاً على قرائة فما بلّغت رسالاته بصيغة الجمع كما في الكشّاف و غيره، و ایّ أمر يفوت من الشّريعة بعدم تبليغ أنّ عليّاً عليه السلام ناصر المؤمنين، و أیّ خوف كان للرّسول صلى الله عليه وآله في إظهار نصرته عليه السلام حتّى يقول الله والله يعصمك من النّاس مع أنّ نصرته للايمان و حمايته للاسلام و كونه ناصراً للمؤمنين و ذابّا عن دين سيّد المرسلين كان بديهيّا غير محتاج إلى البيان.

فبديهة العقل حاكمة بأنّ نزول النّبي صلى الله عليه وآله في زمان و مكان لم يكن نزول المسافر متعارفا فيهما، حيث كان الهواء على ما روي في بعض طريق الحديث في شدّة الحرارة حتّى كان الرّجل يستظلّ بدابته و يضع الردآء تحت قدميه من شدّة

الرّمضاء و حرّ الهاجرة، والمكان ملؤمن الاشواك، ثمّ صعوده على منبرمن الأقتاب والدّعاء لعلي عليه السلام على وجه يناسب شأن الملوك والخلفاء لم يكن إلاّ لنزول الوحي الحتمي الفوري في ذلك الزّمان لاستدراك أمر عظيم الشأن جليل الخطب يختص بخصوص علي عليه السلام كنصبه للامامة والخلافة، لا لمجرّد طلب المحبة والنصرة الجارية في حقّه وفي حقّ غيره من أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم.

و مع ذلك كله فلامجال لاحتمال إرادة النصرة حتّى يدفع به الاستدلال كما توهّمه النّاصب القوشجي ، كمالامجال لاحتمال التّخصيص بعد ملاحظة كثرة مجاهداته في الدّين ، و نهاية نصرته في غزواته للمؤمنين حتّى يحتاج إلى التّنصيص على ما توهّمه أيضاً .

و أمّا الاعتراض الثّالث ففيه أنّ التقييد بقوله : من أنفسهم ، أومن أنفسكم ، على اختلاف الرّوايتين دليل على أنّ المرادبالأولى هوالأولى بالتّصرف دون الأولى في أمرمن الامور ، إذلامعنى للأولوية من النّاس بنفس النّاس إلاّ الاولوية في التصرف نعم لو لم يوجد القيدلتمّ المعارضة بقوله : إنّ أولى النّاس بابراهيم ، فانّه لوكان نظم الآية مثلا إنّ أولى النّاس بابراهيم من نفسه ، لكان المراد الأولى بالتصرف.

و أمّا الاعتراض الرّابع ففيه أنّ عدم ورود مولى بمعنى الأول ممنوع ، وقد نقله الشّارح القوشجي في قوله تعالى:

« وَمَأْوٰيكُمُ النّارُ هِيَ مَوْلٰيكُمْ »

عن أبيعبيدة ، واستدلّ على مجيئه بهذا المعنى بهذه الآية، وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها ، اى الاولى بها والمالك لتدبير أمرها ، ثمّ قال : و مثله في الشّعر كثير.

و أمّا الاستدلال عليه بعدم صحة اقتران كلّ منهما بما يقارنه الآخر ، ففيه أن كون أحد اللفظين بمعنى الآخر لايقتضي صحة اقترانه بكل ما يقترن به الآخر ولاجريان حكم أحدهما على الآخر مطلقا ألاترى أنّ الصّلاة بمعنى الدّعاء مع أنّ تعدية الأوّل بعلى و تعدية الثاني باللام ، يقال : صلى عليه ودعاله ، ولو قيل دعا عليه لم

يكن بمعناه، و أنّ كلمة إلاّ بمعنى غير لايجوز حذف موصوفها، ولايقال جائني إلا زيد بخلاف غير فانّه يقال: جائني غير زيد، والسّر في ذلك أنّ استعمالات كلام العرب منوطة على التّوقيف والتّوظيف فكلّ مقام استعملت فيه كلمة مخصوصة على كيفية خاصة فلابدّ من متابعتها، ولايجوز التعدّي عنها لبطلان القياس في اللغات.

و حاصل الكلام أنّه بعد تواتر الحديث كما اعترف به أكابر أهل السنة ووضوح دلالته، يكون ارتكاب القدح فيه والمنع عليه ناشياً عن اعوجاج الفطرة و سوء الاستعداد والتّورّط في العصبية والعناد، ذلك جزآؤهم جهنم بما اتخذوا آيات الله و أوليآئه هزواً هذا.

والآيات القرانية النّازلة في حقّ أميرالمؤمنين و أولاده المعصومين سلام الله عليهم أجمعين كثيرة جداً و سيأتي الاشارة إليها إجمالا في أخبار مناشدته صلوات الله عليه مع الصحابة يوم الشورى و غيرها، و طوينا عن الزّيادة على ما ذكرناه لغرضين، أحدهما مخافة الاطناب، والثّاني الخوف عن عدم مساعدة العمر لاتمام الكتاب ومن اراد الاطلاع عليها تفصيلا فليرجع إلى كتب اصحابنا المؤلفة في ذلك المقصد ككتاب كشف الحقّ للعلامة الحلي، و كتاب غاية المرام للسّيد هاشم المحدث البحراني، و غيرهما من مؤلفات القوم، فانّ فيها كفاية لمن له علم ودراية، و إذا عرفت عذرنا في الاقتصار من الآيات على هذا المقدار فلنتصد إلى الاخبار فنقول:

القسم الثاني

السنة النّبوية والاخبار الدالة على إمامته عليه السلام، و هي أكثر من أن نحصى، و قد صنف علماؤنا في ذلك و اكثروا و لنقتصر هيهنا على القليل لان الكثير غير متناه.

فمنها خبر الغدير المتواتر الذي رويناه سابقا.

و منها قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أنت اخي و وصيي و خليفتي من بعدي وقاضي ديني، تمسك به في التّجريد و هو نص صريح دالّ على خلافته عليه السلام و اورد عليه بعض

شرّاحه اولا (١) بأنّه خبر واحد في مقابلة الاجماع ولوصحّ لما خفي على الصّحابة والتابعين والمهرة المتفننين والمحدثين سيما عليّ و اولاده الطاهرين ، ولو سلم فغايته إثبات خلافته عليه السلام لانفى خلافة الآخرين وثانيا (٢) انّه ارادبه الوصية والخلافة على المدينة ، و يحتمل ذلك في قضآء دينه وإنجاز موعده ، ومع تطرق هذه الاحتمالات لايمكن التمسك به في وجوب خلافته .

أقول : اما ما ذكره من انّه خبر واحد في مقابلة الاجماع ، ففيه منع صحة الاجماع حسبما يأتي في مقامه إنشآءالله ، و ما ذكره من انّه لوصحّ لما خفي على الصحابة ، ففيه انّه لم يخف على عليّ واولاده الذين هم رؤسآء الصّحابة، وقد تمسكوا به و بنظيره في غير واحد من احتجاجاتهم و صرّحوا به في اخبارهم ورواياتهم ، اما غيرهم ممن عقدوا قلبهم على إطفآء نورالله و أجمعوا أمرهم على غصب خلافة الله فلم يخف عليهم أيضاً و إنما أخفوه عمداً حيث كان إظهاره نقضاً لغرضهم ، وما ذكره من أنّه على تقدير تسليمه إنّما يثبت خلافته ولاينفي خلافة الآخرين ، ففيه بعد تسليم (٣) عدم نفيه لخلافة الآخرين أنّ كفايته لاثبات خلافته عليه السلام فقط كافية لنا ، و ما المقصود إلاّ ذلك ، و أمّا خلافة الآخرين فقد قامت الأدلة القاطعة و البراهين السّاطعة على عدمها حسبما تطلع عليها في مواردها إنشآءالله تعالى.

و أمّا الايراد باحتمال كون الوصيّة والخلافة على المدينة ففيه أنّه خلاف الظاهر ، إذ ظاهر اللفظ الاطلاق ولا يعدل عنه إلاّ بدليل وليس فليس ، بل نقول : إنّ حذف المتعلق دليل العموم ، بل قوله صلى الله عليه وآله : من بعدي ، لايخلو من إشعار بعدم

١ـ هذا الايراد من الشارح القوشجي.منه

٢ـ هذا الايراد من الشارح الراغب منه

٣ـ قوله بعد تسليم عدم نفيه اه اشارة الى دلالة الحديث على النفي بمقتضى ظهور لفظ بعدى فى ذلك حيث ان لفظ بعدى و ان كان من حيث الوضع محتملا للبعدية بلافصل و بفصل الاان المفهوم منه بحسب العرف هوالاول الاترى ان القائل اذا قال هذا المال للفقراء بعدى تبادر منه الى الافهام انه اراد بعد موته بلافصل فيكون حقيقته العرفية ذلك وكذا اذا ذكر اهل التواريخ ان فلانا جلس على سرير الملك بعد فلان لايفهم منه الاذلك.منه

كون مراده الخلافة على المدينة كما لايخفى ، و كيف كان فلاريب في بطلان الاحتمال المذكور كما لاريب في بطلان احتمال كون متعلق الوصيّة قضآء الدّين و انجاز الموعد لما ذكرنا من أصالة الاطلاق خصوصا بملاحظة قولهُ : وقاضي ديني فانّ تصريحه به مشعر بل مفيد لعدم كون متعلق الخلافة والوصاية ذلك فقط وإلا كان الأنسب أن يقال ووصيّي في قضآء ديني.

و هذا كله على التنزل والمماشاة و إلاّ فنقول : إنه ﷺ لم يكن له دين يبقى على ذمّته إلى وفاته حتّى يوصي به إليه ، لما روي أنّه في أيام مرضه طلب برائة الذّمة عن النّاس ولم يدّع عليه أحد شيئاً سوى من ادّعى عليه ضرب سوط من عمد، و على هذا فالظاهر أنّ الدّين في قوله ﷺ : و قاضي ديني بكسر الدّال كما صرح به المحقّق الطوسي في التّجريد ، وعليه فهوَ دليل آخر على المدّعى إذ الحاكم في أمر الدّين لابد و أن يكون خليفة معصوماً .

و منها مارواه الشّارح المعتزلى فى شرح الخطبة القاصعة وهى الخطبة المأة والحادية والتسعون ، عن جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السلام قال : كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله صلّى الله عليه و آله قبل الرّسالة الضّوء و يسمع الصّوت ، و قال صلّى الله عليه و آله له عليه السلام : لولا أنّي خاتم الأنبيآء لكنت شريكاً فى النبوة، فان لاتكن نبيّا فانّك وصيّ نبي ووارثه بل أنت سيّد الأوصيآء و إمام الأتقيآء .

و منها مارواه الشّارح هناك أيضاً عن الطبرسى فى تاريخه عن عبدالله بن عباس عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، قال : لما نزلت هذه الآية،

« و أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ »

و ساق الحديث إلى أن قال : ثمّ تكلم رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال : يا بني عبدالمطلب إنّى والله ما أعلم أنّ شابا فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به إنى قد جئتكم بخير الدّنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون

أخي و وصيّي و خليفتي فيكم ؟ فأحجم القوم عنها جميعاً و قلت : أنا وإني لأحدثهم سنّا و أرمضهم عيناً و أعظمهم بطنا وأحمشهم ساقاً، انا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأعاد القول فامسكوا و أعدت ما قلت : فأخذ برقبتي ثمّ قال لهم : هذا اخي ووصيّي و خليفتي فيكم فاسمعواله و اطيعوا ، فقام القوم يضحكون و يقولون لأبيطالب قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع.

أقول : وجوه الدلالة في هذه الرّوايه من طرق شتّى غير خفيّة على من استضاء قلبه بنور الولاية أو ألقى السّمع و هوشهيد، وسيأتي إنشآء الله بتمامه في مقامه ، و العجب كلّ العجب من الشّارح كيف خفي عليه وجوه الدّلالة و عزب عن الاهتداء إليها .

ومنها مارواه هناك أيضاً قال : قال النّبيُّ صلى الله عليه وآله في الخبر المجمع على روايته بين ساير فرق الاسلام : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبيّ بعدي ، ثم قال : فأثبت له جميع مراتب هارون و منازله عن موسى ، فاذاً هو وزير رسول الله صلى الله عليه وآله ، و شادّ ازره ، ولولا أنّه خاتم النّبيين لكان شريكا في أمره انتهى.

أقول : توضيح الاستدلال و تحقيقه أنه صلى الله عليه وآله أثبت لعليّ عليه السلام جميع مراتب هارون من موسى و استثنى النّبوة و يبقى الباقي على عمومه ، و من جملة المنازل أنّه كان خليفة لموسى عليه السلام بدليل قوله تعالى : اخلفني في قومي ، فكان خليفة في حياته فيكون خليفة بعد وفاته لوعاش ، لكنه لم يعش و عليّ عليه السلام عاش فتكون خلافته ثابتة .

قال القوشجي في شرح التّجريد : و اجيب بأنّه غير متواتر بل هو خبر واحد في مقابلة الاجماع ، و بمنع عموم المنازل بل غاية الاسم المفرد المضاف إلى العلم الاطلاق ، و ربّما يدعى كونه معهوداً معيّنا كغلام زيد ، وليس الاستثناء المذكور إخراجاً لبعض أفراد المنزلة بمنزلة قولك إلاّ النّبوة ، بل منقطع بمعنى لكن ، فلا يدلّ على العموم كيف ، و من منازله الاخوة ولم يثبت لعليّ عليه السلام ، اللهمّ إلاّ أن يقال إنّها بمنزلة المستثنى لظهور انتفائها ،ولو سلّم العموم فليس من منازل هارون الخلافة

والتّصرف بطريق النّيابة على ما هو مقتضى الامامة لأنّه شريك له في النّبوة ، و قوله اخلفني ليس استخلافا ، بل مبالغة و تأكيداً في القيام بأمر القوم ، فلو سلّم فلادلالة على بقائها بعد الموت ، وليس انتفاؤها بموت المستخلف عزلا ولا نقصا، بل ربّما تكون عوداً إلى حالة أكمل هي الاستقلال بالنبوّة والتّبليغ من الله ، و تصرف هارون و نفاذ أمره لوبقي بعد موسى إنّما يكون لنبوّته ، وقد انتفت النّبوة في حقّ علي فينتفي ما يبنى عليها ويتسبّب عنها، وبعدالتّيا والتي لادلالةفيه على نفي إمامة الأئمة الثلاثة قبل علي عليه السلام انتهى.

و يتوجه عليه وجوه من الكلام و ضروب من الملام الأوّل أنّ إنكار تواتر الخبر ممّا لايصغى إليه بعد ما سمعته من الشّارح المعتزلي من كونه مجمعاً على روايته بين فرق الاسلام ، وقد رواه السّيد المحدث البحراني في كتاب غاية المرام بمأة طريق من طرق العامة ، و بسبعين طريقا من طرق الخاصّة .

الثّاني أنّ عدم أفادة المفرد المضاف للعموم بحسب الوضع مسلم ، إلاّ أنّه لاغبار على إفادته له في المقام بخصوصه بقرينة الاستثناء و بدليل الحكمة ، لأنّا لو حملنا المنزلة على بعض المنازل دون بعض فامّا أن يكون معيّنة أو مبهمة ، والأوّل ممتنع ، ضرورة عدم دلالة اللفظ على التّعيين ، والثّاني أيضاًممتنع لما فيه من الاجمال و عدم الافادة ، نظيرماقاله الاصوليون في إفادة المفرد المعرّف للعموم إذا لم يكن ثمّ معهود ، مثل قوله: أحلّ الله البيع.

الثّالث أنّ الأصل في الاستثناء الاتّصال و حمل إلاّ بمعنى لكن خلاف الظاهر .

الرّابع أنّ معنى قوله : اخلفني في قومي ، كن خليفتي فيهم كما صرّح به في الكشّاف ، و على ذلك فكان تصرّفه في القوم بطريق النّيابة عن موسى كما كان نافذ التّصرف بالاصالة بمقتضى نبوّته و حيث انتفى النّبوة في حق عليّ عليه السلام فيكون تصرّفاته بطريق النّيابة :

الخامس هب أنّ بقاء هارون بعد موسى لايقتضى كونه نافذ التّصرف من حيث

النيابة والخلافة لامكان النبوة المستقلة في حقه من الله التي هي أعلى و أكمل رتبة من مرتبة الخلافة من موسى، إلا أن النبوة لما كانت غير ممكنة في حق علي عليه السلام بمقتضى الاستثناء فلابد و أن يكون نفوذ تصرفه المستند إلى الخلافة في حال حياة النبي المستفاد من عموم المنزلة مستمراً إلى ما بعد الوفاة، و إلا لزم العزل والنقص وتنفر الطباع، إذ نفوذ التصرف مرتبة جليلة لايحط عنها من ثبت له هذه المرتبة، لأن ذلك يقتضي غاية التنفير، و بعبارة اخرى المجيب قد سلم كون انتفاء الخلافة بموت المستخلف موجباً للعزل والنقص إلا أنه قد ذب عنه بامكان جبران ذلك النقصان بحصول مرتبة هي أكمل من مرتبة الخلافة، و عليه فأقول: إن الجابر للنقص لما لم يمكن في حق علي عليه السلام، لزم بقاء الخلافة في حقه على حالها لوجود مقتضى البقاء، و هو ظاهر لايخفى.

السادس أن عدم دلالته على نفي إمامة الثلاثة ممنوع، لأنه إذا دلت الرواية على عموم المنزلة حسبما عرفت، فمن جملة منازل هارون هو التدبير و التصرف و نفاذ الحكم على فرض التعيش بعد موسى عليه السلام على عامة الامة بحيث لم يشذ منهم أحد، فبعد إثبات العموم و تسليم الخصم يلزم دخول عامة امة النبي صلى الله عليه وآله في حال حياته و ارتحاله تحت تصرف أمير المؤمنين عليه السلام كما كان عامة قوم موسى تحت تصرف هارون، وهذا ينفي إمامة الثلاثة مطلقا، فقد تحقق مما ذكرنا كله كفاية الرواية في إثبات خلافته و نفي خلافة الثلاثة، و يأتي إن شاء الله مزيد تحقيق و بسط لذلك في التنبيه الثالث من شرح الفصل الثامن من فصول الخطبة المأة و الحادية والتسعين، ولنعم ماقال زيد بن علي عليهما السلام:

فمن شرف الاقوام يوماً برأيه   فان علياً شرفته المناقب
وقول رسول الله و الحق قوله   وان رغمت منه انوف الكواذب
بأنك مني يا علي معالناً   كهارون من موسى اخ لي وصاحب

و قال آخر:

و انزله منه على رغمة العدى   كهارون من موسى على قدم الدهر

فمن كان في اصحاب موسى وقومه كهارون لازلتم على زلل الكفر

و قال ابن حماد :

نص النبي على الهادى أبي الحسن نصا على صدقه اجمعت انت معي
في قوله لك مني اليوم منزلة كانت لهارون من موسى فلانزع
و انما قال هذا حين خلفه على المدينة ان انصفت فاقتنع

ومنها مارواه في غاية المرام عن ابن المغازلي الشافعي باسناده عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال : ان الله عز وجل أنزل قطعة من نور فأسكنها في صلب آدم فساقها حتى قسمها جزئين فجعل جزء في صلب عبدالله و جزء في صلب أبيطالب ، فأخرجني نبياً وأخرج علياً وصياً .

ومنها ما رواه في غاية المرام أيضاً عن ابن شيرويه الديلمي و هو من أعيان علماء العامة من كتاب الفردوس في باب الخاء ، قال باسناده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خلقت أنا و علي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بأربعة الآف عام ، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب ففي النبوة ، و في علي الخلافة.

ومنها مارواه في كشف الحق من كتاب المناقب لأبي بكر أحمد بن مردويه، و هو حجة عند المذاهب الأربعة ، رواه باسناد إلى أبي ذر ، قال : دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا : من احب أصحابك إليك وان كان أمر كنا معه ، وإن كانت نائبة كنا من دونه؟ قال هذا علي أقدمكم سلماً و إسلاماً.

و اورد (١) عليه بأنه يدل على فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام و أن النبي صلى الله عليه وآله يحبه حبا شديداً ولايدل على النص بامارته ، ولو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ناصا على خلافته لكان هذا محل إظهاره ، و هو ظاهر ، فانه لما لم يقل إنه الأمير بعدي علم عدم النص فكيف يصح الاستدلال به .

و اجيب (٢) بأن النص على المعنى المراد كما يكون بالدلالة على ذلك من

١- المورد هو الناصب فضل بن روزبهان، منه
٢- المجيب قاضي نورالله، منه

مجرّد مدلول اللّفظ ، كذلك يكون باقامة القراين الواضحة النّافية للاحتمالات المخالفة للمعنى المقصود ، و ما نحن فيه من هذا القبيل ، فانّ قول السّائل و . إن كان أمر كنّا معه وان كانت نائبة كنّا من دونه مع قوله صلى الله عليه وآله : هذا عليّ أقدمكم ، نصّ على إرادة الخلافة ، فانّ قوله : أقدمكم ، بمنزلة الدّليل على أهليّته للتقدّم على ساير الامة ، فقوله : لوكان رسول الله صلى الله عليه وآله ناصّا لقال إنّه الأمير بعدى ، من باب تعيين الطريق الخارج عن شرح المحصلين ، بل لوقال النّبي ذلك لكان يتعسف النّاصب الشقيّ و يقول الامارة ليست نصّا صريحاً في الخلافة لاستعماله في امارة الجيوش و في امارة قوم دون قوم ، كما قال الأنصار ، منّا أمير ومنكم أمير وبالجملة التّصريح والتطويل لاينفع المعاند المحيل ولو تليت عليه التّوراة والانجيل.

ومنها مارواه فيه أيضاً من كتاب ابن المغازلي الشّافعي باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : لكل نبيّ وصيّ و وارث ، و إن وصيّي و وارثي عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، و احتمال كون المراد بالوصاية غير الخلافة مدفوع ، بأنّ الظاهر من قوله صلى الله عليه وآله : لكلّ نبيّ وصيّ و وارث هو أن المراد بالوصيّ الوصيّ في أمر النّبوة ، وإلا يقال إنّ لكلّ احد وصيّ ومن المعلوم أنّ الوصاية في أمر النّبوة هو عبارة اخرى للخلافة و سيأتي لذلك مزيد توضيح بعيد ذلك .

ومنها مارواه فيه أيضاً من مسند أحمد بن حنبل عن سلمان أنّه قال : يارسول الله من وصيك؟ قال: يا سلمان من وصيّ أخي موسى؟ قال: يوشع بن نون ، قال : فان وصيّي و وارثي يقضي ديني و ينجز موعدي عليّ بن أبيطالب عليه السلام .

و أورد عليه النّاصب فضل بن روزبهان بأنّ الوصيّ قد يطلق و يراد به من أوصى له بالعلم والهداية و حفظ قوانين الشريعة و تبليغ العلم والمعرفة ، فان اريد هذا من الوصيّ فمسلم أنّه كان وصيّا لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا خلاف في هذا ، و إن اريد الوصيّة بالخلافة فقد ذكرنا بالدلايل العقليّة والنّقلية عدم النّص في خلافة عليّ ، ولو كان نصّا جليا لم يخالفه الصّحابة و إن خالفوا لم يطعهم العساكر و عامة العرب سيما الأنصار .

و فيه اولا أن الوصيّ بمعنى الأوّل الذي سلم اتّصافه به أيضاً لابدّ وأن يكون خليفة إذ لانعني بالخلافة إلاّ حفظ قوانين الدين و حماية شريعة سيد المرسلين وهداية الامة إلى أعلام المعرفة و منار اليقين ، و أنّى حصل هذا المعنى في حق الثلاثة المتحيّرين في بوادي الضلالة التائهين في مفازة الجهالة العاجزين عن معرفة ظواهر الكتاب والسنّة و عن تفسير معنى الأبّ والكلالة، فضلا عن ضبط معانيها وعن معرفة أحكامها وعن هداية الامة إليها .

و ثانياً أنّ ضرب يوشع مثلا لعليّ عليه السلام يعطي كون مراده بالوصاية الخلافة ، حيث إنّ يوشع كان خليفة لموسى بعده كما صرّح به غير واحد منهم الشهرستاني في بيان أحوال اليهود حيث قال في محكيّ كلامه : إنّ الأمر كان مشتركاً بين موسى و بين أخيه هارون إذ قال: أشركه فى امرى ، فكان هو الوصيّ فلما مات هارون فى حياته انتقل الوصاية إلى يوشع وديعة ليوصلها إلى شبير و شبرا بني هارون قراراً و ذلك انّ الوصيّة والامامة بعضها مستقرّ و بعضها مستودع .

و ثالثاً أنّ أيّ دليل عقليّ أو نقليّ قام على عدم النّص و إن هو إلاّ مصادرة على الدّعوى .

و أمّا ما ذكره من أنّه لوكان نصّا جليّا لم يخالفه الصحابة ، ففيه أنّ من الصحابة من كان قلبه منوراً بنور الايمان والعرفان فلم يخالفوه بل ائتمّوا به واقتبسوا أنواره و اتّبعوا آثاره حتّى أتيهم اليقين و مضوا إلى لقاء ربّ العالمين ، وأما غيرهم فقد كان همّهم من أوّل الأمر على اطفاء نور الله و كتمان آيات الله فلا غرو فى كتمانهم و إخفائهم ذلك ، و أمّا العساكر فمخالفتهم إنما هو للحقد والسّخايم الثابتة فى صدورهم من أجل قتله أقاربهم و أحبائهم و إخوانهم و أولادهم ، ولم يكن بطن من بطون قريش إلاّ و كان لهم على عليّ عليه السلام دم أراقه فى سبيل الله كما اعترف به غير واحد منهم منهم ذلك النّاصب ، و منهم الشّارح المعتزلى و غيرهما ، و من المعلوم أنّ الطبايع البشرية مجبولة على بغض من قتل أقارب قوم و أقوامهم، وحري

على المبغض بمقتضى جبلته أن يخالف القاتل و يعانده، و يمنعه ممّا يرومه بقدر وسعه و طاقته .

ومنها خبر الثقلين المتواتر بين الفريقين ، و قد رواه فى غاية المرام بتسعة و ثلاثين طريقا من طرق العامة و اثنين و ثمانين طريقا من طرق الخاصة ، و من جملة طرقه أحمدبن حنبل فى المسند عن أبى سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنى قدتركت فيكم ماإن تمسّكتم بهلن تضلوا بعدى: الثّقلين و احدهما أكبر من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السّمآء إلى الأرض ، و عترتى أهل بيتى هذا والاخبار الناصّة على خلافته و إمامته بعد النبى صلّى الله عليه وآله فوق حدّ الاحصآء. والمقام لايقتضى الزّيادة على ما رويناه ، و سيأتى إنشآءالله كثير منها فى تضاعيف الشرح في مواضعها المناسبة و من الله التّوفيق والاستعانة .

المقصد الثانى

فى الادلة العقليّة الدالة على إمامته عليه السلام و هي كثيرة .

منها أنّ الامام يجب أن يكون معصوماً و غير عليّ عليه السلام لم يكن معصوماً فتعين أن يكون هو الامام ، أمّا الكبرى فبالاجماع منّا ومن العامة ، و أمّا الصغرى أعني وجوب عصمة الامام فلما قدمرّ في الاستدلال بقوله :

«أطِيعُوا اللّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأولي الْأمْرِ مِنكُمْ»

و محصل ما ذكرناه هناك أن طاعة اولى الامر واجبة مطلقاً فلولم يكن معصوماً لم يؤمن منه الخطآء ، فاما أن يجب متابعته عند صدوره منه ، و إما أن يجب ردعه عنه و إنكاره منه، فعلى الاوّل يلزم أن يكون قدأمرنا الله سبحانه بالقبيح و هو محال، وعلى الثانى فيكون الانكار له مضادّاً لوجوب طاعته ، و أيضاً الحاجة إلى الامام إنما هو لاقامة الحدود والاحكام و حمل الناس على فعل الواجب والكفّ عن الحرام وانتصاف حقّ المظلوم من الظالم و منع الظالم من الظلم، فلوجازت عليه المعصية

و صدرت عنه انتفت هذه الفوائد و افتقر إلى إمام آخر و تسلسل ، و يأتي في شرح الفصل الثامن من الخطبة المأة و الحادية والتسعين تقرير آخر لوجوب عصمة الامام إن شآء الله تعالى .

ومنها أنّ الامام يجب أن يكون منصوصا و غير عليّ عليه السلام لم يكن منصوصاً بالاجماع فهو المتعين ، و إنما قلنا بوجوب التنصيص لما عرفت من انّ شرط الامام العصمة و هي من الامور الخفية التى لايعلمها إلا الله تعالى و ايضاً سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله تقتضى التنصيص ، لانه اشفق بالامة من الوالد بولده و لهذا لم يقصر في إرشادامور جزئية مثل ما يتعلّق بدخول المسجد والخروج منه ولم يترك شيئاً مما يحتاج إليه الامة إلا بيّنه حتى ارش الخدش و الجلدة و نصف الجلدة ، و مع ذلك كيف يهمل أمرهم فيما هومن أهمّ الواجبات و أعظم المهمات ولا ينصّ على من يتولي أمرهم بعده و يأتي تقرير آخر إنشآء الله لوجوب النّص ولزومه في شرح الكلام المأة والحادي والسّتين من النّقيب أبيجعفر البصري ، وهو ألطف كلام و أمتن دليل نقله الشارح المعتزلي عن النّقيب هناك فليراجع ثمة.

هذا مضافا إلى أنّ الله تعالى قدأخبرنا باكمال الدّين و إتمام النعمة ، و من المعلوم أنّ الامامة من تمام الدّين فمن زعم أنالله لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله و من ردّ كتاب الله فهو كافر ، و توضيح هذا الدّليل يظهر من رواية الكافي عن الرّضا عليه السلام التي سبقت في آخر فصول الخطبة السّابقة عند شرح قوله عليه السلام : و لهم خصايص حقّ الولاية ، فارجع إليها تجدها في إثبات هذه الدّعوى كنزاً مشحوناً بأنواع الدّرر والجواهر ، و بحراً موّاجاً ليس له ساحل.

ومنها أنّ الامام لابدّ أن يكون أفضل من رعيته وغير عليّ عليه السلام من الثلاثة لم يكن أفضل فتعين عليه السلام ، أمّا أنّ الامام لابدّ أن يكون أفضل فلأنّه لولم يكن أفضل لا يخلو إمّا أن يكون مساوياً أو مفضولا ، أما المساوي فيستحيل تقديمه لأنّه يفضي إلى التّرجيح بلا مرجح ، و أمّا المفضول فترجيحه على الفاضل يبطله العقل لحكمه بقبح تعظيم المفضول و إهانة الفاضل و رفع مرتبة المفضول و خفض مرتبة الفاضل ،

و هو بديهي عند العوام فضلا عن الخواص فانظر إلى عقلك هل يحكم بتقديم المبتدي في الفقه على مثل ابن عباس، وقد نصّ على إنكاره القرآن أيضاً فقال تعالى:

«أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون».

و قال «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أولوا الألباب».

و أمّا أنّ غير عليّ عليه السلام لم يكن أفضل منه فبتسليم الخصم أعني الشّارح المعتزلي الذي عمدة مقصودنا من تمهيد هذه المقدّمة إبطال مذهبه الذي أشرنا إليه في صدر المقدّمة، حيث ذهب إلى كونه أفضل منهم، وقد قال في أوايل شرحه بعد ذكر اختلاف العامة في تفضيل الأربعة ما هذا لفظه: و أمّا نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديّون من تفضيله عليه السلام، وقد ذكرنا في كتبنا الكلاميّة ما معنى الأفضل و هل المراد به أكثر ثوابا أم الأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة، و بيّنا أنه عليه السلام أفضل على التفسيرين معاً، وليس هذا الكتاب موضوعاً لذكر الحجاج في ذلك أوفى غيره من المباحث الكلاميّة لنذكره ولهذا موضع هو أليق به انتهى.

أقول: ولا بأس بأن نبسط الكلام في المقام ايضاحاً للمرام و نذكر يسيراً من مناقب أمير المؤمنين و فضائله عليه السلام رغما لانوف النّواصب اللّئام إذ الاستقصاء غير ممكن، كما روى الخطيب الخوارزمي وهو من أعيان علماء العامة باسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لو أنّ الرّياض أقلام والبحر مداد والجنّ حسّاب والانس كتّاب ما أحصوا فضائل عليّ بن أبيطالب عليه السلام.

و روى مثله من طريق الخاصة، و هو ما عن الصّدوق في أماليه باسناده عن سعيد بن جبير قال: أتيت عبدالله بن عبّاس فقلت: يابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّي جئتك أسألك عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام و اختلاف النّاس فيه، فقال ابن عباس: جئت

تسألني عن خير خلق الله من الامة بعد محمد صلى الله عليه وآله جئت تسألني عن وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله و وزيره و خليفته و صاحب حوضه و لوائه و شفاعته، والذي نفس ابن عبّاس بيده لو كانت بحار الدّنيا مداداً و أشجارها أقلاماً و أهلها كتّاباً فكتبوا مناقب عليّ بن أبيطالب عليه السلام و فضائله من يوم خلق الله عزّ وجلّ الدّنيا إلى أن يفنيها ما بلغوا معشار ما آتاه الله تبارك و تعالى.

فمن يقول عنه رسول الله صلى الله عليه وآله و ابن عباس مثل هذا كيف يمكن درك فضائله لكن ما لايدرك كلّه لايترك كلّه، والميسور لايسقط بالمعسور. فينبغي أن نورد شطراً منها ليعلم بذلك أفضليّته على غيره المقتضية لأحقيّته بالخلافة و الوصاية واستحقاقه عليه السلام لها فقط دون غيره، لقبح ترجيح المرجوح على الرّاجح، و المفضول على الفاضل.

فأقول و بالله التّوفيق: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل جميع امّة النّبيّ صلى الله عليه وآله بل أفضل جميع من في الأرض بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله من حيث كثرة الثّواب ومن حيث جمعه للخصال الحميدة والكمالات الذّاتيّة والفضائل النّفسانية.

أمّا كثرة الثّواب فلظهور أنّ الثّواب مترتب على العبادة و بكثرتها و قلتها تتفاوت الثّواب والجزاء زيادة و نقصانا، و ستعرف أنّه أعبد من الكل فيكون أكثر مثوبة ولو لم يكن له من العبادات إلّا ضربته يوم الخندق التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّها أفضل من عبادة الثقلين، لكفى في إثبات هذا المرام فضلا عن ساير عباداته التى لايضبطها الصحف والدّفاتر، ولايحصيها الزّبر والطوامير.

و أمّا الخصال الحميدة والفضائل والفواضل النّفسانية و ساير جهات الفضل فكثيرة جمّة.

منها سبقه إلى الاسلام، وقد صرّح به نفسه في المختار السّابع والثّلاثين بقوله أترانى أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله لأنا أوّل من صدّقه، و في المختار السّادس والخمسين بقوله: فانّى ولدت على الفطرة و سبقت إلى الايمان والهجرة، و تعرف تفصيل سبقه عليه السلام إليه و تحقيقه في شرح المختار إن شاء الله تعالى.

و أقول هنا : قداعترف أبوبكر أيضاً بمسابقته ﷺ إلى الاسلام منه فيما رواه أبوذرعة الدّمشقى و أبواسحاق الثعلبى فى كتابيهما أنّه قال ابوبكر : يا أسفا على ساعة تقدّمنى فيها علي بن أبيطالب ﷺ ، فلو سبقته لكان لى سابقة الاسلام.

و فى مناقب ابن شهرآشوب من أنساب الصّحابة عن الطبري التّاريخى ، والمعارف عن القتيبى ان أوّل من أسلم خديجة ثمّ عليّ ثمّ زيد ثمّ أبوبكر ، يعقوب النسوي في التّاريخ ، قال الحسن بن زيد: كان ابوبكر الرّابع فى الاسلام ، تاريخ الطبري انّ عمر اسلم بعد خمسة و اربعين رجلا واحدى و عشرين امرأة و فى هذا المعنى قال الحميرى.

من كان وحّد قبل كلّ موحّد يدعو الاله الواحد القهارا
من كان صلّى القبلتين و قومه مثل النّواهق تحمل الأسفارا

وقال أيضاً

من فضله انّه قد كان اول من صلى وآمن بالرّحمن اذ كفروا
سبع سنين و اياماً محرّمة مع النّبى على خوف و ماشعروا

وله أيضاً

الم يؤت الهدى والنّاس حيرى فوحّد ربّه احد العليّا
و صلّى ثانياً فى حال خوف سنين بحريث سبعاً اسيّاً

وقال آخر

اما لايرون اقام الصّلاة و توحيده و هم مشركونا
و يشهد ان لااله سوى ربّنا احسن الخالقينا
سنين كوامل سبعاً ببيت يناجى الاله له مستكيناً
بذلك فضّله ربّنا على اهل فضلكم اجمعينا

ومنها المسابقة بالصّلاة و ستعرف تفصليها أيضا فى شرح المختار إن شاء الله تعالى .

و اقول هنا روى فى المناقب عن المرزبانى عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن

عباس في قوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ».

نزلت في عليّ عليه السلام خاصّة و هو أوّل مؤمن و أوّل مصلّ بعد النبي صلى الله عليه وآله

و فيه عن السّدي عن ابى مالك عن ابن عبّاس في قوله :

« والسّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ».

فقال: سابق هذه الامة عليّ بن أبيطالب عليه السلام.

و فيه من كتاب ابى بكر الشيرازى عن مالك بن انس عن سمى عن ابى صالح عن ابن عباس قال:

« وَالسّابِقُونَ الأَوَّلُونَ ».

نزلت في امير المؤمنين عليه السلام سبق النّاس كلّهم بالايمان و صلّى القبلتين وبايع البيعتين بيعة بدر وبيعة الرضوان، وهاجر الهجرتين : مع جعفر من مكّة إلى حبشة ومن حبشة إلى المدينة، وفي هذا المعنى قال الحميري:

وصيّ رسول الله و الاول الذي ... أناب الى دار الهدى حين أيفعا
غلاما فصلّى مستسرّاً بدينه ... مخافة ان يبغى عليه فيمنعا
بمكّة اذ كانت قريش و غيرها ... تظلّ لاوثان سجوداً و ركعاً

وله ايضا

ألم يصلّ عليّ قبلهم حججاً ... و وحّد الله رب الشّمس و القمر
و هؤلاء و من في حزب دينهم ... قوم صلاتهم للعود و الحجر

وله أيضا

فانك كنت تعبده غلاماً ... بعيداً من اساف و من منات
ولا وثناً عبدت ولا صليباً ... ولا عزى و لم تسجد للات

ومنها السّبقة الى البيعة روى في المناقب عن ابن جبير أنّه لما نزل قوله تعالى:

«وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ».

جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني هاشم وهم يومئذ أربعون رجلا و أمر عليّا أن ينضج رجل شاة و خبزلهم صاعاً من طعام و جاء بعسّ من لبن ثمّ جعل يدخل إليه عشرة عشرة حتّى شبعوا ، و إنّ منهم لمن يأكل الجذعة (١) و يشرب الفرق.

و في رواية مقاتل عن الضّحاك عن ابن عباس أنّه صلى الله عليه وآله قال: و قد رأيتم هذه الآية مارأيتم و في رواية براء بن عازب و ابن عباس أنّه بدرهم أبولهب فقال: هذا ما سحركم به الرّجل ، ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله : إني بعثت على الأسود و الأبيض والأحمر إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين ، و إني لا أملك لكم من الله شيئاً إلاأن تقولوا لاإله إلاالله ، فقال أبولهب لهذا دعوتنا ، ثمّ تفرّقوا عنه فنزلت:

«تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ».

ثمّ دعاهم دفعة ثانية و أطعمهم و سقاهم ، ثمّ قال لهم يا بني عبدالمطلب أطيعوني تكونوا ملوك الأرض و حكامها ، و ما بعث الله نبيّا إلاّ جعل له وصيّا أخا ووزيراً فأيكم يكون أخي و وزيري و وصيّي و وارثي و قاضي ديني ، و في رواية الطبري عن ابن جبير عن ابن عباس فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي و خليفتي فيكم ، فأحجم القوم.

و في رواية أبي بكر الشيرازي عن مقاتل عن الضّحاك عن ابن عباس، و في سند العشرة و فضايل الصّحابة عن أحمد باسناده عن ربيعة بن ناجد عن علي عليه السلام فأيكم يبايعني على أن يكون أخي و صاحبي ؟ فلم يقم إليه أحد و كان عليّ أصغر

١- الجذع من الابل ما دخل في السنه الخامسة ومن البقر والمعزما دخل في السنة الثانيه والفرق وران سدر جمع فرقة السقا، الممتلي لايمكن لمخض حتي يفرق هكذا في النهاية والقاموس منه.

القوم يقول : أنا فقال في الثالثة : أجل و ضرب بيده على يدأمير المؤمنين عليه السلام وفي تفسير الخركوشي عن ابن عباس و ابن جبير و أبي مالك ، و في تفسير الثعلبى عن البراء بن عازب فقال علي عليه السلام وهو أصغر القوم : أنا يا رسول الله، فقال أنت فلذلك كان وصيه قالوا : فقام القوم وهم يقولون لأبيطالب أطع ابنك فقد امر عليك، وقد نظمه السيد الحميري بقوله :

و يوم قال له جبريل قد علموا ... انذر عشيرتك الادنين ان بصروا
فقام يدعوهم من دون امته ... فما تخلف عنهم منهم بشر
فمنهم آكل فى مجلس جذعاً ... وشارب مثل عس و هو محتقر
فصدهم عن نواحي قصعة شبماً ... فيها من الحب صاع فوقه الوزر
فقال يا قوم ان الله ارسلني ... اليكم فاجيبوا الله و اذكروا
فايكم يجتبى قولى و يؤمن بى ... انى نبى رسول فانبرى(۱) عذر
فقال (۲) تباً أتدعونا لتلفتنا ... عن ديننا ثم قال القوم فانشمروا
من الذي قال منهم وهو أحدثهم ... سناً و خيرهم فى الذكر اذسطروا
آمنت بالله قد اعطيت نافلة ... لم يعطها احد جن ولا بشر
و ان ما قلته حق و انهم ... ان لم يجيبوا فقد خانوا وقدخسروا
ففارقه تابها والله اكرمه ... فكان سباق غايات اذا ابتدروا

وقال آخر

فلما دعا المصطفى اهله ... الى الله سراً دعاه رفيقاً
ولا طفهم عارضاً نفسه ... على قومه فجزوه عقوقاً
فبايعه دون اصحابه ... و كان لحمل اذاه مطيقاً
و وحد من قبلهم سابقا ... و كان على كل فضل سبوقاً

واما العلم فهو عليه السلام ينبوعه و مصدره و مورده و مأواه و عنه اخذ العلوم

۱- برى السهم نحته وقد انبرى ق

۲- اى قال قائل منهم وهوابولهب اللعين، منه

جميعها و دو أبوعذرها و سابق مضمارها و النّاس كلهم عياله في جميع فنونها وهو البحر المتراكم الزّخار والمتلاطم التّيار ، وقد أشار عزّ وجل إلى غزارة علمه عليه السلام بلسان الرّمز والاشارة في قوله : حمّ عسق، روى الصّفواني في الاحن والمحن عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال حم اسم من أسماء الله عسق علم علي سبق كلّ جماعة وتعالى عن كل فرقة بالكناية ، و في قوله :

« قُلْ كَفَى بِاللهِ شهيداً » الآية.

قال ابن شهر آشوب في المناقب ما لفظه : محمّد بن مسلم و أبوحمزة الثّمالي و جابر بن يزيد عن الباقر عليه السلام ، و عليّ بن فضّال والفضيل بن يسار عن الصّادق عليه السلام ، و أحمد بن محمّد الحلبي و محمّد بن الفضيل عن الرّضا عليه السلام ، وقد روى عن موسى ابن جعفر عليه السلام ، و عن زيد بن علي عليه السلام ، و عن محمّد بن الحنفيّة ، و عن سلمان الفارسي و عن أبي سعيد الخدري ، و عن إسماعيل السّدي أنّهم قالوا في قوله:

« قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْني وَ بَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ ».

هو عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، فاذا انضمّ إلى ذلك قوله تعالى :

« وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إلّا في كِتابٍ مُبِينٍ ».

يثبت كونه عليه السلام عالماً بجميع فنون العلم . قال العوني :

و من عنده علم الكتاب و علم ما يكون و ما قد كان علماً مكتماً

و شهد رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً له بالعلم في قوله : عليّ عيبة علمي ، و قوله صلى الله عليه وآله عليّ أعلمكم علماً و أقدمكم سلماً ، و قوله صلى الله عليه وآله أعلم امّتي من بعدي عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، رواه في المناقب عن عليّ بن هاشم و ابن شيرويه الدّيلمي باسنادهما إلى سلمان ، و قال صلى الله عليه وآله أيضاً باجماع المخالف والمؤالف: أنا مدينة العلم و عليّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب ، في المناقب رواه أحمد من ثمانية طرق ، و إبراهيم الثّقفي من سبعة طرق ، و ابن بطة من ستّة طرق ، والقاضي الجعابي من خمسة طرق، وابن

شاهين من أربعة طرق ، والخطيب التاريخي من ثلاثة طرق ، و يحيى بن معين من طريقين ، وقد رواه السمعاني والقاضي الماوردي و أبومنصور السكري وأبوالصلت الهروي و عبدالرزاق و شريك عن ابن عباس و مجاهد و جابر ، و نعم ما قيل:

هذا الامام لكم بعدي يسددكم رشداً و يوسعكم علماً و آداباً

إني مدينة علم الله و هولها باب فمن رامها فليقصد البابا

قال ابن شهر آشوب بعد روايته هذا الحديث : و هذا يقتضي وجوب الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام لأنه صلى الله عليه وآله كنى عنه بالمدينة و أخبر أن الوصول إلى علمه من جهة علي عليه السلام خاصة ، لأنه جعله كباب المدينة الذي لايدخل إليها إلا منه ، ثم أوجب ذلك الأمر به بقوله : فليأت الباب ، و فيه دليل على عصمته، لأنه من ليس بمعصوم يصح منه وقوع القبح ، فاذا وقع كان الاقتداء به قبيحاً فيؤدي إلى أن يكون صلى الله عليه وآله قد أمر بالقبيح ، و ذلك لايجوز ، و يدل أيضا أنه أعلم الامة انتهى، أقول: ومثل هذا الحديث قوله تعالى :

« وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ».

وقد مضى في شرح الفصل الرابع من الخطبة الاولى حديث شريف في تفسير هذه الآية فليراجع ثمة ، وقد روى المخالف والمؤالف أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وآله فتح له ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب ، و إليه أشار الحميري بقوله:

علي أمير المؤمنين أخو الهدى وأفضل ذي نعل و من كان حافياً

اسر إليه احمد العلم جملة و كان له دون البرية داعياً

و دونه في مجلس منه واحد بألف حديث كلها كان هادياً

و كل حديث من اولئك فاتح له الف باب فاحتواها كما هيا

وفي المناقب النقاش في تفسيره قال ابن عباس: علي علم علماً علمه رسول الله صلى الله عليه وآله و رسول الله علمه الله ، فعلم النبي علم الله و علم علي من علم النبي، وما علمي وعلم أصحاب محمد في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر ، الضحاك عن ابن عباس قال : اعطي علي بن أبيطالب

عليه السلام تسعة أعشار العلم و أنّه لأعلمهم بالعشر الباقي

فامّا قول عمر بن الخطاب و اعترافه بعلمه عليه السلام فكثير رواه الخطيب في الأربعين قال: قال عمر: العلم ستّة أسداس لعليّ من ذلك خمسة أسداس، وللناس سدس، ولقد شاركنا في السّدس حتّى لهو أعلم به منّا، ابانة بن بطة كان عمر يقول فيما يسأله عن علي فيفرّج عنه: لا أبقاني الله بعدك، تاريخ البلاذري لأبقاني الله لمعضلة ليس لها أبوالحسن الابانة و الفايق أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبوالحسن، في المناقب وقد ظهر رجوعه إلى عليّ عليه السلام في ثلاث و عشرين مسألة حتّى قال:

«لَوْلاَ عَليٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ»

و قد رواه الخلق منهم أبوبكر بن عيّاش «عياش ظ» وابو المظفر السّمعاني قال الصّاحب:

هل في مثل فتواك اذ قالوا مجاهرة لولا عليّ هلكنا فى فتاوينا

خطيب خوارزم:

اذا عمر تخطأ في جواب و نبّهه عليّ بالصّواب

يقول بعدله لولا عليّ هلكت هلكت في ذاك الجواب

هذا وقد مضى في شرح الفصل الرّابع من الخطبة السّابقة عند شرح قوله عليه السلام: و عيبة علمه الاشارة الاجماليّة إلى ميزان علمه عليه السلام.

وقد أفصح عن غزارة علمه بما رواه في التّوحيد عن الصّادق عن الباقر عليه السلام في حديث طويل قال: ولم يجد جدّى أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتّى كان يتنفس الصّعداء، و يقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فانّ بين الجوانح منّي علماً جمّاً هاه هاه ألالا أجد من يحمله.

و أفصح عنه أيضاً بقوله عليه السلام في هذه الخطبة التي نحن في شرحها: ينحدر عنّي السيل ولايرقى إلى الطير.

و عن إحاطته و كونه غير فاقد لشيء من فنون العلوم بقوله الذي ما زال عليه السلام يقول : سلوني قبل ان تفقدوني .

و عن إحاطته بالاخبار الارضيّة بما يأتي في الخطبة الثّانية والتّسعين من قوله عليه السلام : فاسالوني قبل أن تفقدونى فوالذي نفسي بيده لاتسالوني عن شيء فيما بينكم و بين السّاعة ولا عن فئة تهدى بآية و تضل بآية إلاّ أنبئتكم بناعقها وقائدها و سائقها و مناخ ركابها و محط رحالها و من يقتل من اهلها قتلا ويموت منهم موتا .

و عن علمه بالأخبار السّماوية بل كونه عليه السلام أخبر بها من الأخبار الأرضية بقوله في الخطبة المأة والثّامنة والثّمانين : أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السّماء أعلم منّي بطرق الأرض .

و عن إحاطته بالأخبار الغيبيّة خطبه المتضمّنة للاخبار عن الملاحم ، وهى كثيرة مثل كلامه السّادس والخمسين و يأتى إنشاءالله فى شرحه جملة من أخباره الغيبية ، وهكذا الخطبة الثّانية والتّسعون و مثل الخطبة المأة والخطبة المأة والثمانية والعشرين إلى غيرهذه ممّالانطيل بتعدادها .

و عن إحاطته بالكتب المنزلة بماروا‌ه فى المناقب عن ابن البختري من ستّة طرق ، و ابن المفضّل من عشر طرق ، و إبراهيم الثقفى من اربعةعشر طريقا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار و أشار إلى صدره كيف ملاء علماً لووجدت له طالبا سلوني قبل أن تفقدوني هذا سفط العلم هذا لعاب رسول‌الله صلى الله عليه وآله و هذا ما زقّنى رسول‌الله زقّا فاسألونى فانّ عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لوثنيت لي الوسادة ثمّ اجلست عليها لحكمت بين أهل التّوراة بتوراتهم و بين أهل الانجيل بانجيلهم و بين أهل الزّبور بزبورهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم حتّى ينادى كلّ كتاب بأنّ عليّا حكم فىّ بحكم الله ، و فى رواية حتّى ينطق الله التّوراة والانجيل ، و فى رواية اخرى حتّى يزهر كلّ كتاب من هذه الكتب ويقول : يا ربّ

إنّ عليّاً قضى بقضائك ثمّ قال : سلوني قبل ان تفقدوني فوالذي فلق الحبّة و برء النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليلة انزلت او في نهار مكيها و مدنيها وسفريها و حضريها ناسخها و منسوخها ومحكمها و متشابهها وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم هذا مجمل ما يتعلّق بجهات علمه عليه السلام .

و أمّا التفصيل فاستمع لما يملاء عليك إن كنت طالباً للهدى مبتغياً رشداً، فأقول و بالله التّوفيق :

أمّا العلم الالهي فيظهر سبقه عليه السلام فيه على الجميع من خطبه الشّريفة المتضمّنة للتّوحيد والمعرفة و تمجيد الحق الأوّل عز وجل باعتبار نعوت جلاله وصفات جماله لاسيّما الخطبة التسعون المعروفة بالأشباح، والخطبة المأة والخامسة والثمانون التي تجمع من أصول العلم مالاتجمعه خطبة ، فراجع المقامين وانظر كيف خاض في غمار عمّانه وغاص على فرائده و جمانه.

و أمّا علم التفسير والقرائة فيصحّ مسابقته فيه بما مرّ آنفا وبما تقدّم في ثالث تذييلات الفصل السّابع عشر من الخطبة الاولى ، وأقول : هنا مضافا إلى ماسبق: قال الشّارح المعتزلي : إذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك لأنّ أكثره عنه عليه السلام وعن عبدالله بن عباس وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه إليه و أنّه تلميذه و خريجه و قيل له أين علمك من علم ابن عمّك ، قال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط انتهى.

وقد روى عن ابن عباس أنّه قال : حدّثني أمير المؤمنين عليه السلام في باء بسم الله الرّحمن الرّحيم من أوّل اللّيل إلى الفجر ولم يتمّ ، و عن قوّة قال عليّ عليه السلام لوشئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب، و عن فضائل العكبري قال الشعبي : ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبيّ الله من عليّ بن أبيطالب عليه السلام

و في المناقب القراء السّبعة إلى قرائته يرجعون ، فأمّا حمزة والكسائي فيقولان على قرائة علي وابن مسعود وليس مصحفهما مصحف ابن مسعود فهما إنّما يرجعان إلى علي عليه السلام و يوافقان ابن مسعود فيما يجرى مجرى الاعراب ، وقد قال ابن مسعود

ما رأيت أحداً أقرء من عليّ بن أبيطالب للقرآن ، و أمّا نافع و ابن كثير و أبو عمرو فمعظم قراءاتهم يرجع إلى ابن عباس ، و ابن عباس قرء على ابى بن كعب و عليّ عليه السلام والذي قرأه هؤلاء القراء يخالف قرائة ابيّ فهو إذا مأخوذ عن علي عليه السلام و أمّا عاصم فقرء على أبى عبدالرّحمن السّلمى ، و قال أبوعبدالرّحمن قرأت القرآن كله على عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، فقالوا : أفصح القراءات قرائة عاصم لأنه أتى بالأصل و ذلك أنّه يظهر ما ادغمه غيره و يحقّق من الهمز ما ليّنه غيره ويفتح من الالفات ما أماله غيره ، والعدد الكوفى فى القرآن منسوب إلى علي عليه السلام و ليس فى الصّحابة من ينسب إليه العدد غيره ، و إنّما كتب عدد ذلك كلّ مصر من التّابعين .

و أمّا علم الفقه والفروع فهو عليه السلام مرجع الفقهآء كلهم فيه وعنه عليه السلام تلقوه أمّا فقهاؤنا الامامية أنارالله برهانهم فحالهم ظاهر ، و أمّا فقهاء العامةفقدقال الشارح المعتزلى كلّ فقيه فى الاسلام فهو عيال و مستفيد من فقهه ، أمّا أصحاب أبىحنيفة كأبى يوسف و محمد و غيرهما فأخذوا عن أبى حنيفة ، و أمّا الشّافعى فقرء على محمد ابن الحسن فيرجع فقهه أيضاً إليه، و أمّا أحمدبن حنبل فقرء على الشافعى فيرجع فقهه أيضاً إلى أبى حنيفة و قرء أبوحنيفة على جعفربن محمدعليهما السلام ، وقرء جعفر على أبيه و ينتهى الأمر إلى علي عليه السلام ، وأما مالك بن أنس فقرء على ربيعة ،وقرء ربيعة على عكرمة ، و قرء عكرمةعلى عبدالله بن عباس ، و قرء عبدالله بن عباس على علي عليه السلام انتهى ما قاله الشارح.

و أقول : ما عند فقهاء العامة من الحقّ فى الفروع الفقهية فقد خرج من أمير المؤمنين و أولاده المعصومين عليهم السلام ، وما عندهم من الباطل فقدنسجتها استحساناتهم العقلية و أقيستهم الباطلة و آراؤهم الفاسدة.

و قال في المناقب : إنّ جميع فقهآء أهل الأمصار إليه يرجعون و من بحره يغترفون أمّا أهل الكوفة و فقهآؤهم سفيان الثّوري والحسن بن صالح بن حي وشريك بن عبدالله وابن أبي ليلى و هؤلاء يفرعون المسائل و يقولون هذا قياس قول

علي عليه السلام و يترجمون الأبواب بذلك ، و أمّا أهل البصرة و فقهاؤهم الحسن وابن سيرين و كلاهما كانا يأخذ ان عمّن أخذ عن علي عليه السلام ، و ابن سيرين يفصح بأنه أخذ عن الكوفيّين ، و عن عبيدة بن السّماني و هو أخص النّاس بعلي عليه السلام ، وأما أهل مكّة فأخذوا عن ابن عباس وعن عليّ عليه السلام وقد أخذ عبدالله معظم علمه عنه عليه السلام و امّا أهل المدينة فعنه عليه السلام أخذوا ، وقد صنّف الشّافعي كتاباً مفرداً في الدلالة على اتباع أهل المدينة لعلي عليه السلام و عبدالله، و قال محمد بن الحسن الفقيه لولا عليّ بن أبيطالب عليه السلام ماعلمناحكم أهل البغي.

و أمّا علم المناظرة ففي الأخبار أنّ أوّل من سنّ دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحقّ عليّ عليه السلام ، وقد ناظره الملاحدة والزّنادقة في متناقضات القرآن فأجاب لهم بأجوبة متينة ، و أجاب مشكلات مسائل الجاثليق حتّى أسلم ، و قال عليه السلام لرأس الجالوت لما قال له : لم تلبثوا بعد نبيّكم إلاّ ثلاثين سنة حتّى ضرب بعضكم وجه بعض بالسّيف ، فقال عليه السلام : و أنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتّى قلتم لموسى عليه السلام : اجعل لنا إلهاً كمالهم آلهة ، روى أبوبكر بن مردويه في كتابه عن سفيان أنّه قال ماحاجّ عليّ عليه السلام أحداً إلاّ حجّه (١)

أقول: و يشهد بذلك الرّجوع إلى احتجاجاته المروية في كتاب الاحتجاج لأحمد بن أبيطالب الطبرسي و في مجلّد احتجاجات الأئمة عليهم السلام ومجلّد الفتن والمحن من البحار للمحدّث العلامة المجلسي (ره) .

و أمّا القضاء والفصل بين الخصوم فيدل على سبقه عليه السلام فيه على الكلّ شهادة الرّسول صلى الله عليه وآله في حقه و قوله : أقضاكم علي ، و يفصح عنه ما أخبر به عن نفسه فيما رويناه عنه قريباً من قوله لو ثنيت لي الوسادة ثم اجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم الحديث ، و من قوله عليه السلام الآتي في الكلام الماة والتاسع عشر: و عندنا أهل البيت أبواب الحكم و ضياء الأمر، و يدلّ عليه قضاياه عليه السلام في الوقايع الاتفاقيّة بما

١ــ اى غلبه،منه

يحتار في أكثرها العقول و سيأتي شطر منها في شرح هذه الخطبة و غيرها إنشاءالله تعالى و رجوع الصّحابة إليه عليه السلام فيها مأثور مسطور، وقول عمر في مواطن كثيرة: لولا عليّ لهلك عمر، معروف مشهور.

و أمّا علم الفصاحة والبلاغة فهو بارعه و حائز قصب السّبق في مضماره حتى قيل في وصفه: إنّ كلامه عليه السلام فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق، وقد تقدم من الرضي في ديباجة المتن وصفه بأنّه مشرع الفصاحة و موردها و منشأ البلاغة و مولدها و منه ظهر مكنونها و عنه اخذت قوانينها، ويشهد بذلك خطبته البارعة المدونة في هذا الكتاب و سنشير إلى بعض مزايا كلامه عليه السلام في تضاعيف الشـّرح إنشاءالله تعالى، وقد تقدم في ديباجةالشّرح الاشارة إلى بعضها على ماساعدالمجال قال ابن نباتة: حفظت من كلامه عليه السلام ألف خطبة ففاضت ثمّ فاضت.

و أمّا علم النّجوم فيدل على براعته عليه السلام فيه ما يأتي منه في الكلام الثامن و السبعين و شرحه إنشاءالله تعالى من الأحكام النّجومية العجيبة لم يهتد إليها المنجمون.

و أمّا علم النّحو والأدبيّة فقد اتّفق العلماء على أنّه عليه السلام هو واضعه و مخترعه، قال أبوالقاسم الزّجاجي في محكي كلامه عن أماليه: حدثنا أبوجعفر محمد بن رستم الطبري، حدثنا أبوالحاتم السجستانيّ حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي حدثنا سعيدبن مسلم الباهلي حدّثنا أبي عن جدي عن أبي الأسود الدّئلي، قال: دخلت على عليّ بن أبيطالب عليه السلام فرأيته متفكراً فقلت له: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام إنّي سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتابا في اصول العربيّة، فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا و بقيت فينا هذه اللّغة، ثمّ أتيته بعد ثلاث فألقى إلى صحيفة فيها: بسم الله الرّحمن الرحيم الكلام اسم و فعل وحرف، فالاسم ما انبأ عن المسمّى، والفعل ما انبأ عن حركة المسمّى والحرف ماانبأ عن معنى ليس باسم ولافعل، ثمّ قال عليه السلام لي تتبعه و زدفيه ما وقع لك، و اعلم يا أبا الأسود أنّ الأشياء ثلاثة: ظاهر و مضمر و شيء ليس بظاهر ولا مضمر و إنّما تتفاضل العلماء فيماليس

بظاهر ولامضمر قال أبوالأسود ، فجمعت منه اشياء و عرضتها عليه عليه السلام ، فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها إنّ و أنّ وليت ولعل و كأنّ ولم أذكر لكنّ فقال عليه السلام : لم تركتها : فقلت : لم أحسبها منها ، فقال عليه السلام : بلى هي منها فزدها فيها انتهى.

و أمّا علم الحساب فيدل على وفور علمه عليه السلام فيه ما رواه في المناقب عن ابن أبي ليلى أنّ رجلين تغدّيا في سفر ومع أحدهما خمسة أرغفة و مع الآخر ثلاثة واكلها ثالث فأعطاهما ثمانية دراهم عوضاً فاختصما و ارتفعا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال هذا أمر فيه دنائة والخصومة فيه غير جميلة والصّلح فيه أحسن ، فأبى صاحب الثلاثة الاّ مرّ القضاء فقال عليه السلام : إذا كنت لاترضى إلاّ بمرّ القضاء فانّ لك واحدة من ثمانية و لصاحبك سبعة أليس كان لك ثلاثة ارغفة و لصاحبك خمسة ؟ قال: بلى قال : فهذه أربعة و عشرون ثلثا اكلت منها والضّيف ثمانية فلما أعطاكما الثّمانية الدراهم كان لصاحبك سبعة ولك واحدة ، ويأتي رواية هذه القضيّة بطريق آخر في تضاعيف الشّرح في موقعه بأبسط وجه إنشاءالله تعالى.

و أمّا علم الكيميا فهو أكثرهم حظا منه ، قال في المناقب و قد سئل عن الصّنعة فقال عليه السلام : هي اخت النّبوة وعصمة المروة والنّاس يتكلمون فيها بالظاهر وانا أعلم ظاهرها وباطنها ، ماهي والله إلاّ ماء جامد وهواء راكد ونار جائلة وأرض سائلة، قال: وسئل في أثناء خطبته هي الكيميا يكون فقال عليه السلام : كان وهو كائن و سيكون ، فقيل من أي شيء هو ؟ فقال عليه السلام : من الزيبق الرّجراج والاسرب والزّاج والحديد المزعفر وزنجار النحاس الاخضر الحور «الحبورخ» الا توقف على عابرهن ، فقيل فهمنا لايبلغ إلى ذلك فقال عليه السلام اجعلوا البعض أرضا واجعلوا البعض ماء و افلحوا الأرض بالماء و قدتم فقيل زدنا يا أميرالمؤمنين ، فقال عليه السلام لازيادة عليه فانّ الحكماء القدماء ما زادوا عليه كيما «كيماظ» يتلاعب به النّاس .

و أمّا زهده و طلاقه للدّنيا و رغبته بالكلية عنها فهو من المتواترات القطعيّة أظهر وأبهر من الشّمس في رابعة النّهار ، ر يفصح عن ذلك ويبيّن عنه و تأتيك من سبا

بنبأ يقين الخطب والكلمات المدونة عنه في هذا الكتاب وغيره المتضمنة لزهده عليه سلام الله رب العالمين ملأ السماوات والأرضين وقد أقسم فيما يأتي من كلماته القصار بالقسم البارّ وقال: والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق (١) خنزير في يد مجذوم، وقال في الكلام المأتين والثاني والعشرين: وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعليّ ولنعيم يفنى ولذة لاتبقى.

و في المناقب المعروفون من الصّحابة بالورع عليّ وأبوبكر و عمر و بن مسعود و أبوذر و سلمان و مقداد و عثمان بن مظعون وابن عمر، و معلوم أنّ أبابكر توفي و عليه بيت مال المسلمين نيف وأربعون ألف درهم، و عمر مات وعليه نيف وثمانون ألف درهم، و عثمان مات و عليه مالايحصى كثرة، و عليّ مات وما ترك إلا سبعمأة درهم فضلا عن عطائه أعدّها لخادم.

امالى الطوسي في حديث عمّار يا علي إنّ الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحبّ إلى الله منها، زيّنك بالزهد في الدنيا و جعلك لاتزره منها شيئاً ولا تزره منك شيئاً، و وهبك حبّ المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً و يرضون بك إماماً.

اللّؤلوئيات قال عمر بن عبدالعزيز: ما علمنا أحداً كان في هذه الامة أزهد من عليّ بن ابيطالب عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، و يروى أنه كان عليه وقت لايكون عنده ثلاثة دراهم يشترى بها إزاراً و ما يحتاج إليه ثمّ يقسم كلّ ما في بيت المال على النّاس ثمّ يصلّي فيه و يقول: الحمدلله الذي أخرجني منه كما دخلته، و اتي إليه بمال فكوم كومة من ذهب و كومة من فضّة و قال يا صفراء اصفري يا بيضاء ابيضي و غري غيري،

هذا جناي وخياره فيه و كلّ جان يده إلى فيه

الأشعث العبد قال: رأيت علياً عليه السلام اغتسل في الفرات يوم جمعة ثم ابتاع قميصاً كرابيس بثلاثة دراهم فصلّى بالنّاس الجمعة وما خيط جربانه بعد، وفي فضائل أحمد راى على علي عليه السلام إزار غليظ اشتراه بخمسة دراهم، ورأي عليه إزار مرقوع فقيل له في ذلك فقال عليه السلام يقتدي به

١- جمع عرق وهو العظم الذي نحت عنه اللحم ق

المؤمنون و يخشع له القلب و تذل به النّفس و يقصد به المتابع ، مسند أحمد و كان كمّه لايجاوز أصابعه و يقول ليس للكمين على اليدين فضل ، و نظر إلى فقير انخرق كمّ ثوبه فخرق كمّ قميصه وألقاه إليه ، مسند الموصلي الشّعبي عن الحارثي عن عليّ عليه السلام قال : ما كان لي ليلة اهدى لي فاطمة شيء ينام عليه إلا جلد كبش، واشترى ثوباً فأعجبه فتصدق به.

و أمّا العبادة و صالح الأعمال فقد علم إجمالا بما قدّمناه في كونه أكثر ثوابا و أقول مضافا إلى ما سبق : إنّه ﷺ قد كان بالغا فيها غايتها ، و كفى به شهيداً أنّه كان يؤخذ النّشاب من جسده عند الصّلاة و هو غير شاعر له لاستغراقه في شهود جمال الحق و فنائه في الله و انقطاعه لكليّته عمّن سواه ، و كان السّجاد عليّ بن الحسين عليهما السّلام يصلي في اليوم و الليلة ألف ركعة ثم يأخذ صحف عبادات أمير المؤمنين ﷺ و ينظر ما فيها سيراً ، ثم يتركها من يده كالمتضجر المتأسّف على تقصير نفسه في العبادة ، و يقول : من يقدر على عبادة عليّ بن أبي طالب ﷺ ، وفيه نزل قوله تعالى :

« اَلَّذِينَ تَرٰيهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ »

روى ابن شهر آشوب في المناقب عن النّيسابوري في روضة الواعظين أنّه قال عروة بن الزّبير : سمع بعض التّابعين أنس بن مالك يقول : نزلت في علي بن أبيطالب ﷺ :

« أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ » الآية.

قال الرّجل : فأتيت عليّاً ﷺ وقت المغرب فوجدته يصلّي و يقرء القرآن إلى أن طلع الفجر ، ثمّ جدد وضوءه و خرج إلى المسجد و صلّى بالنّاس صلاة الفجر ، ثم

قعد في التعقيب إلى أن طلعت الشمس ، ثم تصده الناس فجعل يقضي بينهم إلى أن قام إلى صلاة الظهر فجد د الوضوء ثم صلى بأصحابه الظهر ، ثم قعد في التعقيب إلى أن صلى بهم العصر، ثم كان يحكم بين الناس و يفتيهم إلى أن غابت الشمس ، وفيه عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى :

« إلاَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ » قال : ذاك أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته « فَلَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ »

و فيه عن محمد بن عبدالله بن الحسن عن آبائه عليهم السلام و سدى عن أبي مالك عن ابن عباس و محمد بن علي الباقر عليه السلام في قوله تعالى :

« وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيراتِ بِإذْنِ اللهِ »

والله لهو عليّ بن أبيطالب عليه السلام .

قال بعض السادات

مفرق الاحزاب ضرّاب الطلى	مكسّر الاصنام كشاف الغمم
الزّاهد العابد في محرابه	السّاجد الرّاكع في جنح الظلم
صام هجيراً و على سآئله	جاد بافطار الصّيام ثم نم (١)

و قال العبدى

و كم غمرة للموت لله خاضها	و لجة بحر في الحكوم اقامها
و كم ليلة ليلا و لله قامها	وكم صبحة مسجورة الحرّ صامها

و فيه أيضاً عن عروة الزّبير قال تذاكرنا صالح الاعمال فقال ابوالدرداء اعبد النّاس عليّ بن ابيطالب عليه السلام سمعته قائلا بصوت حزين و نغمة شجيّة في موضع خال الهى كم من موبقة حملتها حلمت بها خ عني فقابلتها بنعمتك و كم من جريرة تكرمت على بكشفها بكرمك الهى إن طال في عصيانك عمرى و عظم في الصحف ذنبى فما انا مؤمّل غير غفرانك ولا انا براج غير رضوانك ثمّ ركع ركعات فاخذ في الدعآء و البكاء فمن

١ـ الظاهر انه نم مخفف نام و فرق ثمه بالثاء اصلحه وجمعه. منه ره

مناجاته: الهى افكر في عفوك فتهون عليّ خطيئتى ثمّ اذكر العظيم من اخذك فيعظم عليّ بليتي ثم قال آه ان انا قرئت في الصحف سيئة انا ناسيها و انت محصيها فتقول خذوه فياله من مأخوذ لاتنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته يرحمه البلاء اذا اذن فيه بالنداء آه من نار تنضج الاكباد والكلى آه من نار لواعة للشواء آه من غمرة من لهبات لظى ثمّ أنعم (١) في البكاء فلم اسمع له حسا فقلت غلب عليه النوم اوقظه لصلاة الفجر فاتيته فان هو كا لخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك فقلت انا لله و انا اليه راجعون مات والله عليّ بن ابيطالب عليه السلام قال فأتيت منزله مبادرا انعاه اليهم فقالت فاطمة عليها السلام ما كان من شأنه؟ فاخبرتها فقالت هي والله الغشية التي تاخذه من خشية الله تعالى، ثم اتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق و نظر اليّ و انا ابكى فقال: مم بكائك ياابا الدر داء؟ فكيف ولو رأيتني ودعي بي إلى الحساب وايقن اهل الجرائم بالعذاب و احوشتنى (٢) ملائكة غلاظ و زبانية فظاظ فوقفت بين يدى ملك الجبار قد أسلمتني الاحباء و رحمنى اهل الدّنيا اشدّ رحمة لى بين يدى من لايخفى عليه خافية.

ومنها الشجاعة ولقد كان أشجع النّاس و أنسى شجاعة من كان قبله ومحا اسم من كان يأتى بعده و تعجّبت الملائكة من حملاته، و فيه قال النّبى صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج لقتال عمرو بن عبدود: برز الايمان كله إلى الشرك كله، فلماقتله قال صلى الله عليه وآله له: ابشر يا علي فلووزن عملك اليوم بعمل امّتى لرجح عملك بعملهم، رواه فى المناقب لأحمد بن حنبل والنسائى عن ابن مسعود، و أنزل الله تعالى.

«وَ كَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ» بعليّ الآية، كما عن مصحف ابن مسعود،

قال ربيعة السّعدي: أتيت حذيفة اليمان فقلت يا أباعبدالله: إنا لنتحدث عن عليّ ومناقبه فيقول أهل البصرة: إنكم لتفرّطون فى عليّ فهل تحدثنى بحديث؟ فقال حذيفة والذي نفسى بيده لووضع جميع أعمال امّة محمد صلى الله عليه وآله فى كفّة الميزان منذ بعث الله

١ـ انعم فى البكاء اى بالغ والحس بالكسر الصوت

٢ـ احوش الصيد جاءه من حواليه ليصرفه الى الحباز

محمداً إلى يوم القيامة و وضع عمل عليّ عليه السلام في الكفّة الاخرى لرجح عمل عليّ على جميع أعمالهم ، فقال ربيعة هذا الذي لايقام له ولايقوم ، فقال حذيفة : يا لكع و كيف لايحمل و إن كان أبوبكر و عمر و حذيفة و جميع أصحاب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم عمروبن عبدود و قد دعا إلى المبارزة فأحجم النّاس كلهم ماخلاعليّاً ، فانّه نزل إليه فقتله و الذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد إلى يوم القيامة.

قال الشّارح المعتزلي: و كانت العرب تفتخر بوقوفها فى الحرب فى مقابلته ، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه عليه السلام قتلهم أظهر و أكثر قالت اخت عمرو بن عبدود ترثيه

لوكان قاتل عمر و غير قاتله بكيته ابداً ما دمت فى البلد

لكنّ قاتله من لا نظير له و كان يدعى ابوه بيضة البلد

و فى غزاة احد انهزم المسلمون و خشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ضربه المشركون بالسيوف والرّماح و عليّ يدافع عنه فنظر إليه النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد إفاقته من غشيته و قال صلى الله عليه وآله وسلم: ما فعل المسلمون ؟ فقال: نقضوا العهد وولوا الدّبر ، فقال : اكفني أمر هؤلاء فكشفهم عنه وصاح صايح بالمدينة قتل رسول الله ، فانهلعت القلوب و نزل جبرئيل قائلا لاسيف الاذوالفقار ولافتى إلا عليّ ، و قال للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله لقد عجبت الملائكة من حسن مواساة عليّ لك بنفسه ، قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يمنعه عن ذلك و هو منّي و أنا منه ، إلى غير ذلك ممّا لايحكيه قلم ولايضبطه رقم ، وستطلع على فتوحاته و مجاهداته تفصيلا في مواقعها إنشاءالله ، كما ستطلع على ساير مكارم أخلاقه و محاسن خصاله على حسب الاستطاعة والتمكن في مقاماته المناسبة ، و لو أردنا شرح معشار فضايله و خصايصه لاحتجنا إلى افراد كتاب يماثل حجم هذاالكتاب بل يزيد.

قال الجاحظ في محكي كلامه و نعم ما قال حالكونه من أعظم النّاس عداوة لأميرالمؤمنين عليه السلام : صدق عليّ عليه السلام في قوله : نحن أهل البيت لايقاس بنا أحد كيف

يقاس بقوم . منهم رسول‌الله ﷺ ، والأطيبان عليّ و فاطمة ، والسبطان الحسن والحسين ، والشهيدان أسدالله حمزة و ذوالجناحين جعفر ، و سيّد الورى عبدالمطلب و ساقي الحجيج العباس و حامي النّبي و معينه و محبه أشدّ حبّا و كفيله و مربيه والمقر بنبوته والمعترف برسالته والمنشد في مناقبه أبياتا كثيرة ، و شيخ قريش أبوطالب والنّجدة والخير فيهم ، والأنصار من نصرهم ، والمهاجرون من هاجر لهم و معهم ، والصّديق من صدّقهم ، والفاروق من فارق بين الحقّ والباطل فيهم ، والحواري حواريهم ، و ذوالشّهادتين لأنّه شهدلهم ، ولاخير إلا فيهم و لهم و منهم و معهم ، و أبان رسول‌الله أهل بيته بقوله : إنّي تارك فيكم الخليفتين كتاب‌الله حبل ممدود من السّمآء إلى الأرض ، و عترتي أهل بيتي نبأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر لماطلب مصاهرة علي عليه السلام إني سمعت رسول‌الله ﷺ يقول كل سبب منقطع يوم القيامة إلا سببي و نسبي

فأمّا عليّ فلو أفردنا لفضائله الشّريفة ومقاماته الكريمة و درجاته الرّفيعة و مناقبه السّنية لأفنينا في ذلك الطوامير الطوال والدّفاتر ، العرق صحيح ،والنّسب صريح ، والمولد مكان معظم ، والمنشأ مبارك مكرم ، والشّأن عظيم ، والعمل جسيم والعلم كثير ، وليس له نظير ، والبيان عجيب ، واللسان خطيب ، والصّدر رحيب ، و أخلاقه وفق اعراقه ، وحديثه يشهد على تقديمه انتهى .

و أنت اذا أحطت خبراً بما مهدناه في هذه المقدّمة عرفت فساد ما توهّمه النّواصب اللئام من عدم وجود النّص على إمامة أمير المؤمنين و سيد المتقين ويعسوب الدين و قائد الغرّ المحجلين عليه و على أولاده آلاف التّحية والسّلام ، كما عرفت فساد القول بتفضيل غيره عليه ، كما اتّفق اجماعة منهم ، و كذا القول بتفضيله على غيره مع القول بصحة خلافة الثّلاثة و تقديمهم عليه كما هو مذهب الشّارح المعتزلي ومن يحذو حذوه من معتزلة بغداد و غيرهم على ما حكي عنهم في أوايل الشّرح ، وعمدة ما أوقعه كغيره في هذا الوهم الفاسد والرّأي الكاسد ما ذكره في تضاعيف شرح هذه

الخطبة ولابأس أن نذكر كلامه بطوله ثم نتبعه بما يلوح عليه من ضروب الكلام ووجوه الملام .

فأقول: قال الشّارح خذله الله عند شرح قوله عليه السلام : أما والله لقد تقمصها إلى قوله : أرى تراثي نهباً ، ما لفظه : إن قيل بيّنوا لنا ما عندكم في هذاالكلام أليس صريحه دالا على تظليم القوم و نسبتهم إلى اغتصاب الأمرفما قولكم في ذلك إن حكمتم عليهم بذلك فقد طعنتم فيهم ، و إن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعنتم في المتكلم عليهم ؟

قيل: أمّا الامامية من الشّيعة فتجرى هذه الألفاظ على ظواهرها وتذهب إلى أن النّبيّ نصّ على أمير المؤمنين و أنّه غصب حقّه ، و أمّا أصحابنا رحمهم الله فلهم أن يقولوا إنّه لما كان أمير المؤمنين هو الأفضل والأحقّ و عدل عنه الى من لايساويه في فضل ولا يوازيه في جهاد وعلم ولا يماثله في سودد و شرف ساغ اطلاق هذه الألفاظ و إن كان من وسم بالخلافة قبله عدلا تقياً و كانت بيعته بيعة صحيحة، ألا ترى أنّ البلد قد يكون فيه فقيهان أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيرة فيجعل السّلطان الأنقص علماً منهما قاضياً فيتوجد الأعظم و يتألم و ينفث احيانا بالشكوى ولايكون ذلك طعنا في القاضي ولاتفسيقاله ولا حكما منه بأنّه غير صالح ، بل للعدول عن الأحق والأولى ، و هذا أمر مركوز في طباع البشر و مجبول في أصل الغريزة والفطنة ، فاصحابنا لما أحسنوا الظن بالصّحابة و حملوا ما وقع منهم على وجه الصواب و أنّهم نظروا إلى مصلحة الاسلام و خافوا فتنة لايقتصر على ذهاب الخلافة فقط ، بل و يفضي إلى ذهاب النّبوة والملة ، فعدلوا عن الأفضل الأشرف الأحق إلى فاضل آخر دونه فعقدوا له ، احتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصّادرة عمّن يعتقدونه في الجلالة والرّفعة قريباً من منزلة النّبوة، فتأوّلوها بهذا التّأويل و حملوها على التألم للعدول عن الأولى ، و ليس هذا بأبعد من تأويل الاماميّة قوله تعالى :

« وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ »

و قولهم: معنى عصى انّه عدل عن الأولى، لأنّ الأمر بترك أكل الشّجرة كان أمراً على سبيل الندب فلما تركه آدم كان تاركاً للأفضل والأولى فسمّي عاصياً باعتبار مخالفة الأولى، و حملوا غوى على خاب لا على الغواية بمعنى الضّلال، و معلوم أنّ تأويل كلام أمير المؤمنين عليه السلام وحمله على أنّه شكا من تركهم الأولى أحسن من حمل قوله تعالى: و عصى آدم، على أنّه ترك الأولى.

إن قيل: لا يخلو الصّحابة أن يكون عدلت عن الأفضل لعلة ومانع في الأفضل أو لا المانع فان كان لا المانع كان ذلك عقداً للمفضول بالهوى فيكون باطلا، و إن كان لمانع وهو ما يذكرونه من خوف الفتنة و كون النّاس كانوا يبغضون عليّاً و يحسدونه فقد كان يجب أن يعذرهم أمير المؤمنين عليه السلام في العدول عنه و يعلم أنّ العقد لغيره هو المصلحة للاسلام، فكيف حسن منه أن يشكوهم بعد ذلك و يتوجد إليهم؟ و أيضاً فما معنى قوله: فطفقت أرتاي بين أن أصول بيد جذّاء، على ما تأوّلتم به كلامه فانّ تارك الأولى لا يصال عليه بالحرب.

قيل: يجوز أن يكون أمير المؤمنين لم يغلب على ظنّه ما غلب على ظنون الصّحابة من الشّغب و ثوران الفتنة، والظنون يختلف باختلاف الامارات فربّ انسان يغلب على ظنّه أمر يغلب على ظنّ غيره خلافه، و أمّا قوله: أرتاي بين أن أصول، فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب، بل صيال الجدل والمناظرة، يبين ذلك أنّه لو كان جادلهم و أظهر ما في نفسه لهم فربما خصموه بأن يقولوا له: قد غلب على ظنوننا أنّ الفساد يعظم و يتفاقم إن وليت الأمر، و لا يجوز مع غلبة ظنوننا لذلك أن نسلّم الأمر إليك، فهو عليه السلام قال: طفقت أرتاي بين أن أذكرلهم فضائلي عليهم و احاجّهم بها فيجيبوني بهذا الضّرب من الجواب الذي يصير حجتي بهم جذّاء مقطوعة ولا قدرة لي على تشييدها ونصرتها، و بين أن أصبر على مامنيت به ووقعت إليه.

إن قيل: إذا كان لم يغلب على ظنّه وجود العلّة و المانع فيه وقد استراد

الصّحابة و شكاهم لعدولهم عن الأفضل الذي لاعلة فيه عنده ، فقد سلمتم أنّه ظلم الصّحابة و نسبهم إلى غصب حقّه فماالفرق بين ذلك و بين أن يظلمهم لمخالفة النّص و كيف هربتم من نسبته لهم إلى الظلم لدفع النّصّ و وقعتم في نسبته لهم إلى الظلم الخلاف الأولى من غير علّة في الأولى ؟ و معلوم أن مخالفة الأولى من غير علة في الأولى كتارك النّص ، لأن العقد في كلا الموضعين يكون فاسداً؟

قيل : الفرق بين الأمرين ظاهر لأنّه لونسبهم إلى مخالفة النّص لوجب وجود النص ، ولو كان النص موجوداً لكانوا فساقا أو كفّاراً لمخالفته، و أمّا إذا نسبهم إلى ترك الأولى من غير علة في الأولى فقد نسبهم إلى أمر يدعون فيه خلاف ما يدعي عليه واحد الأمرين لازم ، و هو إمّا أن يكون ظنّهم صحيحاً أو غير صحيح ، فان كان ظنهم هو الصّحيح فلاكلام في المسألة ، و إن لم يكن ظنهم صحيحاً كانوا كالمجتهد إذا ظن و أخطأ ، فانّه معذور و مخالفة النّص خارج عن هذاالباب لأن مخالفه غير معذور بحال فافترق المحملان ، انتهى كلامه.

أقول : لايخفى ما فيه من وجوه الجهل و ضروب التّجاهل اما أولا فلأنّ قوله: و إن كان من وسم بالخلافة عدلا تقيا ، أوّل الكلام و ستطلع على فسق أسلافه عند التّعرّض لمطاعنهم حيثما بلغ الكلام محله إنشاءالله.

واماثانياً فلأنّ قوله : و كانت بيعته بيعة صحيحة ، ممنوع إذ خلافةابي بكر لم تنعقد إلاّ باعتبار متابعة عمربن الخطاب له برضاءأربعة: أبي عبيدة و سالم مولى حذيفة و بشربن سعد واسيدبن حصين لاغير ، وقد تخلف عنها وجوه الصّحابة حسيما تعرفه في محله ، وقد صرّح الشّارح في شرح قوله عليه السلام : فصيرها في حوزة خشناء بأنّ استقرار الخلافة له لم يحصل إلاّ بوجود عمر حيث قال : و عمر هو الذي شيّد بيعة أبي بكر ورقم المخالفين فيهافكسر سيف الزّبير لماجرّده ودفع في صدر المقداد و وطأ في السّقيفة سعدبن عبادة وقال: اقتلوا سعداًقتل الله سعداً و حطم أنف الحباب ابن المنذرالذي قال يوم السّقيفة : أنا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب، وتوعد

من لجأ إلى دار فاطمة من الهاشميين و أخرجهم منها ، و لولاه لم يثبت لأبي بكر أمر ولاقامت له قائمة انتهى.

• هذا الكلام كما ترى صريح في أنّ عقد البيعة لأبي بكر لم يكن من إجماع الكلّ و اجتماعهم عن طوع و رغبة ، و إنّما حصل عن تشييد عمر و تأسيسه ، وعلى تقدير تسليم أن يكون أهل البيعة جماعة كثيرة فنقول : لاخفآء في أنّهم تابعون لتصرف الشّرع فيهم لاتصرف لهم في أنفس غيرهم من آحاد الامة و في أقل مهمّ من مهماتهم ، فكيف يولون الغير على أنفس الخلايق منهم و من غيرهم ، فانّ من لايعقل له التّصرف في أقلّ الامور لأدنى الأشخاص كيف يكون له القدرة على جعل الغير متصرّفا في نفوس أهل الشّرق والغرب و في دمائهم و أموالهم و فروجهم.

و هذا الذي ذكرناه إنّما هو على سبيل المماشاة و إلاّ فقد صرّح صاحب المواقف و شارحه السّيد الشّريف بانعقاد البيعة بالواحد والاثنين حيث قال : و إذا ثبت حصول الامامة بالاختيار والبيعة فاعلم أنّ ذلك الحصول لا يفتقر إلى الاجماع من جميع أهل الحلّ والعقد إذلم يقم عليه أى على هذا الافتقار دليل من العقل أو السمع ، بل الواحد والاثنان من أهل الحلّ والعقد كاف في ثبوت الامامة ووجوب اتباع الامام على أهل الاسلام ، و ذلك لعلمنا بأنّ الصّحابة مع صلابتهم في الدين وشدة محافظتهم على امور الشّرع كماهو حقها اكتفوا في عقد الامامة بذلك المذكور من الواحد والاثنين كعقد عمر لأبي بكر و عقد عبدالرحمان بن عوف لعثمان ، ولم يشترطوا في عقدها اجتماع من في المدينة من أهل الحلّ والعقد فضلا عن إجماع الامة من علمآء أمصار الاسلام و مجتهدي جميع أقطارها على هذا كذا مضى و لم ينكر عليهم أحد، و عليه أى وعلى الاكتفآء بالواحد والاثنين في عقد الامامة انطوت الأعصار بعدهم إلى وقتنا هذا انتهى.

و مع ذلك كله كيف يمكن أن يقال ، ان : بيعة أبي بكر كانت بيعة صحيحة شرعيّة ، و كيف يحلّ لمن يؤمن بالله واليوم الاخر ايجاب اتباع من لم ينص الله و رسوله ،ولااجتمعت الامة عليه على جميع الخلق لأجل مبايعة رجل واحد،وهل يرضى العاقل لنفسه الانقياد إلى هذا المذهب و أن يوجب على نفسه ذل الطاعة لمن لايعرف

عدالته ولايدرى حاله من الايمان و عدمه ولايعرف حقه من باطله لأجل أن شخصاً لايعرف عدالته و معرفته بايعه ، إن هو إلاّ محض الجهل والحمق و الضّلال عن سبيل الرّشاد.

واما ثالثاً فانّ قوله : ألاترى أنّ البلداه ، ظاهرهذا المثال بملاحظة تطبيقه مع الممثل يعطي أنّ تقديم أبي بكر إنّما حصل بفعل الله سبحانه ، و هو ظاهر ما ذكره في خطبة الشّرح من قوله : و قدّم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف ، و حينئذ فيتوجه عليه **أولا** أنّه مناف لما صرّح به بعد ذلك : من أنّ الصّحابة نظروا إلى مصلحة الاسلام فعدلوا من الأفضل الأشرف ، حيث إن المستفاد منه أنّ تقديمه إنّما كان بفعل الصّحابة لابفعل الله **وثانيا** أنّه يستلزم أن يقدم اللّطيف الخبير المفضول المحتاج إلى التّكميل على الفاضل الكامل وهو مع أنّه قبيح عقلا و نقلا افتراء عليه سبحانه، وقد قال تعالى:

« أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » وقال : « هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»

و ثالثا أنّه لوكان هذا التّقديم من الله لم يصحّ لعلي عليه السلام الشكاية مطلقا لانّها حينئذ يكون ردّاً على الله والرّد على الله على حدّ الشرك بالله.

واما رابعاً فانّ قوله : و أنّهم نظروا إلى مصلحة الاسلام اه ، ممنوع بل نقول إنّ تقديمهم له إنّما نشأ من حبّ الجاه و الرّياسة و عداوة لامام الامة كما يكشف عنه قول طلحة حين كتب أبوبكر وصيّة لعمر بالولاية والخلافة: و ليته أمس و لاك اليوم .

و قال الغزالي في كتابه المسمّى بسرّ العالمين على ماحكاه عنه غير واحد في مقالة الرّابعة التي وضعها لتحقيق أمر الخلافة بعد عدة من الأبحاث وذكر الاختلاف ما هذه عبارته : لكن اسفرت الحجة وجهها و أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته صلوات الله عليه في يوم غدير باتّفاق الجميع و هو يقول : من كنت مولاه، فعلي

مولاه ، فقال عمر : بخ بخ يا أباالحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة فهذا تسليم و رضاء و تحكيم ، ثمّ بعد هذا غلب الهوى لحبّ الرّياسة و حمل عمود الخلافة و عقود البنود (١) و خفقان الهوآء في قعقعة (٢) الرّايات و اشتباك (٣) ازدحام الخيول و فتح الامصار سقاهم كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الأول فنبذوا الحقّ و رآء ظهورهم و اشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما يشترون.

واماخامسا فلأنّ تمثيله بالآيةلاوجهله، إذارتكاب التّأويل في الآية الشّريفة بحمل العصيان فيها على ترك الأولى و حمل الغيّ على الخيبة إنّما هو من أجل قيام الأدلةالقاطعة والبراهين السّاطعة من العقل والنّقل على عصمة الأنبيآء عليهم السّلام حسبما عرفت تفصيلا في التذنيب الثّالث من تذنيبات الفصل الثّاني عشرمن فصول الخطبة الأولى ، و أمّا فيما نحن فيه فمجرّد حسن الظن بالصّحابة لايوجب ارتكاب التّأويل و رفع اليدعمّا هو ظاهر في التّظلم والتشكّي بل صريح في الطعن و اغتصاب الخلافة.

واماسادسا فان الجواب عن الاعتراض الذي ذكره بقوله : قيل : يجوز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام لم يغلب على ظنه ما غلب على ظنون الصّحابة ، تكلف بارد إذ كيف يمكن أن يجهل عليّ الذي هو باب مدينة العلم و دارالحكمة بما عرفه عامة الخلق مع جهالتهم و انحطاط درجاتهم منه في العلم من الثرى إلى الثريا ولا سيّما انّ هذه الخطبة ممّا خطب عليه السلام بها في أواخر عمره الشّريف كما يشهد به مضمونها ، فهب أنّه لم يغلب على ظنه في أوّل الأمر ما غلب على ظنون الصّحابة إلاّ أنّه كيف يمكن أن يخفى عليه في هذه السنين المتطاولة ما ظهر على الصّحابة في بادي الرّأي .

فان قلت : هذه الخطبة منه حكاية حال ماضية ولاتنافي اطلاعه على ما اطلع

١ـ البند بالباء الموحدة ثم النون العلم الكبير فارسي معرب، لغة

٢ـ حكاية صوت السلاح ونحوه، لغة

٣ـ الشبك والاشتباك التداخل ومنه اشتباك الاصابع ، منه

عليه الصحابة بعد هذه الحال،

قلت : المنافاة واضحة إذ اللاّزم عليه بعد اطلاعه بما ظنوه أن يعذرهم و يعتذرعنهم ولا يتكلم بمثل هذا الكلام الحاكي عن سوء فعالهم و الكاشف عن قبح أعمالهم ،و يأتي لهذا إن شآء الله مزيد تحقيق في شرح الكلام المأتين والرّابع عشر.

وأماسابعاً فانّ ما أجاب به بقوله : وأما قوله : أرتأي بين أن أصول ، فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب بل صيال الجدلوالمناظرة، فاسد جداً .

أما أولا فلأنّ ظاهر الكلامهو الصيّال بالحرب مؤيداً بما هو صريح كلامه عليه السلام في الخطبة السّادسة والعشربن و هو قوله : فنظرت فاذاً ليس لي معين إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن الموت واغضيت على القذى وشربت على الشّجى و صبرت على أخذ الكظم وعلى أمرّ من طعم العلقم ، وقد قال الشّارح هناك : فأمّا قوله : لم يكن لي معين إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن الموت ، فقول ما زال عليه السلام يقوله : ولقد قاله : عقيب وفاة الرّسول صلّى الله عليه وآله ، قال : لو وجدت أربعين ذوي عزم ، ذكرذلك نصربن مزاحم في كتاب صفيّن وذكره كثير من أرباب السّيرة انتهى .

وأمّا ثانياً فلأنه عليه السلام قد ذكر فضائله ومناقبه والنّصوص الواردة فيه واحتج بها يوم السّقيفة كما ستعرفه في محلّه ، فلم يصبر عن الاحتجاج بها حتّى يقول فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ، وكيف كان فقد تحصل ممّا ذكرنا كله أنّ تكلّفات الشّارح وتأويلاته فاسدة جداً وتطلع على فسادهازيادة علىماذكرفي تضاعيفالكتاب إن ساعدنا التّوفيق والمجال إنشآء الله .

الى هنا تمالجزء الثانى من هذه الطبعة النفيسة البهية ، وقد تصدى لتصحيحه و تهذيبه العبد « السيد ابراهيم الميانجى» عفى عنه و وقع الفراغ فى اليوم الخامس عشر من شهررجب الاصب سنة ١٣٧٨ ويليهالجزء الثالث، واوله: «المقدمة الثالثة» الحمدلله كما هو أهله

فهرس مافي هذا الجزء من المطالب

العنوان	الصفحة
في أصناف الملائكة	٣
في ماهية الملائكة	٦
في أصناف الملائكة واقسامهم	٧
في سجود الملائكة و ركوعهم	١٠
جواز النوم على الملائكة و عدمه	١٦
بيان امناء الوحي	١٩
تحقيق معنى القضاء والقدر	٢١
تحقيق المراد بالروح	٢٥
الجنان و أسمائها و أبوابها	٢٦
حديث الجنان والنوق	٢٨
في وصف العرش	٣٢
في حملة العرش	٣٤
في تعدد أجنحة الملائكة	٣٧
بيان خلقه آدم (ع)	٣٩
معنى نفخ الروح لآدم (ع)	٤٥
حديث إن الله خلق آدم على صورته	٤٦
لم سمّي الانسان إنسانا	٤٨
في المراد من الأذواق و المشام	٤٩
احتجاج هشام مع عمرو	٥٠
في خلقة آدم (ع) من الأشباه المؤتلفة	٥٢
سجود الملائكة واستكبار إبليس	٥٥
فساد العمل بالقياس	٥٨
احتجاج الصّادق (ع) على أبي حنيفة	٦٠
مدة عبادة إبليس في السّماء	٦٣
أسرار تكرار قصة آدم (ع) وإبليس في القرآن	٦٥
السر في سجود الملائكة لآدم (ع)	٦٦
المانع لابليس من السجود لآدم (ع) ماذا	٦٧
إبليس من الجن أم من الملائكة	٦٩
كيفية سجدة الملائكة لآدم (ع)	٧٤
اعتراضات إبليس على الله تعالى والجواب عنها	٧٦
جنة آدم (ع) هل هي جنة الدنيا	

العنوان	الصفحة
أم غيرها	٨٥
فيما نسيه آدم عليه السلام	٩١
كيفية تمكن إبليس من وسوسة آدم عليه السلام	٩٢
في الشجرة المنهية	٩٥
في عصمة الأنبيآء عليهم السلام	٩٧
الأدلة التي توهم عدم عصمة آدم عليه السلام والجواب عنها	١٠٢
في أن أكل آدم عليه السلام من الشجرة هل كان عن عمد أو عن سهو	١٠٥
في قبوله تعالى توبة آدم عليه السلام	١١٠
في أن توبة آدم عليه السلام كانت بعد الاهباط أو قبله	١١٢
مدة بكاء آدم عليه السلام على الجنة بعد الهبوط	١١٦
الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه	١١٨
تحقيق توبة الأنبياء عليهم السلام	١٢١
إعلال لفظ الذرية	١٢٩
سرّ وجوب الصلوات الخمس	١٣١
في ابتداء التناسل	١٣٣
في أخذ الميثاق من الأنبياء (ع)	١٣٧
في الاشارة إلى عالم الذرّ	١٤٥

العنوان	الصفحة
ست آيات من آيات المقدرة	١٥١
الفرق بين النبيّ والرسول	١٥٣
في إثبات النبوة المطلقة	١٥٥
في لزوم الحجة في كل وقت وزمان	١٥٩
الحجج الذين كانوا من لدن آدم عليه السلام إلى بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم	١٦٣
في أخذ الميثاق على نبوّة خاتم الانبياء، وإمامة عليّ والأئمة عليهم السّلام	١٦٥
في وقت ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله	١٦٩
في تاريخ ولادته صلى الله عليه وآله	١٧١
اختلاف المذاهب عند بعثته صلى الله عليه وآله وسلم	١٧٣
فى الاشارة إلى الأحكام الخمسة	١٧٩
في الرخصة والعزيمة	١٨١
في المحكم والمتشابه	١٨٣
نسخ الكتاب بالسنة	١٨٥
اعتراض المصنف على الشارح البحرانى	١٨٧
فى الكباير والصغاير	١٨٩
حديث شريف جامع للكباير	١٩١
فى نعت القرآن ووصفه	١٩٣
فى أسامى القرآن	١٩٥
القرآن هل هو ما بين الدفتين؟	١٩٧

العنوان	الصفحة
حجّة النافين	٢٠٠
فى حجّة المثبتين	٢٠٧
فى أن علم القرآن مختص بالأئمة عليهم السّلام	٢٢١
فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى	٢٢٦
فى شرح بعض جملات الخطبة	٢٣١
بيان بناء البيت الشريف ومن بناه	٢٣٥
فى بيان بعض المشاعر العظام	٢٣٧
فى بيان توصيف البيت بالحرام	٢٤١
فى الاشارة إلى بعض أسماء البيت	٢٤٢
فى بيان كون البيت قبلة للأنام	٢٤٢
وجه تسمية مكة ببكة	٢٤٧
أذان إبراهيم عليه السلام بالحج	٢٤٨
حجّ الأنبياء والمرسلين	٢٥٠
كلام للغزالى فى الطواف بالبيت	٢٥٤
فضايل الحجّ و ثواب الحجاج	٢٥٥
فضيلة الوضوء والحج	٢٥٦
فى كون البيت الشريف حرما للعائذين	٢٥٨
فى تحقيق الاستطاعة	٢٦٠
إطلاقات الكفر	٢٦٢
فى فضل أرض كربلا	٢٦٤
المختار الثانى	٢٦٧

العنوان	الصفحة
فى شكر المنعم	٢٦٩
فى وجوب شكر المنعم نقلا وعقلا	٢٧٣
فى إعراب كلمة التوحيد	٢٨١
فى فضيلة كلمة التوحيد	٢٨٤
فى فضيلة الجمع بين الشهادة بالتوحيد والشهادة بالرسالة	٢٩٠
فى تسمية النّبى صلى الله عليه وآله بمحمد	٢٩١
فى دواعى البعثة	٢٩٣
فى أنه صلى الله عليه وآله بعث فى زمان كان الناس فى فتن انجذم فيها حبل الدين	٢٩٦
استدراك	٣٠٠
الأوصاف الثمانية لآل محمد عليهم السلام و أنهم موضع سرّه	٣٠٣
فى أن آل محمد عليهم السلام لجأ أمره	٣٠٦
فى أن آل محمد عليهم السلام عيبة علمة	٣١٠
فى أن آل محمد عليهم السلام موئل حكمه	٣١٢
فى أن آل محمد عليهم السلام كهف كتبه	٣١٤

العنوان	الصفحة
في أن آل محمد عليهم السلام جبال دينه	٣٢٠
في الوصف السابع والثامن لآل محمد عليهم السلام	٣٢١
لايقاس بآل محمد ﷺ من هذه الامة أحد	٣٢٥
إلى آل محمد ﷺ يفيء الغالي و بهم يلحق التالي	٣٣٠
حديث شريف في أوصاف الامام عليه السلام	٣٣٢
في آل محمد ﷺ الوصية والوراثة	٣٤١
الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية	٣٤٥
المقدمة الاولى في إثبات أنّ هذه الخطبة منه عليه السلام	٣٤٥
المقدمة الثانية في البحث عن مسألة الامامة	٣٤٨
في إثبات خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بالنص	٣٤٩
في الاستدلال بآية إنما وليكم الله	٣٤٩
اعتراضات الفخر على الاستدلال بالآية وردّ الشارح	٣٥٠
في الكلام على الوجهين اللذين أجاب بهما الفخر عما عول عليه الامامية	٣٦٤
في الاستدلال بآية أطيعوا الله و أطيعوا الرسول	٣٦٧
إشكالات الفخر في الاستدلال بالآية و جواب الشارح عنها	٣٦٨
في الاستدلال بآية يا أيها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربك	٣٧٣
أشعار حسان بن ثابت	٣٧٤
اعتراضات بعض العامة على الاستدلال بالآية و جواب الشارح عنها	٣٧٦
أسماء رواة حديث الغدير	٣٧٩
في السنة النبوية والأخبار الدالة على إمامته عليه السلام	٣٨٢
حديث أنت أخي ووصيي	٣٨٢
حديث كان عليّ عليه السلام يرى مع رسول الله ﷺ الضوء	٣٨٤
حديث أنت مني بمنزلة هارون من موسى	٣٨٥
الأخبار الدالة على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام	٣٨٨
المقصد الثاني في الادلة العقلية	

VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY